ليبيا

بين الماضي والحاضر
صفحات من التاريخ السياسي

الجزء الأول

ميلاد دولة الاستقلال

المجلد الأول

محمد يوسف المقريف



مركز الدراسات الليبية، أكسفورد



ليبيا

بين الماضي والحاضر

صفحات من التاريخ السياسي



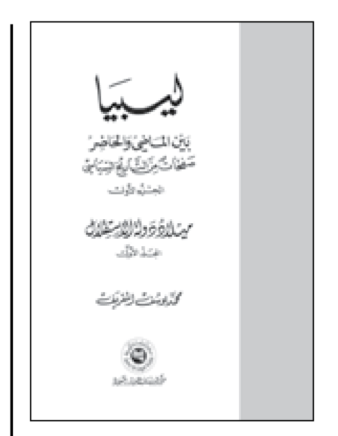
مركز الدراسات الليبية
أكسفورد ـ بريطانيا
Centre for Libyan Studies
Suite 220
266 Banbury Road
Oxford OX2 7DL (UK)

الطبعة الأولى : ٢٠٠٤
الطبعة الثانية : ٢٠١٧

رقم الإيداع الدولي : ٨-٢٧-٩٠٧١٨٧-١-٩٧٨



توزيع
الفرات للنشر والتوزيع
الحمراء - بناية رسامني
ص . ب : ١١٣/٦٤٣٥
بيروت - لبنان
هاتف : ٩٦١ ١ ٧٥٠ ٠٥٤
فاكس : ٩٦١ ١ ٧٥٠ ٠٥٣
www.alfurat.com
e-mail: info@alfurat.com




ISBN 978-1-907187-27-8

ليبيا

بين الماضي والحاضر

صفحات من التاريخ السياسي

الجزء الأول

ميلاد دولة الاستقلال

المجلد الأول

محمد يوسف المقريف



مركز الدراسات الليبية ـ أكسفورد






بسم الله الرحمن الرحيم



الإهــداء

* إلى **أحرار وحرائر** الشعب الليبي عبر الزمان وعبر المكان.

* وإلى **كواكب الأبطال** من الليبيّين وعلى رأسهم شيخ المجاهدين **عمر المختار** الذين تصدّوا لجحافل الغزاة الفاشيست الطليان .. وخطّوا بأرواحهم ودمائهم ملحمة جهادٍ خالدة.

* وإلى ذلك **الرعيل المبكّر** من بناة دولة ليبيا الحديثة بقيادة الرجل الصالح الملك **محمد إدريس المهدي السنوسي** .. الذين اضطلعوا بتلك المهمّة بكلّ الحبّ للوطن وبكلّ الحرص عليه وعلى مقدّراته ..

* وإلى كلّ **المناضلين الليبيّين** وفي مقدّمتهم المجاهدان الشهيدان **أحمد إبراهيم إحواس والدكتور عمرو خليفة النامي** الذين تصدّوا وقاوموا الفاشيست الجدد الذين استولوا على ليبيا منذ الأول من سبتمبر من العام ١٩٦٩ فأفسدوا فيها الحرث والنسل وأشاعوا في ربوعها الآمنة الظلم والخراب والشرّ والتخلّف.

* وإلى **الأجيال الليبية الصاعدة** التي ترنو إلى غد ليبيا الوضّاء القادم بإذن الله، وتتطلّع إلى المشاركة في بناء **دولة الاستقلال الثانية** في ظلّ شرعية دستورية ديمقراطية تعمل لإرساء الخير والعدل .. وتحقّق الرخاء والنهضة ..

* إليهم جميعاً ..

إنصافاً ووفاءً .. وقياماً ببعض الواجب .. واستجاشة للضمائر .. واستنهاضاً للهمم ..







كلمة الناشر

لا توجد دولة عربية واحدة تفتقر لكتب عن تاريخها المعاصر كليبيا، ولا سيما تاريخ استقلالها، وسجل عهدها الملكي الفريد. أما بعد نشر هذا الكتاب النفيس، فسوف تثرى المكتبة الليبية حقاً، وتجد فيه ما يغنيها ويعوّض ما فات من تقصير في حق التاريخ الليبي الحديث.

لقد جمع الدكتور محمد يوسف المقريف، في هذا العمل الموسوعي، مادة تاريخية ضخمة من مراكز الأرشيف والمكتبات العالمية، ثم عكف عليها بضع سنين، محققاً وممحصاً ومترجماً، يغربل القناطير من الوثائق والكتب والمجلات والصحف والدوريات، حتى صنّف هذا المرجع التاريخي، فيسّر للدارسين والباحثين في التاريخ الليبي المعاصر، والمهتمين بليبيا وشؤونها، مادة علمية موثقة ما كانوا بالغيها إلا بشق الأنفس.

فمن أراد مدخلاً لدراسة التاريخ الليبي فسيجد في هذا الكتاب بغيته، ومن أراد سجلاً لدولة الاستقلال وعلاقاتها العربية والدولية فسيجد فيه ضالته، ومن أراد نقداً لمذكّرات رجال العهد الملكي فلن يجد نقداً وتحليلاً وتمحيصاً موضوعياً كما يجده في هذا السفر القيّم.

لقد نبّه المؤلف أصحاب المذكّرات بما أهملوه سهواً، وصحّح لهم بعض ما دوّنوه خطأً، وأخرج لهم كثيراً مما طمسوه عمداً، وقارن مذكراتهم بعضها ببعض، ثم عرضها على ما كُتب عن العهد الملكي، وعلى ما رُفع من تقارير ومراسلات سرّية إلى الحكومتين الأمريكية والبريطانية عن ليبيا، في أسلوب منهجي موثّق، وعرض تاريخي متسلسل، ونقد علمي لا إجحاف فيه ولا محاباة.

ضمّ الكتاب من التراجم والسيّر والتواريخ والإحصاءات والوقائع والأحداث ما تنوء بجمعه عصبة من المصنفين والمؤرخين، ومهّد للباحثين سبلاً غير قليلة لدراسة أعلام ليبيا في عهد الاستقلال، وأرشدهم إلى كل ما هو خليق بالبحث وجدير بالتحقيق.

ومحّص الكاتب العهد الملكي تمحيصاً، ونقده نقد العادل المنصف، لا متعصباً له، ولا متحاملاً عليه، فحكم له في مواطن، وحكم عليه في مواطن أخرى، مستنداً في حكمه إلى دراسات ومراجع علمية، وتقارير وإحصاءات دقيقة، عرضها على القارئ ليطلع عليها ويحكم بنفسه كيف كانت ليبيا في تلك الأيام الخالية.

إن مركز الدراسات الليبية يشعر، مع صدور هذا الكتاب، بأنه يحقق لأول مرّة أحد أهم أهدافه الأساسية، وهو التصدي لمحاولات التزوير التي يتعرض لها التاريخ الليبي، ودراسة سجلات رجال الرعيل الأول ممن أسهموا في تأسيس دولة ليبيا الحديثة وشاركوا في نهضتها، ووضع سيرة حياتهم السياسية في ميزان النقد الحصيف. فقد كفانا الدكتور المقريف التصدي لإفك أشباه المؤرخين وأراجيفهم، ممن انهالوا على التاريخ الليبي، طوال العقود الثلاثة الماضية، مسخاً وتشويهاً وتحريفاً، حتى بلغ بهم الإسراف في الزور، والغلو في الكذب، على ليبيا وشعبها، أن شبّه أحدهم الملك محمد إدريس السنوسي، زعيم ليبيا الروحي ورمز استقلالها، بابن العلقمي الذي تآمر لفتح بغداد أمام جحافل التتر.

لا نزعم أن الكتاب خلا من العيوب، ولكن نستطيع أن نزعم أنه أفضل ما قدم للمكتبة العربية عن ليبيا، بعد أكثر من ثلث قرن من القحط الفكري والجدب العلمي. ويوم يتم نشر بقية الاجزاء، الثاني والثالث والرابع، من هذه الموسوعة ستكون من غير شك أهم مرجع في تاريخ ليبيا الحديث، وستبقى كذلك لسنوات طويلة، حتى تستردّ ليبيا حريتها الفكرية، وتسترجع حيويتها الثقافية، وتتعافى من سنوات الجهل والقهر والانحطاط.

إنّه كتاب جدير بالدراسة والنقد، وصاحبه خليق بأطيب الثناء وأجمل الشكر، فجزاه الله عن ليبيا وأهلها إحساناً وتوفيقاً.

يوسف المجريسي

مركز الدراسات الليبية – أكسفورد

كلمة في الكتاب
من شيخ المؤرخين العرب

عزيزي يوسف،

قرأت ما استطعت أن أقرأه من مخطوطة "ليبيا بين الماضي والحاضر" للدكتور محمد يوسف المقريف، وهو ليس كثيراً. لقد عنيت بشكل خاص بالمقدمة وشرحه لأسلوبه في العمل، ويبدو لي أن الكاتب لم يفته من المصادر الأصلية والوثائق شيء، إلا ما كان بعد خفياً.

إن شرحه لأسلوبه في العمل واضح، والأجزاء والنتف التي قرأتها أظهرت لي أولاً اطلاع الدكتور المقريف الواسع والذي يكاد يكون تاماً. ثانياً أن التصنيف والترتيب يدلان على خبرة ودقة يشكر عليها. ثالثاً الإحاطة بالموضوع كتابة.

لذلك فإنني أرى، من هذا القليل الذي أتيح لي أن أطلع عليه، أن الكتاب حري بالنشر. وليكن مفصلاً وطويلاً، فما يتاح لليبيا كل يوم أن يُعنى بها كاتب له هذا الصبر والجلد وعنده هذه القدرة على التصنيف والدربة على الكتابة والوضوح في الأسلوب.

أقدم له الشكر سلفاً من واحد شرب من ماء ليبيا أيام كان الماء صافياً، ولذلك أحبها، وأظن أن الكثيرين من أصدقائي الأحياء يعرفون هذا عني.

مع الشكر لأنك مكنتني أن أطلع على هذا الجزء من العمل الضخم.

أشكر للدكتور المقريف سعيه، وآمل لكتابه أن يلقى العناية التي يستحقها.

مع خالص التحية.

نقولا زيادة

بيروت، ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٣




نسخة إلكترونية



مـقـدمـة

الكتـاب الـذي بين يدي القـارئ الكريم هو **الجزء الأول** مـن أربعة أجزاء، آمـل أن تصـدر تباعاً خلال فترة قريبة بإذن الله بعنوان "**ليبيا بين الماضي والحاضر .. صفحات من التاريخ السياسي**". وقد خصّصت هذا الجزء والذي يليه لتاريخ "دولة الاستقلال" بحقبتيها السابقة على النفط واللاحقة له. وتناولت في الجزء الثالث "**واقعة انقلاب سـبتمبر**" بخلفياتها وأبعادها وأسرارها. أمّا الجزء الرابع والأخـير منها فقـد أفردته لأحوال وأوضـاع ليبيا في ظل انقلاب سـبتمبر تحت عنوان "**الطغيان الثوري .. وعبقرية السَّفه**".

والمجلـد الأول مـن هـذا الجزء، بعنـوان "ميلاد دولة الاسـتقلال" يشـكّل مدخـلاً عامّاً اسـتعرضت فيه شـيئاً مـن **تاريخ ليبيـا عبر العصـور الأولى** مروراً بالفتـح الإسـلامي في عـام ٦٤٣ للميـلاد (٢٢هجريـة)، ثـمّ ملحمـة الجهـاد والمقاومـة الخالدة التي سـطّرها الليبيون في مواجهة الاحتـلال الإيطالي منذ عام ١٩١١ حتـى عام ١٩٣١، ثـمّ تناولت في الفصل الثالث منها المعركة السياسـية التي خاضها الليبيّون من أجل استقلال بلادهم الذي تحقّق في الرابع والعشرين مـن ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٥١. وعرضـت في الفصل الرابـع منها لأوضاع ليبيا السياسية والاقتصادية عشيّة الاستقلال.

أمّا **المجلد الثاني** والثالث من هذا الجزء، فقد خصّصتهما **للحقبة غير النفطية من تاريخ دولة الاستقلال**، وهي الحقبة التي امتدّت ما ينيف على أحد عشر عاماً بقيـادة عاهلها **الملك محمـد إدريس السـنوسي** وبنظامها الاتحـادي وبحكوماتها الخمـس، وهي **حكومات السـادة محمود المنتصر ومحمد السـاقزلي ومصطفى بن حليم وعبد المجيد كعبار ومحمد عثمان الصيد**.

***

من حق القارئ عليّ أن أعترف بأنّني **لست مؤرّخاً** .. ولا ملمّاً بفنون كتابة التاريخ ولا أعتزم أن أكون .. ولقد جئت إلى المادّة التي يتكوّن منها هذا الكتاب **قارئاً متأمّلاً**، أنشد المعرفة التاريخية الخاصّة لنفسي في سياق ظرف معيّن من حياتي. وعندما رأيت أن أدوّن ما طالعته، وأقدّمه إلى القارئ تطفّلاً على الكتابات في التاريخ، فكّرت بتقديمها في البداية تحت اسم "**قراءات وتأمّلات في تاريخ دولة الاستقلال**" .. ورغم أنّني عدلت عن هذا الاسم، إلا أنّني ما زلت أحسّ بضرورة التأكيد على أنّ مادّة هذا الكتاب، في جزأيه الأول والثاني، على ما قد يبدو من غزارتها، هي ليست تأريخاً لدولة الاستقلال بحقبتيها، ولا تعدو أن تكون مساهمة متواضعة على طريق التأريخ لدولة الاستقلال .. أملاً في أن تمهّد الطريق لمؤلفات أخرى يكتبها متخصّصون وتكون أوفى وأكمل.

لقد أقدمت على تأليف هذا الكتاب من **خلفيّة بعيدة**، سواء من حيث مجال تخصّصي العلمي الأكاديمي والمهني أو من حيث واقعي وظرفي الحياتي والأمني الخاصّ .. **فخلفيّتي العلمية** هي في مجال المالية العامّة والمحاسبة والمراجعة المالية وليس لها علاقة بالتاريخ وبالكتابة عنه وفيه. أمّا **ظرفي الحياتي والأمني** فهو يفرض عليّ، ومنذ اخترت لنفسي أن أجاهر في عام ١٩٨٠ بمعارضتي للنظام الانقلابي في بلدي، وأن أعيش بعيداً عن أرض وطني، أن أراعي جملة من الاعتبارات في تحرّكاتي وتنقلاتي ولاسيما أنّ النظام المذكور سارع خلال أشهرٍ قليلة من تلك المجاهرة بإصدار حكم بالإعدام في حقّي من قبل إحدى "محاكمه الثورية" وشرع فعلاً في استهدافي بعددٍ من محاولات الاغتيال، كانت أولاها في إحدى صالات تسلّم الحقائب بمطار روما في أواخر شهر فبراير/ شباط ١٩٨١. وبالطبع فإنّ هذا الوضع قد حدّ من حرّيتي في الحركة، ومن قدرتي على الاتصال بمن أرغب في الاتصال به، أو الحصول على ما أودّ أن أطلّع عليه، أو أقتنيه من وثائق ومستندات وكتب من داخل بلادي.

فور تخرّجي صيف عام ١٩٦٢ من الجامعة الليبية، عيّنت **معيداً** بكلية الاقتصاد والتجارة حيث تولّيت المشاركة بالتدريس في هذه الكلية لمدّة عام جامعيٍّ واحد، حصلت بعده على **بعثة دراسية** للدراسة العليا في بريطانيا.

أثنـاء وجودي في **بريطانيا**، وقد امتدّ حتى منتصف عام ١٩٧١، كنت أتابع أخبار الوطن في الصحف ومن خلال الرسائل وزيارات الضيوف وتردّدي على أرض الوطـن. ولعل أبـرز الأحداث التي تركت خلال تلك السـنوات بصماتها الواضحة على الذاكرة هي تلك التي وقعت في منتصف شهر يناير/ كانون الثاني مـن العـام ١٩٦٤ وذهب ضحيّتها أربعة من الطـلاب قتلى برصاص الشرطة في مـدن بنغازي والزاوية والجميل، ثمّ الكارثة التـي أصابت الأمّة العربية بكاملها بهزيمة العرب في حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧.

لقـد تصوّرت أنّ منطقتنا العربية لن تعـرف بعد هزيمة ١٩٦٧ الانقلابات العسكرية، ولا النظم الشمولية .. إلا أنَّ ظنّي هذا سرعان ما خاب إذ إنَّ مسيرة الانقلابـات تواصلـت في أقطارنـا العربية، ومن عجب أن يـأتي وقوعها في أبعد الدول مسـؤولية عن نتائج تلك الحرب: في **العراق** عام ١٩٦٨، وفي **السودان** في مايو/ أيار ١٩٦٩، وفي **ليبيا** في سبتمبر/ أيلول ١٩٦٩.

لقـد دفعنـي وقوع الانقلاب العسـكري في بـلادي، وما تـسرّب مبكراً عمّا أحاط بوقوعه من ملابسات، إلى أن أتمهّل في إكمال دراستي وأن أتريّث في العودة إلى بـلادي .. غـير أنّه في النهاية لم يكن أمامي من سـبيل سـوى العـودة، بعد أن أكملت دراستي العليا، وحصلت على زمالة **جمعية المحاسبين القانونيين بإنجلترا وويلز وعضوية جمعية خبراء الضرائب بريطانيا**.

بـادرت، فـور عـودتي في شـهر مايو/ أيـار ١٩٧١ إلى ليبيـا، إلى الالتحـاق بهيئـة التدريـس في كليـة الاقتصاد والتجـارة، وانتدبت في مطلـع العام الجامعي التالي ٧١/ ١٩٧٢ **وكيلاً** للكلية ذاتها.

كان التململ في أوسـاط طـلاب كليـات الجامعـة يومذاك يتنامـى، وكان رفضهـم لتوجّهات النظام الانقلابي يزداد .. ولم يكـن غائباً أنَّ نظرة الانقلابيين للجامعة لم تكن على أنّها مؤسّسـة علمية، بل مصدر قوّة وخطر يتهدّد نظامهم. وبالطبـع فإنّهم، من هذا المنظور، لم يكونوا مرتاحين لوجودي وعددٍ من زملائي في الوسـط الجامعـي، ومن ثمّ فإنّ هذا العام الجامعـي ما كاد يقترب من الانتهاء حتى جاءني من يبلغني أنَّ مجلس قيادة الثورة (الانقلاب) يعتزم تعييني إمّا وزيراً

للخزانة أو رئيساً لديوان المحاسبة.

لقد عبّرت لمن جاءني بهذا الخبر عن رغبتي بالبقاء في الكلية .. غير أنَّ ذلك لم يفد شيئاً، فلم تمضِ سوى أيام قلائل على انتهاء العام الجامعي حتى صدر في ١٦/ ٧/ ١٩٧٢ قرار من مجلس قيادة الثورة (الانقلاب) بتعييني رئيساً لديوان المحاسبة بدرجة وزير.

وديوان المحاسبة، وفقاً لقانون تأسيسه الصادر خلال العهد الملكي، هو جهاز فني مستقل يتبع السلطة التشريعية (مجلس الأمّة) في البلاد التي أصبحت بعد الانقلاب ممثلة في مجلس قيادة الثورة (الانقلاب). وتتلخّص مهمّة ديوان المحاسبة في ممارسة رقابة فعّالة على الأموال العامّة لمصلحة السلطة التشريعية لضمان أنَّ التصرّف في هذه الأموال العامّة، جباية وإنفاقاً، يتمّ بموجب ووفقاً للقوانين والتشريعات الصادرة. ورغم ما طرأ على وضع الديوان بعد قيام الانقلاب من تعقيدات، ليس أقلها أنَّ السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية أصبحتا متمثلتين في مؤسّسة واحدة هي مجلس الانقلاب، فقد حاولت إلى أبعد حدٍّ مستطاع ممارسة الصلاحيات المعطاة للديوان، وظهر ذلك في عدد من المذكرات والتقارير التي أعددتها، والتي كشفت الكثير من الانتهاكات والتجاوزات المالية والإدارية التي قام بها الانقلابيون، ولا أجدني في حاجة إلى تفصيل ما سبّبته لهم من ضيق وحرج.

وفي عام **١٩٧٥** أبلغني عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة (الذين تبيّن فيما بعد أنّهم كانوا يخططون للمحاولة الانقلابية التي كشف النقاب عنها في أغسطس/ آب ١٩٧٥) أنَّ القذافي متبرّم من تقارير ديوان المحاسبة وأنّه ينتوي الانتقام منّي، وقد عبّر لي هؤلاء عن تثمينهم الخاصّ لتلك التقارير وعن مساندتهم لموقفي.

كان العقيد القذافي يظهر لي الاحترام والتقدير الشخصي، ويتظاهر بالترحيب بدور الديوان ورسالته، في الوقت الذي كان يبطن فيه خلاف ذلك .. ويبدو أنّ صبر القذافي عليّ قد نفد في العام ١٩٧٧ فأصدر باسم مؤتمر الشعب العام قراراً بتعييني سفيراً في وزارة الخارجية، إلا أنَّ هذا القرار لم يكن في حقيقته

سوى صورة من صور الإبعاد والانتقام. وفي الثامن عشر من مايو/ أيار ١٩٧٨ قدّمت أوراق اعتمادي إلى الرئيس الهندي سفيراً لليبيا لدى الهند.

وقد شهدت ليبيا خلال هذه الفترة، وعلى الأخصّ منذ إبريل/ نيسان ١٩٧٧، ولوغ النظام علناً في دماء الليبيّين؛ من ذلك **الإعدامات** التي نُفذّت بحق عددٍ من المدنيين والعسكريين في الرابع والسابع من إبريل من ذلك العام، وفي فبراير/ شباط – مارس/ آذار ١٩٨٠، والاغتيالات التي تعرّض لها عدد من الليبيّين على يد عملاء النظام في عددٍ من عواصم العالم خلال الفترة ما بين إبريل/ نيسان ويونيو/ حزيران ١٩٨٠، بل طالت جرائم النظام حتى ضيوف البلاد ومن بينهم الإمام **موسى الصدر** وزميلاه في أغسطس/ آب ١٩٧٨، كما شهدت هذه الفترة اندفاع النظام في مغامراته الخارجية الحمقاء والتي كان من بينها تمويل وتأجيج الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥، والاشتباكات المسلحة مع مصر في يوليو/ تموز من عام ١٩٧٧، والحرب الأوغندية في عام ١٩٧٩، وأحداث مدينة قفصة التونسية في مطلع العام ١٩٨٠.

لقد كانت هذه **الممارسات** من جملة العوامل التي دفعتني لأن أعلن في ٣١/ ٧/ ١٩٨٠ استقالتي من منصبي كسفير بوزارة الخارجية، وأن أنضمّ إلى **المعارضة الليبية** في الخارج في سعيّها للإطاحة بالنظام الانقلابي في ليبيا، واستبداله بنظام حكم وطنيٍّ دستوري ديمقراطي يقوم على الاختيار الحرّ لأبناء الشعب الليبي وبناته، ويستلهم عقيدة شعبنا الإسلامية وتاريخه وتراثه الحضاري.

ومنذ ذلك التاريخ شاركت مع عددٍ من إخواني في المعارضة في تأسيس **الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا** التي أعلن عن قيامها في ٧/ ١٠/ ١٩٨١ وشرّفني إخواني فيها بانتخابي أميناً عاماً لها من خلال مجالسها الوطنية الأربعة التي انعقدت خلال السنوات ١٩٨٢، ١٩٨٥، ١٩٩٢، ١٩٩٥ إلى أن قدّمت **استقالتي** من هذا الموقع النضالي في شهر أغسطس/ آب العام ٢٠٠١، **وقرّرت تخصيص جل وقتي واهتمامي لتأليف هذا الكتاب.**

***

لقد بدأت قصتي مع **تأليف** هذا الكتاب قبل ما يزيد عن **عشر سنوات،**



عندما رأيت أن أتعمّق بمطالعة **تاريخ دولة الاستقلال** مؤمّلاً أن أتعرّف على الأسباب الحقيقية التي آلت بها إلى السقوط في الأوّل من سبتمبر ١٩٦٩ على يد حفنة من الضباط المغمورين ولا أقول حتى المغامرين. وقد هالني ألا أجد، في اللغة العربية خاصة، وقد مضى يومذاك على قيام دولة الاستقلال قرابة الأربعين عاماً، وعلى سقوطها ما يربو على العشرين عاماً، سوى كتب محدودة جداً من أهمّها كتاب الدكتور **مجيد خدوري** "ليبيا الحديثة .. دراسة في تطوّرها السياسي"،[١] غير أنَّ هذا الكتاب، رغم قيمته العظيمة، توقّف عند بداية فترة حكومة السيد حسين مازق في عام ١٩٦٥. والكتاب الثاني، ألفّه المعتمد البريطاني السابق في برقة المستر تي. أ. ف. **دي كاندول** بعنوان "الملك إدريس عاهل ليبيا – حياته وعصره"،[٢] غير أنَّ هذا الكتاب القيّم تركّز كما يتّضح من عنوانه على شخصية الملك إدريس رحمه الله. وإلى جانب هذين الكتابين كان هناك مجموعة كتب الأستاذ **سامي حكيم** "حقيقة ليبيا" و"هذه ليبيا" وهي، وإن احتوت كمّاً طيّباً من المعلومات المتعلقة بدولة الاستقلال، فإنّها اتّسمت بالتحامل على العهد الملكي إلى الحدّ الذي ابتعد فيه صاحبها عن الموضوعيّة والأمانة العلمية.[٣]

أمّا **المصادر والوثائق الرسمية** الخاصّة بدولة الاستقلال، عدا ما هو موجود منها **خارج ليبيا** (كنسخ أعداد الجريدة الرسمية للمملكة، ومضابط جلسات مجلس النواب، وتقارير بنك ليبيا، فضلاً عن أعدادٍ من الصحف الحكومية والأهلية)، فقد استعصى عليّ الإطلاع عليها للاعتبارات الأمنية ذاتها التي ما زالت تحول بيني وبين التردّد على أرض الوطن، ولا أحسب إلا أنَّ يد "**العبث الثوري**" قد طالت هذه الوثائق والمصادر[٤] منذ وقوع الانقلاب الذي حرص على تغييب وتشويه كل ما يتعلق بدولة الاستقلال وبالعهد الملكي.[٥]

---

١ صدرت الطبعة الإنجليزية الأولى منه في عام ١٩٦٣ ونقله إلى العربية في عام ١٩٦٦ الدكتور نقولا زيادة.

٢ نُشر هذا الكتاب بالإنجليزية في طبعة خاصّة سنة ١٩٨٨ وتمّ ترجمة ونشر الطبعة العربية الأولى منه في عام ١٩٨٩ على يد السيد محمد بن غلبون بمانشستر ببريطانيا.

٣ كما وجدت مجموعة من الكتب المتخصّصة كتلك التي تناولت موضوع المعاهدات التي أبرمتها ليبيا أو موضوع النفط.

٤ كان هناك خلال حقبة العهد الملكي "دار المخطوطات التاريخية" بمدينة طرابلس، وقد احتوت هذه الدار على مخطوطات ووثائق تعود إلى عهودٍ سحيقة. كما هناك أيضاً "المكتبة العامة الحكومية" التي احتوت على نسخٍ من جل الوثائق المتعلقة بالعهد الملكي.

٥ على سبيل المثال، أصدر مكتب الادعاء العام كتابين هزيلين بعنوان **حقيقة إدريس** حاول من خلالهما تشويه صورة العهد الملكي والملك إدريس.

وقد حالت الاعتبارات ذاتها بيني وبين الاتصال الشخصي بمن بقي حيّاً من رجال دولة الاستقلال من أجل الاستماع إليهم والحصول على شهاداتهم أو ما قد يكون في حوزتهم من وثائق.

في هذه الغضون، شهدت الساحة **خارج ليبيا** في عام ١٩٩٢ صدور مذكرات السيد **مصطفى أحمد بن حليم**، رئيس وزراء ليبيا بين السنوات (١٩٥٤-١٩٥٧)، وقد صدرت تحت عنوان "صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي"، ولحقتها في عام ١٩٩٤ مذكرات رئيس حكومة آخر من حكومات دولة الاستقلال هو السيد **محمد بن عثمان الصيد** (١٩٦٠-١٩٦٣) وقد نُشرت على صفحات جريدة "**الشرق الأوسط**" اللندنية.[٦] وقد شكّل هذان العملان مساهمة طيّبة على طريق التأريخ لدولة الاستقلال والعهد الملكي، غير أنّه كان طبيعياً، بحكم أنهما سيرتان ذاتيّتان لمؤلفيهما، تركّزا بدرجة أساسية على الأحداث التي كان المؤلفان طرفاً من قريبٍ أو بعيدٍ فيها. وقد تكون هذه المذكرات، فضلاً عن ذلك، قد دافعت عن مواقف أصحابها وسوّت كثيراً من حساباتهم وخصوماتهم الشخصية – ولاسيما مذكرات الصيد – إلا أنّنا نعتقد أنّها لم تنصف العهد الملكي ودولة الاستقلال، بل لعلها، ولاسيما مذكرات الصيد، قد تجنّت عليها. والأهمّ من ذلك أنّ **كلا هذه المذكرات عجز عن توضيح المسار والسياق التاريخي العام لمسيرة ذلك العهد**.

لقد أثارت هذه المذكرات ردود فعلٍ متباينة بين الليبييّن، ترحيباً واستهجاناً، وتراشقاً كلامياً بين السيدين بن حليم والصيد وغيرهما، وقد كان أحد ردود الفعل على صدور مذكرات بن حليم أن قام السيد **علي الديب** في عام ١٩٩٦ بإصدار كتابٍ بعنوان "مؤامرة بن حليم على الديمقراطية في ليبيا – ١٩٥٤". وقد ألقى هذا الكتاب بعض الضوء على ما عُرف يومئذٍ **بالأزمة الدستورية** التي نجمت عن حكم المحكمة العليا الاتحادية في ٥/ ٤/ ١٩٥٤ الذي يقضي ببطلان الأمر الملكي الصادر في ١٩/ ١/ ١٩٥٤ بحلّ المجلس التشريعي لولاية طرابلس، إلا أنّ هذا الكتاب قد زاد وللأسف من التشويه على صورة دولة الاستقلال، ولم يكترث ببيان بعض جوانب "الديمقراطية" وقد

٦ نُشرت على امتداد الأعداد (٥٥٣٦) إلى (٥٥٦٩) الصادرة ما بين ٢٤/ ١/ ١٩٩٤ و٢٦/ ٢/ ١٩٩٤، ثمّ جُمعت في كتاب يحمل عنوان محطات من تاريخ ليبيا صدر عام ١٩٩٦.

اعترف ضمناً من خلال عنوانه بوجودها آنذاك في ليبيا.

كما صدر في مطلع العام **١٩٩٣** كتاب "وثائق جمعية عمر المختار: صفحة من تاريخ ليبيا" للسيد **محمد بشير المغيربي** الذي كان أحد قادة هذه الجمعية. والكتاب، كما يصفه مؤلفه، ليس سرداً لمذكرات ولا رواية لتاريخ ولكنّه توثيق لأعمال ونشاطات الجمعية السياسية والثقافية والرياضية منذ تأسيسها في بنغازي عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٦٧.[٧]

وقد شهدت الحقبة ذاتها نشر عددٍ من **المقالات ذات الأبعاد التاريخية** المتعلقة بدولة الاستقلال في عددٍ من الصحف والمجلات العربية التي تصدر في الغرب، مثل "**الحياة**" و"**الشرق الأوسط**" و"**الوسط**". ومن جهتها، فإنّ **المعارضة الليبية** في الخارج قدّمت من خلال صفحات مجلاتها وبقية إصداراتها عدداً من الإسهامات ذات الطابع التأريخي[٨] الخاص بدولة الاستقلال، كما أسهم **مركز الدراسات الليبية**، الذي تأسّس في مدينة أكسفورد ببريطانيا عام ١٩٩٤، عن طريق مجلته الدورية ونشاطاته العلمية الأخرى، في التوثيق والتأريخ لدولة الاستقلال ولبقية حقب التاريخ الليبي المعاصر.

ومنذ مطلع الثمانينيات شرع "**مكتب الوثائق العامة**" البريطاني (Public Record Office) في الإفراج عن كمّ كبير من الوثائق الرسمية للحكومة البريطانية المتعلقة بدولة الاستقلال في ليبيا، وذلك في ضوء القرار الذي كانت الحكومة البريطانية قد أصدرته عام ١٩٦٧ والقاضي بتعديل القانون الخاص بحفظ الوثائق الرسمية لتلك الحكومة، ولم يكن هذا القانون يسمح بفتح تلك الوثائق لعامّة الناس، ومنهم المؤرّخون والصحافيون والباحثون، قبل مرور خمسين عاماً، فخفضت تلك المدة إلى ثلاثين عاماً. كما شهدت الفترة ذاتها قيام دار "**المحفوظات القومية**" الأمريكية (National Archives) بالإفراج عن كمّ مماثل من الوثائق الرسمية للحكومة الأمريكية المتعلقة بدولة الاستقلال، وذلك بموجب قانون (حرّية المعلومات) الأمريكي الذي صدر في العام ١٩٦٦ ومُنح

---

٧ لم يوضح المؤلف لِمَ توقف التوثيق عند العام ١٩٦٧ مع العلم بأنّ نشاط رجال الجمعية قد استمرّ حتى نهاية العهد الملكي في العام ١٩٦٩.

٨ راجع على سبيل المثال العدد الخاص رقم (٣٩) الذي أصدرته مجلة **الإنقاذ**، مجلة "الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا"، في الذكرى الأربعين لاستقلال ليبيا عام ١٩٩١، وكذلك العدد (٤٧) حول خفايا وخلفيات انقلاب سبتمبر.

بموجبه الشعب الأمريكي حرّية نشر المعلومات الرسمية، وأجبِرَت الأجهزة الحكومية على تقديم تلك المعلومات لمن يطلبها. وقد تعزّز هذا القانون بصدور قانونٍ آخر بهذا الشأن في عام ١٩٧٨ [٩] خلال رئاسة الرئيس الأميركي كارتر.

وبقدر ما وضعتني مطالعاتي في الوثائق السرّية، المفرَج عنها من قبل الحكومتين البريطانية والأمريكية، أمام كّم هائل من المعلومات والأخبار والوقائع المرتبطة بدولة الاستقلال في ليبيا، فقد ولّدت لديّ من جانبٍ آخر الإحساس بالإهمال الجائر الذي تعرّض له تاريخ هذه الدولة، وبالتقصير الفادح في حق هذا التاريخ، ووجدت مع هذا الإحساس الرغبة لديّ في الكتابة عن قراءاتي وتأمّلاتي في تاريخ دولة الاستقلال، وتعاظمت رغبتي هذه مع استمرار انكبابي على ما جاء في تلك الوثائق.



***




قد يرى البعض أنَّ **رجال العهد الملكي** أنفسهم قصّروا في القيام بمهمّة التأريخ لدولتهم. وقد يجد آخرون العذر لهم في عدم القيام بتلك المهمّة فيما يتعلق **بمرحلة ما قبل الاستقلال** إذ كانت الحساسيات تلفّها وتحيط بها .. وقد أشار الأستاذ **خليفة محمد التليسي** إلى هذه الحقيقة في مقدمة كتابه القيّم "معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١–١٩٣١" حيث ورد فيها:

"لقد عانى تاريخنا من ظروف وعوامل وأسباب جعلت عملية دراسته ضرباً من المغامرة ونوعاً من المجازفة غير المأمونة، إذ أحيط بحساسيات جعلت التعرّض له بالكشف والدراسة مجلبة للمتاعب والمشاكل التي يحرص الإنسان على أن يتجنّبها ويبتعد عنها، وهكذا تحجب الحقيقة، ويموت التاريخ ولا يبقى منه سوى أصداء خافتة تردّدها ذاكرة عبث بها الزمن .." [١٠]

وقد يجد بعضنا لرجال تلك الدولة العذر، في أنّ **قدرات معظمهم على الكتابة متواضعة**، وبأنّهم انشغلوا بهموم بناء الدولة الوليدة وصناعة تاريخ

---

٩ فرضت إدارة الرئيس الأمريكي ريغان منذ العام ١٩٨١ قيوداً على نشر الوثائق الرسمية للحكومة الأمريكية ولاسيما تلك المتعلقة بنشاط المخابرات الأمريكية الأمر الذي ألغى عملياً مفعول جزءٍ كبير من "قانون حرّية المعلومات".

١٠ ط ٣ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣)، ص ١٤.

الحقبـة، تاركين ميراثها ووثائقهـا ووقائعها ومهمّة الكتابـة عنها لمن يأتي بعدهم مـن أجيال، واسـتنكفوا هم عـن أن يباهوا بما أنجـزوه وأن يكتبوا عـمّا حققوه، متصوّريـن أنَّ ذلـك مباهاة ومنقصـة ورذيلة، وأن مثل هذه المهمّة سـيكون ديناً في أعنـاق **أجيـالٍ قادمة** تصوّروا أنّها سـتكون **أمينة وفيّة منصفـة**، ولم يكن يدور بأخلادهـم البتّـة أن سـيكون مـن بـين تلك الأجيـال، التـي تعلمـت وتدرّبت وترعرعت في المدارس والمعاهد والكليات التي أقاموها، من سيسـعى عن عمدٍ إلى طمس وتشويه تضحيات وجهود وميراث دولة الاستقلال.

أمَّا بالنسـبة **لجيل دارسي التاريخ والمؤرّخين الليبيّـين**، الذي تكوّن وترعرع على امتداد سـنوات العهد الملكي، فلا نشـك بأنّ أغلبهـم – وهم من خيرة أبناء ليبيا – قد وجدوا أنفسهم حبيسي أجواء الاستعباد والقمع التي أشاعها انقلابيو سبتمبر، فلم يجرؤوا على تناول تاريخ تلك الحقبة، وانصرفوا ببحوثهم وكتاباتهم إلى مراحل وحقب أخرى غير تلك الخاصّة بدولة الاستقلال.

***

إنّني من المؤمنين بأنّ **ما من أمّة تستطيع أن تعيش بلا تاريخ** .. تاريخ ممحّص محقّـق .. وأنّـه لا تاريخ لقـوم إن لم يقم من بينهم رجال يجمعـون ذخائر بلادهم ويحيون مآثر رجالهم ..

إنَّ التاريخ – كما يقال– هو **ذاكرة الشعوب** .. وهو حاضرها الذي كان ..

وليـس أخطر على أمّة من أن تكون ذاكرة أجيالها مليئة بالثقوب والفجوات المظلمة والبقع السوداء والفراغات الموحشة.

وإنّ **التاريـخ** – كـما يقـال– هو **مدرسـة الحرّيـة** .. لأنّه يعيننا عـلى أن نتعلم من أخطاء وتجارب من سـبقنا .. ذلك أنَّ التاريخ هو سـجل الصواب والخطأ .. والحسـن والقبيح .. والتقدّم والتأخّر .. والمدّ والجزر .. وهو مسـتودع السوابق والعبر التاريخية .. وقد قال الإمام الشافعي "**من علِمَ التاريخ فقد زاد عقله.**"

"إنَّ **الثقافة التاريخية** – وهي خلاصة ما يجني الإنسـان من جهود في استكشـاف الماضي– عامل فعّال في تكييف نظرته، وتحديد اتّجاهه بالنسبة إلى الحياة بكاملها

ماضياً وحاضراً ومستقبلاً".

"ومن مميّزات **الثقافة التاريخية** أنّها توسّع اختيار الإنسان وتعمّقه ... وهي سبيل لإدراك الذّات أفراداً وأمّة وإنسانية".

"والثقافة التاريخية تبعث في النفس **حرمة للأجيال الماضية**، من شأنها تركيز الفرد والأمّة وتوطيد كيانها".[11]

وفضلاً عن ذلك:

"فإنَّ الإنسان الحيّ الفاعل صانع التاريخ يعيش **في توتّرٍ دائم بين الحاضر والمستقبل والماضي** ... التوتّر، بين متطلبات الحاضر ورؤى المستقبل وتراث الماضي، وبين القدرة وحدودها، وبين الحرّية والمسؤولية، فتنمو قابلية الفرد والجماعة للعمل التاريخي الحاسم المبدع."[12]

انطلاقاً من هذه **القناعات** عقدت العزم منذ أكثر من ثلاث سنوات على أن أتفرّغ لهذا العمل وأن أدلي بدلوي وأسهم بنصيبي .. وأن أترك بين يديّ القارئ حصيلة ما تجمّع لديّ من قراءات وتأمّلات.

***

لست مؤرّخاً .. ومع ذلك فأحسب أنّني أخذت في إعداد هذا الكتاب بمناهج البحث العلمي وأسبابه وأدواته.

وفضلاً عن ذلك، فأحسب أنَّ هناك جملة من **العوامل والاعتبارات** ساعدتني على فهم ومتابعة الكثير ممّا قرأته وطالعته عن دولة الاستقلال ووقائعها في الوثائق وفي غيرها.

من ذلك أنّني **لم أكن غريباً عن تلك الدولة** .. ولم تكن رموزها وشخصياتها وأحداثها ووقائعها غريبة عن ذاكرتي ومخيّلتي فقد كنت أتابعها، عن كثب أو عن بعد. والأسماء والوقائع التي كنت أقرأ عنها في الوثائق لم تكن لي مجرّد أرقام

١١ نقلاً عن محمد فتحي عثمان **المدخل إلى التاريخ الإسلامي** (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٨) ص ٤٧.
١٢ المصدر نفسه نقلاً عن قسطنطين زريق، **نحن والتاريخ** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩) ص ١٥٧، ١٧٣، ١٧٧، ١٩٧.



وأسماء ورموز صمّاء صامتة، بل كان لها رجعٌ وصدًى في أعماق ذاكرتي وأمام مخيّلتي.

العامل الآخر الذي أحسب أنّه أعانني على التنقيب في الوثائق التي طالعتها، وفي تمحيصها وتحليلها، هو **تأهيلي المهني** كمراجع ومدقق للحسابات، فقد زوّدني بدربة خاصّة ساعدتني على التأمّل في الوثائق واستنطاقها ومعرفة دلالاتها، كما أحسب أنَّ **الخلفية الاقتصادية والمالية** التي اكتسبتها من عملي الأكاديمي قد ساعدتني بدورها على الخوض في القضايا المالية والاقتصادية لدولة الاستقلال بالقدر الذي يسمح به حيّز هذا الكتاب. ومن جهة أخرى، فإنّني لا أشك بأنَّ الخبرة التي اكتسبتها من **عملي الدبلوماسي القصير** كسفيرٍ لبلادي قد زوّدتني هي الأخرى بدراية خاصّة حول عمل البعثات الدبلوماسية ونشاطها وفي فهم رموز تقاريرها ودلالاتها ..

***

إنّني أدرك أنَّ الباحث في التاريخ، أو من يكتب فيه، لا يملك إلا أن يكون **انتقائياً** مهما ادّعى الحياد والموضوعية وتحرّاهما .. "وأنَّ التأريخ غير المنحاز ليس مثلاً أعلى فحسب، بل هو مستحيل استحالة مطلقة"[١٣] و"أنَّ الموضوعية نسبية"[١٤] و"أنّ التاريخ تواريخ"[١٥] و"أنَّ الكتابة في التاريخ هي انتقائية بالتعريف والاختيار"[١٦] وأنَّ من أكبر مخاطر التأريخ أنّه (انتقائي) على أيّة حال بصورة من الصور .. و"أنّ المؤرّخ، مهما أكثر من محاولات إلزام نفسه استبعاد التحيّز، وحاول التركيز على فهم ما حدث فعلاً، فإنّه لن يتوقّى ذلك تماماً .. لأنَّ الفهم ذاته ليس مسألة سلبية بل يتضمّن الحكم على الأدلة بواسطة مبادئ يفترض حقيقتها افتراضاً مستقلاً."[١٧]

---

١٣ ولش W. H. Walsh. **مدخل لفلسفة التاريخ**، ترجمة أحمد حمدي محمود (القاهرة: منشورات سجل العرب، ١٩٦٢)، نقلاً عن عثمان، المصدر نفسه، ص ٣.

١٤ عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ: المفاهيم والأصول**، الجزء الثاني (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢)، ص ٣١٧-٣٢٢.

١٥ المصدر نفسه، ص ٣٩٩.

١٦ عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب**، الجزء الأول (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢)، ص ١٨٠.

١٧ عثمان، المصدر نفسه، ص ٣٨- ٣٩.

ولقد **سعيت قدر جهدي تحرّي الموضوعية والحياد إلى حدٍّ اقترب من التزمّت**، تاركاً للحقائق أن تتكلم عن نفسها .. وقد تصوّرت أنّه ممّا أعانني على هذا الموقف كون وضعي النفسي والشعوري والذهني إزاء دولة الاستقلال ورجالها متوازناً إلى حدٍّ كبير، فلم تكن لي عند ذلك العهد منفعة ولا مصلحة خاصّة، كما أنّه لم تكن لي خصومة معه، رغم أنّني كنت، بحكم سنّي وتعليمي، أنتمي إلى ما درجت الوثائق على تسميته بـ"القوى الجديدة" بكل طموحات هذه القوى وتطلّعاتها، وبما عُرف عنها من رفضٍ للكثير ممّا كان يجري حولها في دولة الاستقلال ..

ورغم ذلك، فإنّه لا يوجد شك لديّ بأنَّ تكوين شخصيتي وبعض آرائي وأهوائي ربّما تسللت من وقت لآخر عبر صفحات هذا الكتاب دون قصدٍ منّي. ولعلي أجد، حيال هذا، بعض العزاء فيما سبق وأوردت حول استحالة أن يحقق المرء، عند تعامله مع وقائع التاريخ وحقائقه، موضوعية مطلقة.





وبسبب من هذه الحقيقة، فإنّني لا أشك أنَّ فصول هذا الكتاب قد تبدو لبعض القرّاء محاولة للدفاع عن العهد الملكي وحكوماته ولتبرئة ساحة رجاله من المسؤولية عن عددٍ من الأخطاء والتجاوزات ومظاهر الفساد السياسي والإداري والمالي التي وقعت خلاله على أيدي بعضهم. وعلى الرغم من إيماني بأنَّ من حق ذلك العهد ورجاله علينا – نحن الليبيّين – ولاسيما أولئك الذين عاصروا تلك الحقبة من تاريخ بلادنا، أن ننصفهم، وأن نذكر لهم جهودهم وتضحياتهم وإنجازاتهم، ومع ذلك، فأنا لا أتردّد في التأكيد على أنَّ جوهر مهمتي في هذا الكتاب **لم يتجاوز ذكر الوقائع والحقائق وبيان سياقها التاريخي وملابساتها الظرفية** ممّا قد يساعد على فهمها، وإنَّ الذي سوف يُلبس هذا الكتاب ثوب الدفاع عن العهد الملكي ودولة الاستقلال هو ذلك الكمّ الهائل من التغييب المتعمّد والتحريف والتزييف الذي مارسته سلطة انقلاب سبتمبر بشأن كل ما يتعلق بذلك العهد، هذا فضلاً عن التفريط والتهاون اللذين اتبعهما العهد ذاته في التعريف بتلك الحقائق والإنجازات.

قد يجد القارئ أنَّ إحدى الخصائص المميّزة لهذا الكتاب هي اعتماده بشكلٍ واسع على **الوثائق الرسمية للحكومتين البريطانية والأمريكية** .. وقد تكونُ

هـذه ميـزة لهذا المؤلف، غـير أنّني أجد من واجبـي أن أنبّه إلى جملـة من المحاذير والتحّفظـات حول الاعتـماد على الوثائق عموماً كمصـدر للتاريخ، وعلى وثائق الحكومتين البريطانية والأمريكية خصوصاً بالنسبة للحالة التي بين أيدينا ..

> **فوثائـق التاريـخ، كل وثائـق التاريـخ، صنعتهـا يـد إنسـان .. ويدرسـها عقل إنسان..**[١٨]

> ثمّ إنّ الوثائق، أيّ وثائق، هي أداةٌ خرسـاء بيد من لا يعرف كيف يحييها وينفخ من روحه فيها..[١٩]

> والوثائـق المجـرّدة لا يمكن أن تعدّ تاريخاً .. ولكنّها مـادّة خام للتاريخ، ولا بدّ من إمرار هذه المـادة الخام بعمليات معقدة من الغربلة والتحليل والمقارنة، قبل الأخذ بما جاء فيها وإصدار أي حكم تاريخي استناداً إليها.[٢٠]

هـذا من حيث المبدأ. وفضلاً عن ذلك، تجدر الإشـارة إلى جملة من **الحقائق المتعلقـة** باسـتخدامي للوثائـق البريطانيـة والأمريكيـة كمصدرٍ أسـاس في هذا المؤلف، وأهمها:

- أنّنـي لم أتمكن، في ظل محدودية الوقت والإمكانات وغزارة الوثائق، من اقتناء كافة الوثائق المتعلقة بدولة الاستقلال.
- أنّنـي لم أتمكـن من اسـتخدام كافـة الوثائق التـي اقتنيتهـا وطالعتها بحكـم محدوديـة مجال الكتـاب ومداه، ومـع ذلك فأحسـب أنّني لم أتعمّـد إسـقاط أو إبعاد أيّة وثيقة ذات أهمّيـة ودلالة وفقاً لاعتقادي وتقديري.

والأهـمّ مـن ذلك أنَّ هناك **كمّاً كبيراً نسـبياً من الوثائق الرسـمية البريطانية والأمريكيـة تمّ حجبها وإبقاؤهـا طيّ الكتمان من قبل الحكومتـين المعنيّتين حتى**

---

١٨ عثمان، المصدر نفسه، ص ٣٣.

١٩ المـؤرّخ والفيلسـوف الفرنسي أرنسـت رينان، نقـلاً عن كتـاب الدبلوماسي والمـؤرّخ العراقي نجـدة فتحي صفوة **مـن نافذة السـفارة البريطانية: العرب في ضوء الوثائـق البريطانية** (لندن - قبرص: ريـاض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٢) ص ١٣.

٢٠ المصدر نفسه، ص ١٣.

بعـد مـرور ما يزيد عن خمسـين عاماً في بعـض الأحيان. وعلى سـبيل المثال، فقد أمكننـي حصر (٨١٦) **وثيقة رسـمية أمريكية** سرّية تتعلق بدولة الاسـتقلال في ليبيا لم يجرِ الإفراج عنها ولم ترَ النور حتى الآن.

- مـن هـذه الوثائـق (٨٢) وثيقة تتعلـق بالسـنوات ١٩٥٠، ١٩٥١ أي حقبة ما قبل الاستقلال.
- (٧٣٤) وثيقة تتعلق بالسـنوات منذ الاسـتقلال حتـى نهاية الحقبة غير النفطية في مطلع عام ١٩٦٣ موزّعة كالآتي:

(٤٠) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٢	(حكومة محمود المنتصر).
(٤٢) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٣	(= = = =).
(٢٣) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٤	(حكومات المنتصر والساقزلي وبن حليم).
(٧٠) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٥	(حكومة مصطفى بن حليم).
(٦٧) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٦	(= = = =).
(٧٥) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٧	(حكومتي بن حليم وعبد المجيد كعبار).
(٩١) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٨	(حكومة عبد المجيد كعبار).
(٨٧) وثيقة تخصّ العام ١٩٥٩	(= = = =).
(٧٤) وثيقة تخصّ العام ١٩٦٠	(حكومتي كعبار والصيد).
(١٠٢) وثيقة تخصّ العام ١٩٦١	(حكومة محمد عثمان الصيد).
(٥٨) وثيقة تخصّ العام ١٩٦٢	(= = = =).
(٥) وثائق تخصّ مطلع العام ١٩٦٣	(حكومة محمد عثمان الصيد).

وبالطبع فهنالك أيضاً عدد من **الوثائق السرّية البريطانية** لم يُفرَج حتى الآن عنه رغم مرور ثلاثين عاماً، وهي الفترة المنصوص عليها في القوانين البريطانية. ولا يوجد شك في أنَّ "**الحقائق التاريخية**" المتعلقة بدولة الاستقلال خلال هذه الحقبة سوف تتّضح بجلاءٍ أكبر، كما أنّها قد تتغيّر بشكلٍ ربّما يكون جذرياً، بمجرّد الإفراج عن الوثائق المحجوبة.

ولا يخفى أيضاً أنَّ "**الحقائق التاريخية**" الخاصّة بدولة الاستقلال في ليبيا سوف تزداد وضوحاً وجلاءً كلما أمكن الإطلاع على الوثائق السرّية الخاصّة بالحكومات التي كان لبعثاتها الدبلوماسية في ليبيا حضور نشط، وعلى الأخصّ البعثات الدبلوماسية المصرية **والفرنسية والإيطالية واليونانية والبلجيكية والسوفييتية**.

صحيحٌ أنَّ الوثائق الرسمية للحكومتين البريطانية والأمريكية، مثل غيرها من الوثائق، احتوت على معلومات وحقائق كان دبلوماسيو هاتين الحكومتين يحرصون على إبلاغها لحكوماتهم بأكثر ما يستطيعون من دقة، وهم يعلمون أنَّ هذه المعلومات التي يبعثون بها سوف تبقى سرّية لسنوات طويلة. وليس هناك – في الأحوال الاعتيادية – من سببٍ يدعو إلى افتراض أنَّ هؤلاء الدبلوماسيين يحاولون تضليل حكوماتهم أو تزويدها – عن عمد – بمعلومات خاطئة قد يظهر فيما بعد زيفها فتسيء إلى مكانتهم وتزعزع ثقة حكوماتهم بهم.[٢١]

غير أنّ ما ينبغي التنبيه إليه – من خلال ما يتّضح من مطالعة الوثائق الرسمية للحكومتين البريطانية والأمريكية – أنَّ **دبلوماسيي هاتين الحكومتين في ليبيا، وفي خارجية بلدانهم، قد حاكموا العهد الملكي وحكوماته ورجالاته، ليس فقط قياساً إلى "مصالحهم" وما يخدم هذه المصالح من وجهة نظرهم، ولكن أيضاً إلى معاييرهم ورؤاهم، وإلى منظومة قيمهم الحضارية والأخلاقية والسياسية، بل أحياناً إلى أهوائهم ونزعاتهم الشخصية المتقلبة.**

لقد حاولت قدر استطاعتي **ألا يكون هذا الكتاب ذا طبيعة سردية توثيقية** .. وألا يكون مجرّد كتاب خبرٍ ورواية .. وأن أعطيه طبيعة تأمّلية تحليلية ..

---

٢١ المصدر نفسه، ص ١٤.

وأن أجعل منه كتاب تحقيق وبحث ونظر .. ومن ثمّ فإنّه لم يخلُ من تأمّلات وتحليلات وتعليقات، ومن غوصٍ خاطف إلى بعض الأعماق في بعض الأحيان .. ذلك أنَّ التاريخ – كما يقال – يفتقد الكثير من قيمته إنْ هو ظل أسير السَّرد الميّت للأحداث والتكديس الآلي للنصوص والوقائع ..

كما أنّني تعمّدت ألا تتضمّن هذه المقدمة أيّة **خلاصات أو انتهاءات** حول مادّة الكتاب، تاركاً الأمر للقارئ .. يطرق بنفسه فصوله ومباحثه، ويصل إلى حيث تنتهي به قراءة متعمّقة لهذا العمل من قناعات ..

بقي أن أضيف وأن أؤكّد ..





- أنّ هذا الكتاب **ليس كتاباً عن الملك إدريس** رحمه الله .. **وليس من أجل الدفاع عن دولة الاستقلال والعهد الملكي.**
- كما أنّه **ليس دعوة للعيش في الماضي .. والبكاء على أطلاله، ولا هو بدعوة لعودة الملكية إلى ليبيا.**
- كما أنّه لم يُكتب من أجل الباحثين عن المعرفة الذهنية الباردة.

إنّ هذا الكتاب، كما أرجوه من الله، هو مساهمة متواضعة على طريق المعرفة بتاريخ دولة الاستقلال، ومن أجل إيقاظ الوعي التاريخي. وهو دعوة هادئة وجادّة للقراءة والتأمّل والحوار حول ما جرى في بلادنا خلال سنوات العهد الملكي الثماني عشرة، بكل إنصاف وموضوعية، وبعيداً عن كل صوَر التحامل والتجنّي والمحاباة .. أملاً في الوصول إلى تقييم شامل وموزون ومنصف لتلك الحقبة العزيزة من تاريخ ليبيا، ومن ثمّ إلى معرفة الأسباب الحقيقية التي أدّت إلى وقوع انقلاب سبتمبر ١٩٦٩ وسقوط دولة الاستقلال الأولى .. إنَّ الحوار والتقييم هما شرطان لا مندوحة عنهما بنظري في عملية استشراف المستقبل الراشد المأمول لليبيا الغد .. ذلك أنَّ مستقبل كل شيءٍ يكمن في تاريخه .. ولا قيمة للتاريخ إن لم يكن هادفاً صادقاً، يقدّم العبرة للحاضر وللمستقبل.

وختاماً فإنّني أضرع إلى البارئ سبحانه وتعالى أن ينفع بثواب هذا العمل روح والديّ تغمّدهما تعالى برحمته، فوالدي (المرحوم الحاج يوسف محمد

المقريف) جسّد أمامي ببساطته وطيبته وأنفته وحكمته ذلك الجيل الصابر المعطاء من رجال ليبيا الذين حملوا لوطنهم أعظم الحبّ وأنبله، وتفانوا في خدمته وفي التعبير عن "**حرصهم**" على صون ورعاية كل ما يتعلق به، ثمّ غادروا هذه الدنيا وهم يرنون إلى غد ليبيا القادم، وإلى قيام دولة **الاستقلال الثانية**، مؤمّلين أن تحمل معها الأمان والخير والتقدّم والرخاء والرشاد لأبنائهم وأحفادهم ولكل أبناء الوطن وبناته ..

ولله الأمر من قبل ومن بعد .. وهو وحده من وراء القصد ..

محمد يوسف المقريف

أتلانتا في ١١ من شعبان ١٤٢٤هـ.

الموافق ٧ من أكتوبر/ تشرين ٢٠٠٣م.





شكر وامتنان

لقد اعتمدت في إعداد مادة هذا الكتاب بأجزائه الأربعة على عددٍ من المؤلفات والرسائل العلمية والسير الذاتية والتقارير والدراسات والبحوث التي أشرت إليها في مواضعها، وفي قائمة المراجع بنهاية هذا الجزء والأجزاء الأخرى، فإلى أصحابها جميعاً خالص شكري وامتناني.

كما أنّني أخصّ بالشكر الأستاذ **يوسف المجريسي** مدير مركز الدراسات الليبية في أكسفورد ببريطانيا الذي زوّدني بعددٍ من المراجع والوثائق المفيدة، كما قام بمراجعة مادة الكتاب وقدّم لي عدداً من النصائح والمقترحات القيمة بشأنها، وقام مشكوراً بإعداد فهارس الأعلام والموضوعات للكتاب. وأشكر أيضاً الأستاذ **إبراهيم عبد العزيز صهد** والعقيد **صالح محمد الحبوني** اللذين راجعت معهما توثيق عددٍ من الحقائق والوقائع والمعلومات المتعلقة بالجيش الليبي، وكذلك جميع الإخوة الذين ساعدوني في استخراج أجزاء من الوثائق البريطانية والأمريكية وفي تصويرها، وأولئك الذين امّدوني ببعض الصور الفوتوغرافية التي زينّا بها الكتاب.

ولا أنسى أن أسجل عرفاني للأستاذة الفاضلة التي قامت بصف مادّة هذا الكتاب بأداءٍ فنّيٍّ متقنٍ ومتفانٍ، وقدّمت الكثير من النصائح الثمينة حول صياغة المادة نفسها، وأحياناً مضمونها، ممّا أسهم في إخراج هذا الكتاب بقالبٍ أرجو أن ينال رضا القاريء وامتنانه.

ومن الواجب أن اسجل شكري الخاص لأولئك الإخوة الأفاضل الذين تبنّوا بحماسة شديدة فكرة هذا الكتاب وقدّموا له بكل أريحية وسخاء التمويل اللازم. وكذلك إلى الإخوة والأخوات، الليبيّين والعرب والمسلمين، الذين قدّموا لي على مدار العشرين عاماً الماضية، أو يزيد، كل صور الدعم المعنوي

والأدبي والمادي التي ما كنت لأستطيع بدونها مواصلة مسيرة هذه السنوات.

ولا يفوتني أن أوجه تحية خاصة للأخ **عبد السلام علي عيلة** الذي كان زميلاً لي في السفارة الليبية بالهند عندما قرّرت مفاصلة النظام في عام ١٩٨٠ والانضمام إلى المعارضة الليبية في الخارج، فحافظ على السرّ الذي فاتحته به لضرورات عملية، إلى أن تمكن هو بدوره من إعلان موقفه والانضمام إلى المعارضة.

ومن حقّ ابني عليّ الدكتور **طارق المقريف** أن أذكر تشجيعه المستمر لي في المضيّ بإصدار هذا الكتاب، إضافة إلى تزويده لي بعدد من المراجع العلمية والملاحظات القيّمة.

وختاماً لابدّ أن أنوّه بالدعم الكبير الذي تلقيته باستمرار من زوجتي السيدة **ربح** ابنة المجاهد المرحوم **عبد العزيز صهد** أحد رجال معركة القرضابية الشهيرة، فقد كانت لي نعم الرفيقة في هذه المسيرة الطويلة، ولم تنفك عن تشجيعي على إنجاز هذا الكتاب وتهيئة الأجواء المواتية لذلك.

إلى هؤلاء جميعاً عميق شكري وامتناني وعرفاني، فمن دونهم جميعاً، وكثيرين غيرهم، لم يكن لهذا العمل أن يرى النور.



تـوضيـح

لقد تعذّر تضمين دفتي هذا الكتاب صوراً من الوثائق الرسـمية للحكومتين البريطانيـة والأمريكيـة التـي جـرى اسـتخدامها في إعـداد مادته، وذلك بسـبب ضخامـة عـدد هـذه الوثائق. وقـد اكتفيـت بالإشـارة إلى رقم وتاريـخ كل وثيقة والملـف الموجودة فيه، كـما أوردت في نهاية الكتاب عينات من هذه الوثائق. وآمل أن أنشر صوراً من الوثائق ذاتها في أعمال أخرى مستقلة خاصّة بها.











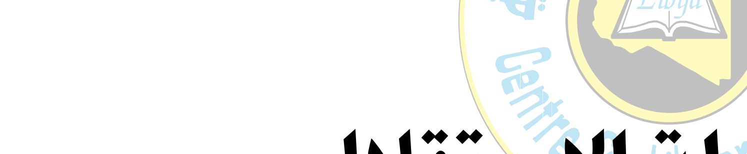


الجزء الأول



المجلد الأول

ميلاد دولة الاستقلال








نسخة إلكترونية










الفصل الأول

ليبيا عبر العصور









مباحث الفصل الأوّل







* عشرون قرناً من التاريخ
* منذ الفتح الإسلامي
* حقبة الاستعمار الإيطالي




نسخة إلكترونية



عشرون قرناً من التاريخ

قد تكون ليبيا، كدولة، ظاهرة حديثة جداً في السياسة الدولية، **بنت القرن العشرين** على الأكثر، ولكنّها في حكم الجغرافيا السياسية وبمقاييسها دولة قديمة جداً، **عمرها** عشرون قرناً على الأقل. فمنذ عرف الإغريق القدماء الأرض التي ذكرها لنا **هيرودوتس** باسم "**ليبيا**"، والعالم مضطّر أن يفردها **كوحدة جغرافية متميّزة** تقدّم وعاءً طبيعياً، فعلياً أو ممكناً، لوحدة سياسية منفردة، مهما كان نصيب محتوى هذا الوعاء من القوة أو الوزن أو حظ حدوده من الوضوح والتبلور. فقد تكون تلك الوحدة ضئيلة الحجم والثقل قليلاً أو كثيراً، **وقد تختفي تماماً أو ربما تتمزّق وتتقاسم أحياناً، ولكنّها تعود دائماً إلى الظهور، وتفرض نفسها حتى على المستعمر الخارجي، كما على أبنائها أنفسهم في الداخل**.[1]

وأحدث اسم لـ"**ليبيا**" هو أقدم أسمائها، فلقد أطلقه **الإغريق** القدماء على كل الجزء الشمالي من إفريقيا حيث تسود البشرة البيضاء Libyae تمييزاً لهم عن "**أثيوبيا**"، وهي منطقة العناصر السوداء أو السمراء من القارة Ethiopae، وبالتدريج تقلّص مجال التسمية وتخصَّص حتى اختصّ بشمال إفريقيا غرب مصر، ثمّ انحصر في النهاية في ليبيا الحالية. وتطوَّر مدلول الاسم متجهاً من الاتساع إلى الضيق، عكس اسم "**إفريقيا**" مثلاً الذي اتسع من "أفريقية" **تونس** إلى القارّة عامّة.[2]

ويُعدّ **الجنس البربري** من أقدم الأجناس التي عرفها التاريخ في ليبيا وفي الشمال الأفريقي بصفة عامّة.[3]

وقد كانت أوّل **الاتصالات الخارجية** للقبائل الليبية (المشواش، والتاميحو

---

١ جمال حمدان، **الجمهورية العربية الليبية**: دراسة في **الجغرافيا السياسية** (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٣) ص ٦٨.

٢ المصدر نفسه، ص ٧٢.

٣ انظر: **صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الأفريقي**، علي محمد محمد الصلابي (عمّان: دار البيارق، ١٩٩٨)، ص، ١٣٨؛ انظر أيضاً: **الفتح العربي في ليبيا** الطاهر الزاوي، ط ٣ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤)، ص ١٩-٢٠.

والتحنو والليبو أو الريبو)[٤] مع **مصر الفرعونية** في شكل غارات على غرب الدلتا لم تنقطع منذ فجر التاريخ، وهي لا تعدو في جوهرها أن تكون مظهراً للعلاقات المألوفة بين الرعاة والزرّاع، أو بين الرمل والطين، أو بين القاحل والمزروع، وكان **الفوز الأخير في الأغلب الأعمّ من الحالات لسكان البادية،** فإذا ما استردّ أهل البادية الأرض، كانوا الرابحين لأنهم يفيدون من الثراء والحضارة التي خلّفها لهم القوم الراحلون.[٥]

وقد تمكّن أحد المقاتلين البربر أن يعتلي سدّة الحكم في مصر سنة (٩٥٠) قبل الميلاد ليصبح فرعون ويسمّي نفسه **شيشنق الأوّل** وليؤسّس خلفاؤه الأسرتين الثانية والثالثة والعشرين التي حكمت مصر خلال الفترة ما بين ٩٤٥-٧٣٠ قبل الميلاد.[٦]

وفي وجه غارات القبائل الليبية على مصر كانت هناك **الحملات المصرية المضادّة** التي تتوغّل بعيداً داخل "**برقة**"، وتخضعها عادة، ويبدو أنّ بعض هذه الحملات وصلت أحياناً إلى أعماق الصحراء الداخلية وواحاتها.



وبينما اقتصر **النفوذ المصري الفرعوني** تقليدياً على **برقة** أساساً، ظهر **النفوذ الفينيقي في طرابلس** حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد، إذ كان الفينيقيون (وهم كنعانيون من الأصل السامي) يتردّدون على الشمال الأفريقي منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأقاموا علاقات وتحالفات مع قبائل البربر، وأنشأوا على ساحله مستوطنات تجارية كبيرة. ومن ثمّ فقد كان وجودهم ذا طابع تجاري ملاحي، كما اقتصر على الساحل أساساً، حيث أقاموا حوالي عشر مدن كان من أهمّها في ليبيا خلال القرن الخامس ق. م. مدن **طرابلس** (OEA) **ولبدة** (LABDA) **وصبراته**(SABRATAH)، ومن هذه المدن الثلاث استمدّت طرابلس اسمها (طرابلس = المدن الثلاث).[٧]

---

٤ المشواش أو المشويش Meshwesh والتاميحو Tamehu والتحنو Tehenu والريبو Rebu أو الليبو Lebu. انظر: حمدان، ص ١٦.

٥ انظر: **ليبيا الحديثة: دراسة في تطوّرها السياسي**، مجيد خدوري، ترجمة نقولا زيادة (بيروت - نيويورك: دار الثقافة - مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٦).

٦ انظر: *Libya: A Country Study*، ط ٤ (مكتبة الكونجرس الأمريكي، ١٩٨٩).

٧ انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٥؛ *Libya: A Country Study*، ص ٥.

01_1stChapter_Vol_1 40 7/19/04, 6:56:02 PM

وقد ظلّت "**طرابلس الفينيقية**" حلقة الاتصال التجاري بين قوافل الصحراء البربرية عن طريق "**غدامس**" وبين قوافل البحر الفينيقية. وبالتدريج تزايدت أعداد الفينيقيين، كما اختلطوا بالليبيين. على أنّ "مستعمرة طرابلس الفينيقية" لم تلبث في القرن الخامس قبل الميلاد أن فقدت استقلالها إذ ضمّتها إليها المستعمرة الفينيقية الكبرى في **قرطاجة**.[٨]

كما تميّزت فترة حكم **الفينيقيين** بالحرّية الواسعة التي كانت تركت للمدن، فقد كانت هذه تتمتّع باستقلالٍ ذاتي، وكان سكانها ينتخبون سنوياً، من بين الأعيان، شخصين ليقوما بمهام الإدارة والقضاء.[٩]

وفي **القرن السابع** قبل الميلاد، أي في وقت معاصرٍ تقريباً لقرطجة طرابلس، بدأ **الإغريق** يتجهون إلى "**برقة**"،[١٠] ومع الزمن ازداد تدفّق أعدادٍ منهم إذ تركّز وجودهم أساساً في المدن الساحلية، واستقرّوا بها واختلطوا بأهلها إلى حدٍّ بعيد، وأقاموا بها مدينة **سيرين قوريني** (شحات) في عام ٦٣١ ق.م. ثمّ من بعد ذلك بقية المدن التي عُرفت بالمدن الخمس PENTAPOLIS منذ عام ٥١٥ ق. م.[١١]



وقد اهتمّ **الإغريق** بالزراعة إلى جانب التجارة فجلبوا الحبوب الجديدة، واعتنوا باستصلاح الأراضي التي كانت تغلّ ثلاثة مواسم في سنة واحدة كما يقول (**هيرودوتس**). وما أن أهلّ القرن الخامس قبل الميلاد حتى أصبحت **سيرين** (شحات) واحدة من أكبر عواصم عالم الإغريق تجارياً ومعمارياً ومناخاً وموقعاً جغرافياً، بل أصبحت مركزاً فكرياً هاماً جداً آنذاك. فقد ساعد (**أفلاطون**) بذاته في كتابة "**قانون قورينا**"، وقد درس أفلاطون مع فيلسوف قورينا (**إبراتشين**) وعاش فيها الرياضي الشهير (**ثيودور**) وكانت بها مدرسة للفلسفة، وربما كان (**أرسيطبوس**) القوريني هو الذي أنشأها، كما أنّ قورينا كانت مركزاً طبياً شهيراً

---

٨ انظر الهامش السابق.

٩ **ليبيا بين الماضي والحاضر**، حسن سليمان محمود، "سلسلة الألف كتاب" (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، ١٩٦٢)، ص ١٩ وما بعدها.

١٠ كانت تُعرف باسم قوريناية. انظر: **اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة**، الطيّب محمد حمادي (بنغازي: جامعة قاريونس، ١٩٩٤).

١١ المدن هي أبولونيا (سوسة) وبارشي (المرج) وبطلومايس (طلميثة) وبرينتش (بنغازي) وطوكيرا (توكرة). انظر: خدوري، ص ٤٨٧.

بسبب صفاء هوائها ونقائه، وجودة طقسها وجمال طبيعتها.[١٢]

لقد كان "**النظام الملكي**" هو قوام الدولة التي أقامها الإغريق في قورينا بعد استقرارهم فيها وتزاوجهم مع سكانها الليبيين. إلا أنّ تضارب مصالح الإغريق وحدّة المنازعات بينهم أدّت إلى ارتباك وتشويش نظام الحكم فيها. وقد تمّ الالتجاء إلى أحد مشاهير الإغريق وهو الفقيه (**ديموناكس**) الذي حاول مع **أفلاطون** وضع قواعد ثابتة تكون أساساً لنظام الحكم في قورينا (**قانون قورينا**)، واقترح قيام **مجلس** مكوّن من ثلاث طبقات من المهاجرين. إلا أنّ الخلافات استمرّت في حدّتها واشتدّ النزاع، ولم يوقفه إلا إلغاء النظام الملكي وإقامة **جمهورية** على ركامه. ولم تعرف "قورينا" النظام الجمهوري المستقر إلا في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي الفترة التي عرفت فيها بالازدهار الفكري والمعرفي والنشاط السياسي والحزبي والعلمي والتجاري والمعماري.[١٣]

وقد صاحب نشأة المدن الأخرى وازدهار كياناتها السياسية أن فقدت جمهورية "قورينا" أهمّيتها ودخلت مع غيرها من مدن برقة في حلفٍ ينظّم العلاقات السياسية فيما بينها.[١٤]



وبينما كانت برقة وطرابلس في الشمال تخضعان لنفوذ الإغريق والقرطاجنيين (الفينيقيين)، كان **جنوب ليبيا** الصحراوي يخضع لقبائل "**الجَرامانتيين**" الذين لا يُعرف شيء عن أصلهم على وجه التحديد، وقد نزحوا إلى المنطقة قبل (١٠٠٠)[١٥] سنة من الميلاد. ويبدو أنّهم كانوا يعتنقون الديانة المصرية القديمة، وقد استعملوا العربة والحصان لغزو قبائل صحراوية أخرى ولبناء إمبراطورية لهم في فزان كانت عاصمتها "**جرمة**". وبناءً على رواية هيرودتس، كان الجرامانتيون في حربٍ مع "**التروغلوديت**" الأحباش الذين

---

١٢ انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٧؛ *Libya: A Country Study*، ص ٦– ٧.

١٣ وُصفت ليبيا على لسان الشاعر اليوناني (بنداروس) بأنّها "**مُنجبة القمح**" كما حظيت خيول ليبيا بصيت ذائع. كما كانت براعة الليبيين في تربية وترويض الخيول مضرب الأمثال في العالم القديم. للمزيد حول هذا الموضوع راجع الفصل العاشر من كتاب فرنسوا شامو "**الإغريق في برقة: الأسطورة والخيال**". ترجمة وتقديم محمد عبد الكريم الوافي (بنغازي: جامعة قاريونس، ١٩٩٠).

١٤ انظر: نقولا زيادة، **برقة الدولة العربية الثامنة** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٠)، ص ٣٥–٤٠.

١٥ يذهب الدكتور الصلابي إلى أنّهم نزحوا إلى جنوب ليبيا خلال الفترة ما بين ٣٠٠٠ و٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد، راجع ص ١٤٠ من كتابه المنوّه عنه سابقاً.

يقيمـون جنوب مصر وليبيـا[١٦]، وكان الجرامانتيون كتجّار يسـيطرون على طرق التجـارة القادمة من سـاحل البحر الأبيض المتوسـط عبر الصحـراء إلى أفريقية الوسـطى، كـما سـيطروا على مداخـل الصحراء مـدة تزيد عن ألف عـام، وكان الإغريق والفينيقيون الذين استقروا في الساحل يتاجرون عن طريقهم.[١٧]

وإذا كانـت **طرابلـس وبرقة** قـد توزّعتا بين النفـوذ **القرطاجـي** (الفينيقي) **والإغريقـي** على التوالي، فقد أدّى التوسّـع القرطاجي المتمدّد حتى خليج سرت إلى الصدام بين النفوذين عند منطقة التخوم، إلى أن حُدِّدت بخط معيّن عند تلال "**فيلانيوس**" الشـهيرة.[١٨] إلا أنّ الصراع الأكـبر إنّما دار مع القوى الخارجية التي تعرّض لها وشيكاً النفوذان كلاهما في المنطقتين.[١٩]

فمـن ناحية ضمّ **الإسـكندر برقـة** إلى مصر بعد غزوه لهـا في عام ٣٣١ ق.م لتصبـح بعد ذلك ودائماً، تحت حكم **البطالسـة**، ملحقاً إقليميـاً للمدينة الكبرى **الإسـكندرية**. ومـن ناحيـة أخـرى، أدّى سـقوط قرطاجـة[٢٠] عـام ١٤٦ق.م في الـصراع الـذي دار بينهـا وبين رومـا إلى انتقال **طرابلـس** إلى **النفـوذ الروماني**.[٢١] وبهـذا عادت ليبيـا **فتوزّعت** مرّة أخرى، ولكن بين **اليونـان والرومان** هذه المرّة؛ برقة في **الإمبراطورية الإغريقية** المرتكزة على قاعدة مصر البطليمية، وطرابلس في **الإمبراطورية الرومانية** المرتكزة على قاعدة تونس القرطاجنية.[٢٢]



وفيـما يتعلق **ببرقـة** تحت حكم **البطالسـة**، وضع بطليموس الأول **دسـتوراً** للبلاد[٢٣] عماده نظام المجلسـين؛ أحدهما "**الجيروزيا**" ويتكوّن من أعضاء معيَّنين

١٦ انظر: **المسألة الليبية في تسوية السلام**، جاك بيشون، ترجمة علي ضوي "سلسلة الدراسات المترجمة (٢٣)" (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ١٩٩١)، ص ٢٢.

١٧ انظـر: **تاريـخ ليبيا منذ أقدم العصور** جون رايت، ترجمة عبد الحفيظ الميار وأحمـد اليازوري (طرابلس: دار الفرجاني، ١٩٧٢)، ص ١٦-١٧.

١٨ حيث أقيم القوس الشهير الذي قام انقلابيو سبتمبر ١٩٦٩ بهدمه خلال الأيام الأولى لانقلابهم.

١٩ انظر: حمدان، ص ١٩.

٢٠ زال حكم قرطاجة من الوجود بعد أن دام نحو (٧٠٠) سنة.

٢١ في عـام ٧٢ ق.م. قـاد **سـبارتاكوس** الذي كان ليبيّـاً ثورة العبيد ضدّ رومـا حيث جمع حوله عدداً مـن العبيد الهاربين وسيطر في ذلك العام على جانبٍ كبير من جنوبي إيطاليا. وأخضع الثورة كراسوس ويوجين، وصلبا نحو (٦٠٠) من أسرى العبيد وقُتل سبارتاكوسٌ في معركة مع كراسوس عام ٧١ ق. م.

٢٢ انظر: حمدان، ص ١٩.

٢٣ انظر: محمود، ص ٦٤.

لمدى الحياة وعددهم (٦٠٠) عضو، والآخر يتكوَّن من (٥٠٠) عضو يتم تعيينهم عن طريق الانتخاب، ويجدّد نصف أعضائه كل سنة.

وقد قام **ملوك مصر** الذين خلفوا الإسكندر في حكم مصر بدءاً من **بطليموس الأوّل** سنة ٣٢٠ ق.م بتشجيع أعدادٍ كبيرة من **يهود فلسطين** على الاستيطان في برقة، وأصبح اليهود يشكّلون عنصراً من عناصر سكان المدن المزدهرة فيها وعلى الأخصّ مدينة قورينا (شحات).

على أنّ اقتسام إقليميْ طرابلس وبرقة بين الإمبراطوريتين الرومانية واليونانية لم يدم طويلاً فحين **سقطت الإمبراطورية اليونانية بكاملها أمام روما أصبحت برقة (منذ عام ٧٤ ق.م) مثل طرابلس خاضعة للنفوذ الروماني الواحد. وكانت هذه أوّل مرّة تتوحّدان فيها سياسياً**. كذلك كانت تلك أوّل مرّة تلحق فيها فزان بطرابلس وبرقة وذلك عندما قام الرومان بالتوغل في قلب الصحراء بعرباتهم وطرقهم الشهيرة ودخلوا حوض فزان الشمالية عند واحة "جرمة" وأخضعوه وضمّوه إلى الإمبراطورية.[٢٤]

وتتحدّث المصادر أنّ معاملة **اليهود** في ظل الإمبراطورية الرومانية، ومنها ليبيا، تختلف عمّا كانت عليه أيام البطالسة. وعندما قام اليهود بثورتهم في مدينة "**القدس**" عام ٦٦ ميلادية وقد اشترك فيها بعض يهود قورينا الليبية (إذ كانت لهم جالية تقيم في القدس) كان ردّ الرومان شديداً على تلك الثورة. وعندما سقطت القدس في عام (٧٠م) **لجأ بعض اليهود إلى برقة، وقد أدّى ذلك إلى زيادة حدّة الصراع بينهم وبين الإغريق في الإقليم**، كما نجحوا في إثارة يهود قورينا ضدّ الحكم الروماني الذي تمكن من إفساد تلك الثورة وقام بذبح حوالي (٣٠٠٠) يهودي منهم مع مصادرة أملاكهم.

وعندما قامت ثورة اليهود الكبرى في عام ١١٥م وعمّت أرجاء الإمبراطورية الرومانية، كان يهود قورينا (شحات) أول من أشعل نارها (إذ بدأت بفتنة أشعلها اليهود ضدّ الإغريق من سكان البلاد)، وسرعان ما امتدّت تلك الثورة إلى بقية مدن برقة، وعمّت بقية أملاك الدولة الرومانية.

---

٢٤ حمدان، ص ٢٠.





وقام اليهود خلال تلك الثورة بتنصيب أحد أبنائهم ملكاً على يهود برقة، وقاموا باستباحة مدينة قورينا والمناطق المجاورة لها، وارتكبوا بها أعمالاً وحشية بلا حدود. وتقدّر المصادر عدد الذين أهلكهم اليهود من سكان البلاد من الرومان والإغريق بنحو (٢٠٠) ألف نسمة، وقد تمكّن الإمبراطور الروماني (تراجان) في عام ١١٧م من القضاء على ثورة اليهود في برقة، بعد أن أنزل بهم عقاباً صارماً.

وتجمع المصادر على أنّ السلطات الرومانية قامت، من أجل القضاء على ثورة اليهود والبطش بهم وقطع خط الرجعة عليهم، بتحويل البلاد كلها إلى صحراء. ويقول المؤرّخ البريطاني (ألن ويس) Alan Wace في تعليقه على "**ثورة اليهود**" وما سبَّبته من دمار:

"إنّ برقة لم تستردّ أبداً ما سبَّبه الدمار الذي أحدثته لها ثورة اليهود الكبرى".

أمّا المؤرّخ اليهودي ناحوم شالوس فيقول:

"إنّ الرومان قاموا بتخريب البلاد وحوّلوها إلى صحراء في سبيل القضاء على ثورة اليهود".



ويورد مؤلف كتاب "**اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة**" نقلاً عن المؤرّخ (أورسيوس بولص) وصفاً لما آلت إليه أحوال إقليم برقة خلال تلك الثورة وبعدها، جاء فيه:

"في هذا الوقت قام اليهود بحركة تمرّدٍ بشكلٍ غير قابل للتصديق، لدرجة أنّهم كانوا يمشون ونفوسهم مليئة بالحقد (الجنون) وجاءوا من أجزاء مختلفة من البلاد. كذلك أشعلوا نار الحرب في كل ليبيا وضدّ السكان، حتى أصبحت البلاد بعد قتل الفلاحين قاحلة، حيث جلب الإمبراطور (الروماني) هارديان بعد ذلك إلى هذه المنطقة مستوطنين استقدمهم من أماكن أخرى، ولولا ذلك لبقيت البلاد خالية من السكان الذين، كما أشير، اقتلعت جذورهم".[٢٥]

وشهدت بداية القرن الثاني الميلادي **دخول المسيحية إلى ليبيا**، في صفوف

٢٥ انظر: حمادي، ص ٩٩-١١٩؛ وللمزيد حول هذا الموضوع انظر: *Libya: A Country Study*؛ وانظر أيضاً مصطفى عبد الله بعيو، **المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا** (طرابلس - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥).

اليهـود أولاً ثـمّ انتـشرت بعـد ذلك في عـددٍ من المدن وبـين العبيـد، ومع نهاية القـرن الرابـع كانـت الديانة المسـيحية قـد انتـشرت في الولايـات الإفريقية من الإمبراطوريـة الرومانية، كما بلغت الدواخل وانتشرت في صفوف قبائل البربر. ومنذ مرحلة مبكرة تميّزت الكنائس المسـيحية في برقة وطرابلس عن بقية كنائس رومـا، واكتسـت طابعـاً يعكـس موروثاتهـا الثقافيـة، كـما أنّ كنائـس طرابلس أصبحـت تابعة لكنيسـة روما فيما أصبحـت كنائس برقة تابعة للكنيسـة القبطية الشرقيـة في الإسـكندرية، وخضعت ليبيا خلال هذه الفترة "**لسـلطة الكنيسـة**" إذ كانت الكنيسـة تتمتّع بسـلطات واسـعة، وأصبحت الملجأ في الشئون الدينية والإداريـة والعسـكرية، ثـمّ اصطبـغ حكـم الأسـاقفة في ليبيا -كـما في غيرها- بالفردية والتعسّـف. كما أصبح الانتماء والاعتقاد الديني هو أسـاس الصراعات والثورات ومظهرها.[٢٦]

وقـد تميّز **حكـم الرومان** لليبيـا **بمركزية تابعـة لروما** تـدار بموجبها البلاد مبـاشرة مـن قبلهـم، فجميع موظفـي الدولة هـم مـن الرومانيـين، ومرتبطون بـوالٍ رومـاني يحكـم باسـم الإمبراطـور الموجـود في رومـا. ومع ذلك فقـد أقرّ النظـام قيام **بلديات محلية** تمثل الأهالي ومصالحهم. وتتمتَّع بنوع من الاسـتقلال في تنظيـم الضرائب وجبايـة الأموال اللازمة للصرف على إصـلاح البلدة ودفع مرتَّبـات موظفيهـا، وكانت قراراتها خاضعة لإقرار الوالي. كـما قاموا بضمّ **فزان** إلى طرابلـس. وسـيطر الرومان على **القبائل** عن طريق رؤسـائها، فرئيس القبيلة لا يحكم إلا بمشـورة مجلسٍ مؤلفٍ من أعيان القبيلة، وقرار هذا المجلس يخضع بـدوره للحاكـم العسـكريّ الروماني. وكانـت حكومة كل ولاية مسـؤولة أمام مجلس الشيوخ الروماني.[٢٧]

وفي ظـل **الإمبراطوريـة الرومانية** عاشـت ولايتا طرابلس وبرقـة حالة من الازدهـار، وكان مواطنوهمـا متعدّدي الأعراق يتكلمون لغـة واحدة ويتمتَّعون بهويـة واحـدة في ظل نظام قانونيٍّ واحد. وقد بلغ الأمر إلى حدّ أنّ أحد السـكان الأصليين تمكّن من أن يتولّى أعلى المناصب في الدولة الرومانية. ففي عام ١٩٣م

---

٢٦ انظر: *Libya: A Country Study*، ص ٩-١٠؛ محمود، ص ٩٥؛ زيادة، المصدر نفسه، ص ٣٩.
٢٧ محمود، ص ٧٥ وما بعدها.

انتخب الجند (**سبتموس سيفروس**) – وهو ليبي من أبناء لبدة من أصل بربري – إمبراطوراً لعرش روما لأكثر من (١٨) عاماً، كما تولى الحكم من بعده ابنه (كراكالا) وخلفاؤه.[٢٨]

وفي العام ٣٠٠ ميلادية قام الإمبراطور ديوكليتيان Diocletian في إطار تنظيم الإمبراطورية الرومانية بفصل جزيرة كريت عن برقة، كما قام بتقسيم الأخيرة إلى ولايتين؛ الأولى تُعرف بليبيا العليا Upper Libya. والأخرى بليبيا السفلى Lower Libya، **ويعتقد أنّ هذه هي المرّة الأولى التي استخدم فيها اسم "ليبيا"[٢٩] كمصطلحٍ إداري.**

وقد استمرّت **وحدة ليبيا** الإقليمية في ظل الإمبراطورية الرومانية نحو **أربعة قرون** (وتحديداً ٣٩٣ عاماً) حتى سنة ٤٣٥م، ثمّ عاد **الانقسام** إلى هذه الوحدة بعد أن انقسمت الإمبراطورية إلى **روما وبيزنطة**، فقد أصبحت **برقة** من نصيب الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة)، على حين آلت **طرابلس** إلى الإمبراطورية الرومانية الغربية (روما).[٣٠]

كانت **السياسة الرومانية في ليبيا بصفة عامّة**، وفي طرابلس بصفة خاصّة، تعتمد على **تشجيع زراعة الحبوب**، فازدهرت تلك الزراعة. وانتشرت البرك الرومانية لتجميع مياه الأمطار واستغلالها في الزراعة وسقاية المواشي، كما انتشرت معاصر الزيتون. وممّا ساعد على انتشار الزراعة أنّ الأراضي الليبية كانت بكراً وخصبة، وكانت معظم تلك المنتجات الزراعية وأهمّها القمح والشعير وزيت الزيتون وبعض الفواكه والخضروات تجد طريقها عبر ميناء طرابلس حيث تتّجه بها السفن إلى روما وبقية أنحاء الإمبراطورية الرومانية.[٣١]

---

٢٨ انظر: *Libya: A Country Study*، ص ٨؛ الزاوي، المصدر نفسه، ص٣٥-٣٦؛ عزيز محمد حبيب، **ليبيا** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣)، ص ١٨٩.

٢٩ يقول الدكتور الصلابي في الصفحة ١٣٦ من كتابه الآنف الذكر: "وبذلك يتقرّر أنّ اسم ليبيا كان اسماً رسمياً منذ القدم، قد أطلقه اليونانيون على مدينة قورين– شحات، ثمّ عُمِّم على سكان برقة وطرابلس، وكل من كان يقطن غرب منطقة النيل إلى بداية إفريقيا – تونس الحالية". ويقول الدكتور علي عبد اللطيف حميدة في كتابه **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥): "إنّ اسم ليبيا استخدم أوّل مرّة خلال الفترة الإغريقية والرومانية"، ص ٢٤.

٣٠ حمدان، ص ٢٠.

٣١ نجم الدين غالب الكيب، **مدينة طرابلس عبر التاريخ** (القاهرة: دار الجيل للطباعة ١٩٧١)، ص ٣٠- ٣١.



غير أنّ الازدهار الذي شهدته ليبيا، ولاسيما برقة في القرن الأول الميلادي، أخذ يتلاشى، فقد ازداد عبء الضرائب الرومانية ممّا أدّى إلى اختفاء صغار الملاّك، وظهور كبار الملاّك، هؤلاء صاروا يكدّسون الأراضي في أيديهم ويستولون على معظم إنتاجها، ممّا أدّى مع نهاية القرن الرابع الميلادي إلى اختفاء الزراعة.[٣٢]

وقد **تكرّر تقسيم ليبيا** (أو تقاسمها) حين غزت قبائل الوندال[٣٣] شمال إفريقيا، وأقاموا بها مملكة عظيمة دامت نحو مائة سنة (حتى عام ٥٤٨م). ومن ناحية أخرى غزت **الفرس** الساسانية مصر. ففي الحالة الأولى امتدّ النفوذ الوندالي إلى طرابلس على مدى القرنين الخامس والسادس الميلادي، وفي الثانية وصل **خسرو** إلى برقة فألحقها بمصر[٣٤] (ما بين ٦١٥-٦١٨م).

وفضلاً عن أنّ **الوندال** لم يتركوا أثراً مهماً في التنظيم السياسي والإداري فإنّهم ألحقوا بإقليم طرابلس الكثير من الدمار والخراب. أمّا **الزحف الفارسي** على برقة فقد كان هو الآخر مصحوباً ببعض الدمار للمدن والقرى التي مرّت بها جيوشه وقاومتها.[٣٥]

على أنّ **بيزنطة** عادت فاحتلت ليبيا كلها وأعادت **وحدتها الإقليمية**. وقد أقام الإمبراطور "**جوستنيان**" في ليبيا نظام حكم على غرار تقسيماته السياسية والإدارية المعروفة في روما[٣٦]. غير أنّ محاولات جوستنيان وإصلاحاته الإدارية والعمرانية لم تفلح، نظراً لما توالى على الدولة البيزنطية من أخطار ونكبات طبيعية، فقد اجتاح الزلزال والوباء البلاد الشرقية كلها، ولم تنجُ منه ليبيا أيضاً، بالإضافة إلى ما قامت به قبائل البربر من ثورات ضدّ الحكم البيزنطي.[٣٧] وأصبحت برقة عاجزة عن تقديم أيّ كميات من الحبوب للدولة -كما كان الأمر

---

٣٢ عبد اللطيف محمد البرغوتي، **تاريخ ليبيا الإسلامي** (الجامعة الليبية، ١٩٧٣)، ص ٤٩٢.

٣٣ قبائل من أصل جرماني (ألماني) زحفت في القرن الرابع الميلادي على إسبانيا فاحتلتها وأقامت بها دولة عظيمة. انظر: محمود شيت خطاب، **قادة فتح بلاد المغرب**، ط ٧ (لبنان: دار الفكر، ١٩٨٤)، ج/ ١ ص ٣٢؛ وانظر أيضاً: عبد القادر أحمد اليوسفي، **الإمبراطورية البيزنطية** (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٦).

٣٤ حمدان، ص ٢٢؛ زيادة، المصدر نفسه، ص ٣٩.

٣٥ محمد مصطفى بازامه، **ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين** (ليبيا: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٧٢)، ص ٣٦-٣٨.

٣٦ خدوري، ص ٤.

٣٧ انظر: بازامه، ص ٢٨.

في السابق- وصارت على الدوام مدينة للخزانة البيزنطية.[٣٨]

وعلى الرغم من أنّ القبائل البربرية، وعلى رأسها "**اللواتة**"، التي استقلت بشمال إفريقيا في القرن السابع الميلادي، تحدّت بيزنطة وعدّت ليبيا بكاملها تابعة لها فإنّ **المملكة البيزنطية ظلت عموماً تسيطر على مقاليد الأمور في الشمال الأفريقي، كما بقيت وحدة ليبيا الإقليمية قائمة. وعموماً فقد ظلت برقة تعاني من انحطاطٍ استمرّت فيه حتى مجيء الفتح الإسلامي.**[٣٩]

وهكذا فقد شهدت أرض ليبيا، على مرّ القرون السابقة على مجيء الإسلام إليها، حركات مدٍّ وجزر من الشرق والغرب، ومن الشمال والجنوب: هجرات وغزوات، وفتناً وهزّات وحروباً، امتزجت فيها وعلى ثراها الأعراق والسلالات والديانات والمذاهب، وقامت فيها الحضارات والمدائن والقصور والمسارح والملاعب، كما عرفت صوَراً شتى من الفوضى، ومن نظم الإدارة والحكم، وتعرّضت فيها هذه المعالم الحضارية والعمرانية مرّات ومرّات للخراب والدمار.



٣٨ انظر: البرغوثي، ص ٤٩٤-٤٩٥.
٣٩ خدوري، ص ١٥.

منذ الفتح الإسلامي

إنّ فتح ليبيا من قبل المسلمين قد بدأ على الأرجح في عهد خلافة سيدنا **عمر بن الخطاب**، رضي الله عنه، سنة ٢٢ للهجرة الموافقة للعام ٦٤٣ للميلاد.

ويرتبط فتح ليبيا والشمال الأفريقي بأسماء خليفتين من الخلفاء الراشدين هما سيدنا **عمر بن الخطاب** وسيدنا **عثمان بن عفان** رضي الله عنهما، وكذلك باسم معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان الخليفتين الأمويّين.

وقد قاد الجيوش الإسلامية الأولى التي فتحت ليبيا، ومن بعدها أفريقية (تونس) وبقية الشمال الأفريقي، ثلاثة من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– هم **عمرو بن العاص** (في ولاية سيدنا عمر) **وعبد الله بن سعد بن أبي السرح** (في ولاية سيدنا عثمان) **ومعاوية بن حديج** (في ولاية معاوية)، وقد كان ثلاثتهم ولاة على مصر في الوقت نفسه.

وقد ضمّ جيش عمرو بن العاص، الذي فتح برقة ومن بعدها طرابلس فصبراته (صبرة) في عام ٦٤٢م، قادة ميدانيين من بينهم الصحابي الجليل **عقبة بن نافع الفهري**[٤٠] الذي توجّه إلى الجنوب بعد أن استولى مع عمرو بن العاص على برقة، فاستولى على زويلة، والصحابي الجليل بشر بن أبي أرطأة الذي توجّه نحو ودّان **وجبل نفوسة**، والصحابي الجليل **عبد الله بن الزبير** الذي استولى على مدينة "**صبرة**" صبراتة باتجاه الحدود مع تونس، إلى جانب عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي وأبي المهاجر دينار وحسان بن النعمان الأزدي الغساني[٤١] وشريك بن يحي المرادي.

وقد ضمَّت الجيوش الإسلامية التي أتمَّت فتح ليبيا وإفريقية (تونس) عدداً

---

٤٠ كان قد قدم خلال عام ٦٤١م (رمضان ٢١ للهجرة) على رأس بعثة عسكرية صغيرة استطلعت الأمور في برقة.

٤١ قاتل حسان بن النعمان **الكاهنة داهية** ملكة جبل الأوراس البربرية وهزمها وقتلها. وكانت الكاهنة قد اعتنقت اليهودية وتولت قيادة البربر بعد مقتل قائدهم **كسيلة**. انظر: **معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي**، لعبد المنعم خفاجى وعبد العزيز شرف (القاهرة: الدار المصرية– اللبنانية، ١٩٨٩)، ص ١٠٥–١٣١.

من كبار الصحابة الكرام[٤٢] ومن خير **شباب آل البيت وأبناء المهاجرين والأنصار** – رضوان الله عليهم جميعاً، كان من بينهم الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (أبو جعفر)، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص،[٤٣] وأبو ذر الغفاري (خامس خمسة في الإسلام) وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعدد من **أهل بيعة الرضوان** كان من بينهم فضالة بن عبيد (أبو الدرداء) وسلمة بن الأكوع، **وعدد ممّن شهدوا معركة بدر** من بينهم أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري والمقداد بن عمرو رضي الله عنهم جميعاً.[٤٤]

وقد تعثرت الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا بعض الوقت بسبب **الفتنة** التي وقعت بين المسلمين في أعقاب مقتل سيدنا عثمان بن عفان في عام ٣٤ هـ، وبسبب نقض بعض المناطق **والقبائل** لعهودها مع المسلمين، وكذلك بسبب محاولات الروم المتكرّرة في القسطنطينية للإغارة على بعض المناطق التي فتحها المسلمون، كما حدث لإقليم برقة عدداً من المرّات، والمقاومة العنيفة التي قادتها **بعض قبائل البربر** في منطقة طرابلس وبقية الشمال الأفريقي بقيادة "**الكاهنة داهية**" التي كانت قد اعتنقت اليهودية وأرسلت بعمّالها ليهدموا المدن ويقطعوا الشجر ويحرقوا الغابات[٤٥] للحيلولة دون تقدّم الجيوش الإسلامية الفاتحة. وبالطبع فقد كان لكل ذلك آثاره السلبية الضارّة على الحياة الاقتصادية وعلى الزراعة بوجه الخصوص في ليبيا.[٤٦]



وقد اكتمل فتح المسلمين لشمال إفريقيا عسكرياً سنة ثمانٍ وثمانين للهجرة بقيادة **موسى بن نصير**[٤٧] (والي إفريقيا والمغرب) **وطارق بن زياد** (البربري

٤٢ أورد الدكتور الصلابي في الصفحة ٣٦٧ من كتابه أسماء (٣٤) صحابياً بعضهم من رواة الحديث.

٤٣ عُرف الجيش الذي شارك فيه هؤلاء الصحابة **بجيش العبادلة** (غزوة العبادلة). وقد جرى تجهيزه في سنة ٢٧ للهجرة على عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي قيل إنّه، رضى ا لله عنه، قد أعان هذه الحملة بألف بعيرٍ من ماله الخاص.

٤٤ من بين صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذين دُفنوا في ليبيا رويفع بن ثابت الأنصاري (فاتح جربة)، وزهير بن قيس البلوي، وعبد الله بن برّ القيسي، وأبو منصور الفارسي.

٤٥ كانت الكاهنة تقول لقومها "إنّ العرب لا يرغبون إلا في الغنائم، فإذا لم يجدوا مدناً يأوون إليها رجعوا عنّا". وقد ذكر ابن خلدون في كتابه العبر (المجلد السادس، ص ٢١٩) أنّ المغرب كله قبل ذلك كان متصلاً بالمدن والزراعة فأخربته جميعاً قبل دخول المسلمين. **انظر: ليبيا: منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر**، ط ٢، لصالح مصطفى مفتاح المزيني (ينغازي: جامعة قاريونس، ١٩٩٤)، ص ٥٨.

٤٦ انظر: المزيني، ص ١٩٨.

٤٧ خلف موسى بن نصير الصحابيّ حسّان بن النعمان الغساني في قيادة الجيش الإسلامي، وكان الأخير قد قاتل الكاهنة داهية وهزمها.

الأصل) واليه على "طنجة".

وفي عهد الخليفة الأموي الراشد **عمر بن عبد العزيز** (ولي الخلافة في عام ٩٩هـ) قام في عام ١٠٠ للهجرة بتعيين إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر والياً على الشمال الأفريقي، وكان يمتاز بخلقٍ عظيم، وأسلم على يديه جميع البربر، كما قام عمر بن عبد العزيز بإرسال **(العلماء العشرة)** إلى إفريقيا لتعليم الناس أمور دينهم.[٤٨]

وفي **العهد الأموي** (٤١-١٣٠هـ) الموافق (٦٦١-٧٥٠م) ألحقت أقاليم ليبيا بغرب مصر وكوَّنت معها وحدة إدارية يتولى الأمر فيها والٍ يعيَّن مباشرة من قبل الخليفة.

ويلاحظ أنّ **خلفاء بني أمية** من بعد عمر بن عبد العزيز أساؤوا الإدارة واستبدّوا بالبلاد وأراد بعض ولاتهم أن يأخذوا الجزية ممّن أسلم من القبائل المحلية. كما أنّ بعضهم عدّ تلك البلاد دار حربٍ حتى بعد اعتناقهم الإسلام، وذلك بحجّة أنّ إسلامهم كان ظاهرياً، وقام بعض هؤلاء الولاة بالإسراف في غزو القبائل وسبي نسائها، فكان من نتائج ذلك أن شهدت أجزاء كثيرة من الشمال الأفريقي ومنها طرابلس سلسلة من **حركات العصيان** التي لقيت الدولة كثيراً من المشقّة في إخمادها، ولم تكن هذه الحركات الثورية ذات صبغة سياسية فقط بل اتخذ بعضها طابعاً دينياً فقد كانت قبائل جبل نفوسة من أسبق القبائل إلى اعتناق **المذهب الإباضي** الذي لا يشترط للإمامة إلا الإسلام والعدل، ممّا يسمح لها برفع الجور الواقع عليهم وإقامة حكم إسلامي يتمشّى مع روح الإسلام.[٤٩]

وفي عهد **الخلافة العباسية** (١٣٢-٦٥٦هـ) الموافق (٧٥٢-١٣٧٦م) جرى إدخال بعض التغييرات في الأمصار الإفريقية، كما وقع خلاله عدد من الأحداث والثورات التي شملت إقليميْ طرابلس وبرقة.

ففي عام ١٤٠هـ قامت في طرابلس أوّل **إمامة إباضية** حين بايع سكان

---

٤٨ انظر: المزيني، ص ٦٤.
٤٩ المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٧.

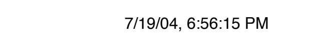
جبل نفوسة (**أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري**) إماماً لهم. ومن طرابلس انتشر المذهب الإباضي في المغرب الأوسط حيث تمكن الإمام عبد الرحمن بن رستم من إقامة أوّل إمارة مستقلة على مذهب الإباضية في تاريخ العالم الإسلامي كله في **تاهرت** (بين عامي ١٦١-٢٩٧هـ) وتمكنت هذه الإمارة من اقتسام مدينة طرابلس مع الدولة الأغلبية بحيث أصبح الساحل والمدينة للأغالبة، وما وراء ذلك نحو الصحراء للإباضية.[٥٠]

وفي منتصف عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م ولى الخليفة هارون الرشيد **إبراهيم بن الأغلب**[٥١] ولاية إفريقيا. وبهذا التعيين قامت "**دولة الأغالبة**" التي حكمت إفريقيا من **تونس** ما يربو عن قرنٍ من الزمان حتى عام ٢٩٠ هـ/ ٩٠٦م أصبحت طرابلس خلال ذلك وعلى الدوام تابعة لهذه الدولة.

وقد ارتبطت البلاد خلال هذه الحقبة ارتباطاً شكلياً بالخليفة واقتصر هذا الارتباط في سك العملة والخطبة له على منابر المساجد.[٥٢] كما تمتّعت البلاد خلالها بشيءٍ كثير من الحرية والاستقلال. ويعدّ هذا العصر من أزهى عصور المنطقة في المجالات العلمية وفي مجال الحضارة والعمران والأمن، وقد استعادت البلاد خلالها استقرارها الاقتصادي حيث قام الأمراء الأغالبة بزيادة الأراضي المزروعة كما شجّعوا التجارة. ومع ذلك فلم تخلُ هذه الحقبة من مناوشات مع **دولة الصفرية** في **سلجماسة** (بالمغرب الأقصى) (١٤٠-٢٩٦هـ) و**الدولة الرستمية** الإباضية في **تاهرت** (١٦١- ٢٩٧هـ) وكذلك من بعض الثورات الداخلية للجند.[٥٣]

لقد بقيت **برقة** خلال **العصر العباسي** الأوّل هادئة إجمالاً، فقد كان معظم المعارك بين جنود الخلافة العباسية والإباضية يدور في طرابلس ولم يقع أيّ منها في برقة. كما أنّ برقة لم تتعرّض لهذه الجيوش عند مرورها إلى طرابلس، وكانت نقطة الارتكاز بالنسبة للجيوش العباسية عند هزيمتها مع الجيوش الإباضية،

٥٠ المصدر نفسه، ص ٦-١١.
٥١ كان أحد عمال محمد بن مقاتل العكي أحد قادة إفريقيا على زمن هارون الرشيد، وكان سيئ الأخلاق والسيرة، المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٥٢ انظر: المزيني، ص ١٠٣.
٥٣ انظر: الصلابي، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي**، ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦.



بـل كانـت برقة، ولاسـيما منطقة سرت، مركـزاً للدعـاة العباسـيين. ويُعدّ **يزيد بـن حاتم** والي مصر (عـام ١٤٨هـ) في زمن الخلـيفة المنصـور عبـد الله بن محمد (١٣٧-١٥٨هـ) هو أوّل من ضمّها إليه. وقد ظلت الخلافة العباسية تتدخّل في شؤون برقة من خلال ولاتها على مصر.

وقد شـهد القـرن **الثالـث الهجري** قيـام أهل برقة بعـددٍ من **الثـورات** على السلطة، منها الثورة التي قادها **مسلم بن نصير الأعور** (٢١٥هـ) في زمن **الخليفة المأمـون**. كما ثارت قبائل من برقة ومعهـا قوم من قريش في عام (٢٢٧هـ/ ٨٤١ م) في زمن **الخليفة الواثق**.

ويبدو أنّ الخليفة العباسي **المتوكل** كان ذا عناية خاصّة ببرقة فقام ببناء سور عظيمٍ حولها، كما عيّن أحد خاصّته لبريدها مع بريد مصر والإسـكندرية وسـائر نواحـي المغرب. وفي زمن الخليفة **المعتمد** قام جند برقة بالثورة في عام ٢٥٨هـ/ ٨٧١ م على واليه **محمد بن هرثمة بن أعين** الذي فرّ إلى الفسطاط.



ومن مصر ولّى **أحمد بن طولون** على برقة **محمد بن فروخ الفرغاني** (محمد بن فـرج الفرعاني) غير أنّ أهل برقـة لم يرضوا بولايته عليهم فثاروا عليه وأخرجوه مـن البلد، فقـام ابن طولون بتجهيز ثلاثة جيوش من أجل إخماد ثورة أهل برقة، كان عـلى رأس أحدهـا خادمـه **لؤلؤ**، وبعـد تضييق الحصار عـلى المدينة ونصب المجانيـق عليهـا اضطرت للاستسـلام، وقد جرى القبض على عددٍ من رؤسـاء المدينة، وضرب وقطع أيدي جماعة منهم وسلب طائفة أخرى.[٥٤]

ومـن جهة أخـرى فقد كان أحد أمراء الأغالبة (محمـد بن أحمد الأغلب)[٥٥] الملقـب **بـأبي الغرانيق** قد عـيَّن **محمد بن قهرب** عاملاً على برقـة .. وبنى حصوناً ومحارس كثيرة على ساحل البحر على مسافة خمسة عشر يوماً إلى جهة الغرب.[٥٦]

وفي عـام ٢٦٥ هـ، وبعد أن اختلف **العباس بن أحمد طولون** مع أبيه، توجّه في جيـشٍ إلى إفريقيـا لأخذها من الأغالبة. وقاتل العباس عامل الأغالبة في برقة

---

٥٤ انظر: المزيني، ص ١٠٣-١٢٢؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٤٧-٢٤٨.

٥٥ قـام بفتـح جزيـرة مالطـا وأسر ملكهـا. تـوفي في عـام ٢٦١ للهجـرة وامتـدّت ولايته عشر سـنوات وخمسـة أشـهر. انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٤٦-٢٤٧.

٥٦ ما زالت آثارها باقية إلى اليوم وقد احتفظت له الأيام بإطلاق اسمه على بئرٍ شرقي "**اليهوديات**" بأرض سرت ما زالت تسمَّى "أم الغرانيق"، الصلابي، الجزء الثاني، المصدر نفسه.

(ابن قهرب) وهزمه، ثمّ تقدّم إلى طرابلس، وقبل أن يصلها اشتبك عند "**لبدة**" مع جيشٍ آخر بقيادة ابن قهرب. وبعد أن تمكن العباس من هزيمة ابن قهرب مرّة ثانية تقدّم نحو طرابلس فحاصرها لمدّة ثلاثة وأربعين يوماً ونصب عليها المجانيق وقطع عليها السبل، كما امتدّت أيدي جنده إلى البوادي الذين كانوا يسكنون خارج المدينة، وكانوا من البربر الإباضية ومن أتباع **الياس أبو منصور النفوسي** صاحب جبل نفوسة، ونالوا من حرماتهم وأموالهم وقد أدّى ذلك إلى أن تتصدّى جيوش الأغالبة جنباً إلى جنبٍ مع إباضية جبل نفوسة في قتال جيش العباس أحمد بن طولون وفي هزيمته عام ٢٦٧هـ.

وفي عام ٢٦٧ هـ عاد العباس بفلول جيشه مهزوماً إلى برقة، وفي عام ٢٦٨ هـ وجّه له والده أحمد بن طولون جيشاً بقيادة **طبارجي** فالتقى بجيش العباس بموضع يقال له "الرمادة" من أرض برقة وهزمه وبعث بالعباس بعد أن أسره إلى والده، وأصلح طبارجي ما كان قد فسد ببرقة واستخلف عليها والياً.



ويمكن القول إنّ **طرابلس** لعبت خلال فترة الفتح الإسلامي، وطوال فترة حكم ولاية بني أمية وبني العباس، دوراً استراتيجياً هاماً كقاعدة رئيسية لانطلاق الجيوش الإسلامية نحو **القيروان**[٥٧] أو للانسحاب منها عندما كانت تجبر على إخلاء القيروان (بتونس) والارتداد عنها إلى الشرق. لقد كانت طرابلس بالنسبة للجيوش الإسلامية قاعدة خلفية لحماية وجودها في إفريقيا (المغرب).

وكما سلفت الإشارة فقد كان من مظاهر أهمية **مدينة برقة** أن الخليفة العباسي **المتوكل على الله** أمر ببناء سور حولها، كما عيّن أحد خاصته صاحباً لبريدها مع بريد مصر والإسكندرية وسائر نواحي المغرب.

كما يتمثل الدور الهام لليبيا أكثر ما يتمثل في **حركة القوافل التجارية** بين المشرق والمغرب وغربي أفريقية من جهة، وبين الشاطئ وما وراء الصحراء

٥٧ بناها عقبة بن نافع الفهري في عام ٥٥ للهجرة وأصبحت منذ يومذاك قاعدة استراتيجية وحركية ودعوية وعلمية وفقهية. انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٧.

الكبرى من جهة أخرى. **فالصحراء الليبية** كانت المفازة الرئيسية التي تعبرها القوافل في هذه الاتجاهات المتعدّدة، **والمدن الليبية** كانت القواعد الرئيسية لهذه القوافل في مسيرتها الطويلة. ومع ركب التجار كان الفقهاء والعلماء والدعاة وأصحاب الحرف والصنائع والفنون ينقلون معهم علمهم وآراءهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية وخبراتهم وفنونهم.

وعلى الرغم من هذا الدور الهام الذي لعبته ليبيا **كحلقة وصل بين المشرق والمغرب**، فإنّ اتساع أراضيها، وغلبة الصحراء عليها، وقلة سكّانها، كانت عوامل سلبية حالت دون أن تقوم فيها في فترات التاريخ الإسلامي **دولة موحّدة ذات ثقل سياسي مثل الدولة المستقلة التي قامت في مصر أو تلك التي قامت في إفريقيا**. ففي حقبتي الخلافة الأموية والخلافة العباسية (كما في معظم فترات التاريخ الإسلامي التي تلت ذلك) كانت طرابلس تابعة لإمارة إفريقية وللدول التي تعاقبت عليها، كما كانت برقة تابعة لمصر من الناحية الإدارية.[٥٨]

وفي عام ٢٩٦ للهجرة (٩٠٨م) قامت الدولة **الفاطمية (العبيدية)**[٥٩] في شمال إفريقيا واتخذت من "**المهدية**" عاصمة لها. وقد اعتمدت في قيامها على قبيلتي **كتامة وصنهاجة** الأمر الذي أدّى إلى اعتماد الفاطميين عليهما.[٦٠]

وقد لقي **الفاطميون** (العبيديون) **مقاومة عقائدية** في ليبيا، **إذ** كان أهل برقة والساحل بأسره **سنّة مالكية**، وكانوا ينظرون إلى الدعوة الشيعية (التي قامت عليها الفاطمية) على أنّها بدعة، وجاهروا بإنكارها. أمّا دواخل طرابلس فكانت **إباضية**، وقد وقفوا بدورهم من هذه الدعوة موقف المتحفز للثورة عليها.

وقد قضي، بقيام الدولة الفاطمة (العبيدية)، على الدولتين **الأغلبية** (السنّية) **والرستمية** (الإباضية) المجاورتين لليبيا من الغرب، وأصبحت **طرابلس** ومن ثم تابعة للفاطميين (العبيديين) من الناحية السياسية. ومع ذلك، فقد ثارت **قبائل البربر** في طرابلس عدّة مرّات على الولاة الفاطميين، كان أوّلها في عام ٢٩٦هـ،

---

٥٨ راجع المقدمة التي كتبها أحمد سيد دراج لكتاب الدكتور صالح مصطفى مفتاح المزيني، ص ٦-٧.

٥٩ انتهت الدولة العبيدية في عام ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م وكان آخر خلفائها العاضد عبد الله.

٦٠ انظر: مراجع عقيلة الغناي، **علاقات الإمارة الصنهاجية بجيرانها وأثرها في ليبيا** (بنغازي: المكتبة الوطنية، ١٩٧٠).

والثانية في عام ٢٩٩ هـ . كما قامت ثورة أخرى في عام ٣١٠ للهجرة بقيادة شخص يدعى **أبابطة** في طرابلس وأثارت الاضطرابات في جبل نفوسة. وعلى امتداد السنوات ٣١٦-٣٣٦ هـ قاد **أبو يزيد بن مخلد بن كيداد الزناتي** (المعروف بصاحب الحمار) ثورة كادت أن تقضي على الدولة الفاطمية، غير أنّها فشلت لأنّها لم تلقَ تأييداً عقائدياً لا من السنّة ولا من الإباضية. كما شهد عام ٣٢٢ هـ (عندما مات أبو عبيد الله المهدي، أوّل حاكم فاطمي)[٦١] قيام ثورة أخرى على الوالي الفاطمي في طرابلس قادها شخص يدعى **ابن طالوت**.

أمّا **برقة** فلم تخضع للفاطميين إلا بعد أن توجَّه إليها **حباسة بن يوسف الكتامي** عام ٣٠١هـ بجيشه في أوّل خطوة توسّعية للفاطميين للاستيلاء على برقة ومصر، كجزء من خطتهم العامَّة للإطاحة بالدولة العباسية وسيطرة الدولة العبيدية على الدولة الإسلامية بأسرها. وقد استطاع حباسة أن يدخل سرت وأجدابيا بأمان وأن يدخل برقة بعد أن أعمل فيها السلب والنهب، وكان كلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيها.



كما تعرَّضت برقة التي قامت بالثورة على الفاطميين إلى هجوم من جيش فاطميٍّ جديد بقيادة **أبو مدين بن فروخ اللبيص**، وقد دام القتال نحو (١٨) شهراً حوصرت فيه مدينة برقة حتى سقطت في يد الجيش الفاطمي سنة ٣٠٤هـ بعد أن أفنى القتال أكثر أهلها، ودخلها أبو مدين فأحرق قوماً من أهلها بالنار واستصفى أموالهم.

وفيما بعد غلب الهدوء النسبي على أرجاء ليبيا خلال أيام **خلافة المنصور** وأيام **المعزّ** ٣٤١-٣٦١هـ (قبل أن يرحل إلى مصر) واستكانت لولاة الفاطميين سياسياً رغم عدم خضوعها لهم عقدياً. وقد تمّ في زمن **المعزّ** زيادة ارتفاع سور مدينة طرابلس من جميع جهاتها، وكبرت المدينة بفضل المهاجرين إليها، وظهر من بين الطرابلسيين بحريون مهرة شغلوا في البحرية الفاطمية مناصب هامة أو امتلكوا سفن شحنٍ كبيرة.

٦١ ذكر ابن كثير في **البداية والنهاية**، ج ٢، ص ٢٨٧، بشأن عبيد الله المهدي أنّه "كان من سلميّة حداداً اسمه عبيد وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب وتسمّى بعبيد الله وادّعى أنّه شريف علوي فاطمي وقال عن نفسه إنّه المهدي".

ويبدو أنّ الفاطميين (العبيديين) اهتموا بحكم الولايات. وكان اهتمام **المعزّ** بحكم هذه الولايات أكثر من اهتمامه بالحكم المركزي لأنّه كان يدرك أن استتباب أمن دولته يتوقف على استتباب الأمن والنظام في الأقاليم، ويبدو أنّ ولاية برقة كانت من أهم الولايات في عهده فقد كانت هي الولاية المتاخمة لمصر التي كان يرنو إلى الاستيلاء عليها.

وقد كانت برقة إحدى المحطات التي استراح بها **جوهر الصقلي**، قائد الجيش الفاطمي الذي بعث به المعزّ للاستيلاء على مصر في عام ٣٥٨هـ / ٩٦٨م، كما توقف المعزّ نفسه، وهو في طريقه إلى مصر بعد أن تمَّ الاستيلاء عليها، في كل من طرابلس وسرت وأجدابيا وبرقة.

وفي إطار خطتهم العسكرية، اهتمَّ الفاطميون بالمشاريع ولاسيما حفر الآبار على طول الطريق المؤدّي إلى مصر، وقد أدّى ذلك إلى انتعاش الحياة الاقتصادية وكثرة المزارع والبساتين في مختلف المناطق الليبية، وأدّى ذلك إلى كثرة الإنتاج.[٦٢]

وقد شهدت الحقبة الفاطمية (العبيدية) ولاسيما منذ عام ٤٣٩هـ/ ١٠٥١م تدفّق أعدادٍ هائلة (نحو مليون نسمة) من قبيلتي **بني سليم وبني هلال**[٦٣] العربيتين من صعيد مصر على ليبيا بتشجيع من حكام مصر الفاطميين، وقد استقرّت قبائل بني سليم في منطقة برقة، على حين استقرّت قبائل بني هلال في منطقة طرابلس.

ويجمع المؤرخون على أنّ الطلائع الأولى لهذه الأعداد الزاحفة أحدثت أثراً تدميرياً على كل ليبيا والمغرب سجّله **ابن خلدون** في كتابه "العبر" بقوله:

"وإفريقيا والمغرب لمّا جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أوّل المائة الخامسة

---

٦٢ راجع البابين الثالث والرابع من كتاب الدكتور المزيني، المصدر نفسه، وكتاب الدكتور الصلابي، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي: الدولة العبيدية في ليبيا**، الجزء الثالث، الفصل الثاني.

٦٣ بنو هلال وبنو سليم مضريون من نجد، وقد استقرّوا في مصر بعيد الفتح الإسلامي، ولكنّهم كانوا كثيري الثورة والعصيان. وفي أيام المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) ألّمت بمصر مجاعة كبيرة وازداد السليميون والهلاليون ثورة وإقلاقاً للدولة، فشجَّعهم المستنصر على أن يتّجهوا غرباً وينتزعوا تونس من المعزّ بن باديس (الصنهاجي)، زيادة، المصدر نفسه، ص ٤٤.

للهجـرة وتمرّسـوا بها لثلاثمائة وخمسـين من السـنين قد لحق بهـا (أقطار أخرى يذكرهـا) وعـادت بسـائطه خراباً كلهـا، بعد أن كان مـا بين السـودان والبحر الرومـي كلـه عمرانا، تشـهد بذلك آثـار العمران فيه مـن المعالم وتماثيـل البناء وشواهد القرى والمدر .."[٦٤]

ورغـم التخريـب التاريخي الـذي أحدثته هذه الموجـة فإنّ تأثيرهـا العرقي لا يقـل عـن تأثيرها الثقافي، إذ اختلطت العناصر العربيـة بالبربرية اختلاطاً بعيد المـدى، وكان بمثابـة التعريب الحقيقي لليبيا، وهو الذي وضع الأسـاس الجنسي والعرقي لليبيا الحالية.[٦٥]

أهـدى الفاطميون **للصنهاجيين** حكم إفريقيا والمغرب امتناناً منهم لما قام به **الصنهاجيـون** من دورٍ عظيـم في إخماد ثورة أبي يزيـد الخارجي (صاحب الحمار) واسـتمرَّت دولـة الصنهاجيـين نحـو (١٨٠) عامـاً مـن ٣٦٢هـ حتـى ٥٤٣هـ (دولة بني زيري). وكان **المعزّ بن باديس الصنهاجي** (٤٠٦-٤٤٩هـ) من أعظم أمرائهم وأكثرهـم صلاحاً، وفي عهده تدفقت قبائل بني هلال وبني سليم العربية عـلى إفريقيـا والمغرب، واضطـرَّ إلى الصـدام بها والاقتتـال معها. وقد سـقطت الدولة الصنهاجية في عام ٥٤٣هـ في عهد الأمير الحسـن بن علي بن يحي بن تميم بسقوط "**المهدية**" في أيدي النصارى من صقلية بقيادة (رجَّار) الصقلي.

وكان (**رجّـار**) الصقلي قد هاجم طرابلس وحاصرها بأسـطوله في ٥٣٧هـ ولكنّـه لم يتمكن من الاسـتيلاء عليها. وبعد أن أنهكـت **المجاعة** في عام ٥٤٠هـ طرابلس وسـكانها عاد (**رجّار**) في عام ٥٤١هـ وهاجمها واحتلها بدون متاعب. وعيَّن **رجّار** قائد أسطوله "**جرجي بن ميخائيل الأنطاكي**" حاكماً عليها. **وكانت هـذه هـي المـرّة الأولى التي اسـتولى فيهـا النـصارى عـلى طرابلس منـذ الفـتح الإسلامي لها.**

وقـد حكـم (**رجَّار**) ما بـين طرابلس والمهديـة (التي اسـتولى عليها في عام ٥٤٣هــ) عدا قابـس، وخلفه في حكمه **غاليـالم** (رجَّار الثـاني) في عام ٥٤٨هـ.

٦٤ خدوري، ص ١٦.
٦٥ حمدان، ص ٢٢.



وقـاد **رافع بن مطروح** الثورة ضدّ رجّـار وتمكنت طرابلس من أن تتحرّر في عام ٥٥٣هـ، ثمّ دخلت بعد ذلك في طاعة **عبد المؤمن بن علي زعيم الموحّدين** في عام ٥٥٥هـ.[٦٦]

وعندما تولى **الدولة الموحّدية**[٦٧] الناصر بن منصور، أسـند إلى **أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص**[٦٨] **الهنتاتي** أمر إفريقيا. وفي سـنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م اسـتقل الأمـير الحفصي **أبـو زكريا بن عبد الواحد الحفصي** عـن الدولة الموحدية في عهد الخليفة الموحدي إدريس المأمون. وقد استطاع أبو زكريا أن يمدَّ نفوذ بني حفص ما بين أهواز طرابلس شرقاً إلى مدينة الجزائر غرباً.[٦٩] وتعرّضت الدولة الحفصية **لهجمات نصرانية قادها ملك فرنسا** في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م.

اتخذ **الحفصيون** تونس مركزاً لسلطانهم وأرسلوا الأمراء إلى طرابلس. وقد شـهدت هذه الحقبة حركات متعـدّدة لانفصال المدن، ومـن بينها طرابلس التي انفصلـت عن الدولة الحفصية. وكانت الثورات متواصلة من أميرٍ ضدَّ أمير، بل ظلّ أمراء طرابلس يهدّدون تونس بين حينٍ وآخر.




وفي عـام ٧٢٧هــ اسـتطاع **بنـو ثابـت** أن يقيمـوا إمـارة في طرابلـس وأن يحكموهـا حتى عـام ٧٥٥ هـ عندما تمكن **تجّار جينـوه** أن يخدعوا أهل طرابلس وأن يحتلّـوا مدينتهـم لمـدّة خمسـة أشـهر إلا أنّ حاكـم **قابس** أحمد بـن مكي (من أصلٍ بربري) اسـتطاع أن يهزم الجينويين، فولاه السـلطان الحفصي **أبو عنان** على طرابلـس، وبقـي أميراً عليها إلى أن تـوفي في عام ٧٦٦هـ. ثمّ تمكـن **بنو ثابت**[٧٠] أن يحتلـوا طرابلـس مـرّة أخـرى وأن ينفصلـوا بها عـن الحفصيين. ثمّ اسـتطاع الحفصيـون اسـترداد طرابلس بعد ذلـك منهم حيث توالى عليهـا ولاتهم، وكان

---

٦٦ انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٩ – ١٣٧.

٦٧ قامـت دولـة الموحديـن على أنقـاض دولة المرابطـين في المغرب والأندلـس. ومؤسّـس الدولة الموحّدية هـو محمد بن تومـرت، وكان عبـد المؤمـن بـن علي هـو أوّل سـلاطينها، وقد اسـتمرّت دولة المرابطـين من عام ٥٢٤هــ حتى عام ٦٦٨هـ، وقام على أنقاضها عدّة دول هي دولة الحفصيين في تونس ودولة بني عبد الواد في تلمسان ودولة بني مرين في المغرب وأعقبتها دولة بني وطاس.

٦٨ ينتسب الحفصيون إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (أبي حفص).

٦٩ في عـام ٦٥٧هــ/ ١٢٥٩م أعلِـن الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد الذي تسـمَّى بالمسـتنصر بالله أمـيراً للمؤمنين بعد سقوط بغداد في عام ٦٥٦هـ على يد التتار، وقد بايعه شريف مكة بخلافة المسلمين. انظر: الصلابي، المصـدر نفـسه، ج ٥، ص ٣٦١.

٧٠ بنو ثابت هم عرب وشاميون من بني سليم حكموا طرابلس نحو ٧٩ عاماً متقطعة.

من بينهم محمد بن عبد العزيز بن أبي العباس (من ٨٠٣ هـ حتى ٨٣٣هـ) ثمّ أعقبه **عبد الواحد بن حفص** لمدّة ٢٥ عاماً نعمت فيها طرابلس بالأمن واتساع التجارة وانتشار الرخاء.

ويرى الشيخ الطاهر الزاوي **بأنّ طرابلس منذ تولاها عبد الواحد بن حفص عام ٨٣٣هـ إلى أن احتلها الأسبان سنة ٩١٦هـ كانت في رخاءٍ مستمر وأمنٍ شامل، واستطاع الأهالي أن يجمعوا ثروة هائلة كانت مضرب المثل في الشمال الأفريقي.**[٧١]

وفي عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م قام **الأسبان** بتجهيز مائة وعشرين قطعة بحرية وانضمّت إليها سفن أخرى من مالطا وشحنت بخمسة عشر ألف جنديٍّ من الأسبان وثلاثة آلاف من **الإيطاليين والمالطيين**، وتحرّكت هذه القوات صوب طرابلس في ربيع ٩١٦هـ الموافق يوليو/ تموز ١٥١٠م واستمرّ القتال بين القوات الغازية وبين أهالي طرابلس، ولم تكن القوات متكافئة فسقطت المدينة في يد الغزاة، واستمرّ الإفساد الأسباني في طرابلس ما يربو عن العشرين عاماً لم يستطيعوا خلالها أن يتجاوزوا أسوار المدينة. وفي عام ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م سلمت طرابلس من قبل الأسبان إلى فرسان القديس يوحنا الأورشليمي (مالطا)، وقد استمرّت طرابلس في قبضتهم حتى عام ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م عندما تمكن القائد العثماني **(دارغوت باشا)**[٧٢] من تحريرها من قبضتهم.[٧٣]

أمّا الجزء الشرقي من ليبيا **(برقة)** فقد خضع خلال هذه الحقبة، ومنذ سقوط الدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م لحكم **الأيوبيين** الذي امتدَّ حتى عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، ومن بعدها لحكم **المماليك** على امتداد الفترة من ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م – ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.



أمّا **فزان**، فيبدو أنّها على الرغم من دخول الإسلام إليها مبكراً، ظلت مستقلة حتى القرن السادس عشر الميلادي.[٧٤]

---

٧١ انظر: الصلابي، **دولة الموحدين**، المبحث الرابع: "الدولة الحفصية"، ص ٣٥٣-٣٧١.
٧٢ دارغوت باشا كان من كبار القراصنة وخليفة لخير الدين بربروسّا الذي كان أميراً للبحر في أيام الخليفة سليمان القانوني وعيِّن حاكماً على طرابلس مكافأة له على تحريرها من فرسان القديس يوحنا، زيادة، المصدر نفسه، ص ٥١.
٧٣ انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٧٠-٣٧١؛ زيادة، المصدر نفسه.
٧٤ حبيب، ص ١٩٠.

وفي سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م شمل **الحكم العثماني** ليبيا وذلك في عهد **سليمان القانوني** عندما أخضع كلاً من مصر وبرقة لحكمه، ثمّ دخل طرابلس، كما رأينا، في عام ١٥٥١م كقوة إسلامية مدعوّة للتحرير فانتزعها من قبضة فرسان القديس يوحنا ثمّ افتتح تونس والجزائر.[٧٥]

وقد توافق مجيء العثمانيين إلى طرابلس مع ظهور **دولة محليّة في فزان** عرِفت باسم مؤسّسها **محمد الفاسي** وهو شريف من مدينة فاس بالمغرب، قدم إلى فزان واستقرّ بها في العام ٩٥٧ هـ/ ١٥٥٠م. وعرِفت هذه الدولة التي أقامها باسم "**دولة أولاد محمد**" وحكمت فزان من عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م إلى عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م. وكان مركز الدولة "**واحة مرزق**"، وأقامت تحالفات مع سلاطين الممالك الإسلامية في تشاد وشمال نيجيريا. وكان الأساس الاقتصادي لهذه الدولة تجارة القوافل عبر الصحراء. وقد وقع صراع طويل بين دولة أولاد محمد والدولة العثمانية، وتمحور هذا الصراع حول واجب الأولى أن تدفع للعثمانيين ريعاً سنوياً (عبيداً وذهباً).[٧٦]



وخلال هذه الحقبة، وتحديداً في ٢٧ يوليو/ تموز من عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م، استطاع **أحمد باشا القره مانلي**، وهو ضابط تركي صغير (من الانكشارية)، أن يعلن نفسه حاكماً على ولاية طرابلس العثمانية،[٧٧] وأسّس **العائلة القره مانلية** التي حكمت البلاد زهاء قرنٍ وربع قرن قسّمت فيها الولاية إلى ثلاث مقاطعات هي طرابلس ومصراته وبنغازي. وقد عرفت هذه المقاطعات تنظيمات إدارية متشابهة. ورغم أنّ السلطة في كل مقاطعة كانت منوطة بأحد أفراد العائلة المالكة إلا أنّ السلطة الحقيقية كانت بيد الباشا، ولم يكن "للديوان" إلا رأي استشاري.[٧٨] وقد سعت هذه الدولة إلى بسط نفوذها على إقليم **فزان**، واصطدمت بدولة **أولاد محمد** بسبب رفض الأخيرة أن تدفع

---

٧٥ انظر: محمود، ص ١٩ وما بعدها.

٧٦ انظر: حميدة، ص ٤٧–٤٨.

٧٧ لم تكن طرابلس وبرقة في ظل الأسرة القرمانلية مستقلة استقلالاً كاملاً عن الدولة العثمانية، والأقرب أن يوصف وضعها بأنّه كان ذا صبغة استقلالية، راجع زيادة، المصدر نفسه، ص ٥٥، وعلي مصطفى المصراتي، **رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس** (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦)، ص ١٩.

٧٨ إسماعيل مَرزة، **القانون الدستوري: دراسة مقارنة للدستور الليبي مع دساتير الدول العربية الأخرى** (الجامعة الليبية، دار صادر، لبنان، ١٩٦٩)، ص ١٤٧.

ريعاً سنوياً للدولة القره مانلية. وكانت آخر حملة وجّهها القره مانليون لإخضاع إقليم فزان في عام ١٢٢٧ هـ/ ١٨١٢م.

يعدّ **يوسف باشا** أكبر القرمانليين، فقد أتمّ تحصين طرابلس، وأنشأ لنفسه أسطولاً قوياً، وأرغم **السويد** على دفع أتاوة للأسطول (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، وعقد اتفاقاً سرّياً مع **نابليون**[٧٩] فدفع عنه أذى البرتغال. وفي أيامه قامت الولايات المتحدة بحملة عسكرية في عام ١٨٠١م وجرّبت خلال تلك الحملة أن تفيد من التعاون مع أخيه **أحمد بك** المقيم في درنة. وقد تجدّدت الحملة سنة ١٨٠٥م،[٨٠] كما قامت ثورات محلية ضدّه في طرابلس وبرقة.[٨١]



وفي أغسطس/ آب ١٨٣٢م تنازل يوسف باشا لابنه **علي باشا الثاني**، واستفحل الصراع الدامي بين أفراد الأسرة القرمانلية واندلعت الحرب الأهلية. وكان الصراع بين علي بن يوسف القرمانلي وبين أبناء أخيه **محمد وأحمد**، وتكوّنت حكومتان إحداهما بطرابلس والأخرى بالساحل والمنشية، وأيّد القنصل الفرنسي علي باشا وحكومة المدينة، وعدّه الحاكم الشرعي المعترف به، على حين أيّد **القنصل الإنجليزي** (وارنجتون) الطرف الآخر محمد باي وأحمد باي.[٨٢]

وبين الأعوام ١٢٤٦-١٢٥٨هـ/ ١٨٣٠-١٨٤٢م حاول **الشيخ عبد الجليل سيف النصر** والي فزان وزعيم قبيلة **أولاد سليمان**، والذي نجح في توطيد تحالفاته مع سلاطين وأمراء بلاد السودان أن يقيم دولة جديدة في فزان وأن يستقل عن الدولة القره مانلية. وقد نجح في أن يصبح الحاكم الفعلي لفزان في مرحلة الاضطراب السياسي داخل الأسرة القره مانلية وحربها ضدّ الجيش العثماني التي بدأت في عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م واستمرّت حتى عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م. بل إنّ الشيخ عبد الجليل زحف مع حلفائه (من قبائل

---

٧٩ كانت فرنسا قد هاجمت طرابلس وضربتها من البحر في عام ١٧٢٨م. (على أيام مؤسّس الأسرة القره مانلية أحمد باشا)، زيادة، المصدر نفسه، ص ٥٢- ٥٣.

٨٠ انظر: **الحملات الأميركية على شمال إفريقيا في القرن الثامن عشر (١٧٩٩-١٨٠٥)**، لويس رايت وجوليا ماكلويد، تعريب محمد روحي البعلبكي، ط ٢ (لندن: دارف المحدودة، ١٩٨٥).

٨١ زيادة، المصدر نفسه، ص ٥٣.

٨٢ المصراتي، المصدر نفسه، ص ١٨-١٩.

ورفلة والقذاذفة والمغاربة وسكان واحتيْ ودّان وهون) وغومة المحمودي، باتجاه مصراته وطرابلس. كما طبع عملة باسمه "عبد الجليل – سلطان فزان"، كما وجد في **الحكومة الفرنسية** بعض الاهتمام لمواجهة المنافسة الإنجليزية في الصحراء الكبرى. غير أنّ اغتيال عبد الجليل أدّى إلى وأد طموحاته بشأن استمرار استقلال إقليم فزان عن طرابلس.[٨٣]

وفي عهد السلطان العثماني **محمود الثاني** اغتنم العثمانيون في عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، تحت ضغوطٍ داخلية وخارجية،[٨٤] فرصة وجود قلاقل أهلية في ليبيا، فتمَّ لهم القضاء على العائلة القره مانلية[٨٥] في ليبيا وأعادوا سلطانهم المباشر على ولاية طرابلس الذي امتدَّ إلى عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.[٨٦]

وقد كانت **ليبيا العثمانية** تعرَف عادة بطرابلس وبرقة وأحيانا بطرابلس الغرب فقط.[٨٧]

وتتميَّز **فترة الحكم العثماني الأوّلي** في ليبيا بأنّ الإدارة في البلاد كانت موكلة عملياً للحكام المحليين ولرؤساء القبائل، وكان الباب العالي مكتفياً بما يدفَع إليه من ضرائب.[٨٨] إلا أنّ الولاة كانوا يعيّنون من قبل السلطة في اسطنبول، وكان الوالي يستعين بمجلس الديوان الذي يرأسه "الباي" وبالحامية الانكشارية. وقد اتسمت هذه الفترة بما يشبه الحكم الذاتي في ليبيا (وهو ما أغرى الضابط التركي أحمد القره مانلي بأن يعلن انفصاله عن اسطنبول في عام ١٧١١ كما رأينا). وكانت اختصاصات الحكام المحليين مرنة تتناسب عكسياً مع قوة الحكومة المركزية وضعفها.[٨٩]

أمّا **فترة الحكم العثماني الثانية** في ليبيا فقد كانت أكثر تنظيماً وأحدث أسلوباً

---

٨٣ حميدة، ص ٨٦-٩٠.

٨٤ من بين الضغوط الخارجية التي تعرّضت لها الدولة العثمانية في تلك الفترة ضياع الجزائر التي احتلتها فرنسا في عام ١٨٣٠. وتمرّد محمد علي في مصر عام ١٨٠٥ واحتلاله لبلاد الشام.

٨٥ شهدت طرابلس في عام ١٧٦٧ وباء الطاعون، كما تكرّر ذلك مع مجاعة في عامي ١٧٨٤، ١٧٨٦ ميلادية، الأمر الذي أدّى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية فيها. كتاب: **سك وتداول النقود في طرابلس الغرب (١٥٥١-١٩١١)**، إعداد د. محمد مصطفى الشركسي، طرابلس ١٩٩١.

٨٦ مرزة، ص ١٤٧.

٨٧ حمدان، ص ٢٤.

٨٨ خدوري، ص ٧.

٨٩ مرزة، ص ١٤٦.

من ذي قبل. وفي عام ١٨٦٤م أصبحت طرابلس ولاية يحكمها والٍ يمثل السلطان العثماني وتضمّ خمسة سناجق هي طرابلس والجبل الغربي والخمس وفزان وبرقة. وفي عام ١٨٧٩ أصبحت برقة ولاية بذاتها، وفي سنة ١٨٨٨ تمتَّعت برقة بنوع من الاستقلال الذاتي على أن تتبع مباشرة وزارة الداخلية العثمانية.[٩٠]

وفي الواقع كانت طرابلس هي محور اهتمام الدولة العثمانية ومركز الوجود التركي في ليبيا إذ كانت دائماً الأغنى موارد وسكاناً. وينعكس ذلك على حجم العاصمتين في النصف الثاني من القرن ١٩ إذ كان سكان ليبيا بعامّة يقدّرون بنحو (٧٥٠) ألف نسمة. وحين كانت طرابلس المدينة تعدّ نحو (٦٠) ألفاً لم تكن بنغازي لتتجاوز (١٥) ألفاً.[٩١] وقد انطلق الأتراك في تدبير شئون الحكم في ليبيا من حقيقة أنّ "**الوحدة القبلية**" كانت هي الأساس في التنظيم الاجتماعي.[٩٢]



ونظراً لقلة السكان في ليبيا فقد حاولت الدولة العثمانية نقل بعض الجماعات إليها، إذ حاولت نقل بعض العائلات الكردية بناءً على اقتراح الوالي **أحمد باشا راسم** الذي تسلم الولاية من ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م إلى ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م. وقد أسكنت هذه العائلات في منطقة **سرت**، غير أنّ الفكرة فشلت كما فشلت فكرة إدخال بعض هذه العناصر في القوات العثمانية المرابطة في المنطقة.

وبعد انسحاب الدولة العثمانية من **جزيرة كريت** عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م اضطر بعض سكانها من المسلمين إلى اللجوء إلى برقة، ويعتقد أنّ قرابة **ألف أسرة** من تلك الجزيرة أقاموا في برقة وانصهروا مع سكانها بوصفهم مسلمين.

ولمّا خرج المسلمون من **الأندلس** طُرد **اليهود** معهم فانتقلوا إلى الشمال الأفريقي وبقية أرجاء الدولة العثمانية، ويعتقد أنّه أقام من اليهود في ليبيا نحو **ثمانمائة أسرة** وبدأ مركزهم يزيد قوة نتيجة أعمالهم في التجارة سواء منها البرية أم البحرية. وتساهل الوالي العثماني على ليبيا **رجب باشا** (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م–

٩٠ مرزة، ص ١٤٧.
٩١ حمدان، ص ٢٤.
٩٢ مرزة، ص ١٤٨.

١٣١٤هـ/ ١٨٩٩م) مع اليهود، وكان يرغب بإعطاء الأراضي لهم خوفاً من التوسّع الإيطالي ثمّ كان مشروع رجب باشا إسكان اليهود في منطقة الجبل الأخضر.[٩٣]

وعندما صدر في تركيا **الدستور** الذي أقرّته الثورة التركية عام ١٣٢٩هـ/ عام ١٩٠٨م استندت إليه ليبيا في إرسال "**مبعوثيها**" لتمثيلها في البرلمان التركي، وكان من بينهم سليمان باشا الباروني عن الجبل الغربي، ومختار بك كعبار عن غربان، ومحمد بك بالحاج عن مدينة طرابلس، وعمر باشا منصور الكيخيا ويوسف بك شتوان عن بنغازي ومحمد بك فرحات عن الزاوية الغربية وحاجي بك عن فزان.[٩٤]

كما عرفت ليبيا العثمانية، على الصعيد الداخلي، نظام **المجالس النيابية**، فتشكل في مدينة طرابلس مجلس يمثل سكان السناجق الأربعة (طرابلس والجبل الغربي والخمس وفزان)، وتشكل في **برقة** "**مجلس الإدارة**" ويتألف من أعضاء **منتخبين** من قبل أهالي السناجق الشرقية.[٩٥]



أمّا **اقتصادياً** فكانت إيالة ليبيا العثمانية تعتمد، إلى جانب الإنتاج المحلي التقليدي، على **مصدرين خارجيين أساسيين** لهما قيمة خاصّة في تلك الفترة، هما تجارة القوافل ومكاسب القرصان.

وقد تمثلت **الأولى** في شبكة الطرق وحلقة الوصل بين البحر والصحراء إذ كانت تنقل حاصلات السودان وإفريقيا التقليدية الثمينة، من ذهب وريش نعام وعاج ورقيق، إلى الشمال، مقابل المصنوعات والأسلحة الأوروبية من الشمال إلى الجنوب.

أمّا عن **القرصنة** فقد أصبحت مصدراً حقيقياً ومنتظماً من مصادر دخل الدولة، فقد تحوّل "ساحل البربر"، إقليم أطلس كما سمّته أوروبا حينذاك، إلى بيئة صالحة لنشاط القرصان الواسع في الحوض الغربي من البحر المتوسط، وقد وصل هذا النشاط إلى أوجه في القرون ١٧-١٩، وفي هذا الدور كانت طرابلس

---

٩٣ انظر: محمود شاكر **التاريخ الإسلامي: العهد العثماني**، الجزء الثامن، ط ٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٨)، ص ٥١٨-٥١٩؛ انظر أيضاً: فصل "البعد الثالث" في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

٩٤ محمد المدني، **القانون الإداري الليبي** (القاهرة: ١٩٦٥)، ص ٦٢.

٩٥ مرزة، ص ١٤٨-١٤٩.

بوجهٍ خاص تشارك مشاركة كاملة.[٩٦]

أمَّا من **الناحية السياسية** فإنّ ليبيا، منذ بدايات الوجود العثماني، وكنتيجة للتوازنات بين تركيا والقوى الدولية، دخلت بالتدريج ولكن بصورة مباشرة وخطيرة لعبة صراع القوة في البحر المتوسط. وكنتيجة لضعف الدولة العثمانية وعجزها، كادت ليبيا أن تنزلق إلى حلقة "**التكالب**" على إفريقيا، فقد انفتحت على الأقل للتغلغل الأوروبي الذي وضع الأساس الصلب للاستعمار الإيطالي. فبحجّة ردع القرصان، قامت أكثر من دولة أوروبية - فرنسا، نابولي، سردينيا- بحملات وحروبٍ بحرية حقيقية على ميناء طرابلس خلال القرنين ١٨و١٩، وأصبح من الظواهر المألوفة المتكرّرة في ميناء طرابلس ظهور الأساطيل الأوروبية، ومنها البريطانية بل الأمريكية، في مظاهرات بحرية للتهديد والضغط، وأحياناً للضرب. كذلك تكاثرت خطط احتلال المنطقة من قبل معظم تلك القوى، وإن لم تتحقق في النهاية.



على أنّ هذا كله حقق من الناحية الأخرى **وجوداً متزايداً للنفوذ الأوروبي** في المنطقة كاد أن يكون دولة داخل دولة. وقد انعكست هذه الضغوط الأجنبية أحياناً في ردود فعلٍ وطنية وقومية ضدَّ كل من أوروبا المعتدية وتركيا العاجزة، تمثلت في ثورات محلية عربية، ونضالٍ وطني فرض نفسه مراراً، وانتزع بعض الحكم الذاتي أو المحلي (ثورة غومة مثلاً في الجبل، جبل نفوسة).[٩٧]

السنوسي الكبير والحركة السنوسية

تعاصرت عودة العثمانيين إلى ليبيا في عام ١٨٣٥ مع بدايات **السنوسية** فيها مع أوساط القرن التاسع عشر.[٩٨]

---

٩٦ حمدان، ص ٢٤-٢٥.

٩٧ حمدان، ص ٢٥.

٩٨ ذكر الدكتور الصلابي في كتابه **الحركة السنوسية في ليبيا** أنَّ أوّل زيارة قام بها الإمام محمد بن علي السنوسي إلى ليبيا في طريقه إلى مكة كانت في عهد يوسف القره مانلي الذي كان مستقلاً عن الدولة العثمانية. (عمان: دار البيارق، ١٩٩٩)، ج ١، ص ٣٨.

ففي عـام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م عاد الـسـيد **محمد بن عـلي السـنوسي**[٩٩] مـن قابس إلى طرابلس ونزل ضيفاً على **عائلـة المنتـصر** في عهد الوالي العـثماني **عـلي باشا عشقر**. وقد تزامنت تلك الزيارة مع اشتعال الثورة، في جبل نفوسة بقيادة **غومة المحمودي**، وفي سرت وفزان بقيادة **عبد الجليل سـيف النصر**، ضدَّ الدولة العثمانية.

وفي عام ١٨٤٢ قام السنوسي الكبير ببناء أوّل زاوية في قلب الجبل الأخضر بمدينـة **البيضـاء**، وفي عام ١٨٥٦ نقـل مركز دعوته إلى "**واحـة الجغبوب**" ذات الموقـع الاسـتراتيجي بسـبب بعدهـا، أولاً،عـن بنغـازي ودرنـة مقـر الإدارة العثمانيـة، وكذلـك لأنّها كانت عـلى طريق قوافـل الحجيج والتجـار. وتواصل بنـاء الزوايـا وتطويـر مهامها على مدار السـنوات، وعندما توفي السـيد محمد بن عـلي السـنوسي في عام ١٨٥٩ كان عدد الزوايا السنوسـية في ليبيـا قد بلغ (٣٧) زاوية.[١٠٠]



لقـد كانت هذه الزوايا أشـبه بالرِّباط، تجمع بين وظائـف الإنتاج والتعليم والدفـاع، وهـي موزَّعـة في الدواخـل وفي الصحـراء ذات المواقـع المحميـة والاسـتراتيجية، حربيـاً وتجاريـاً، القائمـة على طـرق الحركة وخطـوط القوافل التجاريـة. وكانـت كل زاويـة **ملكية عامـة للقبيلـة أي مركزاً للوحـدة القبلية**، ومن هنا جاءت الولاءات التقليدية للسنوسـية، تلك التي ستلعب دوراً هامّاً في تشكيل الحياة السياسية لليبيا الحديثة.[١٠١]

يذهـب بعضهم إلى أنّ **العلاقات بين الدولة العثمانية والحركة السنوسـية** اتّسـمت بالشـك المتبـادل،[١٠٢] علـى حيـن يذهـب آخرون إلـى أنّها اتسـمت

---

٩٩ ليس في نيَّتنا أن نؤرّخ في هذا المجال الضيّق للحركة السنوسـية العظيمة ولمؤسّسـها سـيدي محمد بن علي السنوسي، رحمـه الله وخلفـاءه مـن بعـده، ولكنّنا نتناولهـا هنا من جانب سـياق الأحداث في ليبيـا من الوجهة السياسـية فقط، ويمكـن إحالـة الباحث في هـذا الموضوع الهام إلى عددٍ من المؤرّخين الثقات، من بينهم الدكتور محمد فؤاد شـكري، **السنوسـية دين ودولة**، والدكتور أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسـية: نشـأتها ونموّها في القرن التاسـع عشر**، والدكتور علي محمد محمد الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا** – ثلاثة أجزاء.

١٠٠ انظـر: حميـدة، ص ١٠٩–١٣٢. كما يذكـر الدكتور نقولا زيادة في كتابـه **برقة الدولة العربية الثامنـة** أنّ عدد الزوايا السنوسية في ليبيا بلغ عند وفاة السيد المهدي السنوسي في عام ١٩٠٢ نحو (٨٤) زاوية منها (٤٥) في برقة، و(١٨) في طرابلس، و(١٥) في فزان، و(٦) في الكفرة.

١٠١ حمدان، ص ٢٦.

١٠٢ حميدة، ص ١٢٥–١٢٦.



بالحرص والاعتراف المتبادل الذي لم يخلُ من حذر.[١٠٣] وأيّاً كانت حقيقة العلاقة ودوافعها فمن المؤكد أنّ الحركة السنوسية اقتطعت لنفسها مجالاً سياسياً أشبه بدولة داخل الدولة، ففرضت نفسها على الدولة العثمانية التي اعترفت بها كنوع من الحكم المحلي.[١٠٤] ومن الدلائل على وجود التقارب العثماني/ السنوسي قيام السلطان عبد المجيد العثماني في عام ١٨٥٥م بإصدار فرمان يعفي الزوايا السنوسية من الضرائب، ويقضي بمعاملتها كوقفٍ إسلامي مع السماح لها بجبي الأموال من أتباعها. وكان من مظاهره أيضاً قيام تحالف بينهما لمواجهة عدوهما المشترك المتمثل في الاستعمار الأوروبي ولاسيما الزحف الفرنسي القادم من الجنوب إلى الشمال الأفريقي.



وبصرف النظر عن طبيعة العلاقة بين السنوسية والدولة العثمانية فمن المؤكد أنّ **الحركة السنوسية** بلغت في عام ١٨٧٠ قوّة عظيمة، وكانت من الناحية العملية بمثابة حكومة (رغم أنّه لم يعلن عنها رسمياً إلا في عام ١٩١٣ بعد أن وقعت الدولة العثمانية اتفاقية سلم مع إيطاليا). وقد تمثل ذلك في مؤسّساتها (المجلس العالي ومجلس كبار الإخوان) والمؤسسة التعليمية (في عام ١٨٩٧ بلغ **عدد الطلاب** في النظام التعليمي السنوسي حوالي ٥٠٠٠، منهم حوالي ٢٠٠٠ في المعهد العالي بالجغبوب، وازداد هذا العدد ليصل إلى ١٥٠٠٠ عام ١٩٠٠). وفي عام ١٨٩٠ كان بحوزة الحركة ٦٠٠ **بندقية**.[١٠٥]

وفي عام ١٨٩٥ جرى نقل عاصمة الحركة السنوسية من **الجغبوب** إلى **الكفرة**، ثمّ إلى **(قرو)** في شمال شرقي تشاد في عام ١٨٩٩، وقد حاربت هذه الحركة القوات الاستعمارية الفرنسية عام ١٨٩٩، والإنجليزية عام ١٩١٦، والطليان من عام ١٩١١ إلى عام ١٩٣٢...[١٠٦]

١٠٣ الصلابي، "الحركة السنوسية في ليبيا" ج ١، ص ١٧٥-١٨٦.
١٠٤ حمدان، ص ٢٦.
١٠٥ حميدة، ص ١٣١، ١٣٦-١٣٨.
١٠٦ المصدر نفسه، ص ١٣١-١٣٢.

وعند هذا الحدّ نستطيع أن نرى بوضوح أنّ كلاً من طرابلس وبرقة قد اتخذ في ظل الحكم العثماني، ولاسيما في القرن الأخير منه، **خطاً تطورياً سياسياً مختلفاً** إلى حدٍّ معيّن، وستزداد الزاوية بينهما انفراجاً في المستقبل، وستنعكس إلى حدٍّ ما على التركيب السياسي لليبيا المستقلة بعد ذلك. فبينما كانت **طرابلس** تنجذب نحو الشمال، تجاه البحر، وإلى فلك القوى الاستعمارية، كانت **برقة** تنجذب جنوباً، نحو القارّة، وإلى قلب الصحراء. وقد أثر هذا الفارق ليس فقط على التوجّه السياسي المقبل، ولكن أيضاً على الوضع الحضاريّ العام.

فمن جهة أصبحت **طرابلس** أكثر انفتاحاً على الغرب واحتكاكاً به، ومن ثم أكثر تعرّضاً لأخطاره الاستعمارية وجالياته المتزايدة، كما أصبحت مدنها أكثر تأثراً بالطابع الأوروبي (عمارة وثقافة وأسلوب حياة .. الخ). وعلى العكس من هذا صارت **برقة** أكثر عزلة وانطواء: التراثُ العربي أغلبُ على طابعها وعلى مدنها، والوجود الأجنبي والخطر الاستعماري على أيّة حال أقل كثافة وتهديداً نسبياً.[107]

ومن هذا الاستعراض لتاريخ ليبيا الطويل والمفعم يمكن التوصّل إلى جملة من **الملامح المشتركة والثوابت والمتغيرات** إلى جانب الانتهاءات والخلاصات العامّة[108] يهمّنا أن نشير منها إلى:

(أ) إنّ **الانقسام الثنائي** بين **طرابلس وبرقة** يعدّ من أبرز ملامح التاريخ الجيوبوليتكي لليبيا، فقد جرى **اقتسامها** مراراً وتكراراً بين أكثر من قوة خارجية أو استعمارٍ أجنبيٍّ في وقت واحد. وكان هذا الاقتسام ينصرف عادة إلى برقة وطرابلس في الدرجة الأولى. ويمكن للباحث أن يحصر **سبع** أو **ثماني** حالات

---

١٠٧ حمدان، ص ٢٧.
١٠٨ المصدر نفسه، ص ٢٧.

علـى الأقـل خضعت فيهـا **برقة لقـوة أجنبيـة** على حيـن خضعت **طرابلس لقوة أخرى**:

- برقة الفرعونية مقابل طرابلس الفينيقية.
- برقة الإغريقية مقابل طرابلس القرطاجنية.
- برقة البطليمية وطرابلس الرومانية.
- برقة بيزنطة وطرابلس روما.
- برقة فارس وطرابلس الوندال.
- برقة الفاطمية (العبيدية) وطرابلس (أفريقية).
- وأخيراً برقة العربية وطرابلس النورمان والأسبان.

ولا يمكـن لهذه **الثنائية** الملحَّة المتواترة أن تكون مجرّد مصـادفة تاريخية، فلا بـدَّ أنَّها تعبّر بصورة مـا عن **تركـيب ما أصيل في كيـان ليـبيـا الطـبيعي**، إنه بلا شـك الثنائية الإقليـمية بين هاتين **"الجزيرتـين"** المتباعـدتين التي تفـصل بينـهما شـقة صحـراويـة شاسـعة.[١٠٩] ولم تكـن جغـرافية البـلاد أقل أثراً مـن تاريخها في قسـمة البلاد داخلياً، **لقـد تركـت الجـغرافيا والتاريـخ أثراً لا يُمـحى في تجربة ليـبيا السياسية**.[١١٠]

(ب) رغـم هـذا **الانقـسـام الثنائـي** الملـحّ والعمـيـق، فقد عرفـت ليبيا **الوحدة الإقليمية** منذ وقت مبكّرٍ نســبياً على الأقل منذ **الـــرومان**، وزادت أبعادها وتعمَّقت بعد ذلك في مراحل من الحكم الإسـلامي لا سـيّما تحـت **العثمانيـين**، وتضـمّ هـذه الوحدة طـرابلـس وبرقة وفـزان وبقـيـة الصــحـراء المجــاورة، وإن دلّ ذلك على شـــيء فإنّما يـــدلّ على أساسٍ طبيعيٍّ واحد في النهاية، **يجعل من ليبيا وحدة**

١٠٩ المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٩.
١١٠ خدوري، ص ١٤-١٥.




إقليمية وسياسـية تلقائيـة بصورة ما، كما يجعل مـن الثنائية الداخلية خاصّيـة ثانويـة مهـما أزمنـت، وذلـك بالقيـاس إلى الوحـدة العامّة والأوّلية، مهما أتت هذه ضعيفة أو متأخّرة. [١١١]

١١١ حمدان، ص ٣٠.

حقبـة الاسـتعمار الإيطالي[١١٢]

ظهـرت **أطـماع** إيطاليا في ليبيا مبكراً في القرن التاسـع عشر، لكنّها لم تتبلور وتأخـذ صـورة محدّدة بـل معلنـة إلا بعد تحقيق **الوحـدة الوطنيـة لإيطاليا**، حين أصبحـت "**قوّة**" تسـعى إلى "**القـوّة**"،[١١٣] وبرز الشـعور بـضرورة أن يكون لهذه الدولـة الناشـئة مكان بـين الدول التي كانـت تقرّر آنذاك مصير العالم وتتقاسـم ثرواته وأراضيه.[١١٤]

منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، حين بلغت الغزوات الاستعمارية أقـصى مداهـا، وحين أخذ الـصراع يشـتدّ حول البحـر الأبيض ووراثـة التركة التركية (اسـتولت فرنسا على الجزائر في عام ١٨٣٠ وعلى تونس في عام ١٨٨١، كما استولت إنجلترا على مصر في عام ١٨٨٢)، حاولت **إيطاليا** أن تثبّت أقدامها في المجـال الـدولي، وأن تدخـل بقـوّة في إطـار الصراعـات الدوليـة المتناقضـة والمساومات الاستعمارية، حتى لا يفوتها نصيبها من اقتسام الغنائم، ولاسيما فيما يتّصـل بالمركز الذي تتطلع إليه في البحر الأبيض المتوسـط، وقد سـيطرت عليه بعـض الـدول التي لا تسـتطيع أن تدّعي مـا تدّعيه إيطاليـا، في رأيها، من شرف الانتماء إلى حضارته وأمجاده الرومانية التاريخية.[١١٥]



وعـلى الرغم من أنّ الطموح الاسـتعماري الإيطالي نحو ليبيـا قد بدأ يتركز منذ سـنة ١٨٨١، بعد أن فقدت إيطاليا الأمل في تونس، فإنّ قضية احتلال ليبيا والحـرب التركيـة الإيطالية تعـود بجذورها إلى مؤتمر برلـين ١٨٧٨ حين حاول السـياسي الألماني المشـهور (**بسـمارك**) أن يوجّه، وفي وقت واحد، اهتمام **فرنسـا وإيطاليا** إلى تونس، تخلّصاً من أحقاد الأولى، ووضعاً للثانية في مواجهة المصالح

---

١١٢ لا يتّسـع مجـال هذا الكتاب لإعطـاء هذا الموضوع الهام حقه، وننصح القارئ بالرجـوع إلى الكتب التي تناولت هذا الموضوع باستفاضة.

١١٣ حمدان، ص ٣٢-٣٤.

١١٤ انظر: **مذكرات جيوليتي: الأسرار العسـكرية والسياسـية لحرب ليبيا ١٩١١-١٩١٢**، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي (طرابلس: الشركة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٧٦)، ص ٥.

١١٥ التليسي، المصدر نفسه، ص ٥-٦.

الفرنسية وطموح التوسّع الفرنسي.

وفي **فبراير/ شباط ١٨٨٧** وقّع **بسمارك** اتفاقاً ثنائياً مع **إيطاليا** اعترف فيه بحق إيطاليا في احتلال طرابلس وبرقة، رغبة منه في تقوية علاقات التحالف مع إيطاليا من جهة، ولإثارة الصدام بينها وبين **فرنسا** من جهة أخرى، ولاسيما إذا زادت من توسيع نشاطها في الشمال الإفريقي.

وقد ظهر الحديث عن **"ليبيا"** لأوّل مرّة بصفة رسمية في جلسة **البرلمان الإيطالي** التي عقدت يوم **٦ إبريل نيسان ١٨٨١** فقد كشف النقاب في تلك الجلسة البرلمانية عن العبارة التي أدلى بها المفاوضون الفرنسيون أثناء المحادثات الإنجليزية الفرنسية حول تونس وقبرص والتي تقول (**حسناً نحن نقول للإيطاليين خذوا طرابلس**).[116]

وفي **"اتفاقٍ ثنائي ودّي"** أبرم في عام **١٩٠٢** بين **فرنسا** و**إيطاليا** جرى الاتفاق على إطلاق يد الأولى في تونس مقابل إطلاق يد الثانية في ليبيا.[117] وإلى جانب هذا "الاتفاق الودّي الصغير" كان هناك **"اتفاق ودّي أصغر"** بين إيطاليا وبريطانيا، وإن أتى فيما بعد بصورة ضمنية. فبعد احتلال فرنسا لتونس أصبحت ليبيا العثمانية، من وجهة نظر القوى العظمى، فراغاً إمبريالياً ومنطقة **"فضلة بينيّة"** استعمارياً، مثلما هي، جغرافياً، بين كتلتي الاستعمار البريطاني في المشرق العربي والفرنسي في المغرب، وكان على إيطاليا، التي تطمع في ملء هذا الفراغ، أن تحصل من بريطانيا أيضاً على موافقتها ضمنياً، وقد تجسّم هذا بالفعل، فيما بعد، خلال الحرب العالمية الأولى حين أصبحتا حليفتين.[118]

وبهذا تكون ليبيا قد دخلت، ضمن ساحل إفريقيا العربية برمّته من مصر إلى مراكش، في **صفقة مساومات استعمارية شاملة** بين كل من طرفي مجموعتي القوى الأوروبية القديمة والجديدة في ذلك الوقت، وهي صفقة حدّدتها توازنات القوة على القارّة وعلى مسرح الأطماع نفسه. وكانت أبرز ملامح هذه

١١٦ المصدر نفسه، ص ٦-١٠.
١١٧ زيادة، المصدر نفسه، ص ٥٤.
١١٨ حمدان، ص ٣٣.

الصفقة "**ميكانيكية التعويض**" التي تداعت في سلسلة مثيرة من الأفعال وردود الأفعال الاستعمارية المتوالية: ألمانيا تهزم فرنسا في الوطن فتتجه هذه إلى التعويض في تونس، وفي تونس تهزم فرنسا أطماع إيطاليا فتتجه الأخيرة إلى التعويض في ليبيا. لقد **تحدّد مصير ليبيا، بمعنى آخر، كجزءٍ من سياسات القوى**.[١١٩]

منذ عام ١٨٨١ بدأت المطامع الإيطالية الاستعمارية في ليبيا تعلن عن نفسها من خلال **رحلات الرحّالة** واهتمامهم باكتشاف الواقع الليبي من جميع وجوهه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبشرية، ومن خلال **المقالات السياسية** التي أخذت توجّه الرأي العام الإيطالي، وكذلك **خطب وكتابات** الزعامات القومية التي تؤمن بالتمييز العنصري والنّعرات العرقية والتوسّع الاستعماري وادّعاء الرسالة الحضارية وإعادة الأمجاد الرومانية.[١٢٠]

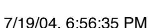
وقد وجدت هذه الاتجاهات صيغتها المثلى فيما عرف في ذلك الوقت باسم **(التغلغل السلمي)** وهو مصطلح قصد به واضعوه من رجال الاستعمار:

> "ذلك المجهود الذي تبذله الدولة الاستعمارية ومواطنوها لخلق شبكة من المبادرات والمصالح الاقتصادية التي تساعد على الامتصاص أو الابتلاع التدريجي الخفي للبلاد المراد استعمارها والعمل على ضمّها دون حاجة للقيام بأيّ عملٍ حربي".[١٢١]

لقد اتجهت إيطاليا بكل قواها إلى تكوين قواعد هذا **(التغلغل السلمي)** والتي تمثلت في:

- استمالة بعض الشخصيات المحلية الظاهرة على ساحة الوجاهة الاجتماعية والمصالح الاقتصادية.
- استغلال التذمّر العام من أسلوب الحكم التركي وتحويله إلى مهادنة للاستعمار عند وقوعه.

١١٩ المصدر نفسه، ص ٣٣.
١٢٠ التليسي، المصدر نفسه، ص ١٠.
١٢١ المصدر نفسه، ص ١١.



- تكبير الجالية الإيطالية المقيمة بليبيا، عن طريق توسيع الهجرة، وزيادة حجم التبادل التجاري، وإنشاء المصانع والمؤسسات الاقتصادية للسيطرة على الاقتصاد، وشراء الأراضي، وإقامة المعاهد والمدارس الإيطالية، وتشجيع أعمال الإرساليات الدينية، والتمكّن من مراكز الخبرات والاستشارات.

وقد كانت قاعدة هذا (التغلغل السلمي) ومحرّكه الأكبر "**بنك روما**" الذي أرادت السياسة الإيطالية أن تجعل منه، يومذاك، "**حصان طروادة**" كما يقول أحد الباحثين الإيطاليين.[١٢٢]

والخلاصة أنّ إيطاليا عملت منذ عام ١٨٨١ حتى عام[١٢٣] ١٩١١ على توفير كافة الظروف لإنجاح سياسة (**التغلغل السلمي**) إلى درجة جعلت أحد الدبلوماسيين الألمان يقول إنّه **كان ينبغي أن تذهب إيطاليا إلى ليبيا بدون حرب كما ذهبت بريطانيا إلى مصر**.[١٢٤]




ومع ذلك، بالرغم من كل تلك الجهود التي بذلتها إيطاليا، تضافرت جملة عوامل أدّت إلى **فشل التغلغل السلمي**، واضطرتها إلى الدخول في مغامرتها العسكرية في ليبيا، والتي كانت تخشى من عواقبها. من بين هذه العوامل:

١- يقظة الشعب الليبي[١٢٥] وانتباهه إلى الأخطار المحدقة ولاسيما بعد وقوع الجزائر وتونس ومصر في قبضة الاستعمارين الفرنسي والإنجليزي.

٢- موقف بعض الولاة الأتراك، وتعريتهم للمصالح الإيطالية استجابة للضغوط الشعبية (رجب باشا [١٢٦] وإبراهيم باشا).

---

١٢٢ المصدر نفسه، ص ١١. وقد كانت صلة هذا البنك برجال الكنيسة وشخصيات الحكم واضحة وبارزة في رأسماله ومسيّريه. وقد كان مديره في وقت من أوقات الحملة الإيطالية على ليبيا "أرنستو باشلي" وهو عم الكاردينال باشلي الذي صار فيما بعد البابا بيوس الثاني عشر.

١٢٣ شهدت هذه الحقبة ذاتها، وتحديداً في يوليو/ أغسطس ١٩٠٨، قدوم البعثة اليهودية إلى برقة لدراسة إمكان إقامة دولة قومية لليهود فيها. راجع فصل "البعد الثالث" في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

١٢٤ التليسي، المصدر نفسه، ص ١٤.

١٢٥ صوّر الرحّالة الإيطالي الاستعماري (كامبيريو)، الذي قام برحلتين إلى ليبيا سنتي ١٨٨١-١٨٨٢ واحدة إلى طرابلس والأخرى إلى برقة، الشعور الذي لقيه عند بعض الأفراد البسطاء، والموجدة التي كانوا يحسّون بها في نفوسهم ضدّ الأوروبيين بسبب وقوع بعض البلدان العربية في قبضة الاستعمار (التليسي، المصدر نفسه. ص ١٥).

١٢٦ راجع ما ورد بشأن هذا الوالي التركي وموقفه المتعاطف مع مشروع إقامة وطنٍ قوميٍّ لليهود في ليبيا عام ١٩٠٨ في فصل "البعد الثالث" - الجزء الثالث من هذا الكتاب.

٣- اتجاه السياسة العثمانية إلى خلق صراع للمصالح الأجنبية في ليبيا بإيجاد منافسين ومزاحمين للنفوذ الاقتصادي والثقافي الإيطالي (المصالح الألمانية مثلاً).

٤- الغباء الاستعماري الإيطالي، وضحالة التجربة الاستعمارية التي جعلتها تعلن عن نيّاتها من خلال التصريحات والبيانات والخطب ومقالات الصحف والموقف السياسي الواضح المكشوف.

٥- الصراع الإنجليزي الفرنسي حول توسيع مناطق النفوذ في الشمال الإفريقي وأوساط إفريقيا.

٦ إنّ ليبيا كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية وكانت تحكم حكماً مباشراً من إستانبول، ولم يكن لها وضع مماثل للوضع القائم حينذاك في مصر وتونس، وقيام هذا الوضع القانوني كان يقضي بالضرورة، بعد فشل سياسة التغلغل السلمي، إعلان الحرب على الدولة صاحبة السيادة (الدولة العثمانية).



وفضلاً عن **التمهيد الدبلوماسي الخارجي** الذي قامت به إيطاليا من أجل احتلالها لليبيا، وسياسة "**التغلغل السلمي** " التي انتهجتها داخل ليبيا العثمانية ذاتها، لجأت إيطاليا إلى عددٍ من **الأساليب السياسية** الأخرى التي استهدفت إضعاف الإمبراطورية العثمانية نفسها، من ذلك:[١٢٧]

(أ) معاداة الوضع الجديد الذي تولاه الأتراك الاتحاديون.

(ب) مساندة الحركات الانفصالية في البلقان وجزيرة العرب (التابعين للدولة العثمانية).

(ج) الضغط لتغيير الولاة الأتراك في ليبيا ممّن كانوا يعرقلون مصالحها، وقد نجحت فعلا في إقصاءآخر الولاة (إبراهيم باشا) حتى إذا وقع الغزو الإيطالي لليبيا، لم يكن فيها والٍ معتمد.

١٢٧ التليسي، المصدر نفسه، ص ١٧.

(د) التسلل إلى مركز السلطة والنفوذ في عاصمة الدولة التركية (إستانبول) واستعمال بعض الشخصيات العميلة في خدمة أهدافها وأغراضها السياسية.

كذلك حاولت **المخابرات الإيطالية** استغلال الصراع **السنوسي الفرنسي** في تشاد (بدأ في عام ١٨٩٩) للتقرّب من السنوسية كنوع من الإعداد أو خلق تحالفٍ قبيل غزو ليبيا. لذلك أهدى القنصل الإيطالي في طرابلس بعض الهدايا والأسلحة للسيد أحمد الشريف[١٢٨] في عام ١٩٠٥، وقد ردَّ السيد أحمد ردّاً جسَّد حنكته ووعيه السياسي في تلك المرحلة:

"ليس هناك أعزّ علينا في الحياة أكثر من السلاح والكتب. بالسلاح نستطيع هزيمة أعدائنا، وبالكتب نوسّع معرفتنا، وهذا أهمّ شيءٍ للمسلمين .. نحن نطلب إذا لم تمانعوا ٤ مسدسات و ١٠٠٠ بندقية".[١٢٩]



وفي يونيو/ حزيران ١٩١١ أقرّ **البرلمان الإيطالي** غزو ليبيا. ثمّ انتهزت الحكومة الإيطالية تورّط تركيا في حروب البلقان ونكسة ألمانيا في تحقيق أطماعها في مراكش، فقامت في السابع والعشرين من سبتمبر/ أيلول ١٩١١، متذرّعة بحجّة حماية المصالح التجارية والثقافية لرعاياها المقيمين في ليبيا، بإنذار[١٣٠] الحكومة العثمانية بوجوب وضع حدٍّ للفوضى والإهمال اللذين تركت فيهما طرابلس وبرقة من جانب الحكم التركي. وفي التاسع والعشرين من الشهر نفسه **أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية** ثمّ قامت في الرابع من أكتوبر[١٣١]/ تشرين الأول من العام نفسه بغزو السواحل الليبية بجيشٍ عرمرم مزوّدٍ بأحدث الأسلحة آنذاك.[١٣٢] وكان قوام الجيش الإيطالي الغازي (٣٤,٠٠٠) من الجنود المشاة و(٦,٣٠٠) من الفرسان. وكان مع هذا الجيش

---

١٢٨ كان سيدي أحمد الشريف قد تولى قيادة الحركة السنوسية في عام ١٩٠٢.

١٢٩ أنريكو انساباتو **العلاقات الإيطالية الليبية ١٩٠٢-١٩٣٩**، ترجمه إلى العربية عمر الباروني (طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين، ١٩٨٠)، ص ١٢٠-١٢١، نقلاً عن حميدة، ص ١٣٨.

١٣٠ للمزيد حول هذا الإنذار انظر: عبد المنصف حافظ البوري، **الغزو الإيطالي لليبيا**، (القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣).

١٣١ كانت البوارج الحربية الإيطالية تحاصر طرابلس منذ منتصف شهر سبتمبر/ أيلول ١٩١١ أي قبل الإنذار. وقد ذكر الدكتور نقولا زيادة في كتابه **برقة الدولة العربية الثامنة**، ص ٨٠، أنّ القذائف الأولى في هذه الحرب أطلقت على مدينة **درنة** شرقي ليبيا يوم ٢٩/ ٩/ ١٩١١، ثمَّ تلا ذلك ضرب طرابلس يوم ٤/ ١٠/ ١٩١١.

١٣٢ مرزة، ص ١٥٠.

الغازي ستة آلاف حصان وثمانمائة عربة و(١٠٢) قطعة مدفعية، ومدافع رشاشة جبلية وأربع طائرات[١٣٣] بالإضافة إلى عددٍ من السفن والبواخر[١٣٤] وبالمقابل فلم يتجاوز عدد أفراد **القوة العثمانية** في القطر الليبي كله الـ (٤٢١٠) جنود.[١٣٥]

والواقع أنّ بلوغ حجم أفراد القوة العثمانية هذه الدرجة من التدنّي لم يأتِ مصادفة، بل كان نتاج مؤامرة لعبت فيها أطراف يهودية وماسونية تركية (من أمثال اليهودي متر سالم ورئيس الوزراء التركي **إبراهيم حقي** باشا) الدور الرئيسي.

يقول الجنرال التركي **جواد رفعت أتيل خان** في كتابه "**أسرار الماسونية**":

"إنّ طرابلس الغرب (ليبيا حالياً) التي تعدّ موطن أخلص أبناء الدولة العثمانية، قد وقعت في مخالب الإيطاليين بمؤامرة خبيثة دبَّرها اليهودي الماسوني (متر سالم) الذي دفعت له الخزينة الإيطالية الملايين من الليرات الذهبية لقاء إقناعه الدولة العثمانية بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب إلى إستانبول بحجّة التغير والإصلاح، وبمساعي الماسونيين أيضاً سيقت قطاعات الجيش (من طرابلس) إلى اليمن.. وهكذا سلمت البلاد الطرابلسية (ليبيا) لقمة سائغة للطليان."[١٣٦]



كما يورد الدكتور **محمد فؤاد شكري** في هذا الشأن ما نصّه:

"وعندما تسلمت أزمّة الحكم باستانبول وزارة **إبراهيم حقي** الضعيفة – ويعتقد الكثيرون أنه كان متواطئاً مع أعداء الدولة ولا سيما الطليان الذين ربطتهم به روابط عديدة، منها زواجه من إيطالية وشغفه بلعب الورق مع أصدقائه الإيطاليين، وخضوعه لسلطان الذهب! – ضاع كل أمل أن تنال طرابلس الغرب شيئاً من عناية الدولة (العثمانية) واهتمامها بها".

"لقد قامت **حكومة السلطان عبد الحميد الثاني** باتخاذ الأهبّة لردّ أيّ اعتداءٍ

١٣٣ من المعروف أنّ الطيران استعمل للمرّة الأولى في أغراض حربية أثناء غزو إيطاليا لليبيا.
١٣٤ زيادة، المصدر نفسه، ص ٨٠؛ التليسي، المصدر نفسه، ص ٧٠.
١٣٥ زيادة، المصدر نفسه، ص ٨٠.
١٣٦ نقلاً عن الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا**، ج ٢، ص ١٣٨.

على الولاية (طرابلس الغرب) وأرسل إليها السلطان قائداً من خيرة قواده هو **رجب باشا** (١٩٠٤-١٩٠٨) الذي أطلقت يده في شؤون الولاية الإدارية والعسكرية، فمرّن أهلها على الأصول الحربية، وفرَّق (وزَّع) على شبابها وشيوخها البنادق ومرَّنهم على استعمالها، وملأ المستودعات العسكرية بالذخائر، حتى أصبح عدد الجيش المرابط في طرابلس حوالي **خمسة عشر ألفاً**، هذا عدا الفرق غير النظامية من الأهلين العرب، وهؤلاء بلغوا الأربعين أو الخمسين ألفاً ومهمّتهم معاونة الجيش النظامي".

"لقد أبطل **الاتحاديون** (جماعة الاتحاد والترقي) هذه الاستعدادات، وشرعوا ينزعون البنادق من الأفراد بدعوى أنّ الأهلين المسلمين قد يقومون في وجه الحكومة إذا طلب منهم تأدية الضرائب والتكاليف الأميرية. وانتهزت وزارة **حقي باشا** فرصة استفحال أمر **الثورة في اليمن** فسحبت معظم جيشها النظامي من طرابلس الغرب لاستخدامه في إخماد هذه الثورة. على أنّها لم تكتفِ بذلك، بل أهملت كل الإهمال **الفرق الأهلية** (غير النظامية) فنقصت قوة الدفاع الطرابلسية إلى أقل من **خمسة آلاف مقاتل**. ومع أنّ أهالي البلاد طلبوا الانتظام في سلك الجندية بعد إعلان الدستور العثماني (١٩٠٨)، فقد أصمَّ الاتحاديون آذانهم ولم يجيبوا الأهلين إلى ما طلبوه إلا قبيل وقوع الاعتداء الإيطالي بفترة قصيرة، ولم تبدأ الإجراءات لتجنيدهم إلا بعد قيام الحرب ذاتها".[١٣٧]

"وزيادة على ذلك، فقد نقلت الحكومة العثمانية حوالي **أربعين ألف بندقية** كانت الدولة قد درجت على حفظها بالبلاد حتى يستخدمها الأهلون عند الطوارئ، ثمّ لم تفعل شيئاً من أجل إصلاح الاستحكامات ومراكز الدفاع بالبلاد أو تمدّها بالمدافع والذخيرة اللازمة ..".[١٣٨]

كما يورد الأستاذ **محمود الشاذلي** في كتابه "المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية"[١٣٩] في هذا الصدد:

"لعب (قره سو) أحد اليهود من قادة الاتحاد والترقي في أيامها الأخيرة

---

١٣٧ محمد فؤاد شكري، **السنوسية دين ودولة** (القاهرة: دار الفكر، ١٩٤٨)، ص ١١٤- ١١٥.
١٣٨ نقلاً عن الصلابي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩.
١٣٩ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٩).

(١٩٠٨-١٩١٨) دوراً رئيسياً في احتلال إيطاليا لليبيا وكان يشغل وظيفة مفتش إعاشة. واضطرَّ نتيجة لخيانته أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الإيطالية، واستقرَّ في (تريستا) حيث مات عام ١٩٣٤."[١٤٠]

وقد أدّى الوضع المهزوز للفئة الحاكمة في تركيا،[١٤١] وتكاثر الأعداء والتهديدات من كل جانب، واحتمالات الوضع المتفجّر في البلقان، وإهمال بعض السياسيين، وخيانة بعضهم الآخر، وإغفالهم المسبق للدفاع عن ليبيا، قد أدَّى كله بتركيا إلى الاستسلام أمام إيطاليا. ولم يكن يشغل الفئة الحاكمة، التي كانت خليطاً من عناصر مدسوسة وطارئة، إلا أن تجد السبيل (للحل المشرّف) والخروج من الورطة بما ينقذ ماء الوجه.[١٤٢]

لقد هرعت **تركيا تنشد الصلح مع إيطاليا** بوساطة الدول الأوروبية،[١٤٣] وفي الخامس عشر من شهر أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٢ عقد الصلح بين الدولتين المتحاربتين وتمَّ التوقيع من قبلهما على اتفاق (لوزان) وأعقبه في الثامن عشر من الشهر ذاته اتفاق الصلح الذي أبرم في (أوشي). وقد نصَّ في الاتفاقين على إنهاء حالة الحرب واستدعاء العسكريين والمدنيين الأتراك من ليبيا، وتنازلت تركيا بموجبهما عن سيادتها على القطر الليبي.[١٤٤]

وبمجرّد أن علم السيد **أحمد الشريف** (الذي كان قد تولى قيادة الحركة السنوسية منذ عام ١٩٠٢، وكانت تربطه علاقات متينة بالباب العالي) بأنباء محادثات الصلح، قام بإبلاغ القائد العام التركي في ليبيا **أنور باشا** (والذي كان مقيماً في درنة) بما وصله بأنّ الدولة العثمانية تعتزم إبرام الصلح مع إيطاليا وتسليم ليبيا إليها، وبمعارضته الشديدة لهذا الأمر. وقد جاء في رسالة السيد أحمد إلى أنور باشا، التي حملها أربعون شخصاً من كبار السنوسية المجاهدين:

١٤٠ المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

١٤١ كانت مجموعة حزب الاتحاد والترقي قد استولت على السلطة في تركيا وعزلت السلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٨ وولّت مكانه السلطان محمد رشاد الذي كان ألعوبة في أيديهم.

١٤٢ التليسي، المصدر نفسه، ص ٣٣.

١٤٣ أوردت جريدة "**المقطم**" المصرية في عددها رقم (٦٩٧٥) الصادر في ١٩ ربيع الأول عام ١٣٣٠هـ أنّ بعض رجال الأعمال اليهود المؤيدين لحزب الاتحاد والترقي لعبوا دوراً بارزاً في بدء مفاوضات الصلح بين تركيا وإيطاليا. انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٧.

١٤٤ شكري، ص ١٤٢.



"نحن والصلح على طرفيْ نقيض ولا نقبل صلحاً بوجهٍ من الوجوه".[145]

كما قام المجاهد **سليمان باشا الباروني** عضو مجلس النواب العثماني[146] بإرسال برقية إلى ذلك المجلس يعارض فيها باسمه وباسم المجاهدين في ليبيا عقد أيّ صلحٍ مع إيطاليا لا يكفل انسحابها الكلي من أراضي ليبيا.[147]

وفي ضوء **هذه المعارضة الليبية لفكرة الصلح مع إيطاليا** وتسليم ليبيا هدية إليها قام الباب العالي، قبيل توقيع معاهدة الصلح مع إيطاليا، وتحديداً في ١٥/ ١٠/ ١٩١١، بإصدار فرمان (مرسوم) منحت بموجبه **منطقة طرابلس وبرقة حكماً ذاتياً تامّاً**[148] (استقلالاً داخلياً مطلقاً تامّاً)،[149] وقد جاء في ذلك الفرمان:

> "إنّ حكومتي إذ تجد نفسها عاجزة عن تقديم المساعدات التي تمكّنكم من الدفاع عن وطنكم، وحرصاً منها على هنائكم في الحاضر والمستقبل، ورغبة منها في تجنّب حالة الحرب المهلكة لكم ولعوائلكم، وبقصد إعادة السلام والرضاء إلى ربوع بلادكم، فإنّي أستخدم حقوقي الدستورية وأمنحكم الاستقلال الذاتي."[150]

وقد احتفظ الصدر الأعظم (السلطان) بموجب ذلك الفرمان لنفسه برئاسته الدينية للسكان المسلمين في ليبيا وبحق تعيين القاضي فيها، على أن يعيّن السلطان ممثلاً له في القطر يمنحه لقب (نائب السلطان) يعهد إليه بحماية المصالح العثمانية في ليبيا.[151]

وصدر الأمر من **الآستانة** إلى القائد العام التركي **أنور بك**[152] بأن يغادر

---

١٤٥ المصدر نفسه، ص ١٤٢.

١٤٦ كان المجاهد سليمان باشا الباروني عضواً في البرلمان التركي الذي تأسّس في عام ١٩٠٨م بعد إصدار الدستور الذي أقرّته الثورة التركية في ذلك العام. وكان الباروني عضواً عن منطقة الجبل الغربي بليبيا. مرزة، ص ١٤٨-١٤٩.

١٤٧ شكري، ص ١٤٢.

١٤٨ خدوري، ص ٢٢.

١٤٩ زيادة، المصدر نفسه، ص ٨٣.

١٥٠ مرزة، ص ١٥١.

١٥١ خدوري، ص ٢٢.

١٥٢ كان أنور بك قد وصل إلى ليبيا على رأس عددٍ من الضباط الأتراك (مصطفى كمال "أتاتورك"، وفتحي أوغيار، وخليل بك عمّي أنور بك، وفؤاد يولجاقاش باشي وجعفر العسكري وعزيز علي المصري وأدهم باشا الحلبي) أرسلتهم الحكومة العثمانية إلى ليبيا لمساعدة أهلها في مقاومة الغزو الإيطالي وتدريب المجاهدين وتعليمهم كيفية استعمال الأسلحة الحديثة.

برقة. وتوجّه أنور إلى الجغبوب لمقابلة السيد **أحمد الشريف السنوسي**[١٥٣] والتفاهم معه. وقد أبلغ أنور بك السيد أحمد الشريف أوامر السلطان بإسناد أمر الأمَّة الطرابلسية إلى سيادته وإخباره بأنَّ السلطان منح الأمَّة الطرابلسية استقلالها تاركاً لها الحق في أن تقرّر مصيرها وتدافع عن نفسها.[١٥٤]

وفي هذا اللقاء تمَّ الاتفاق بين الرجلين على تأسيس **الحكومة السنوسية**[١٥٥] لتسدَّ الفراغ الذي ترتَّب على انسحاب تركيا من ولاية طرابلس وملحقاتها. ولم يطلب أحمد الشريف من أنور بك غير شيءٍ واحد هو مساعدته بالأسلحة والعتاد الحربي.[١٥٦] (كان أنور باشا قد سلم السيد أحمد الشريف ما تبقى معه من المؤن والأسلحة العثمانية في برقة).[١٥٧]

أمَّا **إيطاليا** فقد قبلت، من جانبها، بالحكم الذاتي لليبيا، على اعتبار أنّ المقصود به هو أنّ ملك إيطاليا سينظّم فيما بعد أوضاع الحكم الذاتي على أساس **السيادة الإيطالية**، ويحدّد وضع ممثل السلطان. ومن ثمَّ فقد أصدر ملك إيطاليا في ذلك الوقت منشوراً موجَّهاً إلى أهل ليبيا، يذكرهم فيه بأنّ بلادهم خاضعة خضوعاً تامّاً للسيادة الإيطالية.[١٥٨]



ولقد أقام **الاستعمار الإيطالي** في ليبيا ثلاثين سنة من ١٩١١ حتى ١٩٤١ حين دخل الحرب العالمية الثانية. وتنقسم هذه الفترة إلى **ثلاث مراحل** واضحة عقدية ومتساوية هي:[١٥٩]

- مرحلة استعمار الساحل من ١٩١١ حتى ١٩٢١.
- مرحلة استعمار الداخل من ١٩٢١ حتى ١٩٣١.
- مرحلة الاستقرار من ١٩٣١ حتى ١٩٤١.

١٥٣ كان سيدي أحمد الشريف قد تولى زعامة الحركة السنوسية في عام ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢م إثر وفاة عمّه سيدي محمد المهدي السنوسي. وقد انهمك منذئذٍ في محاربة الفرنسيين في تشاد، وانتقل إلى الشمال واستقرَّ بالجغبوب منذ تعرّض البلاد للغزو الإيطالي في عام ١٩١١.

١٥٤ شكري، ص ١٤٦.

١٥٥ أصبحت الوثائق التي تصدر عن الجغبوب منذ ذلك اللقاء تختم بخاتم الحكومة السنوسية.

١٥٦ مصطفى هويدي، **الحركة الوطنية شرق ليبيا** (طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين ضدَّ الغزو الإيطالي، ١٩٨٨)، ص ٤١ – ٤٢.

١٥٧ حميدة، ص ١٦٥.

١٥٨ زيادة، المصدر نفسه، ص ٨٣.

١٥٩ حمدان، ص ٣٤.

وقـد تحدَّدت أهداف الاسـتعمار الإيطـالي لليبيا في غرضـين معلنين لم يدعا مجالاً للشـك في تفسيرهما، هما **الاستعمار الاسـتيطاني** (أو الديموغرافي كما كانت الفاشية تسمّيه) **والاستعمار الاستراتيجي**.

وقد تجسَّدت في الاستعمار الإيطالي لليبيا **المراحل التقليدية الأربع في الدورة العامَّة للاستعمار الاستيطاني** والمتمثلة في:[١٦٠]

١- الابتلاع السياسي.

٢- تفريغ السكان الوطنيين.

٣- اغتصاب الأرض.

٤- توطين المعمرين.

ففـي أواخر مرحلة الاسـتقرار أعلنـت إيطـاليا أنَّ ليـبيـا الإيـطالـية Libia Italiana جـزء لا يتجـزأ قانونيـاً من إيطاليا الأم، وسـاحلها هو الشـاطئ الرابع Quarta Sponda لإيطاليـا، وولاياتها الأربع طرابلس ومصراته وبنغازي ودرنـة هي مقاطعـات إيطالية تماماً، وسـكانها إمّا رعايا إيطاليـون كاثوليك، أو رعايا إيطاليون مسلمون.[١٦١]

أمّا من حيث **تفريغ السـكان الأصليين** فقد تناقص عدد الليبيين خلال فترة الاحتـلال الإيطالي بنسـبة تتراوح بـين الثلث والنصف. والمقدَّر أنّ عدد سـكان ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي كان قد بلغ (٥ ,١) مليون نسـمة وربّما مليونين.[١٦٢] وإذا صـحَّ هـذا التقدير فإنّ عدد سـكان ليبيا في ظل الاحتـلال الإيطالي تناقص بنسـبة تـتراوح بين النصف وثلاثـة أرباع لأنَّ مجموع سـكان ليبيا في عام ١٩٣٨ بلغ نحو٨٨٨) ألف نسـمة، الليبيون منهم (٧٦٣) ألف نسـمة. ومعنى ذلك أنَّ عـدد الليبيـين قد تناقص إلى مـا كان عليه في النصـف الثاني من القـرن التاسـع عشر. **إنّ هذا التناقص الخطر في عدد السـكان يُعدُّ ظاهرة تكاد تنفرد بها ليبيا من بين الدول التي تعرَّضت للاستعمار الاستيطاني.**

---

١٦٠ حمدان، ص ٣٨.

١٦١ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

١٦٢ عبد العزيز طريح شرف، **جغرافية ليبيا** (الإسكندرية: ١٩٧١)، ص ٢٠٩.

وقد تمَّ تناقص السكان في ليبيا خلال الاحتلال الإيطالي عن **طريقين أساسيين**: زيادة الوفيات، والهجرة الخارجية. وقد حدثت الأولى بطريقتين مباشرة وغير مباشرة. فعوامل الموت **المباشرة** في ميدان القتال وعمليات الإبادة المقنَّنة بين المدنيين حصدت عشرات الألوف عبر عقدين متصلين.

أمَّا العوامل **غير المباشرة** فتتمثل فيما تعرَّض له معظم السكان من ظروفٍ بالغة القسوة في الحياة، وبالتشريد الذي فرضه المستعمر، سواء في الجبل أو في الصحراء، فقد طرد مئات الآلاف بالجملة وقذف بهم خارج المعمور الحقيقي وخارج نطاق المطر إذ اتّبع حتى هناك سياسة سدّ الآبار، فكانت القطعان تهلك بالجملة جفافاً وعطشاً، على حين تتفشَّى الأوبئة بين القبائل وتحصدهم بالآلاف.

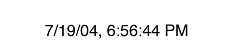
هذا عن قوى تناقص السكان الطبيعية، أمَّا عن "**الهجرة**" فقد عرفت ليبيا عملية "خروج" حقيقي، وشتات بعيد المدى في المهجر، فمنذ البداية تحوَّلت ليبيا ولاسيما برقة، إلى منطقة طاردة تلفظ موجات اللاجئين في نبضٍ يكاد يكون منتظماً وموقوتاً بحملات العدوّ الغازي المتواترة، وتقدّر هذه الهجرات في مجموعها بعشرات الآلاف.[١٦٣]

أمّا بشأن **اغتصاب الأرض**، فكما هو معروف فإنَّ الأرض هي هدف كل استعمارٍ استيطاني مثلما هي **محكّه**، وكانت إيطاليا قد وضعت خططها في هذا السبيل مسبقاً. وإلى منتصف الثلاثينيات فقط كانت إيطاليا قد سجّلت نحو نصف مليون هكتار (٤٥٠ ألفاً) باسم الدولة تحت شتى الدعاوى، وتمَّ تمليك هذا كله لشركة تعمير "أنته" ENTE الإيطالية، التي تولّت عملية إعدادها للمهجّرين الإيطاليين.[١٦٤]

والواقع أنَّ الاستعمار الإيطالي في آخر أيامه كان قد وضع يده على كل الأراضي الخصبة في ليبيا المعمورة، وطرد أصحابها وسكانها الأصليين إلى أطراف اللامعمور، وأحياناً إلى قلبه.[١٦٥]

---

١٦٣ حمدان، ص ٣٩-٤٠، و زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٨.
١٦٤ زيادة، المصدر نفسه، ص ١١١- ١١٥.
١٦٥ حمدان، ص ٤٠.



أمّا بالنسبة **لتوطين المعمرين**، فلم يكن الاستعمار الإيطالي، شأنه شأن كل استعمارٍ استيطاني، يستهدف أقل من تحويل التراب الليبي وتغيير طبيعة الأرض وفرض نسيجه الحضاري وذلك بزرع مجتمعه المهجّر زرعاً في التربة الجديدة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ استعمار **طرابلس** الاستيطاني سبق نظيره في **برقة** وقطع أشواطاً أكبر بكثير. وقد وصلت أوّل موجة من المعمرين الطليان في عام ١٩٣٨، وكان عددها نحو (٢٠) ألفاً، اتجه نحو نصفهم إلى برقة والنصف الآخر إلى طرابلس، وكان ثمّة موجة أخرى توشك أن تنطلق، ولكنَّ الحرب العالمية الثانية قامت وأوقفتها. وكانت خطة الجنرال (**بالبو**) تتضمَّن توطين (٤٠) ألفاً كزرّاع في الجبل الأخضر على مدى عشر سنوات. أمَّا في طرابلس فقد كان التوطن أنجح وأبعد مدى، فقد تركز فيه أكثر من ثلثي مجموع الإيطاليين في ليبيا، وفي عام ١٩٣٩ بلغ إجمالي عدد الإيطاليين في ليبيا نحو (١١٠) آلاف أي ما يوازي ١٢٪ من إجمالي عدد السكان.[١٦٦]

لقد كانت ليبيا دوماً **عبئاً مالياً وخسارة مادّية** على إيطاليا، ومن ثمَّ فقد كان الاستعمار الإيطالي لليبيا، كمشروع استيطاني، قطعة من المضاربة الفاشلة ضدّ الطبيعة. ومعنى ذلك، كان الاستعمار الإيطالي لليبيا في جوهره قطعة من **الاستعمار الاستراتيجي**. فمنذ الوحدة تعيش إيطاليا في حلم الإمبراطورية الرومانية القديمة وتطمع في إحياء أمجادها، وقد كان ذلك من أهم دوافعها إلى الاستعمار.

وفي عصر **الاستعمار الحديث**، والمنافسات الإمبريالية المحمومة، كانت إيطاليا تجد نفسها بلا إمبراطورية، وليس أمامها إلا الفتات، بل هي حبيسة البحر الأبيض بدلاً من أن تكون وريثته. وفي عهد **الفاشية** اتسعت أحلام إيطاليا إلى إمبراطورية عظمى "إفريقية" "إسلامية" تبدأ من تونس وليبيا فلا تنتهي إلا في الصومال واليمن.

ومن الضروري أن ندرك أنَّ **إيطاليا الفاشية**، في فترة لمعانها وتوهّجها قبل الحرب العالمية الثانية، نجحت فعلاً في أن تبدوَ قوة عظمى تهدّد القوى القديمة،

---

١٦٦ المصدر نفسه، ص ٤٢.

ونجحت تماماً في بث الخوف والذعر في بريطانيا وفرنسا، إلى الحدّ الذي تراجعتا فيه أمامها وسلّمتا لها بكثيرٍ من ادّعاءاتها، وأطماعها وساومتا عليها بسياسة تهدئة متهافتة وفي ضعفٍ واضح، الأمر الذي جعلها تمضي قدماً في خطتها الإمبراطورية المزعومة.

وخلاصة القول أنّ الاستعمار الإيطالي لليبيا كان **استعماراً استراتيجياً** بالدرجة الأولى، استعمار مواقع وقواعد عسكرية، وموقع جغرافي لا موقع عمراني. ولكن كما كان الاستعمار الإيطالي الاستيطاني لليبيا **انحرافة جغرافية**، فقد كان استعماره الاستراتيجي كذلك **خطأً تاريخياً**. فلقد كان مشروع الإمبراطورية الإيطالية الخيالي يمتّ إلى منطق الماضي أكثر منه إلى حقائق الحاضر والعصر، إذ تبدَّد المشروع برمَّته بصورة ساخرة حقاً أثناء الحرب العالمية الثانية حين انكشف عجز إيطاليا وخواؤها الشديد، **ومع ذلك فقد قيّض لهذه التجربة الإيطالية أن تثبت على الأقل قيمة ليبيا البالغة كموقع استراتيجيٍّ دقيق وكمنطقة حربية هامَّة.**[١٦٧]



يخلص الأستاذ **جمال حمدان** في كتابه القيِّم "الجمهورية العربية الليبية – دراسة في الجغرافيا السياسية" إلى **عددٍ من الخلاصات** العامَّة بشأن الاستعمار الإيطالي في ليبيا:

- فليبيا تُعدُّ من آخر بلدان العالم العربي سقوطاً في يد الاستعمار الغربي: (آخر بداية)
- وليبيا كانت أيضاً من أسبق الدول العربية، فضلاً عن الإفريقية، حصولاً على الاستقلال: (أوّل نهاية)
- وترتيباً على ما سبق، جاء عمر الاستعمار في ليبيا من أقصر ما عرف في العالم العربي.

وفي هذا كله تبدو ليبيا لا شك **أسعد حظاً** – في معنى – من كثير من غيرها من الدول الأخرى العربية وغير العربية. ولكنَّها من الناحية الأخرى كانت بلا

١٦٧ المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٦.

شـك **أسـوأ حظاً** من آخرين كُثر، من حيث أنّها **تلقت ضربة الاسـتعمار في أشـدّ صورها ضراوة ووحشـية**. فمأساة ليبيا أنّها، رغم قصر الاستعمار فيها، هي التي تحمَّلت ضراوة **الفاشية** لأوّل مرّة في تاريخ الاستعمار الحديث.

فحـين كانـت **لألمانيـا** – مثـلاً – مسـتعمرات، لم تكـن تعـرف **النازيـة** بعد، وحـين ظهـرت **النازية** لم يكن لها مسـتعمرات. ومن قبل كان اسـتغلال خيرات الإمبراطوريـة الشاسـعة قـد أغنى بريطانيا وفرنسـا عـن الديكتاتوريـة المباشرة وأتـاح لهما قنـاع الديمقراطيـة. أمَّا في **إيطاليا**، فقد اجتمع **الاسـتعمار والفاشـية، الإمبرياليـة والديكتاتوريـة، وفي ليبيـا الإيطاليـة اجتمعـت كلهـا لأوّل مـرّة مع الاستعمار الاستراتيجي والاستيطاني.**

ولهـذا كانت مأسـاة ليبيا لا تقارَن إلا بمأسـاة الجزائر تقريباً مـن قبل، وربَّما فلسطين من بعد. وهذا وحده يفسّر لِمَ كانت ليبيا من الدول القليلة التي تعرّضت لتناقصٍ سكانيٍّ خطير في ظل الاستعمار.[١٦٨]

---

١٦٨ المصدر نفسه، ص ٤٩–٥٠.







الفصل الثاني

مقاومة .. وملحمة جهادٍ خالدة






نسخة إلكترونية



مباحث الفصل الثاني

- ❊ **تمهيد**
- ❊ **حقبة الجهاد الأولى**
  (١٩١١-١٩١٧)
- ❊ **حقبة الهدنة والاتفاقات مع الطليان**
  (١٩١٧-١٩٢٣)
- ❊ **حقبة الجهاد الثانية**
  (١٩٢٣-١٩٣٢)









تمهيـد

في شـهر أغسـطس/ آب ١٩١١، بعـد أن كان البرلمـان الإيطـالي قـد وافق خلال شـهر يونيو/ حزيران من العام نفسـه على احتلال ليبيا، قام رئيس الوزراء **(جيوفاني جيوليتي)**[1] باسـتدعاء القائد العام للجيـش الإيطالي الجنرال **(بولليّو)** Pollio وكلفـه بدراسـة قضيّة احتلال ليبيـا، وتقدير العدد المطلـوب من الجنود لتنفيذ هذه العملية وأوصاه أن يقدِّر ذلك بشي من التوسّع.

وقـد حمـل الجنرال (بولليـو) إلى رئيس الوزراء الإيطالي نتائج دراسـته التي رأى على أساسها أن حملةً تتكوّن من عشرين **ألف جندي** كافية لتنفيذ الاحتلال، غـير أنّ الأخـير طلـب منه، من باب الاحتيـاط، زيادة العـدد إلى الضعف أي ما يقارب أربعين ألف جندي.[2]



وعندمـا تحرّكـت القوات الإيطالية الغازية في أواخر شـهر سـبتمبر/ أيلول ١٩١١صوب الشـواطئ الليبيّة بقيادة الجنرال **(كارلو كانيفا)** تصوّر قادة إيطاليا العسـكريون والسياسـيون أنّ الأمـر لا يعـدو أن يكـون "**نزهة بحريـة ومغامرة جميلـة**"،[3] وأنَّ عمليـة الاحـتـلال لن تسـتغرق أكثر من **خمسـة عشر يومـاً**، وعلى الأسـوأ ووفقاً لتقديرات القائد البريطاني **(كيتشـنر)** فلن تتجاوز هذه المدّة **ثلاثة أشـهر** بحال من الأحوال[4]. وكان الجنود الإيطاليون الغزاة يردّدون نشيداً تقول كلماته:

"أمَّاه صلي ولا تبكي .. بل اضحكي وتأمَّلي ..

---

١ ولِد جيوفاني جيوليتي سنة ١٨٤٢ وتوفي سنة ١٩٢٨. وقد تولى رئاسة الوزارة خمس مرات كان آخرها خلال الفترة ١٩٢٠-١٩٢١، ورغـم أنّه كان ذا نزعة ليبرالية تقدمية فقد كان صاحب ميولٍ اسـتعمارية مبكرة. التليسي، المصدر نفسه، ص ١٩-٢٠.

٢ زيد عدد قوات هذه الحملة في مرحلة تالية من الحرب إلى **ثمانين ألف** جندي. التليسي، المصدر نفسه، ص ٣٢و٦٩؛ راجـع أيضـاً الوثيقة رقـم (٦١) من كتاب **الوثائق الأمريكية- المجموعة الثانية**، "سلسـلة الوثائـق التاريخية (٥)"، ترجمة شـمس الدين عـرابي بن عمران (طرابلس: مركز دراسـات جهاد الليبيين ضدَّ الغـزو الإيطالي، ١٩٨٩) ص ١٠٦.

٣ التليسي، المصدر نفسه، ص ٣٢.

٤ الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا**، ج٢ ص ١٩٢.



ألا تعلمين أنَّ إيطاليا تدعوني .. وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً
لأبذل دمي في سبيل سحق الأمَّة الملعونة ولأقاتل الديانة الإسلامية.

سأقاتل بكل قوّتي لمحو القرآن ..
ليس للمجد من لم يمت لإيطاليا ..

تحمَّسي أيّتها الأمّ .. وإن سألكِ أحدٌ عن عدم حدادكِ عليّ
فأجيبيه، مات في سبيل محاربة الإسلام".[٥]

في هـذه الأثناء كانـت عاصمة **الدولة العثمانية** ذاتها أسـيرة مؤامـرةٍ يقودها **جماعـة حـزب الاتحـاد والترقّـي**، ومـن ورائهـم اليهـود والمحافل الماسـونية من الداخل، وتُحرّكها الدول الأوروبية بأطماعها ودسائسها من الخارج.

أمّـا داخـل ليبيـا ذاتهـا فقـد كانـت البـلاد دون وال بعد أن جرى سـحب الـوالي **إبراهيم باشـا** تحـت ضغط وإلحاح وتهديـد إيطاليا. ولم تكن البـلاد مهيَّأةً لا عسـكرياً [٦] ولا سياسـياً لمواجهـة ذلـك الغـزو والتصدّي لـه. وكانت معظم **القيـادات والزعامات السياسـية الوطنيـة** حتى يومذاك لا تفكر بطريقةٍ مسـتقلةٍ أو منفصلـة عن الدولة العثمانية، وكانت تدين بالولاء الكامل للسـلطان العثماني بحكم أنّ ليبيا كانت حينذاك ولاية عثمانية.

وفضلاً عن ذلك، كانت **الحركة السنوسية** التي كان تولّى قيادتها السيد **أحمد الشريف** السنوسي في عام ١٩٠٢ منهمكة ومشغولة بمحاربة الفرنسيين في **تشاد** منذ سنواتٍ عديدة.

ورغـم ذلـك فسرعان مـا تمكّن الليبيـون، في ظل قيـادة الحركة السنوسـية وعـددٍ من القيادات الوطنية والقبلية في شـتى أنحاء ليبيـا ودواخلها، من تجميع وحشد صفوفهم، والتصدّي للغزاة الطليان وعرقلة احتلالهم لكامل البلاد عدّة سنواتٍ، وتكبيدهم الخسائر الفادحة في الأرواح والمعدّات.

وإذا كان **الصلـح** الذي أبرمه **الباب العـالي** مع الحكومة الإيطالية (أكتوبر/

---

٥ محمود عامر، **تاريخ ليبيا المعاصر**، (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩١)، ص ٤٧.
٦ أشرنا فيما سبق إلى حجم القوات التركية في ليبيا يومذاك.

تشرين الأول ١٩١٢) قد وضع حدّاً للقتال بين إيطاليا وتركيا قبل مضي سنة على مهاجمة إيطاليا لليبيا، إلا أنّه لم يضع حداً للحرب الإيطالية مع الليبيّين. فقد كان على إيطاليا أن تواجه حرباً استعماريةً طويلة مع أهل البلاد قبل أن تقدر على الادّعاء بأنَّها أخضعتها لسيادتها.[7]

وعلى عكس ما توقَّع صانعو القرار السياسي الإيطالي لاحتلال ليبيا، **استمرّت حركة المقاومة والجهاد الليبي ضدَّ الطليان نحو عشرين عاماً**، أي كانت من أطول حركات مقاومة الاستعمار في إفريقيا في تلك الفترة.[8] وكانت مقاومة عنيدةً ومديدة.

وقد شهد التراب الليبي مئات **المعارك** التي خاضها المجاهدون الليبيّون ضدَّ الغزاة الطليان إلى درجةٍ يمكن القول معها بأنَّه لا توجد قطعة من تراب ليبيا لم تروها دماء أبنائها، كما برزت أسماء آلاف المجاهدين والقادة الأبطال الذين خاضوا غمار هذه المعارك إلى درجةٍ يستحيل معها الإشارة إلى بلدةٍ أو مدينةٍ أو قريةٍ أو قبيلةٍ في ليبيا لم تقدّم من أبنائها مجاهدين وشهداء في هذه المعارك.[9]



وقد قدِّر **عدد المجاهدين** في عام ١٩١٣ نحو (٣١,٠٠٠) مجاهدٍ شكّلت القوات السنوسية منها نحو (١٦,٠٠٠) مجاهدٍ على حين بلغ عدد المجاهدين في المنطقة الغربية نحو (١٥,٠٠٠) مجاهد.[10] وتكفي الإشارة في هذا الشأن إلى ما ذكره الجنرال غراتسياني في كتابه "**برقة الهادئة**" من أنّه خلال الأشهر الثمانية عشر التي انتهت بأسر عمر المختار في ١١/ ٩/ ١٩٣١ كان في برقة ثمّة ثلاث وخمسون معركة، ومائتان وعشر من المناوشات،[11] وأنَّه تمَّ إلقاء القبض على شيخ المجاهدين **عمر المختار** خلال معركةٍ هي الخمسون خلال الفترة

---

٧ خدوري، ص ٢٣.
٨ حميدة، ص ١٦٤.
٩ لا يتَّسع مجال هذا الكتاب لسرد أسماء المعارك والمجاهدين والشهداء في حركة الجهاد الليبي ضدّ الاحتلال الإيطالي. ويمكن في هذا الشأن مراجعة كتاب الأستاذ خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١**.
١٠ حميدة، ص ١٦٥.
١١ زيادة، المصدر نفسه، ص ١٠٨.
١٢ رفعت عبد العزيز سيد أحمد، **عمر المختار من خلال الوثائق الإيطالية**، "سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط (٤٣)" (القاهرة: جامعة عين شمس، ١٩٧٨).

المذكورة[١٢] "على الرغم من أنَّه لم يبقَ هناك من المجاهدين في الميدان أكثر من ألف مقاتل في وقتٍ واحد، ولم يكن ما بحوزتهم من البنادق يزيد عن ألفي بندقية على حين بلغ عدد القوات الإيطالية في برقة وحدها يومذاك أكثر من (٢٠) ألف جندي".[١٣]

ونحسب أنّ الاستشهادات التالية سوف تعطي القارئ فكرة ولو موجزة عن بعض **صوَر المقاومة والبطولة** التي سطرها المجاهدون الليبيّون في تلك المعارك..

يقول القائد التركي **أنور باشا**[١٤] في مذكراته:

"القبائل العربية (الليبيّة) ترسل لي مقاتليها ويأتون على شكل جماعاتٍ صغيرة، كل واحد يحمل سلاحاً قديماً على كتفه، رابطاً رصاصاته في حزامه، وفي يديه بضع كيلواتٍ من الدقيق، وبين القادمين مسنُّون بيض اللحى، وصبيان لم يبلغوا سنَّ الخامسة عشرة. إنّ أعمارهم لا تمنعهم من مواجهة الموت مع رفاقهم جنباً إلى جنب، لهم إيمان راسخ بأنَّ أقدارهم مرسومة بإرادة الله، فمهما يكن لن تتغيَّر، فإذا حان الأجل لن يتخلص منه أيّ مخلوق، ولهم قول مأثور رائع (إذا أراد الله، فلا مناص من الشهادة، فالشجاع يموت مرَّةً واحدة، أمَّا الجبان فيموت كل يوم مائة مرَّة)".

أمّا عن **تشكيلات المجاهدين ودور المرأة الليبية** فيقول أنور باشا:

"وعلى الأغلب يكون هناك جمل واحد من نصيب كل عشرة مقاتلين، وعليه يحملون الخيمة التي يشتركون فيها، وترافقهم امرأتان من العشيرة تعملان على إعداد الخبز وخياطة الملابس وتنظيف السلاح".

---

١٣ زيادة، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

١٤ الرائد أنور بك (باشا فيما بعد) أرسلت به الدولة العثمانية على رأس عددٍ من ضباطها الأتراك والعرب (كان من بينهم مصطفى كمال وفتحي أوغيار وخليل بك وفؤاد يولجاقاش وجعفر العسكري وعزيز علي المصري وأدهم باشا الحلبي) في بداية الغزو الإيطالي لليبيا لقيادة عمليات المجاهدين الليبيّين في شرق ليبيا، وكان على اتصالٍ بالسيد أحمد الشريف، كما أسهم في تدريب الكثيرين من أبناء برقة على استخدام السلاح، غادر ليبيا بعد توقيع معاهدة (أوشي في لوزان) في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٢، انظر: زيادة، المصدر نفسه، ص ٨٠–٨٣؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٨٠– ١٨١.

ثمّ يعبِّر عن تأثره بالمجاهدين الليبيّين فيقول عنهم:

"**مثال رائع وفريد للتفاني بدون قيدٍ أو شرط** .. لقد تلاشـت ذكرياتي عن حياتي الماضية وأصبحت في طيِّ النسيان، وأصبحت أشـعر كأنَّني لم أعاشر أحداً غير العرب، ولم أشاهد مكاناً غير الصحراء، رغم ما أقضيه من أيام محرومةٍ من كل شيء، فإنَّ هذه الحياة تولد لدي أحاسيس غريبة، هـذه الحياة تتخللها حوادث تسعدني كسعادة الطفل في العيد ..".

"**إننـي أشـعر بالفخر لكوني قائـداً لمثل هـؤلاء الرجال**، ولأنَّنـي أحارب معهم في صفٍّ واحد ... إنَّهم شـجعان ومسـتمرّون في تأدية واجباتهم .. هناك عائلة لم يبـقَ مـن أفرادها غير الأب، **قتِل أولاده الأحـد عشر وصهره** .. عندما قدَّمت لـه التعازي قال لي: إنّني فخور وسـعيد لأنَّهم قتلـوا في المعركة من **أجل الوطن والدين**".[١٥]



أمَّـا الضابط العثـماني **أمين بك** الذي لم يكن قد تجـاوز عمره ثلاثة وعشرين عامـاً فإنّـه يـروي في رسـائله إلى زوجتـه بعضـاً ممَّا رآه بـين المجاهديـن في ليبيا. ويتحدّث في إحدى رسـائله عن الشـيخ **لطيف بن طويلة** الـذي وصفه بأنّه كان خطيبـاً بارعـاً ومجاهدا قتِـل أولاده في مدينة طـبرق في مواجهةٍ مـع الطليان، كما أشار إلى بعض ما كان يورده في **خطبه مع المجاهدين** على النحو التالي:

"**.. كان يؤكـــد بإلحـاح بـأنّ الحرب ليسـت سياسـية بقـدر ما هـي دينـية، وفي هــذه الحـرب لا تواجه أمـم بـــعضها البـــعض، وإنّما هي أديـــان تجابه أديـــانـاً، وأنَّ العـــرب يجـــب ألاّ يدافـــعوا عن أرضهم فحســب ولكن أيضاً عن عقـــيدتهم وتقاليدهم** ..".

ثمَّ ينسب **أمين بك إلى الشيخ بن طويلة** أنّه أقسم على القتال حتى لا يبقى في ليبيا أيّ إيطالي أو أوروبي قائلا:

"يا إلهي إنَّنا نتعرَّض للغزو من جانب أهل الظلم والغي فلنشرب كأس الانتقام ببطء حتى نطفئ غليل ظمئنا .. أيّها المسـكين، أيّها المسـكين إنَّه من الأفضل لك

---

١٥ أورخـان قـول أوغلو، **مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا**، "سلسـلة المذكـرات التاريخية"، ترجمة وجدي كوك، مراجعة الدكتور عماد حاتم (طرابلس: مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، ١٩٧٩) ص ٦٠-٩٤.



أن تسكن خيمةً ممزَّقةً حيث يسود الإيمان من أن تقطن قصراً تحرسه أسلحة الشيطان .. إنَّ حِيَل الشيطان ضعيفة، هذا ما يعلمنا إيَّاه القرآن الكريم .."."

"إنّني أريد **شهداءً وليس جنوداً**، إنَّ الخطر والموت في انتظارنا، إنّني أريد مذنبين ولا أريد أولياء، فالرجل النقي نقاوة البحر لن يكون محبوباً، وإذا كنتم مذنبين فلتذهبوا معي وتقاتلوا، ولتخلصوا أنفسكم من الذنوب، إنّنا ثوّار ويجب أن نكون كذلك .. إذا ما قام العدوّ على العبث بما أوصانا الله به فإنّنا ندين بالولاء لله وليس للدولة، ولا تقعدوا طويلاً مع القاعدين، ولتأتوا إليَّ إنّ الله سريع الحساب، وأكرّر قولي لكم إنَّ عشرة من المؤمنين سيغلبون مائةً من الكفَّار.."."

ويذكر الضابط العثماني **أمين بك** في رسالةٍ أخرى إلى زوجته **(غولدانا)**، مؤرَّخةً في ٢٢ سبتمبر/ أيلول ١٩١٢، أنَّ الشيخ بن طويلة وثلاثة من أبنائه المتمرّسين على حمل السلاح قد لقوا الشهادة على مقربةٍ من مدينة **طبرق**، ثمَّ ينقل إليها فقراتٍ من إحدى خطب **الشيخ بن طويلة** التي ألقاها واصفاً إيَّاه بأنَّه كان مثل أسدٍ تلحَّف بجلد جمل:

"أيُّها المقاتلون في سبيل الرَّحمن الواحد الأحد لا تحتاجون الآن إلى السلاح، وإذا اعتقدتم أنَّكم تحقّقون الفتح فلتبقوا حيث أنتم، إنَّ هذه الحرب ليست حربكم، وإذا ما كنتم تبغون طرد الإيطاليين فقط فلتذهبوا إلى بيوتكم، إنّما يتوجَّب عليكم طرد الشيطان ودولته من بلادنا، **وأن تعيدوها إلى رحمة الله الواحد القهَّار**.."."

"ولكن لا يجدر بكم أن تتوقعوا ليالي ملاحاً وأياماً لطيفة، إنّكم الآن خَدَم عقيدتنا، إنَّها نار حامية في النّهار، ومسيرات طويلة في الليل، إنَّه الجوع والعطش، كل هذا ينتظركم، على أنّ المجد والشرف ينتظرانكم أيضاً، فلتودِّعوا خيمتكم، وإذا ما أراد الله فلن تروا ذويكم ثانية .. ولا تخافوا شيئاً .."."

"إنّ المعركة حسب مشيئة الله، إنّها ستغسل ذنوبكم بالدّم، وإذا ما وضِعت الشهادة يوم الحساب سيُنظر إلى ما قمتم به من أعمال، عندئذٍ ستكون الجنَّة بانتظاركم .. فلتأتوا معي باسم الله .."."

ثمَّ يذكر الضابط في رسالته أنّ وقع صوت الشيخ في نهاية الخطبة كان مثل وقع بوق النفير للحرب، لقد كانت عيون ألفٍ من المجاهدين العرب تتوقد حماساً وهي تنظر إليه وقد وقفوا جميعاً في صفِّ الجهاد، ثمَّ يقول عن هؤلاء المجاهدين:

"إنَّ جرأة هؤلاء الناس لا يُعلى عليها، وأمَّا دوافعهم إلى الاستهانة بالموت فهي ذات أساس فلسفي: **أرغب أن أموت في الحرب شابّاً على أن أموت على فراشي شيخاً، فما من مجدٍ في الموت الناجم عن مرض الشيخوخة**.."[١٦]

ويصف **جورج ريمون** المراسل الحربي لمجلة "الليبراسيون" الباريسية الأحوال في معسكرات المجاهدين خلال ربيع سنة ١٩١٢:

"هاأنذا أخيراً في مواجهة **بنغازي** التي وصلتها سالماً بعد رحلتي الطويلة عبر صحراء **سرت** شبه الخالية، وذلك بالرغم من تحذيرات المتشائمين من أصدقائي في فرنسا. ومنذ وصولي تمكنت من تفقّد المعسكر الكبير الذي يعجّ بالمجاهدين وقد قمت بجولةٍ فيه بمعيّة آمر الجيوش. ويُطل المعسكر على المدينة على بعد أقل من عشرين كيلومتراً منها. وليس هناك موقف أفضل من هذا الموقف ملاءمةً للقذف المدفعي للقوات الإيطالية وتحريك جيوشها والدخول في معركةٍ كبيرة. ومع ذلك فإنَّ الإيطاليين لا يكادون يحرّكون ساكناً، وكل همّهم هو حشد المزيد من قواتهم ودعم تحصيناتهم القوية أصلاً.

إنّه لأمر غريب حقاً لم أكن أصدّقه أنا نفسي لو لم أشهده بعيني، ويستحيل أن يصدّقه أحد في أوروبا ... غريب أن تتمركز قوات إيطاليا البالغ عددها ٥٠ ألف جندي خلف تحصيناتها عاجزةً عن مجابهة الليبيّين الأقل منها عدداً وتنظيماً وتسليحاً، وذلك في حين أنَّ هؤلاء الليبيّين لهم من الشجاعة ما يدفعهم إلى اقتحام خنادق عدوّهم وتحصيناته كل ليلة حيث يقتلون الحراس ويستولون على البنادق والآليات ويخرجون ويعطبون النقاط التليفونية التي يعودون بأسلاكها. ومهما تدّعي إيطاليا وتبثّ دعاياتٍ كاذبةً داخل أوروبا حول انتصاراتها المزعومة فإنّ الشيء المؤكد هو أنّ المعارك والاشتباكات تقع كل ليلةٍ

١٦ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٨٤-١٨٦.

داخل تحصيناتهم وأنَّ الرعاة الليبيّين هنا ما يزالون يسرحون بقطعانهم متوغّلين بها إلى مسافة بضع مئاتٍ من الأمتار فقط من التحصينات الإيطالية دون خوفٍ أو وجل".

ويضيف الصحفي الفرنسي:

"وفي اليوم التالي شاهدت **طائرة** إيطالية تحلّق فوق المعسكر ثمَّ تلقي القنابل التي قتلت وجرحت عدداً من الناس. وكان المجاهدون يتابعون الطائرة في الجو. غير أنَّ الطيَّارين الطليان لم يكتفوا بإلقاء القنابل بل كانوا (يقاتلون) بالمنشورات أيضاً فقد كانوا يبذرونها في الجوِّ بعد وابل قنابلهم. فيا له من حصادٍ أدبي ذلك الذي تجود به طائراتهم. فمنشوراتهم الدعائية كانت مليئةً بالآيات القرآنية وأبيات الشعر العربية التي كانوا يستشهدون بها نفاقاً وتمويهاً. اطَّلعت على عيّناتٍ من تلك المنشورات فوجدتها مليئةً بالوعود الكاذبة الخادعة".

ويتابع **شاهد العيان الفرنسي** قوله:

"إنَّ ما يدهشني كمراقبٍ محايد هو أنَّ الطليان قد ألقوا في هذه الحرب بكل ثقلهم وحشدوا لها كلّ ما شحنوه معهم من آلياتٍ هائلة وما جاءوا به من القطع البحرية والطرادات الحربية ومن الطائرات وما استعانوا به من أجهزة الإضاءة الكاشفة، فإنّ هؤلاء يرون في الطليان واستعداداتهم الهائلة شياطين يملكون جحيماً من الحديد والنار. ومع ذلك لم يستطيعوا إلقاء الرعب في نفوس الليبيّين العزَّل الذين يؤمنون في قرارة أنفسهم بأنّ الله لن يتخلى عنهم، وأنّه سينصرهم في النهاية على أعدائهم فيشتِّت شملهم وينصر عباده المؤمنين. هذه فلسفتهم وهذه نظرتهم إلى القضية وهذا أمر طبيعي في بلدٍ كليبيا، حيث يرجع الناس هنا كل شيءٍ إلى المعجزات الإلهية. وما زلت أذكر ما قاله لي أحد الليبيّين ذات مرّة:

(إنّ الأوروبيين شبيهون بنساءٍ ماكراتٍ في مستطاعهنَّ حَبْك الخدع البارعة. ولكن هل المكر والخداع من شِيَم الرجال؟).

كان يوم أمس هو عيد الفصح عندنا في فرنسا وقد قضيت جزءاً منه في التطلع بإعجابٍ لم يمكنّي إخفاؤه إلى تلك الطائرات التي أعتبرها أروع ما ابتكرته

أوروبـا حتى الآن. أمَّا الليبيّون فقـد كانوا ينظرون إليها ويرقبونها في هدوءٍ ولا مبالاة ساخرين وليس لهم من تعليق إلا هذه الكلمة الهازئة: طير ... طير وذلك دون أن يعلـو وجوههم أيّ تعبير بالدهشـة ثمَّ يسـارعون فيطلقـون في اتجاهها عياراتهم النارية.

ومـن حيـث إنّي أوروبي فإنَّـه ليـس لي إلا أن أعتـبر الإيطاليين إخـوة لي، ولكن بالرغم من ذلك فلا يسـعني إلا أن أقرَّ هؤلاء الليبيّين في اسـتخفافهم بطائرات إيطاليا التي عجزت عن مجابهتهم والالتحام معهم وجهاً لوجه".

ويستطرد **المراسل الفرنسي** منفعلاً:

"لقد شـاهدت الليبيّين يهاجمـون أعداءهم داخل تحصيناتهم المنيعة وهم شـبه عراة يفتقرون إلى أسباب النعيم الذي يتوفّر لغيرهم. ومع ذلك فإنَّهم لا يكلّون ولا يتعبون وهم قادرون على تحمّل الجوع والعطش طويلاً فيصومون يومين أو ثلاثة لا يتذوّقون قوتاً. ولكنَّهم قنّاصة ممتازون يحسنون إصابة الهدف ولا تضل رصاصاتهم طريقها إلى صدور الأعداء. إنَّ هؤلاء الفقراء المجاهدين لا يربطهم بنعيم الدنيا رابط ولذا فإنّهم يرون في هذه الحرب فرصةً سـانحةً للخلاص من الحياة الدنيوية القاسية المرّة بالاستشهاد والموت ميتة مجيدة تفضي بهم إلى سعادةٍ أبدية".




ويقول **جورج ريمون**:

"تقـوم اليوم قـرب مدينة **بنغازي** مدينة أخرى قوامها الخيـام الرابضة على بعد ١٢ كلم منها. ومن الصعب تقدير عدد سـكان هذه المدينة المبنية من الخيام، إلا أنَّه بإمكاني التأكيد بأنّهم لا يقلون بأيّة حالٍ من الأحوال عن ٨٠ ألف نسمة، بل ربّـما أكثر من ذلك، وهو عدد يزداد كل يوم وقد حطَّ بها المجاهدون بعائلاتهم. فخيامهـم تعـجُّ أيضاً بالشـيوخ الطاعنين في السـنِّ وبالنسـاء والأطفـال الذين غالبـاً ما يتبعون المجاهدين في معاركهم لإثارة حميّتهم وتشـجيعهم ولإسـعاف جرحاهم ونقل شهدائهم.

وقـد انتظمت الحياة في هذا المعسـكر بشـكلٍ طبيعـي، فالقوافل تصـل إليه كل

يوم مشحونة بالمؤن والعتاد ويرى المرء، على أنغام الموسيقى العسكرية، **تلك القبائل التي كانت الحزازات تفرّق بينها في الماضي قد اصطلحت الآن وتآخت أمام العدوّ المشترك**. ويشهد المراقب انضمام المجاهدين كل يوم، وانخراطهم في صفوفهم المحاربة. كما يشهد المراقب أيضاً حفلات الزواج والأعراس التي تتمّ في جوٍّ تقليديٍّ كالعادة في أيّام السلم. كذلك الاحتفالات والمواسم والأعياد ما تزال مراسيمها تقام كما لو أنَّ شيئاً لم يحدث، فلقد تعوّد الليبيّون على هذه الحرب. فهل يأمل الإيطاليون أن تنحل عرى هذه القوى المعتصمة بحبل الجهاد ثمَّ تنفصم وتتفتَّت من تلقاء نفسها؟ وهل يظنّون أنَّ هؤلاء الليبيّين الذين اعتقد الطليان أنّهم قوم متقلبون لا يتحلون بالصبر والصمود سيملون من طول الانتظار أمام تحصينات العدوّ، فتثبط عزائمهم ويقرّرون العودة قريباً إلى فلاحة أراضيهم وزراعة حقولهم، أو تحل الفرقة والشقاق بين صفوفهم المتراصَّة عن طريق استدراج بعضهم بالمال والوعود المعسولة؟ لست أعتقد أنَّ شيئاً من ذلك سيحدث".

ويختتم **المراسل الفرنسي الحربي** بالقول:

"لقد بذلت إيطاليا جهوداً كبيرة لاستمالة الناس ولكن محاولاتها ذهبت أدراج الرياح لأنّ السكان وضعوا أنفسهم منذ بداية الغزو جنداً للدفاع عن ديارهم".[١٧]

كما ينقل الأستاذ **محمد عبد الرازق منّاع** في كتابه "**أحمد الشريف: حياته وجهاده**" عن مراسل صحيفة (**الليبراسيون**) الفرنسية وصفاً للمجاهدين الليبيين جاء فيه:

"إنَّه لم يرَ قوماً لهم شغف بالموت مثل هؤلاء .. فإذا سمعوا نداء الحرب هرعوا إليها كالسّيل من كل مكان، فالحرب عندهم لذَّة لا تتصوّرها عقولنا".[١٨]

وفي أوّل نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١١ نشر أحد **العسكريين الفرنسيين**

---

١٧ نقلاً عن محمد عبد الرزاق مناع، **أحمد الشريف: حياته وجهاده**، (مؤسسة ناصر للثقافة، دار الوحدة لليبيا، ١٩٧٨) ص ٤٠-٤٤.

١٨ المصدر نفسه، ص ٤٧

مقالاً في صحيفة *Pseter-Iloyd* كان من بين ما ورد في عددٍ من فقراته:

"عندما نزلت قوات الحملة العسكرية إلى **طرابلس** في العاشر من أكتوبر، أعلنت جميع الصحف الإيطالية بأنّ اللفتنانت جنرال (**كانيفا**) كان مقتنعاً بضرورة القيام بمبادرةٍ سريعة من أجل القضاء على المقاومة بأكملها، ولذا شرع في خلال أسبوع من هبوط قواته إلى البرِّ في التقدّم نحو الدواخل. وأصبح الإيطاليون اليوم في وضع لا يمكنهم معه في الوقت الراهن أن يحلموا بالتقدّم جنوباً فجميع وحدات قواتهم، التي نزلت إلى اليابسة في طرابلس والخمس وبنغازي ودرنة وطبرق، ترابط في المواقع نفسها التي احتلتها حينذاك أي في المواقع الداخلة في نطاق مدى مدافع قطع الأسطول البحري الإيطالي. فأجنحة القوات الإيطالية التي تستند في كافّة المواقع على الساحل البحري تشكل مواقع أمامية في شبه نصف دائرة، وكل موقع من هذه المواقع والمنطقة البرّية المحيطة بها لا تبعد بصورةٍ عامّة عن الساحل بمسافةٍ تزيد عن مرمى بنادق الجنود النظاميين الأتراك والمسلحين من أبناء القبائل العربية الذين هم دائماً على أهبَّة الاستعداد لمهاجمة القوات الإيطالية. لقد اضطرَّ الإيطاليون بعد الهجوم الكبير الذي شنُّوه في ٢٥ أكتوبر/ تشرين الأول إلى الانسحاب إلى خطٍّ دفاعيّ بالقرب من المدينة، **وبرَّروا هذا الانسحاب بدعوى أنّ جثث القتلى من الأعداء الذين سقطوا في المعركة تلوّث الهواء، في حين أنَّ السبب الحقيقي للانسحاب لا يمكن أن يكون سوى اقتناعهم بعدم استطاعتهم الاحتفاظ بخطٍّ دفاعيٍّ طويل بالرغم من تعزيز منشآتهم الدفاعية وخنادقهم**، وبعدم إمكان حماية هذه المنشآت والخنادق ضدَّ هجمات العدو (المجاهدين) العنيفة المتكرّرة، خاصَّة في حالة صدور أوّل إطلاقةٍ منه أثناء مرور بعض المقاتلين العرب بمدينة طرابلس، إذ يكون باستطاعة هؤلاء المقاتلين مهاجمة الجنود الإيطاليين في الواحة من الخلف، ولا شك في أنّ التقهقر لا بدّ أن يؤثّر تأثيراً نفسياً سيئاً على جيشٍ غازٍ حُدِّدت لجنوده مواقعهم، وتتحتم تقوية عزائمهم والروح الهجومية فيهم باستمرار والقدرة على اكتساح كافَّة العقبات والتغلب عليها.

لا بدَّ من الاعتراف بأنَّ القائد العام للقوات الإيطالية الغازية كان ينوي منذ بداية الحملة التقدّم بالزحف بقواته بأكبر سرعة ممكنة، ذلك لأنّ هذه الخطة






تعد من الناحية العسكرية أفضل ما يجب أن يُطبَّق، لأنَّها لا تترك للقبائل العربية الوقت اللازم لاستنفار وحشد مقاتلين من مناطق متباعدة، كما أنَّها ستنزل بها ضرباتٍ متلاحقة قاصمة تثبط عزائمها وتحدث فيها الارتباك ...".

"... فَقَد الإيطاليون عنصر المفاجأة، وهو عنصر على جانبٍ من الأهمّية، وتمكن عدوُّهم (المجاهدون) من كسب الوقت ومن تعزيز قواته. لقد عرف الأتراك والعرب كيف يستغلون الوقت والظروف في كافّة ساحات القتال حتى أصبحوا في موقف المهاجم، وظلوا يصدّون قوات الغزو ويقحمونها في مواقف دفاعيةٍ حرجة للغاية. لقد كلفتهم العمليات الهجومية بطبيعة الحال خسائر كبيرة، ولكنّها لم تقتصر عليهم وحدهم بل أصاب الكثير منها الإيطاليين كذلك، وأبلغ شاهدٍ على ذلك **القوائم الرسمية للخسائر والإصابات والتي تنشر عادة في كل الحروب، ولكنها لم تعلن في إيطاليا**، ويُقتصر في هذا البلد على إشعار عائلات القتلى والجرحى مباشرة. تفيد الأخبار الواردة من (تارانتو) ومن (بريندسي) بأنّه وصل إلى هذين الميناءين ٦٠٠ جريح، وهناك أعداد من الجرحى الآخرين والقتلى بقوا في ساحات القتال ولم يمكن نقلهم، فتقدَّر خسائر الإيطاليين منذ بداية العمليات الحربية بما يتجاوز كثيراً **الألف** رجل، ويجب أن نلاحظ هنا بأنَّنا لا نزال في مستهل الحرب. **إنّه لمن العجيب حقاً أن يُرغم جيش مهاجم غاز على اتخاذ موقفٍ دفاعيّ**. لقد أخذت إيطاليا تستعجل أمر إعداد **حملةٍ عسكريةٍ ثانية** على جناح السرعة لإرسالها من أجل تعزيز الحملة الأولى، ويقال إنَّ عدد جنود الحملة الجديدة المنتظر وصولها إلى طرابلس قريباً يربو على **عشرة آلاف**، ومع هذا فإنّها لن تكفي لأخذ زمام المبادرة الهجومية من جديد، فينبغي ألاّ يحلم الإيطاليون بشيءٍ من هذا، إلا إذا بلغ عدد جيوشهم في طرابلس الغرب **مائة ألف جندي**، وبشرط أن يصلوا إلى هذا البلد بأسرع وقتٍ ممكن، فالأخبار الواردة من مصدر تركي يُعتدّ بأقواله تفيد بقرب استرجاع مدينة طرابلس، كما أنّ لهجة **البلاغات الإيطالية**، الصادرة في هذا الخصوص، قد تغيّرت وظلت تشير من طرفٍ خفيٍّ، وبأسلوبٍ تعلوه مسحة القلق، إلى أنّ الوضع على جانبٍ من الصعوبة والخطورة".[١٩]



١٩ انظر: الوثائق الأمريكية- المجموعة الثانية، الوثيقة رقم (٦٠)، ص ١٠٠-١٠٣.

كما ورد في مقال بصحيفة (**ليفانت هيرالد**) باستنبول، نقلاً عن مقال بعنوان "**طرابلس وما وراءها**" نشرته صحيفة *Spectetor* اللندنية يوم ٢١/ ١١/ ١٩١١، الفقرات التالية:

".. لقد برهن الأتراك وحلفاؤهم العرب (الليبيّون) على أنّهم ليسوا تافهين بأيِّ حالٍ من الأحوال، فلقد أظهروا حتى الآن صفاتٍ عسكريةً جيّدة، كما أنّهم أظهروا شجاعةً صمدوا بها في وجه قواتٍ جبَّارة..".

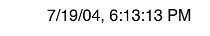
".. هناك على كل حال مخاطرة كبيرة، وإنَّ عدم تقديرها، وعدم تقدير ما يكتنف التقدّم إلى دواخل طرابلس، بالرغم من أنّ التقدّم يستجيب لما يختلج في أنفس الشعب الإيطالي، قد يؤدي إلى توريط إيطاليا في كارثة يجب أن نكون نحن أوَّل من يحزن لها ويرثى، لا لمجرّد أنّنا أبدينا الحرص الشديد على مصالح إيطاليا، وإنّما كذلك خوفاً من أن تنجرَّ عنها نتائج وانعكاسات لا حصر لها على العالم بأسره ..".

"وفي الأحوال كلها يبدو أنَّ الحكمة تفرض على الإيطاليين أن ينهجوا سياسةً أقل اندفاعاً وحماسة، وأن يتجنَّبوا التوغّل في دواخل البلاد بعيداً عن قواعدهم، ذلك أنّ تقهقراً واحداً يمنون به في هذه الدواخل، حيث تنعدم الطرق الصالحة للسيارات والعربات، وتمتدّ الغياض الرملية، **قد يلهب جذوة تعصّب أتباع محمد خارج طرابلس وفي أمصار بعيدة ويستحثّهم على الجهاد ضدَّ الإيطاليين والأوروبيين عامّة**، فالحرب الراهنة بالنسبة لهم إنّما هي بمثابة لعب أطفال، ولكن عندما يحتلون مواقعهم على الساحل سيكونون حلفاء أشدَّاء لعرب طرابلس وللأتراك. ولا ريب في أنَّ النفوذ الذي يتمتَّع به الضباط الأتراك، الذين نقدّر كفاءتهم ونعجب ببسالتهم، على رجال القبائل العربية **مستمدٌّ من وحدة الدين بينهم**".[٢٠]



ونشرت صحيفة "**الجورنال**" الفرنسية مقالاً بعث به مراسلها في استانبول المسيو (كريستيان هوشيل) من مقرِّ هيئة الأركان التركية ببلدة **العزيزية**، في منطقة طرابلس، بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩١١، وكان قد قدِم إليها عن طريق البرّ

٢٠ "الوثائق الأمريكية- المجموعة الثانية"، الوثيقة رقم (٦٢)، ص ١١٣-١١٤.



عبر الحدود التونسية في رحلةٍ استغرقت نحو ثمانية أيام مرَّ خلالها بقرى **رقدالين والعجيلات والزاوية**. وكان من بين ما ورد في ذلك المقال:

".. وعلى طول طريق الرحلة يلتزم العرب جانب الهدوء، وينصرفون، كعادتهم في الماضي، إلى خدمة حقولهم، ويبدو أنّهم لا يصدّقون بوقوع الغزو الإيطالي ..".

"وعندما تقودنا الطريق قريباً من الساحل، وتدنو بنا إلى البحر، نسمع قصف القنابل التي توجّهها المدافع الإيطالية ضدَّ المدن الساحلية الصغيرة. على أنّ هذا القصف المتكرّر لم يعد يرهب العرب، بل على العكس من ذلك، إذ **إنَّ هذه القنابل تثير بين الأهالي مشاعر الحماسة والفرح** في ظل الكثبان التي تقوم حاجزاً دفاعياً رملياً أمام جبهة القرى بأسرها ..".

"علمت في صباح اليوم التالي لسفري بأنَّ معركة دارت رحاها في (وادي المقارحة) شرقي (**عين زارة**) وبأنَّ (٢٥٠) عربياً أجبروا كتيبةً من الجنود الإيطاليين وكوكبةً من سلاح فرسانهم على التقهقر، تاركين وراءهم في ميدان المعركة (٥٠٠) قتيلاً ومدفعاً ..".

"وفي هذه الأثناء زرت **الزاوية**، ودهشت لما رأيته فيها وسمعت عنه، فقد علمت أنَّ بمخازنها ثلاثة آلاف بندقية إيطالية، ومئات من صناديق الذخيرة، غنمت جميعها من الإيطاليين، وقد أحدث غنم هذه الأسلحة من العدو أثراً كبيراً جداً بين القبائل، حتى إنَّ التجنيد بين رجالهم ظل قائماً على قدم وساق والإقبال كبيراً للغاية، فجميع الرجال اللائقين لحمل السلاح يطالبون بتزويدهم بالأسلحة، ولم يعودوا يشعرون باليأس وبعدم إمكانية هزيمة الإيطاليين ورميهم في البحر".

ويواصل **المراسل الفرنسي** مقالته قائلاً:

".. تصل التعزيزات المشكّلة من المتطوّعين العرب يومياً، تتقدّمهم الأعلام، و **جميعهم يُقسِمون بأنّهم يهبُّون للدفاع عن الإسلام. إنّهم مسلمون بواسل، يشعرون بالكرامة، وكلهم تصميم وإيمان ويتّقدون حماسة تكاد ترقى إلى**

مستوى الجنون. سلاحهم **بنادق إيطالية**، كما أنَّ معظم الحاجات التي تباع هنا إيطالية كذلك، فهناك قرب الماء الميدانية، وسروج الخيل كاملة العدّة، وبطانيات وألبسة ومعاطف وسكاكين وحراب ومعدّات طبّية جراحية وساعات، وكذلك أوراق نقدية إيطالية .. **وقد شاهدت امرأةً عربية تتمنطق بعلم إيطالي، وبالتحديد بعلم لواء المشاة الإيطالي الخمسين**".[21]

ومّما يُنسَب إلى الزعيم الإيطالي **موسوليني**[22] في وصف المجاهدين الليبيّين قوله:

"إنّنا لا نحارب ذئاباً كما يقول غراتسياني، بل نحارب **أسوداً** يدافعون بشجاعةٍ عن بلادهم .. إنَّ أمد الحرب سيكون طويلاً ..".[23]

ويمكن **إجمالاً** تقسيم حركة المقاومة والجهاد الليبي في مواجهة الغزو الإيطالي إلى **حقبتين رئيسيّتين**:



الحقبة الأولى وتمتدّ من بداية الغزو في أواخر عام ١٩١١ إلى عام ١٩١٧، وكان من أبرز معالمها معركة "**القرضابية**" بمنطقة سرت في ٢٨، ٢٩ إبريل/ نيسان ١٩١٥ التي ألحق خلالها المجاهدون الليبيّون (من برقة وطرابلس وفزان) بقيادة السيد **صفيّ الدين السنوسي** هزيمةً نكراء بالجيش الإيطالي.

الحقبة الثانية وتبدأ بصعود **الفاشيست** للحكم في إيطاليا وبداية سياستهم الدموية لاحتلال دواخل ليبيا بين عامي ١٩٢٣ و١٩٣١.[24] وتولى السيِّد **عمر المختار** قيادة

٢١ المصدر نفسه، الوثيقة رقم (٦٥)، ص ١٢٥-١٢٩.

٢٢ مؤسّس الحركة الفاشية ورئيس وزراء إيطاليا وديكتاتورها ١٩٢٢-١٩٤٥. وكان صعود الحزب الفاشيستي للحكم في روما إيذاناً ببدء سياسة أكثر دموية لاحتلال دواخل ليبيا، وذلك ما بين عامي ١٩٢٢و ١٩٣٢.

٢٣ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٧٠.

٢٤ اعتبرت الفاشية أنَّ استسلام ليبيا إحدى مهامها المقدّسة، وانكبَّ الجنرالان غراتسياني وبادوليو على تحقيق هذه المهمَّة التي لم تتحقق للإيطاليين إلا في سنة ١٩٣٢.

حركـة الجهـاد في برقة منذ عـام ١٩٢٣ كتائبٍ للوكيل العام للحركة السنوسـية السـيِّد محمـد إدريس المهدي السـنوسي، إلى أن سـقط أسـيراً في معركـةٍ بمنطقـة "**البطنان**" ناحية "**سلنطة**" يوم ١١/ ٩/ ١٩٣١.

أمَّـا الحقبة الفاصلة بين هاتين الحقبتين والواقعة بين عامي ١٩١٧ و١٩٢٣ فقد كانت فترة هدنة واتفاقات ومعاهدات ومبادرات سياسية.

حقبة الجهاد الأولى

(١٩١١-١٩١٧)

خلال الحقبة الأولى، نجد أنَّ حركة المقاومة والجهاد الليبي لصدِّ الغزو الإيطالي في كل من برقة وطرابلس وفزان اتخذت **مساراتٍ متباينة**، وإنْ لم تكن منفصلة عن بعضها عن بعض أو متعارضة. وقد تأثَّرت هذه المسارات بشكل أساسٍ ومباشر بمدى اهتمام **الدولة العثمانية** بكل منطقةٍ منها في المرحلة السابقةَ على الغزو، وبمدى درجة سيطرتها على الأوضاع الإدارية والسياسية داخلها، وكذلك بمدى درجة انتشار **الحركة السنوسية** بزواياها وتنظيماتها فيها عند وقوع ذلك الغزو.

(أ) الجهاد في برقة

في برقة، نجد أنَّ **الحركة السنوسية** قد هيَّأت لقبائلها التنظيم والاقتصاد والاندماج في الزوايا والتوحيد على امتداد نصف قرنٍ من التعليم والتسييس الحركي.[٢٥] كما حافظت قيادة الحركة السنوسية على علاقةٍ وطيدةٍ وطيّبة مع الدولة العثمانية، يطبعها الاحترام المتبادل، والولاء من جهة السنوسية للبيت العالي في استنبول، وبالتالي إضفاء الأخير درجةً من الاستقلالية على الحركة.



ومن ثمَّ، فإنَّنا، **من جهة**، نجد أن قائد الحركة السنوسية وزعيمها السيد **أحمد الشريف السنوسي** يسارع فور سماعه خبر غزو إيطاليا لطرابلس، وقصفها لبقية المدن الليبية، بإصدار أوامره وتعليماته المشدّدة من مقرِّ إقامته بواحة (الكفرة) إلى كافَّة شيوخ وعلماء ورؤساء الزوايا السنوسية بقيادة الجهاد ضدَّ الغزاة الطليان في كافّة الساحات، ويقول قولته المشهورة "**والله نحاربهم ولو وحدي بعصاتي هذه**".[٢٦]

وقد أعلن **السيد أحمد** عن موقفه في منتصف شهر ديسمبر/ كانون الأوّل

---

٢٥ حميدة، ص ١٥١.

٢٦ هويدي، ص ٢٣، وقد أورد المرجع نفسه أنَّ بعض سادة السنوسية وشيوخها كانوا يعتقدون أنهم لا يملكون المقدرة على مقاومة الغزو الإيطالي لأنهم كانوا متعبين ومرهقين من مقاومة الاستعمار الفرنسي في تشاد وما ترتَّب عليه.

١٩١١، وأصدر **نداءه** المشهور يحثُّ فيه كافَّة الليبيين على الجهاد ضدَّ المعتدين، كما أعلن نبأ اعتزامه النزول بنفسه إلى الميدان على رأس قوةٍ من المجاهدين، محذراً ومنذراً ومتبرّئاً من كل من يقصِّر أو يتقاعس أو يخون. كما قام بالانتقال مع عددٍ من أتباعه من **(الكفرة)** إلى **(الجغبوب)** في الشمال الشرقي من ليبيا (بالقرب من الحدود المصرية) حيث وصلها في منتصف شهر يونيو/ حزيران عام ١٩١٢. [٢٧]

ولم تقتصر **أوامر السيد أحمد** وتعليماته على أتباع الحركة السنوسية وقادتها في **برقة**، ولكنَّها شملت زعماءها وأتباعها في **طرابلس وفزان**، وكاتب في هذا الشأن زعماء القبائل المبرزين، كالشيخ **سيف النصر** زعيم قبائل **أولاد سليمان** وغيره.[٢٨] وأقام السنوسيون أربعة **معسكراتٍ** بالمنطقة الغربية لدعم حركة الجهاد بها.[٢٩] كما أعدَّ السيد أحمد **نجدةً** خاصّة لتعزيز قوات المجاهدين في **(العزيزية)** بإقليم طرابلس، ووصلت إليها في ٢٥/١٢/١٩١٢ مسلحةً بالبنادق والحراب والسيوف.[٣٠] كما استطاعت السنوسية أن تستقطب عدداً من **أتباعها من خارج ليبيا**، الذين خفوا من النيجر وتشاد والسودان لمؤازرة إخوانهم المجاهدين في ليبيا، وكان من بين هؤلاء من اشتهروا كقادةٍ مميّزين خلال العمليات الجهادية، من أمثال **قجَّة عبد الله التشادي وإبراهيم الشامي** من فلسطين.[٣١]

وقد سارع المجاهدون الليبيّون في برقة (وأغلبهم من أتباع الحركة السنوسية) إلى إقامة المعسكرات في شتى مناطقها، في **(بنينة)** بالقرب من بنغازي، وفي **(درنة)**، وفي **(الجبل الأخضر)**، وفي **(طبرق)**، وشارك مقاتلوها (مع الأتراك وبدونهم) في الدفاع عن المدن البرقاوية، وفي خوض عشرات المعارك ضدَّ الغزاة الطليان.

وكانت **علاقة السيد أحمد الشريف بأنور بك** (المسؤول العام عن الضباط الأتراك في ليبيا) علاقة قوية وقائمة على الاحترام والتفاهم. وكانت الرسائل لا تنقطع بينهما. وقد وجد موقف السيد أحمد تقديراً وقبولاً حسناً وارتياحاً لدى

---

٢٧ هويدي، ص ٢٤.
٢٨ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٢.
٢٩ المصدر نفسه، ص ١٥٢-١٥٣، وكان هذا الموقف من السيد أحمد على الرغم من أنَّ زعماء المنطقة الغربية ظلوا حريصين على استقلاليتهم ولا يريدون منذ ظهور الحركة السنوسية الانضواء تحت لوائها.
٣٠ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٤.
٣١ حميدة، ص ١٨٦.

العثمانيين، واعترف بذلك السلطان العثماني الذي أهدى السيد أحمد في شهر مارس/ آذار ١٩١٢ سيفاً ونيشاناً مرصّعاً بالجواهر والوسام العثماني تقديراً لدوره في مناصرة الدولة العثمانية.

وكان من الخطوات الجيدة التي قام بها **أنور بك** اختياره من بين المجاهدين **ثلاثمائة شابٍّ** من أبناء العائلات الكبيرة لشيوخ القبائل وتدريبهم في معسكره بمنطقة **(الظهر الأحمر)** التي تبعد عن درنة نحو عشرين كيلومتراً ناحية الجنوب الغربي، وأتت هذه الخطوة ثمارها حين تخرَّج هؤلاء الضباط واشتركوا في المعارك وأثبتوا قدرةً عسكريةً رائعة. وفي شهر يونيو/ حزيران ١٩١٢ اختار أنور بك (٣٦٥) شابّاً معظمهم من أبناء مشايخ القبائل وأرسلهم إلى استانبول ليتعلموا هناك، وقدِّر لبعض هؤلاء المشاركة في الجهاد مع السيد أحمد الشريف فيما بعد.[٣٢]

لقد تصدَّى المجاهدون الليبيّون والجنود الأتراك (المقيمون في الحاميات التركية في ليبيا) للغزو الإيطالي، وخاضوا ضدّه عدّة معاركٍ مبكرة قبل وصول أنور ورفاقه متسللين إلى برقة. وكان من بين هذه المعارك معركتا **طبرق** الأولى يوم ٤/ ١٠/ ١٩١١، والثانية يوم ٢٧/ ١٠/ ١٩١١، ومعارك **درنة** أيام ١٦ أكتوبر/ تشرين الأول، و١٦ و٢٤ نوفمبر/ تشرين الثاني، ويوم ٧/ ١٢/ ١٩١١، ويوم ٢٧/ ٢/ ١٩١٢. ومعركة "**جليانه**" ببنغازي يوم ١٩/ ١٠/ ١٩١١،[٣٣] وكذلك معارك "**الكويفية**" و"**السلاّوي**" و"**هوى الزردة**" و"**الفويهات**" و"**حلق الريح**" في منطقة بنغازي.[٣٤]

ومنذ **مجيء أنور بك** وبقية الضباط العرب والأتراك واستلامهم للقيادة العامَّة في مناطق طبرق ودرنة والبيضاء تمكن المجاهدون الليبيّون من تكثيف حملاتهم الجهادية. ومن أهمِّ المعارك التي وقعت بينهم وبين القوات الإيطالية خلال عام ١٩١٢ "**معركة سيدي عبد الله**" (جنوب غربي درنة) يوم ٣ مارس/ آذار، و"**معركة سواني عبد الغني**" (الهواري) ببنغازي يوم ١٢ مارس/ آذار،

٣٢ هويدي، ص ٣٥.
٣٣ المصدر نفسه، ص ٢٩.
٣٤ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٠٤-٢٠٦.




و"**معركة سواني عصمان**" (بضواحي بنغازي) يوم ٣ إبريل/ نيسان، و"**معركة طبرق**" يوم ١٨ يوليو/ تموز ثمَّ "**معركة قصر اللبن الكبيرة**" (شرقي درنة) يوم ١٧ سبتمبر/ أيلول.[٣٥]

وبعد **انسحاب أنور بك** وبقيّة الضباط الأتراك من ليبيا، إثر توقيع تركيا لاتفاقية الصلح (معاهدة أوشي) مع إيطاليا في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٢، جرى تعيين **عزيز علي المصري** قائداً لجيش المجاهدين (خلفاً لأنور بك) وقد توجَّه في الحال إلى الجغبوب لاستصدار ما يلزم من صاحب الأمر **السيّد أحمد الشريف** الذي أكرم وفادته وأمره بالرجوع فوراً إلى ميدان القتال، وكتب إلى رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل وضباط الجيش يأمرهم بامتثال أوامر وكيله القائد الجديد عزيز المصري.[٣٦]

ومن جانبه قام **السيّد أحمد الشريف** بالتوجّه من **الجغبوب** إلى **درنة**، وقام ببذل كل ما في جهده لتنظيم حركة الجهاد إثر الانسحاب العثماني، وبعث **منشوراً** إلى شيوخ الزوايا والقبائل يعلن فيه استمرارية ومواصلة الجهاد، وطلب من كل عربيٍّ مسلم في سنِّ الرابعة عشر حتى الخامسة والستين أن يذهب إلى ميدان الحرب مزوّداً بمؤونته وسلاحه. وقام **بجولاتٍ تفقدية** على معسكرات المجاهدين الواقعة ما بين "**العزيّات**" في منطقة الجبل الأخضر و"**أجدابيا**" غربي بنغازي، وأبدى نصائحه وآراءه حول الاستعداد لمواصلة الجهاد دون الأتراك، وأصدر أوامره التنظيمية للمعسكرات والمجاهدين.[٣٧]

ومنذ انسحاب الضباط العثمانيين استطاع المجاهدون الليبيّون أن يخوضوا خلال عام ١٩١٣ عدداً من المعارك كان من أشهرها "**معركة شتوان**" ببنغازي يوم ١٠ مارس/ آذار، و"**معركة قاريونس**" يوم ٢٦ مارس/ آذار، و"**معركة بنينة**" يوم ١٤ إبريل/ نيسان، و"**معركة الرجمة**" يوم ٢٢ إبريل/ نيسان، و"**معركة الأبيار**" يوم ١٦ إبريل/ نيسان، و"**معركة البويرات**" يوم ١٨ يوليو/ تموز بالجبل الأخضر، و"**معركة زاوية ترت**" يوم ٢٤ مايو/ أيار غرب القبة

---

٣٥ هويدي، ص ٣٣.

٣٦ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٠٥؛ هويدي، ص ٤٣-٤٤.

٣٧ هويدي، ص ٤٤؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٠١-٢١٢.

بالجبل الأخضر، و"**معركة الصفصاف**" أول يونيو/ حزيران بالقرب من سيدي حميدة، و"**معركة شمال الأبيار**" يوم ١٥ يوليو/ تموز، و"**معركة تاكنس**" يوم ١٦ سبتمبر/ أيلول بالجبل الأخضر، و"**معركة سيدي رافع**" يوم ٢٧ سبتمبر/ أيلول بالبيضاء، و"**معركة المرج**" يوم ١٩ أغسطس/ آب.[٣٨] وقد شارك **السيد أحمد** بنفسه في معركة **سيدي القرباع** على ضفة وادي درنة يوم ١٦ مايو/ أيار١٩١٣، واشتهرت "**بمعركة يوم الجمعة**"[٣٩] كما شارك بـ"**معركة الصفصاف**".[٤٠]

حاول **الإيطاليون منذ مرحلةٍ مبكرة أن يُغروا السيد أحمد الشريف بالتصالح معهم** غير أنَّ مساعيهم وذهبت أدراج الرياح. يقول السيد أحمد في رسالةٍ بعث بها إلى أنور باشا (الذي أصبح وزيراً للحربية في تركيا) مؤرّخة في ٢٩ صفر ١٣٣٥ هـ:



"أتى الطليان للوطن وراسلني وأرسل إليَّ الأموال الهائلة فرجعتها كلها تعففاً وطلباً لرضاء الله ورسوله، وقمت بمعاضدة الدولة العليَّة ولله الحمد، وأمرت كافة أهل الوطن وقمت بجهدي، ثمّ بعد ذلك قدِمت بنفسي للجهاد."[٤١]

وقد أورد **أنور باشا** في مذكراته في هذا الشأن ما نصّه:[٤٢]

"لقد بقي الشيخ السنوسي الكبير -أحمد السنوسي- صادقاً في آرائه حتى الساعات الأخيرة، كما رفض هدايا الملك (الإيطالي) ومشروعاً يقضي بإنشاء زاوية كبيرة في بنغازي، لقد كان وما يزال رجلاً ذا قلبٍ كبيرٍ وقوي .."

ويبدو أنَّ **إيطاليا** لم تيأس، فجدَّدت مساعيها في عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ عبر وساطة **الخديوي عباس** لاستدراج السيد أحمد للمفاوضة والصلح مقابل ضمان بقائه أميراً للبلاد تحت حمايتها وانتدابها، مع تخصيص منطقة نفوذ له تحدّد لسلطانه، على أن تحتفظ هي بالموانئ والثغور، **فكان ردّه بالرفض واضحاً**.[٤٣] ويُنسَب إليه في هذا الشأن قوله للوفود التي أرسل بها إليه خديوي مصر:

---

٣٨ هويدي، ص ٤٦.
٣٩ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٠٤-٢٠٦.
٤٠ هويدي، ص ٢٥.
٤١ محمد الطيّب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم** (القاهرة: مطبعة الهواري، ١٩٤٧) ص ٣٠٥.
٤٢ أوغلو، المصدر نفسه، ص ١٠٣.
٤٣ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

"إنّني أقسم أمام جميع المجاهدين على هذا المصحف والبخاري أنّي لن أنفك أذود عن حياض الإسلام ومجاهدة أعدائه إلى النفس الأخير ما دام معي نفر واحد من المجاهدين، وإذا خانني الجميع وسلموا للعدو أهاجر إلى المدينة لأعيش بجوار جدّي الأعلى شاكياً إلى الله من خيانة الخونة مستنزلاً لعنته عليهم إلى يوم الدين .."

كما ينسب إليه قوله:

"إنَّني لا أتفاوض مع إيطاليا في بلادي، ولا أتفق معها على تنازلي عن شبر واحدٍ من البلاد، ولا أحيد عن أحد أمرين، إمَّا تحرير الوطن وإمَّا الموت في سبيل ذلك .."

"إنَّني أعاهد الله على أن لا أتساهل مع إيطاليا في حقٍّ من حقوق أهل البلاد ولا أتنازل عن مقدار حافر حصاني".[٤٤]

ويذكر السيد الطيب الأشهب " أنَّ **عزيز علي المصري** اقترح على السيد أحمد ذات مرّة أن **يتنازل لمصر عن قطعة الأرض الواقعة بين خليج (بمبا) والجغبوب والحدود المصرية وترك بقية برقة للطليان**، فردَّ عليه السيد أحمد قائلاً:

"اسمع يا ولدي، إنّي كنت أقبل عن طيب خاطر التنازل عن القطعة المذكورة وضمّها إلى مصر لو كانت حكومة إسلامية حرة، أتركها وأنتقل أنا ورجالي إلى الغرب لمحاربة الطليان على بقية برقة حتى أزيل ظلهم الثقيل عنها دفاعاً عن بقية ديار الإسلام، أمَّا ومصر في قبضة إنكلترا فلا معنى لهذا العمل، وإنّي سأقاوم حتى النهاية ..".[٤٥]

واجهت **حركة الجهاد في برقة** في منتصف عام ١٩١٣ مشكلة تتعلق **بعزيز المصري** الذي كان قد تولى القيادة العامَّة لقوات المجاهدين بعد رحيل أنور بك في أواخر عام ١٩١٢، فقد أصرَّ عزيز المصري ومعه بعض الضباط الأتراك، بعد خلافهم مع السيد أحمد الشريف، على الرحيل عن برقة. وقد كان عزيز المصري

---

٤٤ المصدر والصفحة نفسها.
٤٥ المصدر والصفحة نفسها

قد وعد السيد أحمد بتسليم الأسلحة والذخيرة التي بحوزته بعد أن يجتاز القطر الليبي إلى الأراضي المصرية.

وكان موضوع **تسليم الأسلحة** مثار خلافٍ بين الرجلين إذ أصرَّ السيد أحمد على تسلّمها منه في مواضعها على أن تضمَن سلامة عزيز وجنوده. إلا أنَّ الأخير رفض ذلك وتذرَّع بأنّه لا يركن إلى القبائل البدوية ويخشى أن تهاجمه وقواته عزلاء من سلاحها.

ويبدو أنّ **السيد أحمد كان يشكّ في إخلاص عزيز المصري للقضية الليبيّة.** ويذهب عدد من الباحثين[٤٦] إلى أنّ موقف عزيز المصري كان بسبب صلاته المشبوهة مع الإنجليز والإيطاليين، وبسبب مكائد **الخديوي عباس حلمي** الذي كانت تربطه مصالح اقتصادية شخصية مع إحدى الشركات الإيطالية، ويبدو أنّ هذه الصلات قد جعلت عزيز المصري يقطع وعداً على نفسه بألا يترك السلاح العثماني في أيدي المجاهدين الليبيّين.



لقد **تجاهل عزيز المصري التعليمات التي كانت قد صدرت له عن أنور باشا** (وزير الحربية التركي) بضرورة مغادرة الضباط الأتراك الأراضي الليبيَّة بأشخاصهم فقط دون سلاح، اللهمَّ إلا سلاحهم الشخصي، وأخذ معه عند سفره **خزانة الجيش ومعظم الأسلحة الثقيلة**، وتوجَّه إلى مصر دون إذن من القائد الأعلى أحمد الشريف، ووصل الإسكندرية يوم ١٦ يوليو/ تموز ١٩١٣. وعند مرور عزيز بجنوب طبرق تعرَّضت له مجموعة من قبيلة **(المنفة)**، ويبدو أنَّهم أظهروا بعض العنف لإقناعه بترك الأسلحة الثقيلة فأصلاهم بنيران رشاشاته وقتل منهم الكثير، وواصل عزيز انسحابه إلى السلوم، وقبل أن يصعد ظهر الباخرة الألمانية التي كانت في انتظاره هناك، أحرق كل الأسلحة التي كانت بحوزته، ولم يكتفِ بذلك، فقد أشاع لدى وصوله استانبول بأنّ السيد أحمد الشريف قد خانه وتنكّر للسلطان العثماني ومساعداته.[٤٧]

---

٤٦ انظر: هويدي، ص ٤٤-٤٦؛ وانظر: محمد عيسى صالحية، "صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا"، مجلة **حوليات كلية الآداب**، "الرسالة الثانية، الحولية الأولى"، (الكويت، جامعة الكويت، ١٩٨٠)، ص ١٠؛ وانظر: محمود حسن صالح حبشي، **الحملة الإيطالية على ليبيا**، (القاهرة: دار الطباعة الحديثة، ١٩٨٠)، ص ١٧٤.

٤٧ للمزيد حول شخصية عزيز علي المصري ودوره الخياني تجاه الجهاد الليبي، انظر: هويدي، ص ٤٢- ٤٦؛ والصلابي، المصدر نفسه، ص ٢١٤-٢١٦.

وكما رأينا، لم تثن **الظروف الصعبة** التي مرَّت بالمجاهدين منذ أواخر عام ١٩١٢ عزمهم عن مواصلة الجهاد وخوض المعارك ضدَّ الغزاة الطليان. ومع بداية عام ١٩١٤ أحاطت بالمجاهدين صعوبات شديدة منها انقطاع الموارد عنهم من أسلحة وذخائر ومؤن، واستدعاء تركيا لبقية قواتها العاملة في برقة، ومساعي الإيطاليين لإقناع الحكومة المصرية بعدم تزويد المجاهدين باحتياجاتهم من مصر وعدم فتح الحدود أمامهم.

وبالرغم من هذه الظروف كلها، وبقاء المجاهدين وحدهم في الميدان، وأمام تعدّد احتياجاتهم ونواقصهم الحربية، وضغط الإيطاليين عليهم بالتركيز في شنِّ حملاتٍ قويةٍ وكبيرة، فإنَّ المجاهدين استمرّوا بالروح النضالية الأولى نفسها. وكان من بين المعارك التي خاضها المجاهدون خلال عام ١٩١٤:

- معركة (**أبو مريم**) يوم ٧ يناير/ كانون الثاني.
- معركة (**مدور الزيتون**) أول فبراير/ شباط (قرب المرج).
- معركة (**الشليظيمة**) يوم ٢٦ فبراير/ شباط (بنغازي).
- معركة (**الزويتينة**) يوم ٣ مارس/ آذار (قرب أجدابيا).
- معركة (**الخروبة**) يوم ١٤ مارس/ آذار (الجبل الأخضر).
- معركة (**زاوية مسوس**) يوم ١٢ مارس/ آذار (شرقي سلوق).
- معركة (**القندولة**) يوم ٢١ إبريل/ نيسان (الجبل الأخضر).
- معركة (**قصر تاكنس**) يوم ٢٧ إبريل/ نيسان (جنوب مراوة).
- معركة (**أم الرزم**) يوم ٢٩ إبريل/ نيسان (جنوب شرقي درنة).
- معركة (**بئر الحصيص**) يوم ١٣ يونيو/ حزيران (شحات).
- معركة (**بيضا فم**) يوم ٢٨ يونيو/ حزيران (بأجدابيا).
- معركة (**القطيفة**) يوم ٧ يوليو/ تموز (غرب أجدابيا).
- معركة (**سيدي داود**) يوم ١١ يوليو/ تموز (بطبرق).
- معركة (**وادي عقبة**) يوم ٢٨ أغسطس/ آب (الجبل الأخضر).
- معركة (**الصلبية**) يوم ٢٥ سبتمبر/ أيلول (شرقي الأبيار).[٤٨]

---

٤٨ هويدي، ص ٤٦-٤٧.

خلال عام ١٩١٤ تصدَّت قبائل **أولاد سليمان والمغاربة والقذاذفة والفرجان والهماملة ومعدان** لقوات الغزو الإيطالي الزاحفة من ناحية الغرب حتى وصلت إلى منطقة سرت، واشتبكت معها في عددٍ من المعارك كان من بينها معارك **(زاوية النوفلية)** و**(الخشّة)** و**(العويجة)**. وقد بعث شيوخ هذه القبائل إلى السيد أحمد الشريف يطلبون منه إيفاد نائبٍ عنه يلتفون حوله وينظّم صفوفهم، فقام بتعيين أخيه **السيّد صفي الدين السنوسي** نائباً عنه لربط المعسكرات السنوسية بطرابلس والإشراف عليها، كما عيَّن أخاه السيّد **محمد عابد السنوسي** نائباً عنه **بمنطقة فزان**.[49]

ومع نشوب **الحرب العالمية الأولى** في شهر يوليو/ تموز ١٩١٤ بدأ الإيطاليون يواجهون الصعاب في ليبيا،[50] ورأوا في مجيء السيد صفي الدين السنوسي إلى المنطقة الغربية نذير خطر عليهم، فأعدّوا حملةً عظيمة لملاقاته وصدِّه عن مواصلة سيره، ووقعت بين القوات الإيطالية والمجاهدين الليبيّين (وكان في مقدّمتهم السيد **صفي الدين السنوسي وأحمد بك سيف النصر وعبد الله بن إدريس وصالح باشا لطيوش وأحمد التواتي**) معركة عظيمة بموقع **(أبي هادي)** بالقرب من **سرت** أسفرت عن تكبّد الإيطاليين لخسائر كبيرة.[51]

حاول الإيطاليون معاودة الكرّة والانتقام لهزيمتهم، فقاموا بإرغام سكان السواحل التي يحتلونها بالانضمام إلى قواتهم، وكان على رأسهم **رمضان السويحلي** زعيم مصراته، والتقوا بالمجاهدين عند **(القرضابية)**[52] في ٢٨ و٢٩ إبريل/ نيسان ١٩١٥،[53] وقد **شهدت هذه المعركة وحدة الجهاد والمقاومة في برقة وفزان وطرابلس**، وقامت بها القوات السنوسية بقيادة صفي الدين السنوسي، وقوات فزان بقيادة أحمد سيف النصر، وكان عدد قوات المجاهدين (٢,٠٠٠) مقاتل، وتمثلت اللحظة الحاسمة في المعركة عندما أمر السويحلي (الذي كان على اتصال سرّي بقيادة المجاهدين) مقاتلي مصراته بضرب القوات الإيطالية من الخلف ممّا أدّى إلى إلحاق أكبر هزيمة بالقوات الإيطالية، إذ خسرت (٥,٠٠٠)



٤٩ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٨.
٥٠ خدوري، ص ٢٤.
٥١ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٩.
٥٢ المصدر نفسه. ص ١٦٣.
٥٣ انظر: التليسي، المصدر نفسه، ص ٤٠٥-٤١٠.

مـن ضباطهـا وجنودها، بالإضافة إلى (٢٣٢) من المجنَّديـن الليبيّين، فضلا عن خسائرها من الأسلحة والذخيرة والتموين والنقود.[٥٤]

لقد أدَّت معركة القرضابية إلى نتائج هامّة في توازن القوة بين الغزاة الطليان وبين قوات المجاهدين، كما أدَّت المعركة إلى سـقوط نجم القائد الإيطالي **(مياني)** الـذي حـاول صبَّ جام غضبـه على أهـالي سرت فأمـر بشـنق (٧٠٠) مواطن مـدني منهم، كما نفـى نحو (١١,٣٠٠) مواطن آخـر إلى إيطاليا. ولكنَّ الوجود العسـكري الإيطـالي انكـمـش إلى مدينــة طرابلـس والخمس عـام ١٩١٦، [٥٥] وحـرِّرت فـزان، وفي برقة ظـل الوجود العسـكري الإيطالي محـدوداً في بنغازي والمرج.[٥٦]

لقـد كان السـبب في الانتصار الذي حققه المجاهـدون في معركة القرضابية هو تعاونهم ووحدتهم، غير أنّ ذلك وللأسف **لم يتكرَّر كثيراً ولم يدم طويلاً،** فقد اشـتدَّ النزاع والخلاف بين السـيد صفي الدين ورمضان السـويحلي، الأمر الذي جعل السيد إدريس السنوسي، بصفته الوكيل العام للسيد أحمد الشريف، يصدر أوامره إلى السـيد صفي الدين بالعودة من طرابلـس إلى برقة إطفاءً للفتن وحقناً للدماء.[٥٧]




ومع قيام الحرب العالمية الأولى (يوليو/ تموز ١٩١٤) أراد **العثمانيون،** الذين دخلـوا هذه الحـرب بعد شيءٍ من الـتردّد (في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٤) مع ألمانيا والنمسا ضدَّ بريطانيا وفرنسا وإيطاليا،[٥٨] استغلال جهود البلاد الإسلامية ومـن بينها ليبيـا للوقوف في صفِّ الدولة العثمانية، وإعـلان الجهاد المقدّس ضدَّ أعدائهـا. وكانـت خطـة تركيا وألمانيا في هـذه الحرب تتمثل في **محـاصرة القوات الإنجليزيـة بمـصر** ومهاجمتهـا مـن الـشرق عـن طريق سـيناء وقناة السـويس، وإشـغال الإنجليـز في الوقت نفسـه بعددٍ من **الثـورات** تقوم ضدَّهـم في أماكن

٥٤ قُدِّرت غنائم الليبيّين من هذه المعركة (وقد استولى رمضان السويحلي على معظمها) بـ(٥،٠٠٠) بندقية، ملايين من قذائف البنادق، وأحد عشر مدفعاً، بالإضافة إلى كميات كبيرة من النقود والتموين.

٥٥ كبَّـد المجاهـدون الليبيـون في طرابلـس في أعقاب معركـة القرضابية القوات الإيطالية خسـائر جمَّـة، ونتيجة لذلك تحرَّرت معظم الأراضي الليبية فيما عُرِف بـ"**ثورة التطهير**". انظر: هويدي، ص ٥١.

٥٦ حميدة، ص ١٦٨.

٥٧ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

٥٨ دخلت إيطاليا هذه الحرب إلى جانب بريطانيا وفرنسا في مايو/ أيار ١٩١٥. خدوري، ص ٢٥.

مختلفة[٥٩] من بينها برقة على حدود مصر الغربية. وكان الهدف النهائي من هذه الثورات كلها شغل إنجلترا في أوروبا والشرق في وقتٍ واحد وتشتيت جهودها وتوزيع قواتها وتفريقها.

وبالنسبة **لبرقة**، ومن أجل تحريك القوات السنوسية ضدَّ الإنجليز على الحدود بين مصر وليبيا، بعث **أنور باشا** وزير الحربية العثماني إلى صديقه القديم **السيّد أحمد الشريف** يبلغه أنَّ السلطان العثماني قرَّر منحه **النيابة عنه** في إفريقيا، وأنّه يخوّله ما له من نفوذٍ مطلق مدنياً وعسكرياً. ثمّ وصل إلى برقة **نوري باشا** (أخو أنور باشا) يحمل معه مِنَح السلطان للسيد أحمد ورسائل أنور باشا ومعها الأوسمة الرفيعة والنياشين. كما وصل في الفترة نفسها إلى برقة **الضابط الألماني (أوتو مانسمان)** الذي كان معه كتاب خاص من **إمبراطور ألمانيا** إلى أحمد الشريف، ويحمل نيشاناً رفيعاً منحه الإمبراطور له، كما وصل إلى برقة في الفترة نفسها **(جعفر العسكري)** الضابط بالجيش التركي (العراقي الأصل)، ووصل إليها في الفترة نفسها بعض أنصار الدولة العثمانية، الذين هم من ولاية طرابلس وكانوا قد هاجروا إلى تركيا، من أبرزهم **سليمان باشا الباروني** و**الشيخ محمد سوف**.[٦٠] كما بدأ الضباط الأتراك يتوافدون إلى برقة، وكان مع هؤلاء كميات من الأسلحة والذخيرة وبعض الأموال.

إلا أنَّ **السيد أحمد الشريف** لم يستجب في البداية للنداء الذي وجَّهه إليه الأتراك، ولا لإغراءاتهم وضغوطهم، وعبَّر عن ذلك بالجملة الشهيرة التي وردت في رسالةٍ بعث بها إلى أنور باشا بتاريخ ٢٩ من صفر ١٢٣٥ هـ والتي جاء فيها:

".. حرب تأتيك (يقصد بها حرب الطليان) وحرب تأتيه (يقصد بها حرب الإنجليز)، فالحرب الذي يأتيك يجب عليك مدافعته بأيِّ حالة كانت، والحرب الذي تأتيه يجب عليك الاستعداد له ..".[٦١]

٥٩ ثورة (علي دينار) سلطان دارفور بالسودان، وثورة (السلطان أحمد) بأرتيريا، وثورة (جلال محمد بن عبد الله) بالصومال. هويدي، ص ٤٩.

٦٠ هو حفيد **غومة المحمودي**. وقد حارب الشيخ محمد الطليان منذ البداية وحتى معركة **جندوبة** سنة ١٩١٣ حين هاجر إلى الشام.

٦١ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٣١٤. (حافظنا على اللغة كما هي في أصل الكتاب).



وترجع عدم استجابة السيد أحمد لنداء الدولة العثمانية إلى **الظروف الاستثنائية القاسية التي كانت تمرّ بها البلاد**. فالإيطاليون يحتلّون أجزاءً منها ويسعون لتوسيع مناطق احتلالهم، كما أنَّ أيَّ تحرّكٍ من طرفه قد يؤدّي إلى إقفال الحدود مع مصر وقطع جميع المساعدات الغذائية والعسكرية على المجاهدين، وهو أمر حاول السيد أحمد تجنّبه منذ البداية وذلك بإقامة علاقاتٍ حسنة مع الإنجليز.[٦٢]

لقد سأل الضابط المصري **محمد صالح حرب**[٦٣] أحمد الشريف عن حقيقة موقفه (خلال لقاءٍ سرّي جرى بينهما في منطقة أمساعد قبيل نشوب الحرب بينه وبين الإنجليز) فأجابه:

"إنّ الأتراك إنَّما يريدون أن يورّطوه في حربٍ مع الإنجليز قبل أن يستعدَّ لها، وأنَّه لا يمالئ الإنجليز محبَّةً فيهم أو تقرّباً إليهم، ولكنَّ مصر هي الباب الوحيد الذي تأتيه منه الأرزاق التي يستطيع بفضلها متابعة القتال ضدَّ الطليان. فإذا قُفِل هذا الباب تحرَّج موقفه ... والأتراك حضروا وليس معهم أيَّة إمداداتٍ أو أرزاق أو مال ومع ذلك فهم يطلبون منه كل يوم القيام بحركةٍ ويلحُّون في هذا الطلب، مع العلم بأنَّ بدء الحركة قبل أن يحين الوقت الملائم لذلك يعود بالشرِّ والوبال على الجميع ..".

وختم السيد أحمد قوله:

"وإنّي أصرِّح لك بأنَّه لا سلاح ولا ذخيرة ولا مال ولا أرزاق كافية لدينا، وأنا ليس في نيّتي أن أحارب الإنجليز ..".[٦٤]

لم يقدِّر العثمانيون تلك الظروف، وساءهم "**تقاعس**" السيد أحمد عن تلبية ندائهم فحاولوا الانقلاب عليه والتخلّص منه عن طريق **تفجير خيمته بالقنابل**،

---

٦٢ ذكر **محمد أسد** في كتابه **الطريق إلى الإسلام** [كان حيادهم (أي الإنجليز) على جانبٍ عظيم من الأهميّة بالنسبة إلى حركة الجهاد لأنَّ جميع ذخائر المجاهدين في الجبهة الشرقية (برقة) كانت تأتي من مصر حيثً كانوا يتمتَّعون بعطف الشعب كله]. ترجمة عفيف البعلبكي، ط ٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧) ص ٣٣٦.

٦٣ كان السيد محمد صالح حرب قومنداناً لمرسى مطروح المصرية.

٦٤ شكري، ص ١٦٧.

إلا أنَّه تمَّ اكتشاف تلك المؤامرة قبل تنفيذها، وتمَّ اعتقال مدبّريها وعقابهم.[٦٥]

ورغم ذلك، **فقد واصل العثمانيون سعيهم لتحقيق هدفهم**، فأكثروا من العطاء والوعود واستطاعوا كسب ودّ بعض **الشخصيات البرقاوية** الهامَّة ذات النفوذ القبلي والديني. واستمرَّت الحكومة العثمانية في **ممارسة ضغوطها على السيّد أحمد الشريف** وتكاثرت رسائل صديقه أنور باشا التي يحثّه فيها على الإسراع بضرب القوات الإنجليزية في مصر عبر حدود برقة، ذاكراً له أيضاً أنَّ الأتراك والألمان والمسلمين سيهجمون على الإنجليز عبر قناة السويس وسيناء، وأنّه متأكد من النصر عليهم بإذن الله، كما وعده أيضاً بأنَّه سيرسل إليه تباعاً المساعدات العسكرية والتموينية اللازمة للحملة.[٦٦]

وفضلاً عن هذه الضغوط على السيد أحمد باتجاه الهجوم على القوات الإنجليزية في مصر، كانت هناك قوة ضاغطة أخرى على السيد أحمد في الاتجاه نفسه، وهي القوة المتمثلة في **الحركة القومية في مصر**، والتي كانت تتطلع ليوم الخلاص من الإنجليز. وكان المصريون يعلّقون آمالاً كبيرة على حركة السيد أحمد، كما كانت له علاقات حميمة مع شخصياتٍ مصريةٍ مرموقة كانت تأمل منه المساعدة في العمل على تحرير بلادها.[٦٧]



في هذه الأثناء واصلت "**منظمة تشكيلات مخصوصة**"[٦٨] جهودها للإيقاع بالسيد أحمد وقواته للاشتباك مع القوات البريطانية، وفي هذا السياق دبَّر بعض

٦٥ وقعت المؤامرة في شهر فبراير/ شباط ١٩١٥، وكانت من تدبير عناصر "**منظمة تشكيلات مخصوصة**" العثمانية السرّية. وألقى السيد أحمد - بسبب هذه المؤامرة- القبض على شقيقه **محمد هلال السنوسي وسليمان باشا الباروني**، كما أمر البقية من مهاجري طرابلس الموجودين على منطقة الحدود الليبيّة المصرية بأن يسافروا إلى بلاهم وينضموا إلى معسكر الشيخ محمد سوف، الذي كان قد سافر قبل ذلك في أوائل شهر يناير/ كانون الثاني ١٩١٥ مع رجاله إلى المنطقة الغربية بناءً على طلب السيد أحمد. هويدي، ص ٥٨-٥٩.

٦٦ المصدر نفسه، ص ١٨٢.

٦٧ المصدر نفسه، ص ٦٤.

٦٨ يعرّفها **أنور باشا** في مذكراته بأنها "منظمة سرّية عثمانية غامضة مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للإمبراطورية العثمانية ومكافحة التجسس الأجنبي عليها، وكان لمعظم المنتسبين إليها الصفة العسكرية"، ص ١٣. ويعرّفها الدكتور **رمضان الشيش** في بحثه الذي ألقاه في الندوة العلمية السابعة بطرابلس، (مركز دراسات الجهاد الليبي، نوفمبر/ تشرين الثاني) بعنوان "مساهمة الضباط العثمانيين في الجهاد الليبي أثناء الحرب العالمية الأولى" بأنَّها "مؤسسة سرّية خاصة بالاستخبارات العسكرية أسّسها أنور باشا وأصحابه قبيل الحرب العالمية الأولى، وكان مغزاه من ذلك جمع المسلمين تحت راية واحدة، وتحقيق اتحاد المسلمين بهذا الطريق أو الشكل"، ويضيف مصطفى علي هويدي ص ٥٢، أنَّ جميع أعضاء هذه المنظمة كانوا من أنصار سياسة إعلان الجهاد الإسلامي في كل مكان، وكان من بين أعضائها محمد بك فريد، وعلي باشا جمعة، والشيخ صالح التونسي، والشيخ عبد العزيز جاويش، إضافة إلى أنور باشا وأخيه نوري، وسليمان العسكرى، وانضمَّ إليهم **بشير بك السعداوي**.





الضباط الأتراك (نوري باشا وجعفر العسكري وأعوانهما) **مؤامرة للهجوم سرّاً على القوات الإنجليزية دون علم السيد أحمد الشريف**، وذلك بأن تقوم فرقة عسكرية مسلحة بالتسلل إلى داخل الأراضي المصرية لمباغتة القوات الإنجليزية والانقضاض عليها، ومن ثمَّ يمكن تصعيد القتال بين الطرفين حتى يصعب كبحه ويدخل حيّز التنفيذ العملي المرسوم. وتمّ ذلك عندما قام الضابط "**أحمد مختار الطرابلسي**"[٦٩] والضابط "**أبو القاسم العيساوي**"[٧٠] وآخرون بالهجوم على نقطة حراسة القوات الإنجليزية بالسلوم. ولدى اكتشاف العملية أمر السيد أحمد بمحاكمة الضابطين، وفيما تمكن ثانيهما من الفرار قدِّم الأول للمحاكمة التي قضت بإعدامه، وكان هذا الحكم الأول من نوعه الذي أقرّه السيد أحمد بحقِّ أحد ضباطه البارزين. وقد حاول الضباط الأتراك استغلال هذه الحادثة لمصالحهم والتنديد بالسيد أحمد وأحكامه الجائرة، كما حاولوا استثارة معظم المجاهدين والعسكريين لمهاجمة الإنجليز. وهكذا بدا واضحاً أنَّ **السيد أحمد أصبح مجبَراً على خوض هذه الحرب شاء أم أبى**.[٧١] وتحرَّك في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٥ على رأس جيشه الذي قدّر عدده بأربعة آلاف مقاتل وكان معه نوري باشا قائداً أوّلَ، وجعفر العسكري قائداً ثانياً بمحاذاة الساحل، وكان الهدف احتلال موقع "السلوم" الذي أخلاه الإنجليز.

ومن المواقف الطيّبة ذات الدلالة التي تذكر في سياق هذه الأحداث قيام اليوزباشي المصري **أحمد أبو شادي** بنصح القوات المصرية التي كانت تابعة لإمرته على الحدود المصرية الليبية بالانضمام معه إلى المجاهدين الليبيّين، وكذلك قيام **محمد صالح حرب** قومندان مرسى مطروح بالانضمام في ٢٦ من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٥ بقواته المصرية إلى جانب قوات المجاهدين بعد أن ألقى فيهم وفي عددٍ من شيوخ دور العاصي من قبيلة "**القنيشات**" كلمة جاء فيها:

"... نقف اليوم بين معسكرين أحدهما معسكر الإنجليز أعداء الله والوطن

---

٦٩ **أحمد مختار الطرابلسي**: ضابط ليبي برتبة ملازم أوّل تخرّج من الكلية الحربية باستانبول بتفوّق. وهو من أبناء مدينة طرابلس ومن سكّان شارع ميزران. وكانت له مواقف مشهورة في الجهاد ضدَّ الطليان، وقد تولى القيادة في برقة الحمراء سنة ١٩١٤. هويدي. المصدر نفسه، ص ٦٢.

٧٠ **أبو القاسم العيساوي**: ضابط ليبي تخرّج من تركيا وشارك في معارك الجهاد ضدّ الإيطاليين، وكان قائداً بارزاً. هويدي، ص ٦٧.

٧١ هويدي، ص ٦٢.

الذيـن رفعـوا علينا الحماية، والآخر معسـكر العـرب والأتراك الذيـن يقولون إنَّهـم جاءوا ليخلّصونا. وقـد أقنعني ضميري وواجبي الدينـي بعدم البقاء مع الإنجليـز، وقد خرجت في سـبيل الجهاد ضدَّهم، فمـن كان منكم يحرص على حياته أو تلزمه أيَّة مسؤولياتٍ عائلية بالعودة إلى مرسى مطروح فإنَّني لا أحول بينه وبين العودة شريطة أن يترك ما معه من سلاح ومؤونة .."[٧٢]

لقد اشـترك **السـيد أحمـد**، بل أدار تلك الحملة العسـكرية التـي امتدَّت من نوفمبر/ تشريـن الثـاني ١٩١٥ حتى فبراير/ شـباط ١٩١٧ [٧٣] ولم يسـتطع بعدها التراجع عن ذلك الخط الذي سار فيه مكرهاً، فوجد نفسه منفذاً لتلك السياسة، فسـار معهـا حتى النهاية، مؤمّلاً أن يسـتفيد مـن إيجابياتها إذا كتـب لها النجاح. ولكـن عـدم التكافـؤ بـين القوتـين المتقاتلتـين من حيـث العـدد والعتـاد وبقية الأسلحة والتموينات أدّى إلى اندحار قوات السيد أحمد.

لقـد أخفق **المخطّط العثماني الألماني**، وفشـلت الحملتـان: الشرقية (عبر قناة السـويس) والغربية (عبر برقة)، وكان لفشـل حملة السيد أحمد الشريف بالذات نتائج سـلبية (عسـكرية وسياسـية واقتصادية ونفسـية وشـعبية) انعكست على حركة الجهاد في برقة.[٧٤] وكان من نتائج هذه الحملة الفاشـلة أن سلّم السيد أحمد شـؤون برقة إلى السـيد **إدريس السنوسي** الذي كان في **أجدابيا**،[٧٥] كما أدَّت إلى أن ينعم الإيطاليون بالسـلام في برقة فترةً امتدَّت من أواخر عام ١٩١٥ حتى سـنة ١٩٢٣ على ما سنرى فيما بعد.



(ب) الجهاد في طرابلس وفزان

لم تكتفِ القوات الإيطالية الغازية بتوجيه نيران مدافعها وآليتها العسـكرية

٧٢ شـكري، ص ١٧٣. لم يرغـب أحـد من الجنـود المصريين بالعـودة بل أبدوا جميعـاً تصميمهم على البقـاء إلى جانب رئيسهم.

٧٣ من المعارك التي وقعت بين قوات السيد أحمد والقوات البريطانية معركة (أم الرخم) ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٥، ومعركـة (وادي ماجـد) أواخر ديسـمبر ١٩١٥، ومعركة (بو تونس) يوم ٢٣ يناير/ كانـون الثاني ١٩١٦، ومعركة (وادي مقتلـة) فبراير/ شـباط ١٩١٦، ومعركة (العقاقير) شرقي سـيدي براني فبرايـر ١٩١٦، ومعركة (بقيق) ١٣ مارس/ آذار ١٩١٦، ومعركة (قرية السلوم) أواخر مارس/ آذار ١٩١٦، ومعركة (بئر حكيم)، ومعارك الواحات الجنوبية، ومعركة (قوبا) خلال عام ١٩١٦ حتى بداية عام ١٩١٧، وكانت آخر المعارك الفاصلة في (سـيوة) يوم ٨ فبراير/ شباط ١٩١٧.

٧٤ هويدي، ص ٩٦-٩٩؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٥١-٢٥٦.

٧٥ خدوري، ص ٢٦.



إلى المواقع والتحصينات العسكرية، وإلى قوات المجاهدين الذين حملوا السلاح في مواجهة غزوها في شتى المدن الساحلية الليبية، ولكن تعمَّد **جنود هذه القوّات بإعمال القتل والبطش وارتكاب المجازر الوحشية البشعة في حقِّ آلاف المواطنين من الأطفال والنساء والشيوخ من أهالي سكان هذه المدن**. ولعل من أبرز الأمثلة الشاهدة على هذه الأعمال ما ارتكبه الجنود الطليان يوم ٢٣ أكتوبر/ تشرين الأول بحقِّ سكان "**منطقة المنشية**" في مدينة طرابلس، حيث قام هؤلاء الجنود بذبح وقتل ما بين (٤) و(٧) آلاف نسمة، كما قاموا بهتك أعراض المئات من النساء، ونفي نحو (٩٠٠) شابٍّ ليبي.[٧٦]

عند وقوع الغزو الإيطالي على مدينة طرابلس كانت الحامية العثمانية فيها صغيرة العدد - كما أشرنا - وكانت بقيادة الضابط نشأت بك الذي سحب قواته من المدينة إلى منطقة **العزيزيّة** بالداخل.





فور نزول القوات الإيطالية إلى طرابلس تحرَّك نواب البلاد وزعماؤها، وكان على رأسهم **سليمان باشا الباروني** (زعيم الجبل الغربي) **وفرحات باشا الزاوي** (نائب طرابلس من الزاوية)، فوجَّهوا النداءات ودعوا الأهالي إلى الالتحاق بمعسكرات المجاهدين، وكان الباروني وفرحات في مقدّمة المتطوّعين، وقد ترتب على هذه الجهود والنداءات أن انضمَّت أعداد كبيرة من أهالي الزاوية وزوارة والعجيلات ونالوت وغريان ومن رجال القبائل إلى هذه المعسكرات.

وكما سلفت الإشارة، فقد وجَّه **السيد أحمد الشريف** نداءه المبكر إلى الليبيّين جميعاً، وإلى شيوخ الحركة السنوسية ورؤساء زواياها[٧٧] وأتباعها في المنطقة الغربية وفي فزان للالتحام في حركة الجهاد ضدَّ الغزاة الطليان ولإقامة المعسكرات للمجاهدين والمتطوّعين في منطقة الجبل الغربي وغرب ليبيا. وقد أدَّت هذه

٧٦ جلال يحي، **المغرب الكبير** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١) ج ٣، ص ٧٦٧.

٧٧ من هؤلاء الشيوخ ورؤساء الزوايا:
* عبد الوهاب العيساوي، شيخ زاوية طرابلس.
* محمد علي بن الشفيع، شيخ زاوية سرت.
* مصطفى أحمد الهوني، شيخ زاوية هون.
* حامد بركات الشريف، شيخ زاوية سوكنة.
* محمد علي الأشهب، شيخ زاوية (واو) بفزان.
* محمد السني، شيخ زاوية مزدة.
انظر: الأشهب، المصدر نفسه، ص ٢٩٣.



الجهود إلى إقامة أربعة معسكرات بالمنطقة الغربية تابعة للحركة السنوسية، كما أعدَّ السيد أحمد نجدةً خاصّة لتعزيز قوات المجاهدين في (**العزيزية**) وصلتها يوم ٢٥ من مارس/ آذار ١٩١٢.

لقد نُقِش **نداء السيد أحمد** على رايةٍ من حرير حملها المجاهدون في طرابلس من مكانٍ إلى آخر بين القبائل الضاربة في الجنوب على وجه الخصوص. وكان من تأثيرات ذلك النداء أن تدفّقت جموع المجاهدين على **المعسكرات العثمانية** في العزيزية وغريان، وعلى **مراكز العرب** في (**سينات بني آدم**) فأصبح ذلك المعسكر يعجّ بجموع المجاهدين من الزاوية والعجيلات وجنزور ومصراته وأولاد بوسيف وورفلة وغريان والجبل والعزيزية وأولاد سليمان ومجاهدي فزان والتوارق.[٧٨]

وخاض المجاهدون في المنطقة الغربية عدّة معارك ضدَّ الغزاة الطليان، كان من أهمّها **معركة طرابلس** بتاريخ ٨ و٩ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١١، وكذلك بتاريخ ٢١ و٢٢ يناير/ كانون الثاني ١٩١٢، و**معارك الخمس** بتاريخ ١٧ و١٨ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١١، و**معركة المرقب** ٢١-٢٣ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١١، والأول من إبريل/ نيسان ١٩١٢، و**معارك الهانئ- شارع الشط** (٢٣/ ١١/ ١٩١١)، و**الهانئ- أبو مليانة** (٢٦/ ١٠/ ١٩١١)، و**الهانئ- سيدي المصري** (٢٦/ ١١/ ١٩١١)، و**معركة قرقارش ومعركة أبي كماش ومعركة لبدة ومعركة تاجوراء**.[٧٩]

لّما وصلت ليبيا أنباء الصلح بين إيطاليا والدولة العثمانية، قام في المنطقة الغربية عضوا البرلمان العثماني من ولاية طرابلس **سليمان الباروني** و**فرحات الزاوي** بدعوة أعيان وشيوخ قبائل المنطقة إلى **مؤتمر** لمناقشة معاهدة الصلح الإيطالية - العثمانية (معاهدة أوشي)، وكيفية التعامل مع الحكومة الإيطالية بعد الانسحاب العثماني من الولاية.

عُقِد هذا المؤتمر في (**العزيزية**) خارج مدينة طرابلس، وبرز **خلال المؤتمر رأيان**، رأي يحبِّذ الدخول في مفاوضاتٍ مع إيطاليا على أساس الاستقلال الذي

٧٨ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

٧٩ محمود عامر، **تاريخ ليبيا المعاصر** (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩١)، ص ٥٩-٦٠.



منحـه السـلطان العثماني، وكان مـن أنصار هذا الرأي **فرحـات الزاوي** و**علي بن تنتوش**،[٨٠] ورأي آخر يرغب بالاسـتمرار في الجهاد والحرب لإرغام إيطاليا على الاعـتراف بالاسـتقلال الذي أعطاهـم إيَّاه السـلطان العثماني، وعـلى اعتبار أنَّ إيطاليا لن تعترف باسـتقلال المنطقة دون قتال، وكان مع هذا الرأي الأخير **بقية الأعيان وشـيوخ القبائل** بقيادة **سليمان الباروني** والشيخ **سوف المحمودي** (شيخ المحاميد) والشيخ **محمد بن عبد الله البوسيفي**.[٨١]

تقابل الجناح المؤيّد للتفاوض مع الحكومة الإيطالية خارج مدينة طرابلس، ولكن الرفض الإيطالي للمطالب الطرابلسـية أدَّى إلى انضمام هؤلاء الأعيان إلى بقية القيادات الطرابلسـية **التي قرَّرت استمرار الجهاد والمقاومة العسكرية**، وبرز اسم **سليمان باشا الباروني**[٨٢] عضو البرلمان العثماني كقائدٍ لحركة المقاومة والجهاد، وأقام **حكومة محلية** ولاسيما بعد أن حصل من الدولة العثمانية في عام **١٩١٣** على أسلحةٍ ومؤن ونقود.[٨٣]

لقد أدّى **التصلب السـياسي الإيطالي**، برفض إعطاء حكم ذاتي أو مشـاركة الأعيان في الإدارة، إلى دفع معظم الأعيان والشيوخ إلى قيادة المقاومة في الداخل، وعندمـا احتلت القوات الإيطالية (**سرت**) فَقَد معظم أعيان السـاحل الأمل في إجراء تفاوض يضمن استقلالهم.[٨٤]

بلـغ عدد قـوات المجاهديـن في المنطقة الغربيـة نحـو (**١٥,٠٠٠**) مجاهد، واسـتمرَّت المقاومـة في هذه المنطقة حتى **معركـة الأصابعة** (جندوبة) في **٢٣** من مـارس/ آذار **١٩١٣** حـين اسـتطاع الجيش الإيطـالي هزيمة المقاومـة لقلة المؤن والسـلاح، الأمـر الذي أدَّى إلى **احتـلال الجبل الغربي**. وكان من نتائج الخسـائر

---

٨٠ خدوري، ص ٢٣؛ حميدة، ص ١٦٥.

٨١ حميدة، المصدر والصفحة نفسهما.

٨٢ وِلد **سـليمان باشـا البـاروني** في جادو من جبل نفوسـة سـنة ١٨٧٣. تتابعت أسـفاره لطلب العلم (جامـع الزيتونة بتونس، الأزهر الشريف بمصر، مدرسـة قطب الأمَّة بالجزائر). سـافر إلى مصر وأنشأ مطبعة خاصّة له عام ١٩٠٨. أنشـأ جريدة (**الأسـد الإسـلامي**)، وشـهد الجهاد في ليبيا من أوّله إلى سـنة ١٩١٣ بعد معركة جندوبة (الأصابعة) حـين هاجـر إلى تونـس ومنها إلى تركيا، ثمَّ عـاد إلى ليبيا مع بقية الضباط العثمانيين الذي أخـذوا يتوافدون على برقة مع نشـوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٥). انظر: أبو اليقظان الحاج إبراهيم، **سـليمان الباروني باشا في أطوار حياته** (الجزائر: المطبعة العربية، ١٩٥٦).

٨٣ حميدة، ص ١٦٥.

٨٤ المصدر والصفحة نفسهما.

الكبيرة التي تكبّدها المجاهدون في هذه المعركة أن قرّر بعض قادة المقاومة الانسحاب والهجرة، فنجد **سليمان الباروني** و**سوف المحمودي** و**حرب النايلي** مع (٣,٠٠٠) مجاهد هاجروا إلى **تونس** وسلموا أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية. ولكن مجموعة أخرى **من قبائل القبلة** بقيادة الشيخ **محمد بن عبد الله البوسيفي** و**سالم بن عبد النبي الزنتاني** و**محمد السّنّي** (شيخ الزاوية السنوسية بمزدة) انسحبت إلى دواخل فزان.[٨٥]

أمّا بالنسبة لجهاد الجنوب الليبي في فزان والجفرة والنواحي الغربية من فزان، فقد تولى قيادتها **السيد محمد عابد السنوسي** نائب السيد أحمد الشريف، وقد اتخذ مركزه بزاوية (واو). ويتبع هذه القيادة ثلاثة معسكرات كان من بين المسؤولين عليها **الشيخ محمد الأشهب** (شيخ زاوية واو) و**الشيخ محمد السّنّي**، وقد شاركت هذه المعسكرات في خوض معارك مع الطليان. واتخذ المجاهدون السنوسيون من (زلة) قاعدة للإغارة على إمدادات الإيطاليين بفزان. وحدث أول هجوم قاده المجاهدون في **٢٦ أغسطس/ آب ١٩١٢** عندما تمكنوا من إبادة طابور للجيش الإيطالي كان يسير عبر الحمادة. وبانقطاع الإمدادات عن القوات الإيطالية في فزان تمكنت قوات المجاهدين من تطويقها والدخول معها في معارك شارك فيها إلى جانبهم مجاهدون من قبائل **التبو** و**الطوارق**، كما استطاعت قوات المجاهدين أن تقضي على حاميتي **(أدري)** و**(أوباري)**.[٨٦]



بعد **معركة الأصابعة** (جندوبة) في ٢٣ مارس/ آذار ١٩١٣ واحتلال الجبل الغربي، زحف الجيش الإيطالي بقيادة الكولونيل **(مياني)** على الجفرة وفزان لضرب جيوب المقاومة، وتصدّى للجيش الإيطالي مائتان من المجاهدين بقيادة الشيخ **محمد عبد الله البوسيفي** في **وادي الشاطئ** بفزان، ونازلهم في ثلاث معارك هي **(الشبّ)** و**(أشكدة)** و**(محروقة)** ولكن قلة العدد والسلاح لدى المجاهدين رجّحت كفة الجانب الإيطالي، واستشهد الشيخ البوسيفي في المعركة الأخيرة (محروقة) يوم ٢٤ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٣. وقد استطاع الجيش الإيطالي بعد معارك (الشبّ) و(محروقة) احتلال واحات فزان، وأن يصل إلى (غات) في

٨٥ المصدر والصفحة نفسها.

٨٦ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٦٩-١٧٠.

١٢ أغسطس/ آب ١٩١٤، وبهذا تمَّ احتلال طرابلس وفزان.[٨٧]

لم تدم انتصارات الجيش الإيطالي العسكرية بقيادة (مياني) في جنوب ليبيا طويلاً. فقد بدأت القبائل المقاومة في شنِّ **حرب عصاباتٍ** وعملياتٍ عسكرية خاطفة ومفاجئة، وبدأت هذه الانتفاضة **(ثورة التطهير)** في ٢٨ من **سبتمبر/ أيلول ١٩١٤** بقيادة **(سالم بن عبد النبي الزنتاني)** حين قام بالهجوم على الحامية الإيطالية في "**قلعة القاهرة**" بسبها في فزان. وقد أسفر الهجوم عن الحصول على مؤن وأسلحة، وقتل أعدادٍ من قوات الحامية وفرار البقية.[٨٨] وقد ساعد على نجاح هذا الهجوم معلومات عن الحامية الإيطالية أعطاها **مجنَّد** من **قبائل الحطمان** لقبائل المجاهدين، كما أدّى الهجوم على قلعة القاهرة، بالتعاون مع القبائل الأخرى، **أولاد سليمان** و**الطوارق** و**عرب وادي الشاطئ**، إلى تحرير فزان مع نهاية عام ١٩١٤.[٨٩]



سقطت الحاميات الإيطالية في فزان واحدةً بعد الأخرى؛ مرزق في ٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٤، و**غات** في الثالث والعشرين من الشهر ذاته، ولجأت القوات الإيطالية في **غات** إلى جنوب الجزائر وطلبت حماية الفرنسيين، ثمَّ تراجعت القوات الإيطالية المهزومة إلى **سوكنة**، ثمَّ إلى **مصراته** وتخلوا عن **غدامس**.[٩٠]

شجَّع تحرير فزان قبائل **سرت والجبل الغربي** على الانقضاض على القوات الإيطالية، ممَّا أدَّى في النهاية إلى هزائم أخرى وإلى نهاية حياة الجنرال **(مياني)** العسكرية.

قاد المجاهد **خليفة بن عسكر** (من نالوت) الهجوم على **حاميات الجبل الغربي** في اليوم نفسه الذي هجمت فيه قبائل فزان على "**حامية القاهرة**" بسبها، وقد أدّى بدء الهجوم على قافلةٍ عسكريةٍ إيطالية قرب **كاباو** إلى مقتل معظم

---

٨٧ حميدة، ص ١٦٦؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٧٠.

٨٨ الطاهر الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ط ٢ (دار الفتح للطباعة والنشر، ١٩٧٠)، ص ١٨٦– ١٩٦. يذكر هويدي، ص ٦١، أنَّ الهجوم على قلعة القاهرة بسبها وقع يوم ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩١٤.

٨٩ خليفة محمد التليسي، **معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الإيطالية** (طرابلس: المؤسسة العامَّة للنشر، ١٩٨٢)، ص ٤٥–٤٦.

٩٠ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٧٠.

جنودها والاستيلاء على غنائم من السلاح والتموين. كما أدَّى هذا الهجوم إلى بداية **انتفاضة الجبل فقد** هجم المجاهدون على الحاميات العسكرية الأخرى الأمر الذي أدَّى إلى انسحاب القوات الإيطالية إلى تونس في الأول من ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٤. أمّا في منطقة **الجفرة** فقد جرى تحرير **ودّان** في ١٥ من يناير/ كانون الثاني ١٩١٥ وبالتالي تمَّ تحرير فزان والجبل الغربي والجفرة.[٩١]

حاول القائد الإيطالي **(مياني)** إيقاف مسلسل هزائمه في مواجهة المجاهدين، فقام بإرسال حملتين جديدتين لاحتلال الجبل وفزان ولكنَّهما هزمتا، وقرّر من ثمَّ التركيز على منطقة سرت حيث تركزت معظم قوات المجاهدين، وحيث كان السيد **صفي الدين السنوسي** قد وصلها[٩٢] - كما ذكرنا- مكلفاً من السيد أحمد الشريف ليكون نائباً عنه ويتولى ربط المعسكرات السنوسية[٩٣] بالمنطقة الغربية والإشراف عليها.



قام (مياني) بتجنيد حوالي **(٣,٠٠٠)** ليبي من المنطقة الغربية من زليتن ومصراته وترهونة وألحقهم بقواته، وسار بهم إلى حيث التقى بقوات المجاهدين في **معركة القرضابية** قرب **سرت** يوم ٢٨-٢٩ إبريل/ نيسان ١٩١٥ حيث ألحق به المجاهدون - كما سلفت الإشارة - خسارةً فادحة. وبصرف النظر عن ردود فعل الجنرال الإيطالي المهزوم التي اتسمت بالوحشية المطلقة، فقد أدّت هذه المعركة إلى تقليص الوجود العسكري الإيطالي في المنطقة الغربية وفي مدينتي طرابلس والخمس.

أمَّا **فزان** فقد سبق أن حرِّرت، وكذلك **الجبل الغربي** و**الجفرة**، وكذلك الشأن في برقة - كما رأينا- فقد انحصر وجود إيطاليا العسكري في بنغازي والمرج.[٩٤]

غير أنّ **أجواء التفاهم والتعاون والتنسيق** التي سادت بين زعماء الجهاد

---

٩١ التليسي، المصدر نفسه، ص ٤٥-٤٦.

٩٢ وصل السيد صفي الدين السنوسي إلى منطقة سرت وكان في صحبته كل من الشيوخ صالح العسكري، ومصطفى أمنينه، ورويفع بن إدريس، وعبد العزيز صهد، وكان في استقبالهم المجاهد عبد الله بن إدريس. الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٩.

٩٣ معسكر المغاربة بقيادة صالح باشا لطيوش، ومعسكر أولاد سليمان بقيادة حمد بك سيف النصر.

٩٤ التليسي، المصدر نفسه، ص ٥١-٥٢.



الليبي خلال **معركة القرضابية** سرعان ما اختفت وحلّ محلّها التنافس والخصومة بل الحرب أحياناً، كما أدَّت الانشقاقات والصراعات بين الزعامات الطرابلسية إلى لجوء بعضهم إلى الجانب الإيطالي لحماية مصالحهم ضدَّ خصومهم.[٩٥]

كان **عبد النبي بالخير** قد وقف بقبيلته ورفلة على الحياد عندما بدأت الثورة ضدَّ الاحتلال الإيطالي في ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٤ في فزان والجبل، ولم ينضمّ إلى المقاومة إلا بعد هزيمة الجيش الإيطالي في معركة القرضابية (إبريل/ نيسان ١٩١٥). قرَّر عبد النبي مهاجمة الحامية الإيطالية في **بني وليد** عندما عرف خطورة موقفه المحايد تجاه إيطاليا. بعد هزيمة الجيش الإيطالي هجم مع عشائر **ورفلة** على الحامية الإيطالية في **بني وليد** واستولى عليها، **ومن ثمَّ أصبح جزءاً من حركة المقاومة والجهاد**.[٩٦]

مع تورّط الدولتين العثمانية والإيطالية في الحرب العالمية الأولى بدأت كل منهما في التنافس على كسب ولاء أو حياد أعيان وشيوخ القبائل في المنطقة الغربية.[٩٧]

استفاد أعيان المنطقة الغربية من المعونات العثمانية والألمانية في الفترة بين عامي ١٩١٦ و١٩١٨ عن طريق ميناء قصر أحمد بمصراته والحدود التونسية. ومن أبرز هؤلاء الأعيان نجد **سليمان الباروني** في الجبل، والشيخ **سوف المحمودي** في الجفارة، و**رمضان السويحلي** في مصراته، و**أحمد المريّض** في ترهونة، و**عبد النبي بالخير** في ورفلة. وقد بدأ الأعيان في التنافس على المعونات والسلاح لتدعيم نفوذهم على حساب خصومهم.[٩٨]

كان رمضان **السويحلي** الذي فاجأ القوات الإيطالية في معركة **القرضابية** الزعيم المفضل لضباط تركيا الفتاة، ولم يقوَ نفوذه فقط بسبب استيلائه على غنائم القرضابية ولكن بسبب المساعدات التي كانت تصل إلى ميناء قصر أحمد بمصراته بواسطة الغواصات الألمانية أيضاً. لقد أسَّس رمضان السويحلي **حكومة محلية في مصراته** بمساعدة الضباط الأتراك، وساعده نوري باشا وعبد الرحمن

---

٩٥ حميدة، ص ١٦٢.
٩٦ حميدة، ص ١٦١.
٩٧ المصدر نفسه، ص ١٦٢.
٩٨ المصدر، نفسه ص ١٦٢، ١٧١.

عزام (بعد أن تركا برقة في أعقاب فشل هجوم السيد أحمد الشريف بجيشه على مصر) في تنظيم شرطة ومدرسة عسكرية وجيش، وفي جمع الضرائب من شرق طرابلس، وقد أغراه ذلك كله بمحاولة بسط نفوذه على إقليم طرابلس، ومن ثم تقليص نفوذ خصومه مثل عبد النبي بالخير في ورفلة، وأحمد المرّيض في ترهونة، والسنوسيين في منطقة سرت.[٩٩]

رجع **الشيخ سوف المحمودي** من منفاه الاختياري في سوريا إلى المنطقة الغربية وسهل الجفارة بعد أن توقف في برقة.[١٠٠] وفي عام ١٩١٦ عيَّنته الدولة العثمانية **نائباً للسلطان** في طرابلس الغرب. ويبدو أنّه استغل هذا المنصب والأموال والأسلحة التي تلقاها من الدولة العثمانية في تدعيم وضع أسرته وقبيلته على حساب خصومه من القبائل الأخرى، وقد أدَّت هذه السياسة إلى انضمام بعض هؤلاء (حرب النايلي شيخ قبيلة النوايل، وسلطان بن شعبان كبير أعيان بلدة زوارة) إلى الجانب الإيطالي عام ١٩١٧.[١٠١]

كما شهدت السنتان ١٩١٥-١٩١٦ تطوّر التنافس **بين أعيان وشيوخ الجبل الغربي** (بين أهالي جادو ويفرن من جانب، وقبائل الزنتان والرجبان من جانب آخر) إلى **حربٍ أهليةٍ** أضعفت جميع الأطراف، وكانت في محصّلتها على حساب حركة الجهاد ولمصلحة العدو الإيطالي.

وفي عام ١٩١٦ حاول **سليمان الباروني** و**عبد الرحمن عزام**[١٠٢] توحيد جهود أعيان وشيوخ القبائل في طرابلس فتدخَّلا للصلح بين **ترهونة** و**مصراته** لحل

٩٩ محمد مسعود فشيكة، **رمضان السويحلي** (طرابلس: دار الفرجاني، ١٩٧٤).

١٠٠ سلفت الإشارة إلى أنّ **الشيخ سوف** قد غادر ليبيا إلى تونس مع سليمان الباروني بعد معركة الأصابعة عام ١٩١٣، وعاد إلى برقة (منطقة الحدود مع مصر) مع الباروني وعدد من جنوده بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى واشتراك تركيا فيها. وقد منحه السيد أحمد الشريف رتبة بكباشي شرف تقديراً لشخصه وجهاده السابق، وطلب منه السفر بجنوده إلى طرابلس، وأن يقيم معسكراً هناك لمواصلة الجهاد ضدَّ الإيطاليين، وقد أطاع الشيخ سوف الأمر ورحل بجنوده إلى طرابلس، وكان ذلك في يناير/ كانون الثاني ١٩١٥. هويدي، ص ٥٨.

١٠١ حميدة، ص ١٥٩، ١٧١.

١٠٢ ولد **عبد الرحمن عزام** سنة ١٨٩٣ بمنطقة الشوبك بمصر، وذهب بعد حصوله سنة ١٩١٢ على الشهادة الثانوية من المدرسة السعيدية بالقاهرة إلى لندن لدراسة الطب في كلية سان توماس. وجاء إلى ليبيا (برقة) خلال الحرب العالمية الأولى، واشترك في معركة العقاقير يوم ٢٦/ ٢/ ١٩١٦ بين قوات السيد أحمد الشريف والقوات البريطانية عند الحدود المصرية الليبية. وقد طرد مع بقية الضباط الأتراك من برقة إثر هزيمة قوات السيد أحمد ولجأ إلى مصراته حيث دعم - مع بقية الضباط الأتراك - رمضان السويحلي وحكومته، ثمَّ أصبح عزام مستشاراً للجمهورية الطرابلسية في عام ١٩١٨. بعد توقف المقاومة في طرابلس رجع إلى مصر وأصبح نائباً في البرلمان المصري، ثم انتخب كأوّل أمينٍ عام للجامعة العربية في سنة ١٩٤٥. هويدي، ص ٨٣؛ حميدة، ص ١٦١.



الصراع بينهما حول (**أمسلاته**) التي أُعلنت منطقة محايدة.[١٠٣]

وفي النهاية، أدَّت هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى انسحاب ضباطها ومعداتها من طرابلس الغرب، الأمر الذي دفع الزعامات الطرابلسية إلى الدخول في مجموعةٍ من المراهنات والمبادرات والحلول السياسية، كما سيتَّضح فيما بعد.

١٠٣ حميدة، ص ١٧١.

حقبة الهدنة والاتفاقات مع الطليان

(١٩١٧-١٩٢٣)

(أ) في بــرقة

قبـل أن ينشـغل **السـيد أحمد الشريـف** بمعاركه مـع الإنجليز عـلى الحدود الليبية/ المصرية رأى أن يعيد تنظيم الأمور السياسـية والإدارية في برقة، فانتدب السـيد **محمد إدريس** لإدارة الأجزاء الغربية من برقـة المعروفة ببرقة البيضاء على أن تكون (أجدابيا) مركزه. ووكل أمر الجبل إلى السـيد **محمد الرضا** أخي السـيد إدريس، أمّا السيد **محمد صفي الدين** فقد عهد إليه أمر طرابلس.[١٠٤]



وعندمـا هُزم السـيد أحمد الشريف أمـام القوات البريطانية في شـهر يناير/ كانـون الثـاني ١٩١٦، **كانـت برقة في تلك الفـترة تمرّ بأصعب مراحـل تاريخها.** كانـت جائعة مريضة تعبة منهوكة القوى، انعدم فيهـا الأمن، وانتشر في ربوعها الإجرام والفسـاد، وتفشّـت الأمراض والأوبئة، ولاسـيما الطاعون الذي قضى عـلى مجموعـاتٍ كبيرةٍ من السـكان، واحتبسـت الأمطار موسـمين كاملين، كما أنَّ أرتـالاً مـن الجراد انتشـرت في البلاد، وأتت على كل مـا هو أخضر، وهلكت الماشـية وسـائر الحيوانات، فكانت تلك المجاعة تهديداً لبرقة بكاملها ونذيراً لها بالفنـاء العاجل.[١٠٥] وقد أدَّت معارك السـيد أحمد مـع الإنجليز إلى زيادة الأمور سوءاً فقد سدّت في وجه برقة آخر طريق كانت تقتات منه وهو طريق مصر.

أمام هذه **الظروف السـيّئة** اجتمع بعض أعيان أهل برقة، وتدارسـوا الحالة المخيفة التي حلّت بالوطن وأهله، وأرسـلوا كتبهم ووفودهم إلى السـيد إدريس بمقـرّه بأجدابيـا ليتدارك ما وقع فيه السـيد أحمد بمحاربته الإنجليـز جرياً وراء الأتـراك. وقبـل أن يتخذ **السـيد إدريس** أيَّ قرار لمعالجة الموقف كتب إلى السـيد

---

١٠٤ زيادة، المصدر نفسه، ص ٨٩-٩٠.

١٠٥ المصدر نفسه. ص ٩٠؛ هويدي، ص ١٠٨.

أحمد الذي كان يقيم بالواحات المصرية شارحاً له ما كان يجري في برقة، فردَّ الأخير برسالةٍ في أواخر عام ١٩١٦ جاء فيها:

"اعمل ما تراه مناسباً، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن حيث أنَّ لهم حقاً في ذلك .."[١٠٦].

إثر ذلك سلّم السيد أحمد الشريف شؤون برقة السياسية والإدارية والعسكرية إلى السيد إدريس وارتحل إلى **الجغبوب**. وإذ حسب السيد أحمد أنَّ بقاءه في البلاد قد يحرج السيد إدريس في معالجته القضايا العامَّة، انتقل من الجغبوب إلى **سرت**، حيث حملته غواصة ألمانية إلى **استانبول**.[١٠٧]




اتخذ السيد إدريس مدينة **أجدابيا**[١٠٨] مركزاً لقيادته ومقر رئاسة حكومته، ونظّم بها دواوين الحكومة السنوسية، وقسَّم الإدارات ونظم ورتّب الجيش، وشمل نفوذ هذه الحكومة جميع أراضي برقة من الحدود الليبية المصرية شرقاً إلى قصر سرت غرباً، ما عدا المنطقة الساحلية التي كانت خاضعة للسيادة الإيطالية.[١٠٩] كما قام بأعمال كثيرة لتنظيم شؤون برقة، ووضع النواة لجيش نظامي، كما قام بتسوية الخلافات بين بعض القبائل (كالعرفة والعبيد والدرسة).[١١٠]

حاول **الضباط الأتراك** في برقة، وعلى رأسهم نوري باشا، استمالة السيد إدريس إلى جانبهم. وقد جامَل السيد إدريس نوري باشا في البداية، ولكنَّه سرعان ما أعلن له صراحةً رفضه لاتّباع سياسة الأتراك والانضمام إليهم، **الأمر الذي جعل نوري وجماعته يسعون للتآمر عليه في الخفاء وتحريك الثورة ضدَّه**

١٠٦ أمين السعيد، **الدولة العربية المتحدة**، (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٨٣). ص ٣٦.

١٠٧ خدوري، ص ٢٦. لم يعد السيد أحمد الشريف بعد ذلك إلى بلاده، وإن ظل متابعاً لحركة الجهاد فيها، ومن الناحية النظرية، الزعيم الديني للحركة السنوسية. قضى سنوات الحرب الأولى في تركيا، وصرف الجزء الأكبر من سنيِّ فترة ما بين الحربين في دمشق والحجاز حيث وافته منيته في المدينة المنورة في ١٠ مارس/ آذار ١٩٣٣. خدوري، ص ٢٦.

١٠٨ **أجدابيا** مدينة قديمة كانت مشهورة في القرون الوسطى من حكم العرب. مقامة على أرضٍ منبسطة شبه صلبة. تبعد عن مدينة بنغازي قرابة مائة وستين كيلومتراً، وشرقي مدينة سرت بنحو أربعمائة كيلومتر، وأقرب مرسى بحري لها مرسى الزويتينة. وقد احتلها الطليان عام ١٩٢٣. انظر: طاهر أحمد الزاوي، **معجم البلدان الليبية** (طرابلس، مكتبة النور، ١٩٦٨)، ص ٢٠-٢١.

١٠٩ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٣٦٢.

١١٠ شكري، ص ٢٦٥.

وإبعاد المجاهدين عنه.

بدأ **تحرّك الضباط الأتراك وتآمرهم في أواخر سنة ١٩١٦** إثر دخول السيد إدريس، كما سنرى، في المفاوضات مع الإنجليز والإيطاليين. ونجح نوري وجماعته في تحقيق نصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر/ أيلول ١٩١٧ عندما طرد الأتراك منها السيد **محمد عابد السنوسي** (أخا السيد أحمد الشريف) الذي هرب من واحة (الواو) إلى (الكفرة). (بقيت فزان منذ ذلك الحين بيد الأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى).

كما سعى هؤلاء الضباط إلى تأليب المجاهدين ضدَّ السنوسيين في أجدابيا ذاتها في مطلع عام ١٩١٧، وتحرَّك السيد إدريس على رأس قوةٍ بصحبة السيد **عمر المختار** والسيد **قجّة عبد الله** (التشادي الأصل) إلى حيث يوجد معسكر الأتراك خارج مدينة أجدابيا، واختار معظمهم الرحيل عن برقة إلى طرابلس.



غير أنَّ الضباط الأتراك بقيادة نوري باشا **لم يتوقفوا عن التآمر** على السيد إدريس والسنوسيين والتضييق عليهم **في الكفرة وفزان والجفرة**، ودارت بين القوات السنوسية (من قبائل أولاد سليمان والمغاربة والقذاذفة) وقوات الأتراك (ومعظم جنودها ممَّن كانوا في خدمة القوات السنوسية في فزان ومن مسلحي مصراته وزليطن) معارك عديدة، من أشهرها المعركة التي دارت في **منطقة الأبيض** (قرب سبها) يوم ٢٠ أغسطس/ آب ١٩١٧، ومعركة **(سوكنة)** في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧.[١١١]

من جهةٍ أخرى، لم تكن علاقات السيد إدريس والسنوسية عامَّة **برمضان السويحلي** على ما يرام، فقد وصلت العلاقة بين الأخير و**السيد صفي الدين** إلى درجةٍ سيّئةٍ جداً، وحاول السيد إدريس تدارك ذلك الوضع السيئ فأمر ابن عمّه صفي الدين بالعودة إلى برقة، وبعث برسائل تصالحية إلى رمضان السويحلي كما سعى إلى إخماد الخلافات مع **عبد النبي بالخير**. ويبدو أنَّ تلك الجهود لم تجدِ نفعاً، فقد أعدَّ رمضان السويحلي جيشاً أسند قيادته إلى "**رمضان الورفلّي**" الذي اتجه به شرقاً حتى وصل قرب **أجدابيا**، ودارت بينه وبين السنوسيين عدَّة معارك على

١١١ انظر: هويدي، ص ١١٦-١٢١.

امتداد عام ١٩١٨. **وقد أدَّى ذلك إلى أن يجمع السيِّد إدريس جيشاً كبيراً جعله خطاً مسلحاً يمتدّ من (العقيلة) إلى قرب (واحة مرادة) جنوباً**. واستمرَّ تواجد هذا الخط العسكري إلى سنة ١٩٢٠ عندما وقعت الحرب بين رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير (زعيم ورفلة) وقتل فيها الأوَّل.[١١٢]

أمَّا علاقات **السيد إدريس** مع بقية **زعماء طرابلس** خلال السنوات ١٩١٦-١٩١٨ فقد كانت في عمومها **محدودة**، وتميَّزت علاقته بالسيد **أحمد المريّض** زعيم ترهونة بأنَّها كانت **جيدة**.[١١٣]

أمَّا فيما يتعلق **بموقف السيد إدريس من الطليان ومواصلة الحرب ضدَّهم**، فيبدو أنَّه كان من رأيه أنَّ سياسة التفاهم مع العدو الإيطالي، والوصول على الأقل إلى اتفاق مؤقت كحل وسط يقرِّب بقدر الإمكان بين وجهات النظر المتباينة، خطوة لا بدَّ منها من أجل العمل على فتح الطرق، المصرية خاصَّة، حتى يمكن القضاء على خطر المجاعة.[١١٤]

ومن جانبٍ آخر، كانت **بريطانيا** و**إيطاليا** حليفتين خلال الحرب، وكانتا قد اتفقتا (وظاهرتهما فرنسا في ذلك فيما بعد) على ألا تعقد أيّ منهما صلحاً منفرداً مع السنوسية، ولذلك أصرَّ الإنجليز على السيد إدريس بوجوب أن يتفاوض مع الإيطاليين في الوقت نفسه الذي يتفاوض فيه معهم، فقبل السيد إدريس، وقامت السلطات البريطانية في مصر بدور الوسيط.[١١٥] وكان من العوامل التي دفعت **إيطاليا** في اتجاه الدخول في مفاوضاتٍ مع السيد إدريس والوصول معه إلى اتفاق، الهزيمة التي منيت بها قواتها على أيدي النمساويين، ولاسيما في (**كابورتو**) عام ١٩١٧، الأمر الذي حمل إيطاليا على وقف حملاتها العسكرية في ليبيا.

- ففي مايو/ يونيو (أيار/ حزيران) من عام ١٩١٦ جرت أوّل مفاوضاتٍ بين بعثةٍ إيطالية وأخرى إنجليزية من جانب، وبين السيد إدريس من جانبٍ آخر. وقد عرِفت بمحادثات "**الزويتينة**" (نسبةً إلى

---

١١٢ انظر: محمد الأخضر العيساوي، **رفع الستار عمَّا جاء في كتاب عمر المختار**، (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٩٣٦)، ص ٤٧-٦٥؛ وشكري، ص ٢٢٣-٢٢٥؛ وفشيكة، ص ١٢٢.
١١٣ هويدي، ص ١٢١-١٢٢.
١١٤ شكري، ص ١٨٨.
١١٥ المصدر نفسه، ص ٩١؛ خدوري، ص ٢٧.

المكان الذي جرت فيه على الشاطئ بالقرب من أجدابيا) ولم تسفر تلك المفاوضات عن أيِّ اتفاق.[١١٦]

- استؤنفت المفاوضات في أوائل عام ١٩١٧ في منطقة **عكرمة** بالقرب من طبرق، وتوصَّل الفرقاء في إبريل/ نيسان ١٩١٧ إلى ما عُرف باتفاقية أو "**هدنة عكرمة**".[١١٧]

وجدت **إيطاليا** نفسها، بعيد الحرب العالمية الأولى، منهوكة القوى في الداخل، وعاجزةً عن إرسال قوّةٍ إضافية لتأكيد سيطرتها الفعَّالة على ليبيا، ومن ثمَّ رأت انتهاج سياسةٍ جديدة هدفها "**أن تحكم ليبيا دون اللجوء إلى القوة**" وأملاً في أن ينتهي الأمر بالليبيّين إلى القبول بالسيادة الإيطالية.[١١٨]



وفي ضوء هذه السياسة الجديدة، أصدرت الحكومة الإيطالية في ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٩ **قانوناً أساسياً** لبرقة،[١١٩] وقد نصَّ هذا القانون على أن يكون لبرقة **برلمانها** الخاص ومجلس **حكومتها** أو مجالسها المحلية، على أن يعيّن ملك إيطاليا والياً يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية فيها.

وقد أدرك **شيوخ القبائل** ما تنطوي عليه مبادرة الحكومة الإيطالية من خطر، فعقد نحو مائة من كبارهم اجتماعاً في **أجدابيا** قرّروا فيه أنَّهم "**لا يقبلون بالإيطاليين إلا في المدن الساحلية على أن يقتصر عملهم على التجارة.**"[١٢٠]

واتضح من "**القانون الأساسي**" من جهة، وقرار الشيوخ في برقة من جهةٍ أخرى، أنّه من الضروري المبادرة إلى مفاوضاتٍ جديدة لعلها تؤدّي إلى وضع الأمور في نصابها. وبدأت المفاوضات فعلاً، وفي ٢٥ من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٠ جرى التوقيع بين الطرفين على الاتفاق الذي عُرف بـ"**اتفاقية الرجمة**".

وبموجب هذه الاتفاقية، مُنح السيِّد إدريس لقب "**الأمير**" بحيث يكون وراثياً، وقُسِّمت برقة إلى قسمين: **الشمالي**، وفيه السواحل وبعض الجبل

---

١١٦ انظر المرجعين السابقين.
١١٧ للمزيد حول بنود هذه الاتفاقية وشروطها يمكن العودة إلى أحد المراجع الواردة في الفقرة السابقة.
١١٨ المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨.
١١٩ كانت إيطاليا قد أصدرت في ١ يونيو/ حزيران ١٩١٩ قانوناً أساسياً خاصَّاً بولاية طرابلس. خدوري، ص ٣٣.
١٢٠ زيادة، المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

الأخضر، يخضع للسيادة الإيطالية، و**الجنوبي** وهو داخل البلاد ويشمل الجغبوب وجالو وأوجلة والكفرة، ويكوّن إدارةً مستقلة هي "**الإمارة السنوسية**"، وأدخِل "القانون الأساسي" لبرقة في صلب "اتفاقية الرجمة".

وفي ضـوء هذه الاتفاقية تمَّ في إبريل/ نيسـان ١٩٢١ قيـام **أوّل مجلس نيابي** (نحو سـتين عضـواً أكثرهم من زعـماء القبائل الذين انتخبهـم أتباعهم، وبينهم عـدد قليـل مـن أبناء المـدن، وكان ثمَّـة ثلاثـة أعضاء إيطاليـين يمثلـون الجالية الإيطالية) واختير السـيد **صفي الدين السـنوسي** رئيسـاً له. وعقد المجلس **خمس** جلسـاتٍ (حتى مارس/ آذار ١٩٢٣) عندما ألغت إيطاليا جميع الاتفاقيات التي عقدتها مع السنوسية.[١٢١]

كانـت "**اتفاقيـة الرجمة**" قـد نصَّت على أن يتعَّهد الأمـير إدريس **بحلّ جميع الأدوار العسكرية**[١٢٢] (أدوار المجاهدين) وتسريح جميع الوحدات المقاتلة في مدَّة ثمانية أشهر، على أن يحتفظ الأمير بألف جنديٍّ فقط يستخدمهم في شؤون الإدارة وحفـظ النظـام.[١٢٣] غير أنَّ المدَّة المضروبة انقضت دون أن يقوم الأمير بتنفيذ ما تعهَّـد به، وقد تعلّل بأنَّ ذلك من شـأنه أن يثير الأهالي والقبائل دون فائدة. وقد بحـث الأمر من جديد بـين الإيطاليين والأمير إدريس، وانتهى البحث بينهما إلى إبرام اتفاق جديدٍ عرف بـ"**اتفاق بو مريم**" في ١١ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢١، واستحدثت بموجبه فكرة "**الأدوار المختلطة**"[١٢٤].

كان مـن الواضـح أنَّ أيّـاً من طـرفي هذا الاتفاق، وما سـبقه مـن اتفاقات، لم يكن راضياً كل الرضا عن شروطها، وربّما كان يشـتري الوقت لنفسـه مؤقتاً. وكان مـن المنتظر أن يعود كل منهما إلى سـاحة القتال يومـاً ما. وقد وقع **تطوّران** كان من شأنهما أن يعجِّلا بذلك اليوم.

---

١٢١ زيـادة، المصدر نفسـه، ص ٩٤-٩٦؛ خدوري، ص ٢٩-٣٠. وكان ذلك المجلـس الأوّل من نوعه في دنيا العرب. انظر: نقولا زيادة، **ليبيا من الاسـتعمار الإيطالي إلى الاسـتقلال**، (القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسـات العربية العالية، ١٩٥٨)، ص ٩٢-٩٣.

١٢٢ كان كل "دور" يشكل وحدة عسكرية إدارية قضائية.

١٢٣ كما رضيت إيطاليا بموجب هذه الاتفاقية أن تقدّم مساعدات مالية للإمارة السنوسية تمكنها من تنظيم أعمالها. انظر: زيادة، المصدر نفسه، ص ٩٦.

١٢٤ المصدر نفسه، ص ٩٧.

الأوَّل هو استيلاء **الفاشيست** على السلطة في إيطاليا في **أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٢**. ومن المعروف أنَّهم قد جاءوا معهم إلى الحكم بآراء قومية وسياسة استعمارية عنيفة،[١٢٥] وأعلنت الفاشية سياسة إقرار السلام عن طريق الفتح العسكري،[١٢٦] وعدّت أنَّ استسلام ليبيا إحدى مهامها المقدّسة[١٢٧].

الثاني، هو أنَّ **أهل طرابلس** عقدوا مؤتمراً لهم في غريان قرّروا فيه أن **يبايعوا** الأمير إدريس السنوسي أميراً على طرابلس أيضاً. وقام وفد بالنيابة عنهم بنقل رغبتهم إلى الأمير في أجدابيا في **٢٢ من إبريل/ نيسان ١٩٢٢**، وقد قبل الأمير بيعة أهل طرابلس في شهر نوفمبر/ اشرين الثاني من العام نفسه تحت إلحاح منهم ومن أنصاره.[١٢٨] وعهد الأمير إلى الطرابلسيين إدارة أمورهم برئاسة أحمد المريّض إلى أن يتمَّ انتخاب **المجلس الوطني** لليبيا.[١٢٩]

من جانبه أحسَّ الأمير إدريس السنوسي أنّ إيطاليا - في ضوء استيلاء الفاشيست على السلطة فيها - لا بدَّ أن تكون مضمرة شرّاً بالبلاد وبشخصه. لذلك رأى أن ينسحب من الميدان فذهب - بسبب سوء حالته الصحية - إلى **مصر** عن طريق الجغبوب في ٢٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢ تاركاً أخاه السيد **محمد الرضا** وابن عمّه السيد **صفي الدين** لإدارة شؤون برقة.





ومن جهتها تربَّصت إيطاليا قليلاً، ثمَّ في ٦ **مارس/ آذار ١٩٢٣**، ودون سابق إنذار أو إعلان حرب، استولت على "**الأدوار المختلطة**" والدور السنوسي في **خَوَلان**، وأسرت نحو نصف الجنود السنوسيين، كما قامت باحتلال مدينة أجدابيا يوم ٢١ إبريل/ نيسان ١٩٢٣. **وفي ١ مايو/ أيار ١٩٢٣** أعلن الجنرال **(بونو جيوفاني)** الحاكم الإيطالي الجديد أنَّ "**جميع الاتفاقات التي عقدتها الحكومة الإيطالية مع السنوسيين هي باطلة وملغاة**" وقد نقل الخبر رسمياً إلى

١٢٥ المصدر نفسه، ص ٩٨.

١٢٦ خدوري، ص ٣١.

١٢٧ جان فرنسوا تودينو، ٢١ **دولة لأمَّة عربية موحَّدة**، ترجمة د. خليل أحمد خليل (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٣) ص ٢٦١.

١٢٨ لم يقطع الأمير إدريس برأي بشأن هذه البيعة حتى استشار أنصاره زعماء برقة في مؤتمرٍ عقِد لهذا الغرض في منطقة **جردس العبيد** في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٢. وكانت وثيقة بيعة أهل طرابلس المؤرّخة في ٢٨ يوليو/ تموز ١٩٢٢ قد حملت إلى الأمير محمد إدريس في أجدابيا عن طريق وفدٍ طرابلسي برئاسة السيد **بشير السعداوي** يوم ٢٢ أغسطس/ آب في العام نفسه. خدوري، ص ٣٤.

١٢٩ زيادة، المصدر نفسه، ص ٩٨.

الأمـير إدريـس (الذي كان قد وصل إلى القاهرة) وزيـر إيطاليا المفوّض في مصر يوم ٣ مايو/ أيار ١٩٢٣. [١٣٠]

وكان ذلـك إيذاناً ببدء حقبةٍ جديدة من الجهـاد الليبي في برقة ضدَّ الطليان بقيادة سيدي **عمر المختار** كما سنرى.

(ب) في طـرابلس

كان لهزيمـة تركيا في الحرب العالمية الأولى، وانسـحاب ضباطها ومعدّاتهم مـن طرابلس، الأثر البالغ على حركة الجهاد فيها. ولمواجهة الموقف الجديد، دعا **سليمان الباروني** [١٣١] إلى **مؤتمر** يجمع كل أعيان وشيوخ قبائل المنطقة الغربية. وبعد مشاوراتٍ ومناقشات اتفق المؤتمرون على إعلان "**الجمهورية الطرابلسية**" في ١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٨ في عاصمتين "**العزيزية**" في السـاحل و"غريان" في الجبل الغربي. [١٣٢]



عكست "**الجمهورية الطرابلسية**" توازن القوى في المنطقة، أي وجود أعيان مثّلوا مناطق عديدة تدعمهم تحالفات قبلية وحكومات محلية صغيرة، ولهذا نجد المؤتمر قد انتخب "**مجلساً جماعياً**" لرئاسة الجمهورية مكوّناً من أهمِّ أربعة أعيان في المنطقة وهـم: **رمضان السـويحلي** زعيم مصراته، و**عبـد النبي بالخير** زعيم ورفلة، و**أحمد المريّض** زعيم ترهونة، ومنظم المؤتمر **سـليمان باشـا البـاروني** عضو البرلمان العثماني السابق وأحد زعماء الجبل الغربي. [١٣٣]

وانتخـب المجتمعون "**برلمانـاً**" [١٣٤] مكوَّناً مـن أربعة وعشرين عضـواً مثلوا أهـم الأعيان والشـيوخ في المنطقة الغربية. واختاروا لرئاسـته الشـيخ **محمد بك سـوف** زعيم قبيلة المحاميد، و**يحي بك الباروني** (شـقيق سـليمان البـاروني) نائباً

---

١٣٠ المصدر نفسه، ص ٩٨-٩٩؛ خدوري، ص ٣١-٣٢.

١٣١ كان البـاروني قـد غادر البلاد في عام ١٩١٣ وذهب إلى الآسـتانة، ثمَّ عاد عن طريـق غواصة ألمانية أنزلته بقصر حمد في مصراته يوم ١٦/ ٤/ ١٩١٦. وكان قد اسـتصدر مرسـوماً سـلطانياً يلحق طرابلس بتركيا، ويقضي بتعيينه والياً وقومنداناً لها. هويدي، ص ١٢٣.

١٣٢ الزاوي، المصدر نفسـه، ص ٣١٣-٣٢٩؛ الصلابي، المصدر نفسـه، ص ٦٥-٩٩. وبهذا الإعلان تكون الجمهورية الطرابلسية أوّل جمهورية أعلنت في شمال إفريقيا، وربَّما ثاني جمهورية في منطقة الشرق الأوسط بعد (جمهورية زحلة) في لبنان. حميدة، ص ١٧٢.

١٣٣ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٢٢-٣٢٤.

١٣٤ أطلقوا عليه اسم "مجلس شورى الجمهورية". انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ٧٥-٧٦.

لـه، و"**مجلسـاً قضائيـاً شرعيـاً**" مكوَّناً مـن أبرز علـماء الشريعـة، وألفوا شرطة وجيشاً. كما اختير زعيم غريان **مختار بك كعبار** مراقباً ومديراً مالياً (وزير مالية) للجمهورية، وعيِّن **عبد الرحمن عزام** (المصري) مستشاراً لشؤون الجمهورية.

وقام قادة الجمهورية الطرابلسية بإرسال الإعلان الجمهوري إلى حكومات إيطاليـا وفرنسـا وبريطانيـا والولايـات المتحدة طالبـين الاعـتراف بالجمهورية كحكومة شرعية تمثل الأهالي في المنطقة الغربية.



لم تنـل **الجمهوريـة الطرابلسـية** اعـتراف أو مسـاندة أي من الـدول الغربية المذكـورة، وفضلاً عن ذلك فقد اسـتنكرت إيطاليا إعلان قيامها. وعندما طلب قادة الجمهورية الاجتماع بالحكومة الإيطالية لمناقشة اتفاقية للصلح، والاعتراف لهـم بعدد من المطالب، رفض **القادة العسـكريون الإيطاليون** (في طرابلس) هذه المطالـب. غـير أنَّ **الحكومـة الإيطاليـة** في روما أوصـت بالمفاوضـات، واجتمع الطرفـان في "**حلـة الزيتونة**" وأسـفرت المفاوضات عن إبرام "**صلح سـواني بني يـادم**" في ١٨ من إبريل/ نيسـان ١٩١٩. كـما قامت الحكومـة الإيطالية بإصدار "**القانون الأساسي**" الخاص بالمنطقة الغربية في ١ يونيو/ حزيران ١٩١٩.[١٣٥]

كان "**صلح سواني بني يادم**" بلا شك مكسباً لقادة الجمهورية الطرابلسية، إذ وافقـت الحكومـة الإيطاليـة بموجبـه عـلى الاعـتراف بحقِّ الجنسـية للأهالي المسـلمين، واحـترام العـادات والتقاليـد المحليـة، وبحـقِّ التمثيـل في الحكومة بطرابلـس، وانتخـاب **برلمانٍ** طرابلسي. وعـلى الفور قام قـادة الجمهورية بتعيين ثمانيـة ممثلين للجمهورية في طرابلس.[١٣٦] كما أعلن الطرابلسـيون رسـمياً في ٣٠ سـبتمبر/ أيلول ١٩١٩ عن تأسيس "**حزب الإصلاح الوطني**" من أجل الدفاع عن مكاسـب البلاد، وإيقاظ الوعي الجماهيري السـياسي وأسـندوا رئاسـته إلى **أحمد بك المريِّض**، كما أصدروا صحيفة "**اللواء الطرابلسي**" ناطقةً باسمه.[١٣٧]

كانـت هذه المكاسـب غايـةً في الأهمِّيـة إذا مـا قورنت بمكاسـب حركات

---

١٣٥ حميـدة، ص ١٧٢. للمزيـد حول "القانون الأسـاسي" الخاص بطرابلـس انظر: الصلابي، المصدر نفسـه، ص ٩٤-٩٦.

١٣٦ حميدة، ص ١٧٢.

١٣٧ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.

التحـرّر ضدَّ الاسـتعمار في تلك المرحلة. وقد أدَّى وجود قيـادة محلية موحّدة في الجمهورية الطرابلسية إلى اعتراف الحكومة الاستعمارية بمطالب المقاومة.[١٣٨]

غـير أنَّ **الحكومة الإيطالية سرعان ما أخذت تماطل في تنفيذ شروط "صلح سواني بني يادم" وتحديداً فيما يتعلق بإعطاء** البرلمان الطرابلسي سلطاتٍ تشريعية فقد ظلت تصرّ على أن تبقى تلك السـلطات استشـارية غير ملزمة.[١٣٩] وقد أدّى التعنّـت الإيطالي إلى خلق **فجوةٍ كبيرةٍ** بين قـادة الجمهورية والحكومة الإيطالية، ومع ذلك بقي الصلح بين الطرفين قائماً حتى نهاية عام **١٩٣٠**.[١٤٠]

أصبحت الحكومة الاسـتعمارية الإيطالية، بعد عشر سنواتٍ من غزو ولاية طرابلـس الغـرب، ذات خبرة بالتركيبة الاجتماعية والسياسـية للمنطقة الغربية، وتحديـداً **التركيب المتوازن والهش للجمهورية الطرابلسـية**، ووجود صراعات وتنافس بـين الأعيـان والشـيوخ حـول النفـوذ والأراضي والضرائـب، ولأنَّ الحكومة الإيطالية رأت خطورةً في الموقف الجديد، بعد توقيع صلح سـواني بني يـادم وما تلاه من تطوّرات، سـعت إلى إفسـاد هذا الصلح من خلال اسـتغلال قابليـة بعض الأعيان والشـيوخ لوضع مصالحهم الشـخصية والقبلية والجهوية فوق كل اعتبار.[١٤١]

يقول الأستاذ **خليفة محمد التليسي** في هذا الصدد:

"ففـي مجـال العمـل السـياسي عملـت إيطاليـا عـلى إثـارة الفتنة والانشـقاق والانقسـام بين صفوف الزعماء، وسـعت إلى استمالة بعض الفئات وتأليبها على الفئات الأخرى، وكان أهمّ ما توخته في هذه الفترة العمل على إحداث انقسـام بـين **مصراتـه وورفلة** وبـين **ترهونة ومصراته**، ثـمَّ بين زعماء الجبـل الغربي. ولا مناص من الاعتراف بأنَ السياسـة الإيطالية، **فشـلت عسـكرياً** في هذه المرحلة التـي أعقبـت "**القرضابيـة**"، قد نجحـت نجاحاً كبيراً في إحـداث الصدع بين الصفـوف، بحيث لم تسـتأنف العمليات (العسـكرية) في عهـد (**فولبي**)[١٤٢] إلا

١٣٨ حميدة، ص ١٧٢-١٧٣.
١٣٩ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٩٨-٩٩؛ حميدة، ص ١٧٣.
١٤٠ حميدة، ص ١٧٣.
١٤١ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٠٠-١٠١؛ حميدة، ص ١٧٣؛ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٢٦٦-٢٦٨.
١٤٢ هو الحاكم الفاشستي العسكري (كونت فولبي).

بعد أن أوجدت من ذلك الانقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها".[١٤٣]

لقد انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا **بذور الفتنة بين العرب والبربر**، وبين **البدو والحضر**، وبين **سكان المدن والمناطق المتجاورة**. فكانت **الحرب بين مصراتة وورفلة** (أو بين رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير) في عام ١٩٢٠ والتي أدَّت إلى **مقتل السويحلي** يوم ٢٠ من أغسطس/ آب من ذلك العام. غير أنّ تلك الحرب، رغم بشاعتها، لم تكن بحجم كارثة الحرب الأهلية الثانية في الجبل الغربي بين **العرب** (الزنتان والرجبان) **والبربر**، على امتداد عامي ١٩٢٠-١٩٢٢ من وجهة نظر حركة الجهاد والمقاومة.[١٤٤]

أصبحت **الجمهورية الطرابلسية** – من الناحية الواقعية- غير ذات فاعلية نظراً للصراعات السياسية التي قامت بين بعض أقطابها ولاسيما السويحلي/ بالخير والباروني/ فكيني، كما أنَّ مقتل رمضان السويحلي وخليفة بن عسكر جعل القادة الطرابلسيين يحسّون بخطر انهيار المقاومة والجهاد، ومن ثم بضعفهم أمام الحكومة الاستعمارية. وهكذا دُعيَ كل أعيان وشيوخ منطقة طرابلس إلى مؤتمر عام عُقد في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام **١٩٢٠** في بلدة **غريان** عاصمة الجمهورية الطرابلسية.[١٤٥] واختار المؤتمرون **أحمد بك المريّض** رئيساً للمؤتمر.[١٤٦] وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته قراراً هذا نصّه:

"إنّ الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومةٍ قادرة، ومؤسَّسة على ما يحقق الشرع الإسلامي، بزعامة مسلم **ينتخب** من الأمَّة، لا يُعزَل إلا بحجّة شرعية وإقرار **مجلس النواب**، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب **دستور** تقرّه الأمَّة بواسطة **نوّابها**، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة .. ".[١٤٧]



١٤٣ خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣٢**، ط ٣ (بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣)، ص ٥٨-٥٩.

١٤٤ حميدة، ص ١٧٦-١٧٧.

١٤٥ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٢٥-٣٢٧.

١٤٦ امتنع **سليمان الباروني** عن حضور المؤتمر لتأثره بالحرب التي وقعت بين الزنتان والبربر، وأرسل إليه أحمد المريّض، بعد انتخابه رئيساً للمؤتمر، بأنه مستعدّ للتنازل له عن الرئاسة، فأبى، وحاول المؤتمر إقناعه فامتنع. أمّا **عبد النبي بالخير** فقد امتنع عن المشاركة في أعمال المؤتمر بسبب مقتل رمضان السويحلي على أيدي عساكر بالخير. انظر: الزاوي، المصدر نفسه، ص ٢٩٩-٣٠٠.

١٤٧ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٠١.



كما انتخب المؤتمر **هيئة سياسية** لملء فراغ القيادة السياسية للجمهورية الطرابلسية وتكوَّنت هذه الهيئة من (٢١) عضواً برئاسة الشيخ **أحمد المريّض**، كما اختير **عبد الرحمن عزام** مستشاراً للهيئة التي سمِّيت "**هيئة الإصلاح المركزية**".

وانفضَّ مؤتمر غريان وأبلغ قراراته إلى الحاكم الإيطالي في طرابلس (جوسيبي فولبي) وقرَّر إرسال وفد برئاسة **محمد بك فرحات الزاوي**[١٤٨] إلى روما لإجراء مفاوضاتٍ مباشرة مع الحكومة الإيطالية، غير أنّ الأخيرة لم تستقبل الوفد الذي رجع دون تحقيق شيء، وتأزَّم الموقف بعد رجوع الوفد حيث قامت السلطات الإيطالية في طرابلس باعتقال أناس من حزب الإصلاح الوطني.[١٤٩]

لقد كانت فترة ما بعد صلح سواني بني يادم (إبريل/ نيسان) من أتعس الفترات التي مرَّ بها التاريخ الليبي المعاصر، وأكثرها ظلمةً وسواداً، وقد أشار الأستاذ خليفة محمد التليسي إلى هذه الفترة في كتابه "بعد القرضابية"[١٥٠] بالعبارات التالية:

"يلاحظ أنّ **هيئة الإصلاح المركزية** لم تكن حكومة بالمعنى المفهوم للحكومة، وأنَّ كثيراً من المناطق قد ظلت غير خاضعة لحكمها ونفوذها، كما أنَّ بعض الزعامات قد ظلت محافظة على موقفها **الفردي**، وكانت تستقل في كثيرٍ من الحالات بتقدير الوضع السياسي على أساسٍ **جهوي**، وبما تقتضيه **مصلحة منطقتها، أو مقاطعتها، وأحياناً قبيلتها وعشيرتها، ممَّا انعدم معه عنصر الوحدة الوطنية** الملزمة بالموقف الموحَّد، خاصّة في هذا الظرف العسير، بحيث يعَدّ الخروج عليه، أو التخاذل عنه، خيانة تحسب على الخارج أو المتخاذل، وكانت هذه هي الثغرات التي نفذ منها الإيطاليون واستطاعوا استغلالها أحسن استغلال. وقد فطن الوطنيون إلى الخطر الكامن وراء انعدام توحّد القيادة، ولكن ذلك كان **بعد فوات الأوان**، وقد نتج عن ذلك تعدّد في المواقف، واختلاف في وجهات النظر، وترك الأمر للاجتهاد الخاص، يحدّد الموقف

---

١٤٨ يذهب خدوري إلى أنَّ الوفد كان برئاسة **خالد القرقني**. انظر: خدوري، ص ٣٣.

١٤٩ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٠١-٣٠٣.

١٥٠ انظر: محمد المرزوقي، **عبد النبي بلخير داهية السياسة وفارس الجهاد** (طرابلس - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨)، ص ١٢٠-١٢١.

ويرسم الطريق، فرأينا بعض الزعماء يعارضون - عن اجتهادٍ خاص - المقاومة المسلحة لإيطاليا عقب نزولها بقصر أحمد، ورأينا آخرين يقفون على الحياد، كأنَّ الأمر لا يتّصل بهم من قريبٍ أو بعيد، ورأينا بعضهم يتشبَّث بأن يكون صاحب الكلمة النهائية في إبرام الهدنة، نظراً لأنَّ الاعتداء واقع على أرضه (بالمعنى الجهوي). **وهكذا تحدّدت مواقف الزعماء في تاريخنا، في كثير من الحالات، على أساس جهوي**، وكان لكل جهة صاحب يتولى أمرها ويقرّر مصيرها ويحدّد موقفها، وانعدام القاعدة السياسية قد عرَّض مواقف الزعماء وشخصياتهم لكثيرٍ من الخلخلة والاهتزازات ..".

كانت **الفتنة بين طرابلس وبرقة** قد اشتدَّت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبسبب **موقف بعض الزعامات الطرابلسية من السنوسية** (رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير...) وكذلك بسبب تآمر بعض **الضباط الأتراك** في ليبيا (ولاسيما المنتسبين إلى منظمَّة تشكيلات مخصوصة) ومَن وَالاهم (من أمثال عبد الرحمن عزام)، وقد ترتب على ذلك حصول **فتور بين البرقاويين والطرابلسيين استمرَّ لمدَّة خمس سنوات** وقعت خلالها حالات اقتتال واعتداء على الأموال والأشخاص.[151]



بادر **أحمد المريّض** رئيس "**هيئة الإصلاح المركزية**" بإرسال رسالةٍ ودّية للأمير **إدريس السنوسي** وبادله الأمير برسالةٍ مماثلة، وترتب على تلك الخطوة عقد اجتماع **بقصر سرت** بين وفدين من برقة وطرابلس.[152] وقد أسفر ذلك الاجتماع التاريخي عن إبرام **وثيقة هامَّة** مؤرّخة في **٢١ يناير/ كانون الثاني ١٩٢٢** جاء فيها:

"الحمد لله المبدئ المعيد، الفعَّال لما يريد، ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير أمَّة للعالمين، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء، وبعد: فقد اجتمعنا،

---

١٥١ انظر: هويدي، ص ١٢١-١٢٢ وص ١٦١-١٦٦؛ الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا**، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٤؛ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

١٥٢ ضمَّ الوفد البرقاوي الشيخ صالح باشا لطيوش، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصة، والشيخ صالح السنوسي بن عبد الهادي البراني، أمّا الوفد الطرابلسي فقد ضمَّ أحمد بك السويحلي، وعمر بو دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، والصويعي الخيتوني، والحاج صالح بن سلطان، وعبد الرحمن عزام. انظر: الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

نحـن الموقعـين على هـذه المعاهدة المفوَّضين مـن قبل طرابلس وبرقـة، وقرَّرنا، بعـد مداولة الفكر، المواد الآتيـة المتضمنّة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السرَّاء والضرَّاء:

١- يجب أن **نوحّد** كلمتنا ضدّ عدونا الغاصب لبلادنا وضدَّ المفسدين.

٢- يجب أن يكون **عدوّنا واحداً** وصديقنا واحداً.

٣- إنَّ كافَّـة ما وقع بـين الطرفين من **التجاوز** لا يطالـب به أحدٌ الآخر إلى أن تسـتقرَّ الحالة في الوطن، وتتعيَّن وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسـعى الطرفان في **المسـامحة** بين العربان، ومن يتعدَّى بعد الآن فعلى الحكومة التابع لها أن تعاقبه بما يستحق.

٤- كل مـن **يخالـف الجماعـة** ويـدسّ الدسـائس الأجنبيـة، عـلى الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الإسلامية.

٥- يرى الطرفـان أنَّ **مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضدَّ العدوِّ المشـترك تقضي بتوحيد الزعامة على البلاد**، ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أميرٍ مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل **دستورٍ ترضاه الأمَّة**.

٦- يتَّخـذ الطرفان الوسـائل اللازمة لتحقيق هذه الغايـة المذكورة في المادّة الخامسة، وأن تكون تولية **الأمير بإرادة الأمَّة**.

٧- متـى تحققـت الغايـة المذكورة في المـادّة الخامسـة يجب انتخـاب **مجلسٍ تأسـيسيٍّ** من الفريقين لوضع **القانون الأسـاسي** والنظم اللازمة لإدارة البلاد، وقبل ذلك، وتمهيداً لهذه الأعمال، يجب على الفريقين أن يرسـل كل منهـما مندوباً للبلدين لأجل أن يشـتركا في سياسـة البلاد والتدابير المقتضاة **للدفاع عن الوطن**.

٨- **يتعهَّـد الطرفان بـألاّ يعـترفـوا للعدوِّ بسـلـطة**، وأن يمنعوه من بسـط نفـوذه خـارج الأمـاكن المتحصِّن بهـا الآن، وفي حـالة **وقـوع حرب يتظافـر الفريقـان** على حـرب العـدو، **وألاّ يُعـقد صلـحٌ أو هدنة إلا**

بمــوافقة الفريقين.

٩- إذا **خـرج العدوّ من حصونـه** مهاجماً جهةً من الجهات وجب على الجهة الأخـرى أن تمدَّ المهاجَـم بالمهمّات الحربيـة والمال والرجـال، وأن تنذر العدوَّ بالكفِّ عن التجاوز، وإذا لم يكفّ تهاجمه هي بدورها.

١٠- تجتمع **هيئة منتخبّة من أهالي طرابلس وبرقة** مرَّتين في كل سنة في شهري المحرَّم ورجب للنظر في مصالح البلاد.

١١- يشترط أن يوافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس.

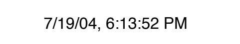
١٢- مهمّـة الهيئـة المذكـورة تأييد العلائـق الودّية بـين الطرفـين وتأييد هذه الاتفاقية."

كانت الحكومة الإيطالية تتابع ما يدور بين القيادات الطرابلسية والبرقاوية، وقد خشيت أن ينجم عن اللقاء بينهما نتائج ضارَّة بها، ومن ثمَّ فقد قرَّر **(فولبي)** احتـلال مصراتـه، وبالفعل قـام باحتلال **قـصـر حمد**، وقـام أيضاً بدعـوة **زعماء طرابلـس** إلى التفاوض معهم في **"قـصر الشريـف"**، غير أنَّ المفاوضات انقطعت يوم ١٠ إبريل/ نيسان ١٩٢٢ دون أن تسفر عن نتيجة.

بعـد انقطـاع مفاوضات **"فندق الشريف"** اسـتأنف الإيطاليون الحرب من جديـد، وأخـذوا يتوغلـون في الأراضي الطرابلسـية عـلى حسـاب المجاهديـن والمقاومة. وفي ضوء ذلك قام الطرابلسـيون بإرسـال **وفد**[١٥٣] في **٢٢ من إبريل/ نيسـان ١٩٢٢** إلى الأمـير إدريس السـنوسي في أجدابيـا يعرضون عليـه **مبايعته بالإمارة** تنفيذاً لما قرّرته "هيئة الإصلاح المركزية".[١٥٤]

وفي ٢٢ من أغسـطس/ آب ١٩٢٢ حمل وفد طرابلسي آخر برئاسـة السـيد **بشـير السـعداوي**[١٥٥] **وثيقة بيعة أهل طرابلس** للأمير إدريس مؤرَّخة في ٢٨ من

١٥٣ كان الوفد يتألف من الشيخ محمد بن حسن والشيخ محمود المسلاتي والشيخ الطاهر الزاوي.
١٥٤ انظر: الزاوي، المصدر نفسه، ص ٣٠٨-٣٢٣.
١٥٥ ضمَّ الوفد مع نوري السعداوي كلاً من محمد الصادق بالحاج والشيخ محمد عبد الملك وعبد الرحمن عزام.





يوليو/ تموز ١٩٢٢ في أجدابيا. وبعد أن استشار الأمير زعماء برقة حول هذا الموضوع، خلال مؤتمر عقده معهم في **جردس العبيد** خلال شهر أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٢، قام (الأمير) بقبول تلك البيعة[١٥٦] في ٢٢ من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من العام نفسه. وقد عهد الأمير إدريس إلى الطرابلسيين إدارة أمورهم عن طريق الهيئة المركزية للإصلاح برئاسة **أحمد بك المريّض** إلى أن تجتمع هيئة وطنية لوضع نظام للبلاد.

في هذه الأثناء، كان **الفاشيست** قد استولوا على السلطة في إيطاليا (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٢)، كما تحرَّك الجيش الإيطالي في طرابلس واحتل **يفرن** في ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول، واحتل **غريان** في ١٧ نوفمبر/ تشرين الثاني من العام نفسه، ثمَّ بدأت مدن المنطقة الغربية تتساقط الواحدة تلو الأخرى، وتمَّ احتلال الجبل الغربي بكامله مع نهاية عام **١٩٢٢**.[١٥٧]





قبل أن يرحل الأمير إدريس إلى مصر للعلاج في ٢١ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢ بحث مع السيد **بشير السعداوي**[١٥٨] مسألة استمرار الجهاد ضدَّ الطليان في طرابلس، وكان السعداوي قبل ذلك قد تقدَّم للأمير إدريس بمشروع إنشاء هيئة مركزية في برقة من رؤساء القبائل تضطلع بأعباء الإدارة، واختار الأمير لرئاستها الشيخ مختار الغدامسي من أكابر علماء البلاد. وبعد سفر الأمير إلى مصر، اجتمعت "**الهيئة المركزية البرقاوية**" عدَّة مرّات ونظرت في شؤون البلاد وتهيئة وسائل الجهاد، وحضر بشير السعداوي جلسات تلك الهيئة، وعرض على الحاضرين تشكيل "**جبهة متّحدة من برقة وطرابلس**" لمتابعة الجهاد، ووافق الحاضرون على اقتراح السعداوي.

وتحرَّك بشير السعداوي برفقة السيد صفي الدين السنوسي يوم ٩ مارس/ آذار ١٩٢٣ في اتجاه طرابلس لهذا الغرض، وكان برفقتهما عدد من خيرة المجاهدين من أمثال **أحمد بك سيف النصر**،[١٥٩] وبعد لقائهم **بأحمد المريّض** في

---

١٥٦ للاطلاع على نصِّ وثيقة البيعة (وهي من صياغة السيد بشير السعداوي) وخطاب قبول البيعة، يمكن مراجعة **السنوسية دين ودولة**، ص ٢٥٩-٢٦٢.

١٥٧ حميدة، ص ١٧٧؛ الزاوي، المصدر نفسه، ص ٢٨٥.

١٥٨ للمزيد حول شخصية السيد بشير السعداوي وجهاده، راجع سلسلة المقالات التي نشرها محمود السيد الدغيم (كاتب سوري مقيم في لندن) في أعداد صحيفة الحياة اللندنية (فبراير/ شباط - مارس/ آذار ١٩٩٥).

١٥٩ تلقوا في الطريق إلى بلدة سرت خبر استشهاد المجاهد محمد سعدون السويحلي أخي رمضان السويحلي.

سرت توجَّهوا إلى معسكر المجاهدين في (**وادي نفد**) بين ورفلة ومصراته.

وتولى السيد **صفي الدين السنوسي** قيادة "**معسكر نفد**" خلال الفترة من إبريل/ نيسان حتى ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٣ وقد بذل خلالها **بشير السعداوي** جهوداً عظيمة من أجل حشد جموع المجاهدين حول السيد صفي الدين والسنوسية، غير أنَّه لم يمض وقت طويل حتى أخذ زعماء المجاهدين في ترك المعسكر، ولم يبقَ فيه سوى **أحمد السويحلي** (من إخوة رمضان السويحلي) فقد كانت القوات الإيطالية تواصل احتلالها للمدن في منطقة طرابلس.[١٦٠]

واصل السيد **بشير السعداوي** محاولاته لجمع كلمة المجاهدين، وعقد الاجتماعات لتحقيق هذه الغاية في "**القرضابية**" ثمَّ في "**قصر هادي**" وتسلم القيادة في سرت، وجمع شتات المنهزمين اللاجئين إلى سرت، وكانوا نحو خمسين أو ستين ألفاً، وكان من نتائج هذا العمل أن ثبَّت المجاهدون في مصراته وترهونة أقدامهم. غير أنّه بعد أن تمكن الإيطاليون من مهاجمة ورفلة انحلت المقاومة تماماً، واضطر بشير السعداوي إلى **مغادرة سرت** في عام ١٩٢٤ بعد أن مكث فيها نحو سنة تقريباً. وكان خروج السعداوي مؤذناً بأنَّ المقاومة ضدَّ الطليان في طرابلس قد انتهت فعلاً، وأنَّ الأمر قد استتبَّ لهم فيها أخيراً..[١٦١]



أمّا **فزان** فقد كانت خلال تلك الحقبة تحت حكم ضابطٍ عسكري مغامر اسمه **خليفة الدعيكي الزاوي**، كان ضابطاً في الجيش العثماني في إدارة فزان، ثمَّ استقل بعد الانسحاب العثماني (١٩١٢) بحكم فزان في **مرزق** بمساعدة القبائل المعادية لأولاد سليمان، كالمقارحة وأرياح. وقد دعَّم حكمه بالتحالف مع سليمان الباروني ومع رمضان السويحلي وحكومته بمصراته منذ عام ١٩١٦.

استطاع خليفة الزاوي **هزيمة القوات السنوسية** في فزان والعياط في وادي الشاطئ وكان ينظر إليهم كمنافسين لحكمه.[١٦٢] ولكنَّه لم يحكم سوى القسم الغربي من فزان، أمّا **القسم الشرقي** منها فقد ظل تحت سلطة تحالف أولاد

١٦٠ شكري، ص ٢٦٨-٢٦٩. اضطرَّ السيد صفي الدين أمام انحلال المقاومة وضعف حركة الجهاد أن يذهب إلى جالو ومنها إلى الجغبوب.
١٦١ شكري، ص ٢٦٩.
١٦٢ حميدة، ص ١٥٨، ١٨١؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٤؛ هويدي، ص ١١٦-١٢١.

سليمان بقيادة عائلة سيف النصر، وتحديداً الأخوان أحمد وعبد الجليل سيف النصر اللذان كانا مواليين للسنوسية ولاءً كاملاً.

وشهدت هذه الحقبة انسحاب بقية قبائل المقاومة مثل الزنتان وأولاد بوسيف والمشاشية وورفلة إلى منطقة فزان الصحراوية. ويلاحظ في هذه الفترة أنَّ العديد من الأعيان والشيوخ الذين تردَّدوا في محاربة الطليان في المرحلة الأولى عرفوا بأنَّ السياسة الإيطالية الجديدة لن تميّز بينهم، وأن لا مكان لهم في ظل الحكم الفاشستي، ولهذا نجد أنَّ قبائل المشاشية وورفلة بدأت في حرب عصاباتٍ لإبطاء التوسّع الإيطالي في إقليم فزان.[١٦٣]

وإذا حاولنا أن نرسم صورة **لمصائر زعماء الجهاد والمقاومة** في ليبيا في أواخر تلك الحقبة نجدها كالآتي:

- بالنسبة لبرقة، هاجر السيد أحمد الشريف إلى تركيا خلال شهر أغسطس/ آب ١٩١٨، كما هاجر الأمير إدريس إلى مصر في ٢١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢، كما ارتحل السيد صفي الدين السنوسي إلى الجغبوب في سبتمبر/ أيلول عام ١٩٢٣.

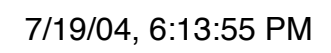
- أمّا بالنسبة لطرابلس، فقد لقي بعضهم مصرعه على أيدي منافسيه كما حدث لرمضان السويحلي (١٩٢٠) أو على أيدي الإيطاليين كما حدث لخليفة بن عسكر والهادي كعبار وعلي بن تنتوش وعبيدة المحجوبي وعلي الشنطة وفرحات الزاوي وسعدون السويحلي. كما اضطر بعضهم إلى الهجرة كما حدث لسليمان الباروني[١٦٤] وأحمد المريّض[١٦٥] وبشير

---

١٦٣ حميدة، ص ١٨١.

١٦٤ هاجر سليمان الباروني خارج ليبيا وأصبح مستشاراً لحكومة مسقط بدولة عُمان وتوفي إثر مرضه في مدينة (بومباي) بالهند عام ١٩٤١، الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

١٦٥ هاجر أحمد المريّض إلى مصر وتوفي بالفيوم عام ١٩٤١، المصدر نفسه، ص ١٢٤.



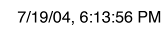
السعداوي،[١٦٦] كما اضطر البعض الآخر إلى اللجوء إلى منطقة فزان في جنوب البلاد كما حدث لعبد النبي بالخير.

- أمّا بالنسبة لفزان، فقد بقي زعماؤها خلال هذه الحقبة بمنأى عن الجيش الإيطالي بل أصبحت فزان ملاذاً لعددٍ من قبائل المقاومة وزعمائها من أمثال عبد النبي بالخير[١٦٧] وسالم عبد النبي الزنتاني.[١٦٨]





١٦٦ هاجر إلى فلسطين وسوريا عام ١٩٢٤.
١٦٧ بعد التوسّع الإيطالي في فزان، اختفى عبد النبي بالخير في الصحراء الجزائرية في صيف عام ١٩٣٢، ولم يعثر على جثته قط. انظر: المرزوقي، ص ٢٠١.
١٦٨ هاجر إلى تونس ومات عطشاً في صحراء الجزائر، ولم يعثر على جثته هو أيضاً. انظر: حميدة، ص ١٨٢.



حقـبة الجهـاد الثانية

(١٩٢٣-١٩٣٢)

تبـدأ هـذه الحقبـة باسـتيلاء **الفاشيسـت** عـلى مقاليـد السـلطة في إيطاليـا في أكتوبر/ تشريـن الأول ١٩٢٢، فقد عدّت الفاشـية أنَّ استسـلام ليبيا إحدى مهامهـا المقدَّسـة،[١٦٩] ومـن ثمَّ فقد تحـوَّل العـدوان الإيطالي في هـذه المرحلة إلى حـرب إبادةٍ معلنة، حرب إبادة الجنس بلا خفاء وبـكل ضراوة. فقد كان الغزاة كقاعدة يخيّرون الوطنيين علناً بين الاستسـلام المطلـق والإبادة المطلقة، ليفرض العدوّ ما سمّاه بـ"السلام الروماني" Pax (Peace) Romana .[١٧٠]

لقد شـكلت هذه السياسة الفاشسـتية الجديدة تهديداً لكل حركات الجهاد والمقاومة؛ للإمارة السنوسـية في برقة، وللجمهورية الطرابلسية وهيئة الإصلاح المركزية، وللتحالفات القبلية المستقلة في فزان والقبلة.[١٧١]

غـير أنَّ **المقاومة الطرابلسـية** - كـما رأينا- لم تطل بعد عـام ١٩٢٤ وتحديداً بعد انسـحاب قبائل الزنتان وأولاد بوسـيف والمشاشـية وورفلة إلى منطقة فزان الصحراويـة، وبعـد مغـادرة **بشـير السـعداوي** لـسرت وهجرته خـارج ليبيا في ذلـك العام. ولكنَّها اسـتمرَّت في فـزان حتى عـام ١٩٣٠، وفي بـرقة حتى عام ١٩٣٢.[١٧٢]

الجهاد في بـرقة

ارتبـط الجهاد في هذه الحقبة باسـم **الشـيخ عمـر المختار** الـذي كان في عام ١٩٢٣ (عندما اسـتولى الفاشيسـت على الحكم في إيطاليا) **قد جاوز السـتين من عمره** ومع ذلك فقد اسـتطاع، بإيمانه الفذ، وروحه الفتيَّة الجسـورة، وشـجاعته الخارقـة، وعبقريتـه القتاليـة، أن يخـوض، وفي أصعب الظروف، جهـاداً بطولياً

---

١٦٩ تودينو، ص ٢٦١.
١٧٠ حمدان، ص ٣٦.
١٧١ حميدة، ص ١٤٩.
١٧٢ المصدر نفسه، ص ١٦٣.

نادراً ضدَّ قوات الطليان الفاشيست امتدَّ نحو **تسع سنوات** حتى سبتمبر/ أيلول ١٩٣١.

وُلِد (سـيدي عمر)، كما كان يُعرَف بين المجاهدين، في قرية جنزور بمنطقة (دفنـة) في هضبة (المرماريكا) بـ(**البطنان**) بالجبـل الأخضر في برقة عام ١٨٦٢.[١٧٣] وهـو من بيت (فرحان) مـن عائلة (زيدان) من قبيلة (**المنفـة**) ذات الوجاهة الاجتماعية والنسب الديني الشريف.

تعلم في مدرسـة (**جنزور**) السنوسـية وأتمَّ تعليمه **بالجغبوب** مركز الحركة السنوسـية. وقـد اصطحبـه معه سـيدي **محمد المهدي السـنوسي** (الزعيـم الثاني للحركة) في رحلته الشـهيرة من (الجغبـوب) إلى (الكفرة) عام ١٨٩٥. وفي عام ١٨٩٧ أصدر سـيدي محمـد المهدي قراراً بتعيينه شـيخاً "لزاوية **القصور**" قرب المرج بالجبل الأخضر.



كان سـيدي عمر ضمن كتائب الحركة السنوسـية التي تصدَّت **للاسـتعمار الفرنـسي** في تشـاد (١٨٩٩-١٩٠٢). وقال عنه السـيد محمد المهـدي: "**لو كان لدينـا عـشرة مثـل المختار لاكتفينـا**". وفي عـام ١٩٠٦ رجع عمـر المختار بأمر مـن القيـادة السنوسـية إلى الجبـل الأخضر ليسـتأنف عملـه في زاويـة القصور. ولكن سرعان ما دُعي للمشـاركة في المعارك التي نشـبت بين الحركة السنوسـية والبريطانيـين في منطقة البردى وأمسـاعد والسـلوم على الحـدود الليبية المصرية عام ١٩٠٨.[١٧٤]

عندما وقع الغزو الإيطالي على المدن الساحلية في أكتوبر/ تشرين الأول من عـام ١٩١١ كان عمـر المختار في واحـة (**جالو**) جنوب أجدابيـا فخفَّ مسرعاً، استجابة لتوجيهات القيادة السنوسية، إلى (زاوية القصور) ووجَّه نداءه إلى أبناء قبيلـة العبيد والقبائل المجاورة لها بالاسـتعداد للجهاد، وخلال أيامٍ كان السـيد

---

١٧٣ إدريس الحرير، "عمر المختار نشأته وجهاده" دراسات في حركة الجهاد الليبي. ندوة علمية، مركز دراسات جهاد الليبيّين ضدَّ الغزو الإيطالي، بمناسبة الذكرى الخمسين لاستشهاد عمر المختار. إشراف الدكتور عقيل محمد البربار، (بنغازي: كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، ١٩٨٣). وتذكر مصادر أخرى أنَّ السيد عمر المختار ولِد في عام ١٨٥٨. انظـر: مجلـة **المحامـي** التـي تصدر عـن نقابة المحامـين الليبيّـين (العدد الثـاني في الخارج أكتوبر- ديسـمبر / تشرين الأول - كانون الأول ١٩٨٤)، ص ٨٦.

١٧٤ محمد الطيّب الأشهب، **عمر المختار**، "سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا" (بدون ناشر، وبدون تاريخ). انتهت هذه المعارك بضمّ السلوم إلى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية.



عمر المختار وبرفقته الشيخ أحمد العيساوي على رأس نحو ألفٍ من المجاهدين في طريقهم إلى (**معسكر بنينة**) للمجاهدين القريب من مدينة بنغازي، وشارك في "**معركة السلاوي**" التي وقعت في أواخر عام ١٩١١. [١٧٥]

كان عمر المختار خلال حقبة الجهاد الأولى من الملازمين للسيد أحمد الشريف والمقرَّبين منه، وبعد هجرة السيد أحمد الشريف إلى تركيا لازم المختار الأمير إدريس. [١٧٦] وعندما شرع الضباط الأتراك في تآمرهم لتأليب المجاهدين بمعسكر أجدابيا ضدَّ السنوسيين، منتهزين فرصة انشغال الأمير إدريس بمحادثات "**عكرمة**" قرب طبرق (يناير/ كانون الثاني ١٩١٧)، سارع الأخير بالتوجّه إلى (**تاكنس**) حيث كان يقيم عمر المختار، وسارا معاً إلى معسكر السنوسيين الذي كان تحت قيادة المجاهد **عبد الله قجة** وسافر ثلاثتهم إلى أجدابيا حيث تمكنوا من محاصرة معسكر الضباط الأتراك المتآمرين (برئاسة نوري باشا) وإجبارهم على مغادرة أجدابيا إلى مصراته. [١٧٧]

وفي عام ١٩١٧ كانت معسكرات (أدوار) المجاهدين الرئيسة في برقة سبعة معسكرات، وفيما كان علي باشا العابدية يشرف على معسكري (**أجدابيا والشليظيمة**) والسيد صفي الدين السنوسي يشرف على معسكرات (**مراوة وخَوَلان وعكرمة**)، كان السيد عمر المختار يتولى الإشراف على معسكري (**الأبيار وتاكنس**). وكثيراً ما قام الأمير إدريس، فضلاً عن ذلك، بتكليف عمر بمهام اتصالية مختلفة. [١٧٨]

قبل مغادرة **الأمير إدريس** البلاد إلى مصر في أواخر شهر ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢ عهد إلى السيد عمر المختار أن يكون نائباً عنه في الإشراف على الأعمال العسكرية والسياسية في برقة، وفي تنظيم معسكرات المجاهدين بها، واتفق معه على إسناد قيادة هذه المعسكرات إلى السيد محمد الصدّيق بن محمد الرضا وأخيه الحسن وقجَّة عبد الله، والفضيل بوعمر، ويوسف بورحيل، وحسين الجويفي، وعبد الله سلوم. [١٧٩]

---

١٧٥ الأشهب، المصدر، نفسه، ص ٦.

١٧٦ المصدر نفسه، ص ٥٦.

١٧٧ هويدي، ص ١١٦-١١٧.

١٧٨ المصدر نفسه، ص ١١٣، ١١٧.

١٧٩ شكري، ص ٢٦٧. من الصعب أن نؤكد مشاركة السيدين محمد الصدّيق وأخيه الحسن (الحصن) في قيادة المعسكرات ذلك العام لأنهما كانا دون سن الخامسة عشرة آنذاك، ولكن من المؤكد أنهما تسلّما قيادة بعض هذه المعسكرات بعد هذا التاريخ.





وبعد مغادرة الأمير إدريس، لم يُضِع عمر المختار الوقت، فقام، في إطار الاضطلاع، بأعباء مهام مسؤولياته الجديدة، بجولات في أغلب مناطق الجبل الأخضر والبطنان، اتصل خلالها بزعماء القبائل وبالأهالي، وقام بفتح باب التطوّع للجهاد، وكانت ترافقه في جولاته لجنة من أعيان وشيوخ قبائل المنطقة.[١٨٠]

وفيما كانت القيادة الإيطالية الفاشستية في برقة تعدّ العدَّة في السادس من مارس/ آذار ١٩٢٣ لإعلان الحرب من جديد على المجاهدين، والاستيلاء على "الأدوار المختلطة" والدور السنوسي في "**خَوَلان**"، كان عمر المختار قد وصل إلى **مصر** بصحبة **علي باشا العابدية** لمقابلة الأمير إدريس وإطلاعه على سير الأوضاع في البلاد، والاتفاق معه على تفاصيل وترتيبات الخطة الجديدة لمواجهة العدوان الفاشستي الصائل، كما اتفق معه على أن يكون **الحاج التواتي البرعصي** هو حلقة الاتصال بينهما. ثمَّ قفل راجعاً إلى برقة يحمل معه كتاباً من الأمير إدريس إلى السيد الرضا المهدي السنوسي (الوكيل العام للأمير) بأن تظل **القيادة العليا للمجاهدين في يد السيِّد عمر**.



حدث أثناء وجود السيد عمر في مصر أن قامت القوات الإيطالية، بعد استيلائها في السادس من مارس/ آذار ١٩٢٣ على "**الأدوار المختلطة**" والدور السنوسي في "**خَوَلان**"، أن اشتبك المجاهدون مع القوات الإيطالية في معركتين كبيرتين هما معركة (**بئر بلال**) ومعركة (**البريقة**) التي وقعت بعدها بأربعة أيام. وقد استشهد في المعركة الأولى المهدي الحرنة والشيخ نصر الأعمى وغيرهما، كما شارك فيها **صالح لطيوش** و**الفضيل المهشهش** (الذي كانت المعركة على نفقته). أمَّا المعركة الثانية فقد استشهد فيها أحد أبطال الجهاد (**إبراهيم الفيل العريبي**).[١٨١] كما وقعت معارك طاحنة بين الطليان ومعسكر **العواقير** بموقع (**البدين**)، وطلائع معسكر **المغاربة بالزويتينة**، وقد تمكن الإيطاليون في النهاية من الاستيلاء على **أجدابيا** يوم ٢١ إبريل/ نيسان ١٩٢٣.

اشتبك السيد عمر **فور عودته** من مصر بالقوات الإيطالية، التي كانت تتربَّص به وتترصَّد حركته، عند "**بئر الغبي**" بالقرب من طبرق، ثمَّ واصل

١٨٠ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٥٦.
١٨١ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٦٤-٧٠.




السيد عمر تحرّكه نحو (واحة جالو) حيث التقى بالسيد الرضا وأبلغه تعليمات الأمير إدريس، واتفق معه على جملة من الترتيبات لتنظيم حركة الجهاد في منطقة الجبل الأخضر وبقية مناطق برقة.[١٨٢]

في هذه الفترة، تركزت معسكرات (أدوار) المجاهدين في برقة في **معسكر المغاربة** بقيادة **صالح لطيوش** و**معسكر العواقير** بقيادة **قجّة عبد الله** و**عبد الحميد العبّار** (في برقة البيضاء)، كما جرى إنشاء ثلاثة معسكرات أخرى: الأوّل **للبراعصة** بقيادة **حسين الجويفي البرعصي**، والثاني **للحاسة** بقيادة **الفضيل بوعمر**، والثالث معسكر **البراغيت/ العبيد** بقيادة **يوسف بورحيل المساري**. وقد اتخذ السيد عمر، الذي كان يلقَّب **بنائب الوكيل العام**، من المعسكر الأخير مقرّاً لقيادته والرئاسة العامَّة. وهكذا تنظم في هذه المنطقة الواسعة جهاز إداري حكومي متكامل بتشكيل المحاكم الشرعية والصلحية وإدارة المالية (المحاسبة والأرزاق وجباية الزكاة الشرعية والخمس من الغنائم)، واستمرَّ التعاون بين هذه المعسكرات الثلاثة وفروعها في السرَّاء والضرَّاء، وباشرت مواصلة المقاومة بكل بسالة وجسارة واقتدار.[١٨٣]

شكل السيد عمر المختار "**مجلساً أعلى**" لقيادة العمليات الجهادية، وكان ذلك المجلس يتكوَّن من: يوسف بورحيل، وحسين الجويفي، والفضيل بوعمر، ومحمد الشركسي، وموسى غيضان، ومحمد مازق، ومحمد العلواني، وجربوع سويكر، وقطيط الحاسي، ورواق درمان، وفي حالة غياب السيد عمر كان **يوسف بورحيل** يترأس ذلك المجلس. كما كان لكل دور (معسكر) **مجلس** يتكوَّن من شيوخ القبائل وأعيانها من المعروفين بالحكمة وسداد الرأي، ومهمَّة هذا المجلس **استشارية**، وهو في حالة انعقادٍ دائم لمواجهة الطوارئ والإسهام في حل المشاكل التي قد تحدث بالدور.[١٨٤]

يصف الجنرال (**بادوليو**)[١٨٥] عمر المختار في رسالةٍ بعث بها إلى وزير المستعمرات الإيطالي قائلاً:

---

١٨٢ شكري، ص ٢٧٣-٢٧٤.

١٨٣ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٦٤-٧٠. للمزيد حول نظام "الأدوار" انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٦٢-١٦٤.

١٨٤ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

١٨٥ جرى تعيين (بادوليو) حاكماً عاماً لطرابلس وبرقة في شهر يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٢٩. انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٧٣؛ زيادة، المصدر نفسه، ص ١٠٣.

"إنَّ الثورة تتركز حول رجل واحد يتمتع بسلطة وسمعة كاملتين. وإنَّ عمر المختار لا يقتسم سلطته مع أحد، ولديه أعوان أوفياء ومنظمون، ولذلك فليس من الممكن استعمال الأسلوب المعتاد، وهو استغلال الغيرة والتنافس والكراهية التي توجد عادة في حالة تعدّد الرؤساء. ففي كل الأوقات، وتحت جميع الظروف تملي إرادته القوية القانون. إنَّه قدير جداً كقائد وكمنظم. ولديه خدمات مخابرات في منتهى التنظيم، تمكنه من تفادي الدخول في المعركة عندما يتأكد بأنَّ الوضع ليس في صالحه، كما أنَّ لديه تنظيما قوياً مضاداً للجاسوسية ليضمن عدم انتشار أيّة معلومات غير تلك التي يريد نشرها هو، ولذلك فهو محصَّن تحصيناً مزدوجاً. كما أنَّ معرفته التامَّة بالأرض، وعلى الأخصّ المنطقة الجبلية الواسعة المليئة بالأحراش، تفيده في القيام بأيَّة حركة ..".

ثمَّ يضيف "**بادوليو**" في رسالته التي يتحدَّث فيها عن عمر المختار وما يتحلى به من مهارات قيادية، قائلاً:




".. يُضاف إلى هذا النظام البديع للمخابرات، قدرة عمر المختار، الذي لم تطغَ عليه الحميّة الحربية كما حدث لغيره، ولكن بتصرّفه الهادئ وتقديره المتزن لاستعداد قواته وما يمكن أن ينتج عن المعارك، يرفض الاشتباك ويوزّع قواته، وهي حركة دائماً يستطيع أداءها بسرعة فائقة، لأنَّ المعلومات عن حركاتنا تصله في الوقت المناسب، كما أنَّه يستطيع إرسال رجاله للتظاهر بالانضمام إلى القبائل التي دخلت تحت طاعتنا انتظاراً للوقت المناسب الذي يتجمّعون فيه معه من جديد..".[١٨٦]

وعلى الرغم من أنَّ تعداد الجيش الإيطالي في برقة قد بلغ منذ عام ١٩٢٦ نحو عشرين ألفاً وكان يمتلك أحدث الأسلحة يومذاك، وكان مزوّداً بالمدافع القوية والطائرات،[١٨٧] في الوقت الذي لم يكن فيه مع عمر المختار أكثر من المجاهدين من **ألف مقاتل** في وقت واحد لا يملكون في أيديهم أكثر من **ألفي بندقية**،[١٨٨] فقد اشتبك هؤلاء المجاهدون مع القوات الإيطالية خلال الشهور

١٨٦ أحمد، ص ٢٥-٢٨.
١٨٧ زيادة، المصدر نفسه، ص ١٠٥.
١٨٨ المصدر والصفحة نفسهما؛ انظر: أيضاً: غراتسياني، ص ٣٣، ٣٤، ١٢٤، وقد ورد به أنَّ عدد المجاهدين كان (٦٠٠) مجاهد، وقد نقص هذا العدد في عام ١٩٣٠ إلى (٥٠٠) مجاهد.

الثمانيـة عشر (منذ مجيء غراتسـياني إلى برقة في مـارس/ آذار ١٩٣٠ إلى حين أن السـيِّد عمـر المختـار في ١١ سـبتمبر/ أيلول مـن عـام ١٩٣١) في (٥٣) معركة و(٢١٠) مناوشات.[١٨٩]

حاولت السـلطات الإيطالية من جانبها على امتداد عامي ١٩٢٤ و١٩٢٥ زيادة الضغط العسكري على المجاهدين ولاسيما بعد سقوط **أجدابيا**[١٩٠] في أيدي قواتهـا في إبريل/ نيسـان ١٩٢٣، وقـد تمكنـت إيطاليـا مـن احتـلال **الجغبـوب** (العاصمة الروحية للحركة السنوسية) يوم ٧ فبراير/ شباط ١٩٢٦.[١٩١]

في عـام ١٩٢٧ جـرى تغيـير الحاكـم الإيطالي في برقـة، وجـاء (**تيروتسي**) وهـو الثالث منذ عـام ١٩٢٣ واتجه إلى احتلال منطقة **سرت** وما تبقى من الجبل الأخـضر. ووقعـت بين القوات الإيطاليـة والمجاهدين بقيادة عمـر المختار عدّة معارك شهيرة خلال هذا العام، من أشهرها: معركة **الرحيبة** (٢٨ مارس/ آذار)، ومعركة **بئر الزيتون** (١٠ يوليو/ تموز)، ومعركة أم **الشفاتير** (**عقيرة الدم**) وكانت بقيادة المجاهد **حسين الجويفي البرعصي** وبلغ فيها عدد الشهداء المجاهدين نحو (٢٠٠) شـهيد، وقد أعقبتهـا معركة أبيار **الزوزات** (١٣ أغسـطس/ آب) وهي المعركة التي استشـهد فـيها المجاهد **حسـين الجويفي**، ومعركة **راس الجلاز** (١٣ أكتوبر/ تشرين الأول).[١٩٢] وشـهد شهر سبتمبر/ أيلول من هذا العام (١٩٢٧) هجوم قبائل زوية على مرسى البريقة وجالو وأوجلة.

كما شـهد عام ١٩٢٨ تمكن القـوات الإيطالية من احتـلال منطقة (**سرت**) ثـمَّ احتـلال واحات **جالـو** و**أوجلة** وزلـة و**مـرادة في** ٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢٨.[١٩٣]

عـلى الرغـم من أنَّ خسـائر المجاهدين من الأرواح ما بـين الأعوام ١٩٢٣




---

١٨٩ زيادة، المصدر نفسه، ص ١٠٨؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٢٧؛ حميدة، ص ١٨٧.

١٩٠ حميدة، ص ١٨٦.

١٩١ كان السـيد إدريـس قد أصـدر أمراً للسـيد صفي الدين السـنوسي، الذي كان مقيـماً بالجغبوب، بالانسـحاب منها هو وأعوانه قبل وصول الحملة الإيطالية. كما كان هلال السـنوسي (شـقيق السـيد أحمد الشريف ١٨٩٣-١٩٢٩) والشارف الغرياني (من شيوخ السنوسية الذين نجحت إيطاليا في استمالتهم) في صحبة تلك الحملة. انظر: أحمد، ص ٤.

١٩٢ الصـلابي، المصـدر نفسـه، ص ١٥٩-١٧٠، وكان من بين شـهداء معركة "**أم الشـفاتير**" المجاهد الكبـير القائمقام (محمد بونجوى المسماري) وهو والد زوجة عمر المختار.

١٩٣ حميدة، ص ١٨٦.



و١٩٢٨ كانت كبيرة. إذ بلغت نحو (٣٥٢٩) شهيداً،[١٩٤] إلا أنّهم من جانبهم ألحقوا بالقوات الإيطالية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وقد وصف (تيروتسي) والي برقة **القوات الإيطالية** في آخر تلك الفترة بأنّها "**أصبحت الآن منهوكة القوى تخور إعياءً من شدَّة المعارك المستمرّة منذ فترةٍ طويلة دون توقف..**".[١٩٥]

أدَّت الحالة المتردّية التي آلت إليها القوات الإيطالية في برقة إلى استقالة كل من (**فيدرزوني**) وزير المستعمرات و(**دي بونو**) والي طرابلس و(**تيروتسي**) في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٢٨. وفي مطلع عام ١٩٢٩ أعلن (موسوليني) توحيد الإدارة في ليبيا، وعيَّن في يناير/ كانون الثاني الماريشال "بادوليو" حاكماً على طرابلس وبرقة. كما جرى تعيين "**سيشلياني**" نائباً له في برقة.



استهدف (**بادوليو**) في بداية مجيئه إلى ليبيا كسب الوقت للقوات الإيطالية المنهوكة في برقة، ثمّ العمل رويداً من أجل تحصين وتقوية المراكز التي جرى احتلالها، ومن ثمَّ الاستعداد لتطويق المجاهدين ومحاصرتهم والقضاء عليهم.[١٩٦] وفي إطار تنفيذ هذا البرنامج سعى إلى **مفاوضة** السيد **عمر المختار** لتهدئة الأحوال. ويبدو أنَّ السيد عمر من جانبه كان في حاجةٍ هو الآخر إلى بعض الوقت لتقوية حركة الجهاد التي فقدت كثيراً من قادتها وعناصرها ومواقعها، ومن ثمَّ فقد استجاب المختار لدعوة الإيطاليين للدخول في مفاوضاتٍ لتهدئة الأحوال، غير أنَّه لم يتردّد، أثناء تلك المفاوضات، في وضع **الشروط** التي من شأنها أن تكشف النيّة الحقيقية للسلطات الإيطالية وتدفعها في النهاية إلى الانسحاب من المفاوضات.[١٩٧]

وبعد خمسة شهور من "**المفاوضات العقيمة**"، التي بدأت في **شهر مارس/ آذار ١٩٢٩** وشارك في إحداها عن الجانب الإيطالي الماريشال "**بادوليو**" بنفسه،

١٩٤ (٨٠٠) شهيد في عام ١٩٢٣، و(٨٥٠) شهيداً في عامي ١٩٢٤-١٩٢٥، و(٣٠٣) شهداء في عام ١٩٢٦، و(١٢٩٦) شهيداً في عام ١٩٢٧، و(٢٨٠) شهيداً في عام ١٩٢٨. زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٢.

١٩٥ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٦٩.

١٩٦ المصدر نفسه، ص ١٧٣.

١٩٧ للمزيد حول هذه المفاوضات والشروط التي وضعها السيد عمر المختار يراجَع كتاب **السنوسية دين ودولة**، ص ٢٩٦-٢٩٩، وكان من بين ما اشترطه عمر المختار العودة إلى "اتفاق الرجمة" واشتراك ممثلين لتونس ومصر في المفاوضات. انظر: زيادة، المصدر نفسه، ص ١١١.

كتب المختار إلى نائب الحاكم الإيطالي في برقة (سيشلياني) يخبره برفضه للشروط الإيطالية جملة وتفصيلاً، وعاد القتال بين الطرفين سيرته الأولى، فوقعت معركة "قصر المقدم".[١٩٨] وفي **٢٠** من أكتوبر/ تشرين الأول **١٩٢٩** وجَّه المختار **منشوره** الشهير (**النداء الأخير**) إلى المجاهدين وأبناء الشعب الليبي يحثهم فيه على مواصلة الجهاد.[١٩٩] وقدِّرت خسائر المجاهدين خلال معارك عام ١٩٢٩ بنحو (٨٠٠) شهيد.[٢٠٠]

في **١٠ يناير/ كانون الثاني ١٩٣٠** قام الطليان بالهجوم على "الدور" الخاضع لقيادة السيد الحسن الرضا (الحصن)، وألقوا القبض على **السيد الحسن** نفسه ونفوه إلى جزيرة (أوستيكا)، ثمَّ إلى (فلورنسا)،[٢٠١] ثمَّ هاجموا بعد ذلك دور المجاهدين في **وادي مهجة** يوم ٢٨ يناير/ كانون الثاني من العام نفسه.

في **مطلع عام ١٩٣٠** عيَّن موسوليني الجنرال (**رودلفو غراتسياني**)، الذي كان قد أمضى تسع سنواتٍ في ليبيا شارك خلالها في حملات الجيش الإيطالي في طرابلس وفزان، نائباً للحاكم العام الإيطالي في ليبيا (المارشال بادوليو) وحاكماً لبرقة. ووصل غراتسياني برقة في **٢٧ مارس/ آذار ١٩٣٠** بتعليمات صارمة ومحدّدة من الحكومة الفاشستية بالقضاء المبرم على حركة المقاومة والجهاد فيها.

لم يكن غريباً أن تتسم أقوال غراتسياني وخطبه بالصلف وبالغرور،[٢٠٢] من ذلك ما عرف عنه في استفتاحه لخطبة في جموع الأهالي من الليبيّين بقوله: "صمُّوا أفواهكم وافتحوا آذانكم". كما خاطب حشداً من الأهالي في منطقة **البريقة** قائلاً:

> "ما أنتم إلا مثل سيجارةٍ مشتعلة من الجانبين، تلتهمها النار من هنا ومن هناك حتى تصبح رماداً، وهاهو ذا أنا أولع السيجارة من جانبي، ويوقدها عمر المختار من جانبه حتى يؤتى عليكم".

---

١٩٨ انظر: أحمد، ص ٧، ١٠، ١٤.

١٩٩ رأفت فتيحي الشيخ، **تطوّر التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، (ليبيا: دار التنمية للنشر والتوزيع، ١٩٧٢)، ص ٢٢٩.

٢٠٠ زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٢.

٢٠١ وافته منيّته في المنفى عام ١٩٣٦.

٢٠٢ انظر: الأشهب، المصدر نفسه، ص ١٢٤. سوف يتذكر القارئ هذه الأقوال عند مراجعة ما يرد على لسان قائد انقلاب سبتمبر ١٩٦٩ العقيد معمر القذافي فيما بعد.

كما قال في خطابٍ ألقاه من شرفة قصره **ببنغازي**:

"تحت يدي وتصرّفي باخرة تقف في الميناء، وبأقل إشارة منّي تنقل كل من أرى من الصواب نقله إلى إيطاليا، وهذا أخفّ ما نعاقب به".

وكثيراً ما ردَّد في خطبه:

"عندي لكم ثلاث حالات، الباخرة الموجودة في الميناء، وأربعة أمتار فوق الأرض (يقصد أعمدة المشنقة) ورصاص بنادق جنودنا".

حرص **غراتسياني** منذ مرحلة مبكرة على القيام بكل ما من شأنه أن **يحول دون المجاهدين ووصول الإمدادات لهم من بقية السكان**. ومن الخطوات الأولى التي قام بها في هذا الصدد **مصادرة جميع السلاح** الذي كان مع العرب الآمنين. كما وزّع على الجند البرقاوي، العامل في القوات الإيطالية، نوعاً خاصاً من البنادق يختلف عمّا كان بأيدي المجاهدين حتى يضمن ألا تتسرَّب هذه البنادق إليهم.[٢٠٣]

كما أنشأ غراتسياني ما عرف بـ"**المحكمة الطائرة**" وهي محكمة عسكرية يتنقل أعضاؤها بالطائرة إلى حيث يلقى القبض على من يتهم بأنَّه ساعد أحداً من المجاهدين، أو شارك في عمل عدائي. وكانت المحكمة تأخذ بالمظنَّة، ومحاكمتها صورية، وتصدر أحكامها في التوّ وتنفذ في الحال، وكانت أغلب أحكامها بالإعدام.[٢٠٤] ومع مجيء المحكمة الطائرة نُفذ نحو (٢٥٠) حكماً بالإعدام في فترة وجيزة.[٢٠٥]

وفضلاً عن ذلك، فقد قام غراتسياني **بإقفال الزوايا السنوسية**، وصادر أملاكها ونفى شيوخها وعطّل مرافق الحياة فيها.[٢٠٦] كما انتهج سياسة "**الأرض المحروقة**" إذ أمر بحرق الحبوب والتموين والاستيلاء على قطعان الماشية.[٢٠٧] [بلغت أعداد المواشي التي صودرت أو قتلت من قبل السلطات الإيطالية في

---

٢٠٣ زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٣.
٢٠٤ المصدر نفسه. ص ١١٤.
٢٠٥ غراتسياني، ص ١٥٣، ١٥٤.
٢٠٦ نقولا زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٤.
٢٠٧ حميدة، ص ١٨٨.



برقة خلال الفترة ما بين ١٩٢٣-١٩٢٩ نحو (١٤١،٧٦٦) رأساً].[٢٠٨]

أمَّا أكثر الخطوات التي أقدم عليها القادة الفاشيست في ليبيا عام ١٩٣٠ وحشية فهي ترحيلهم للقبائل البرقاوية، بنسائهم وأطفالهم وقطعانهم، وتجميعهم في "**المعتقلات الجماعية**" التي أقيمت خصيصاً في عددٍ من **المواقع الصحراوية** بعيداً عن مناطق تواجد المجاهدين.

يتحدَّث الماريشال (**بادوليو**) في رسالة موّجهة منه إلى (**غراتسياني**) عن هذه الفكرة الشيطانية قائلاً:

"الذي يجب عمله قبل كل شيء هو تكوين فاصل أرضي كبير ومحدَّد بين تشكيلات الثوار (المجاهدين) وبين الأهالي المستسلمين".

ثم يُعقِّب (بادوليو) في الرسالة نفسها على هذا الموضوع:

".. إنَّني لا أخفي مدى خطورة هذا الإجراء الذي يعني هلاك الأهالي (الذين وصفهم بالمستسلمين) ولكن الطريق قد رسم لنا ويجب علينا المضيّ فيه قدماً إلى النهاية **حتى ولو اقتضى ذلك قطع دابر جميع السكان في برقة** ..".

ثمّ يصدر في نهاية رسالته أوامره إليه:

".. بناءً عليه، فإنّه من الضروري تجميع السكان المستسلمين في مكان ضيّق بحيث يمكن مراقبتهم مراقبةً فعَّالة بحيث يكون هناك **فراغ يراعى بمنتهى الدقة** بينهم وبين الثوار"[٢٠٩].

وقد قدِّر عدد الأهالي الذين رُحِّلوا قسراً إلى هذه المعتقلات الجماعية ما بين (٨٠ و١٠٠) ألف نسمة. كما قدِّر عدد الذين خرجوا أحياء من هذه المعتقلات الجهنمية بما لا يتجاوز (٣٥) ألف نسمة، وفيما قتل بعض المعتقلين بأوامر الجنود الإيطاليين فإنَّ الغالبية قضت نحبها بسبب المجاعة وانتشار الأمراض.[٢١٠]

---

٢٠٨ نقولا زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٢.

٢٠٩ أحمد، ص ٢٩.

٢١٠ راجع ما ورد بشأن هذه المعتقلات في عدد من المراجع التي تناولت هذه المرحلة، وعلى سبيل المثال ما ورد في ص ١٩٠-١٩٣ من كتاب الصلابي السالف الذكر.

ومن أجل استكمال محاصرة عمر المختار والمجاهدين معه وقطع المؤن والمساعدات من **مصر** عنهم أقام (غراتسياني) **حاجزاً من الأسلاك الشائكة**[٢١١] على امتداد الحدود الليبية المصرية طوله نحو ثلاثمائة كيلومتر يبدأ عند البحر في الشمال وينتهي بعد (الجغبوب) في الجنوب. كما جرى وضع عدَّة نقاط عسكرية على امتداد الحاجز مزوّدة بجميع المعدّات الحربية.[٢١٢]

كما تذكر بعض المصادر أن غراتسياني فكر ذات مرَّة، عندما بلغ به اليأس مبلغه في القضاء على حركة الجهاد بقيادة عمر المختار، أن يقوم **بإحراق جميع غابات الجبل الأخضر** وأنَّ أحد مستشاريه الليبيّين هو الذي أثناه عن هذه الفكرة.[٢١٣]

ورغم كل ما قام به غراتسياني من جهود محمومة من أجل محاصرة عمر المختار والمجاهدين في برقة وقطع الإمدادات عنهم من كل مكان، إلا أنّهم استطاعوا أن يواصلوا عملياتهم الجهادية وأن يلحقوا بالقوات الإيطالية خسائر جسيمة. ويرجع الفضل في ذلك إلى عزيمة المجاهدين القوية من جهة، وإلى لجوء عمر المختار، من جهةٍ أخرى، إلى تطوير أساليبه القتالية بما يتماشى مع الظروف التي استجدَّت إذ أصبح يعتمد على عنصر المباغتة والمفاجأة في العمليات التي يشنّها على القوات الإيطالية في أكثر من موقع في الوقت ذاته.



تحدَّث **غراتسياني** عن **عمر المختار** وأساليبه في القتال في أكثر من موضع في كتابه "برقة الهادئة" .. فهو يقول عنه وعن تكتيكه القتالي:

"عمر المختار قبل كل شيء لن يسلم أبداً، لأنَّ طريقته في القتال ليست كالقادة

٢١١ استوحى غراتسياني إقامة هذا الحاجز من الأسلاك الشائكة لقطع الإمدادات عن المجاهدين ومنع تراجعهم إلى مصر من "حائط هادريان" المشهور الذي أقامه الإمبراطور الروماني عام ١٢٢ لمنع البرابرة من اختراق شمال بريطانيا إذ كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية آنذاك.

٢١٢ الأشهب، المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٥؛ زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٤. وقد ذكر غراتسياني في **برقة الهادئة**، ص ٢٣٢-٢٣٣، أنّ مدَّ ذلك الحاجز قد كلف الخزانة الإيطالية عشرين مليوناً من الفرنكات الإيطالية، إلا أنه قد نجح في تحقيق القضاء على المجاهدين والقضاء على التهريب والقضاء على حركة الإمدادات للمجاهدين عن طريق مصر.

٢١٣ الأشهب، المصدر نفسه، ص ١٣٧. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحكومة العثمانية فكرت بتنفيذ الفكرة ذاتها في الماضي في محاولة منها لإخماد عصيان قامت به قبيلة البراعصة ضدَّها، وسمع السلطان العثماني بالموضوع ومنع حكومته من تنفيذ هذه الفكرة. ومع ذلك فإنَّ أحداً لم يستطع أن يقنع العقيد القذافي بالعدول عن هذه الفكرة المجنونة ذاتها ويُثنيه عن حرق جزءٍ من غابات الجبل الأخضر في محاولة منه للقضاء على بعض العناصر المعارضة لحكمه في فترة التسعينيات.

الآخرين، فهو بارع في إفساد الخطط، وفي سرعة التنقل، بحيث لا يمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده"

".. إنَّه يكافح إلى أبعد حدٍّ لدرجة العجز، ثمَّ يغيّر خطته، ويسعى دائماً للحصول على أيِّ تقدّم مهما كان ضئيلاً بحيث يتمكّن من رفع الروح العسكرية مادياً ومعنوياً، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وهنا يسلم أمره لربِّه كمسلمٍ مخلصٍ لدينه .."[٢١٤]

كما تحدَّث **غراتسياني** عن استمرار عمر المختار في المقاومة بعد كافَّة الإجراءات التي اتخذتها السلطات الإيطالية من أجل محاصرته وتضييق الخناق عليه فقال بلهجةٍ شبه يائسة:

"بالرغم من إبعاد نجوع القبائل والسكان الخاضعين لحكمنا يستمرّ عمر المختار في المقاومة بشدَّة، ويلاحق قواتنا في كل مكان..".[٢١٥]

على الرغم من استمرار زخم العمليات الجهادية التي خاضها المجاهدون بقيادة عمر المختار منذ وصول **غراتسياني** إلى برقة في مارس/ آذار ١٩٣٠، أصبح واضحاً، في ظل الإجراءات التي اتخذتها السلطات الإيطالية في سبيل **محاصرة المجاهدين والتضييق عليهم**، أنَّ كفَّة القتال أخذت ترجح في صالح القوات الإيطالية، وأنَّ القضاء على المقاومة أصبح مسألة وقتٍ فقط ..

ففي ١٤ يونيو/ حزيران ١٩٣٠ تمكّنت القوات الإيطالية من الاستيلاء على منطقة **الفايدية** (بالجبل الأخضر) وجرّدوا أهلها الخاضعين لهم من السلاح. وفي ٣٠ أكتوبر/ تشرين الأول من العام نفسه وقعت معركة **(وادي السانية)** التي شارك فيها السيد عمر وفقد فيها "**نظاراته**" وجُندل فيها جواده المعروف.[٢١٦]

وقبل أن يكتمل ذلك العام، وفي العشرين من الشهر الأخير منه، وقعت بمنطقة **(كرسة)** بالجبل الأخضر معركة من أشهر المعارك بين المجاهدين والقوات الإيطالية، وأسفرت هذه المعركة عن استشهاد الشيخ **الفضيل بو عمر**

---

٢١٤ غراتسياني، ص ١٢٩.
٢١٥ المصدر نفسه، ص ٢٢٧.
٢١٦ أحمد، ص ١٨؛ انظر أيضاً: الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(الساعد الأيمن لعمر المختار) إلى جانب أربعين شهيداً آخرين في حين خسر العدو نحو (٥٠٠) قتيل من بينهم أربعة ضباط أحدهم برتبة (رائد).[٢١٧]

كانت "**واحة الكفرة**"، الواقعة في الجنوب الشرقي من ليبيا، يومذاك ذات أهمية معنوية واستراتيجية، فهي من جهة أصبحت العاصمة الروحية للحركة السنوسية بعد (الجغبوب)، كما أنَّها أصبحت ملاذاً لعددٍ كبير من زعماء الحركة والمجاهدين[٢١٨] الذين اضطروا للانسحاب من مناطق أخرى في الشمال أمام زحف القوات الإيطالية، وفضلاً عن ذلك فقد كانت مصدر إمداد لحركة الجهاد عبر الحدود التشادية والسودانية مع ليبيا وقاعدة خلفية لها. لذلك كان طبيعياً أن يتوجَّه تفكير القادة العسكريين إلى احتلالها بعد أن تمكنوا من السيطرة على أجزاء شاسعة من المنطقة الساحلية من البلاد، فجهَّز **غراتسياني** جيشاً كبيراً لم تشهده الصحراء من قبل، مُدعَّماً بـ(٢٠) طائرة مقاتلة و(٥٠٠٠) جمل،[٢١٩] وانطلقت القوات الإيطالية من مراكز تجمّعها في برقة (أجدابيا والعقيلة ومرادة وجالو) وفي الجنوب (واحة زلة) في وقتٍ واحد باتجاه (الكفرة).




لقد تصدَّى المجاهدون من قبائل أزويّة والمغاربة وغيرهم بقيادة الشيخ **عبد الحميد بومطاري** للقوات الإيطالية في معركة **(الهواري)**[٢٢٠] بكل بسالة وسقط منهم نحو (٢٠٠) شهيد، ولم يقع منهم في الأسر سوى ثلاثة عشر مجاهداً، غير أنَّ المعركة لم تكن متكافئة، ومن ثمَّ فقد تمكنت القوات الإيطالية من هزيمة المجاهدين واحتلال الكفرة يوم **٢٤ يناير/ كانون الثاني ١٩٣١** (٢٩ من شعبان ١٣٤٩ هـ)، وقام المارشال (بادوليو) بحضور الأمير الإيطالي (لوبليه) برفع العلم الإيطالي فوق (زاوية التاج).[٢٢١]

يتحدَّث **غراتسياني**، الذي تمَّت الحملة العسكرية على (الكفرة) تحت إشرافه، في وصف **(معركة الهواري)** ومقاومة المجاهدين خلالها:

٢١٧ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٩٨.
٢١٨ من هؤلاء، على سبيل المثال، أحمد سيف النصر وصالح لطيوش. الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٠٢.
٢١٩ حميدة، ص ١٨٨.
٢٢٠ كان عدد من قادة الجهاد في مناطق سرت وفزان قد لجأوا إلى الكفرة بعد سقوط مناطقهم في أيدي القوات الإيطالية (سرت عام ١٩٢٨، ومرزق في ٢٤/ ١/ ١٩٣٠، وغات في ٢٥/ ٢/ ١٩٣٠)، وكان من هؤلاء القادة الشيخ أحمد سيف النصر والشيخ صالح لطيوش.
٢٢١ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٠٠-٢٠١، زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٤.

"لقد كبّدتنا (الحملة على الكفرة) خسائر فادحة، وكنا حريصين على تحقيق النصر بأيِّ ثمن لكون قوات المجاهدين غير متكافئة (مع القوات الإيطالية)، رغم هذا كله كانوا أشـدَّاء أقوياء صامدين صابرين لا يتقهقرون أبداً، حتى لو أدَّى ذلك لفنائهم جميعاً، مؤمنين بأنَّهم أصحاب حقٍّ وشجاعة ..".[٢٢٢]

لم يكتفِ الجنود الإيطاليون باحتلال واحة الكفرة ورفع العلم الإيطالي على الزاوية السنوسية بها (زاوية التاج)، بل استباحوها استباحة كاملة لمدَّة ثلاثة أيام، وهتكوا أعراض النساء، وقتلوا الأطفال والشيوخ. وقد سجَّل الأمير شكيب إرسلان جانباً ممَّا ارتكبه الجنود الإيطاليون من جرائم بحقِّ أهالي الكفرة:

"إنَّهم (الجنود الإيطاليون) لَمَّا احتلوا واحة الكفرة في ١٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣١. استباحوا قراها ثلاثة أيام، فقتلوا من صادفوه من الأهالي، وكان من جملة القتلى بعض الشيوخ الأجلاء مثل محمد عمر الفضيل، والسيد حميد الفضيل، والشيخ فضيل الديفار، وغيرهم ممّن قتلوه صبراً، غير داخل في ذلك من قتلوا في المعركة التي جرت بين الأهالي وجيش الحملة الطليانية وهم (٢٠٠) شخص. ثمَّ أنَّ الطليان انتشروا في القرى والبساتين ونهبوا كل ما وقع في أيديهم، ولم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء، وصادفوا الشيخ مختار الغدامسي وهو شيخ فانٍ بلغ ثلاثاً وتسعين سنة، ومن أجلة علماء السنوسية، فحملوه مقيَّداً بالحبال على جمل ونفوه من الكفرة فمات في الطريق. ثمَّ اغتصبوا النساء في أعراضهن وقتلوا منهنَّ كثيراً ممن دافعن إلى الآخر عن أعراضهن. وكان نحو من (٢٠٠) امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالي، فأرسلوا قوة في أثرهن حتى قبضوا عليهن وسحبوهن إلى الكفرة حين خلا بهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن، وهكذا أنزلوا المعرَّات بسبعين أسرة شريفة من أشراف (الكفرة) الذين كانت الشمس تقريباً لا ترى وجههن من الصون، والعفاف ... وعلمنا أنَّ بعض شيوخ (الكفرة) الذين احتجّوا على هتك أعراض السيدات المذكورات قد أمر القائد الإيطالي بقتلهم، ثمَّ لما هجَّ هائج العالم الإسلامي من جرَّاء هذا الخبر وأشباهه أذاعت الحكومة الإيطالية تمويهاً ظاهراً زعمت فيه أنَّ الجيش تأثر للنسوة المائتين المذكورات شفقة عليهن، ولأجل أن يرجعن إلى بيوتهن آمنات، وغير ذلك من الأقاويل التي قصدت إيطاليا بها تخدير أعصاب

---

[٢٢٢] غراتسياني، المصدر نفسه، ص ٢١١.

المسلمين الذين بلغهم ما كان جرى بالكفرة من هذه الفظائع من هتك أعراض مخدرات المسلمين ومن استباحة الزاوية السنوسية المسمَّاة (التاج) وإراقة الخمور فيها، ودوس المصاحف الشريفة بالأقدام، هذا منضماً إلى ما كان بلغهم من قبل من إجلاء (٨٠) ألفاً من عرب الجبل الأخضر عن أوطانهم، وإماتتهم بالجوع والعطش، وأخذ أطفالهم قهراً إلى إيطاليا لأجل تنصيرهم، إلى ما كان بلغهم من فظائع كثيرة، مثل حمل الشيخ سعد شيخ قبيلة (الفوائد) وخمسة عشر شيخاً من رفاقه بالطائرات وقذفهم بهم من الجوّ على مشهدٍ من أهلهم حتى إذا وصل أحدهم إلى الأرض وتقطَّع إرباً صفَّق الطليان طرباً ونادوا العرب قائلين **(لِيأتِ محمد هذا نبيّكم البدوي الذي أمركم بالجهاد وينقذكم من أيدينا)**".[٢٢٣]

بعد **أسبوعين** تقريباً من سقوط (الكفرة) تمكن **محمد أسد**[٢٢٤] من الوصول إلى الجبل الأخضر -عن طريق الحدود المصرية- والتقى بالسيد **عمر المختار** حاملاً إليه رسالةً من السيد **أحمد الشريف**. وقد وصف محمد أسد ذلك اللقاء المثير في كتابه "**الطريق إلى الإسلام**"، وكان من بين ما جاء في ذلك الوصف:



" كان يحيط به (بعمر المختار) رجلان من كل جانب ... ورأيت أنّه كان يمشي بصعوبة، عرفت بعدئذٍ أنَّه قد جرح إبّان إحدى المناوشات قبل ذلك بعشرة أيام .. وعلى ضوء القمر المشرق استطعت أن أراه بوضوح ... كانت عيناه عميقتين، ومن الغضون المحيطة بهما كان باستطاعة المرء أن يعرف أنّهما كانتا ضاحكتين برّاقتين في غير هذه الظروف.. إلا أنّهما لم يكن فيهما الآن غير الظلمة والألم والشجاعة ..

واقتربت منه لأحييه، وشعرت بالقوة التي ضغطت بها يده على يدي .. (مرحباً بك يا ابني).. قال ذلك وأخذ يجيل عينيه[٢٢٥] فيَّ متفحصاً .. لقد كانتا عيني رجلٍ كان الخطر خبزه اليومي ..".

---

٢٢٣ لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة عجاج نويهض، علق على حواشيه الأمير شكيب أرسلان ط٤ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣) ج ٢، ص ٦٩-٧٢.

٢٢٤ نمساويّ الأصل، اعتنق الإسلام وتعرَّف على السيد أحمد الشريف أثناء إقامته بالحجاز، وقد تأثر به وأحبَّه حبّاً عظيماً، وتفاعل محمد أسد مع القضية الليبيّة، وبعد أن وثق به السيد أحمد حمَّله رسالة إلى السيد عمر المختار، وكان السيد أحمد يؤمل أن يتمكن من تقديم إمدادات إلى السيد عمر المختار وحركة الجهاد عن طريق (الكفرة)، غير أنَّه عندما وصل محمد أسد للقاء بسيدي عمر كانت الكفرة قد سقطت في أيدي الإيطاليين.

٢٢٥ كان سيدي عمر قد فقد نظارته في معركة خلال شهر أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٠ كما مرَّ بنا.

"... قرأ سيدي عمر الكتاب الذي حمَّلنيه السيد أحمد إليه، لقد قرأه باهتمام وعناية، ثمَّ طواه ووضعه لحظة فوق رأسه (وهي إمارة الاحترام والحب، لا يكاد المرء يراها في جزيرة العرب ولكنه كثيراً ما يراها في شمالي إفريقيا) .. ثمَّ التفت إليّ مبتسماً وقال: لقد أطراك السيد أحمد، أطال الله عمره، في كتابه، أنت على استعدادٍ لمساعدتنا، ولكني لا أعلم من أين يمكن أن تأتينا النجدة، إلاّ من الله العليّ الكريم، **إنَّنا حقاً على وشك أن نبلغ نهاية أجلنا**..".

" فقلت: ولكن .. هذه الخطّة التي وضعها السيد أحمد ألا يمكن أن تكون بداية جديدة؟ وإذا أمكن تدبير الحصول على المؤن والذخائر من **الكفرة** بصورة ثابتة، أفلا يمكن صدّ الإيطاليين؟"

ويمضي **محمد أسد** قائلا:

"لم أرَ في حياتي ابتسامة تدل على ذلك القدر من المرارة واليأس كتلك الابتسامة التي رافقت جواب سيدي عمر .. (الكفرة ..؟ لقد خسرنا الكفرة .. فالإيطاليون احتلوها منذ أسبوعين تقريباً ..)".

وبعد أن يُتمَّ أحد المجاهدين، من الذين تمكنوا من الهروب من الكفرة بعد احتلال الإيطاليين، رواية قصة سقوط الكفرة على مسامع محمد أسد، التفت إليه سيدي عمر بلطف وكرّر قوله:

"إنّنا نقاتل لأنَّ علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت نحن، وليس علينا أن نختار غير ذلك. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، لقد أرسلنا نساءنا وأولادنا إلى مصر كي نطمئنَّ على سلامتهم متى شاء الله لنا أن نموت".

ويرد **سيدي عمر** على اقتراح من **محمد أسد** عليه بالانسحاب مع المجاهدين إلى مصر مادام الطريق ما زال مفتوحاً أمامهم، قائلاً:

"**كلا يا ابني** .. لم يعد هذا يجدي الآن، ما تقوله كان ممكناً منذ خمس عشرة أو ستَّ عشرة سنة، قبل أن يقوم السيد أحمد، أطال الله عمره، بمهاجمة البريطانيين

كي يساعد الأتراك الذين لم يساعدونا .. أمَّا الآن فلم يعد في الأمر ما يجدي.. إنَّ البريطانيين لن يحركوا إصبعاً لكي يسهلوا علينا أمرنا، والإيطاليون مصمّمون على أن يقاتلونا حتى النهاية، وعلى سحق كل إمكانية للمقاومة في المستقبل، فإذا ذهبت وأتباعي الآن إلى مصر، فإنَّنا لن نتمكن مطلقاً من العودة ثانية، وكيف نستطيع أن نتخلى عن قومنا ونتركهم، ولا زعيم لهم، لأعداء الله يفترسونهم؟".[٢٢٦]

توالت المعارك والمناوشات بين المجاهدين بقيادة عمر المختار وبين القوات الإيطالية، غير أنَّ أعداد المجاهدين وإمداداتهم أصبحت في تضاؤلٍ مستمرّ، وأخذ الإيطاليون يضيقون الكماش عليهم بثبات وتواصل .. وأصبح المجاهدون يعيشون حالة اختناق بطيء.



في **الحادي عشر من شهر سبتمبر/ أيلول ١٩٣١** كان سيدي عمر في كوكبة من المجاهدين يعبرون وادي (الجريّب) بالقرب من (**سلنطة**)، وفجأة أحاطت بهم القوات الإيطالية من كل جانب. وبعد اشتباك بين الطرفين استمرّ عدة ساعات أصيب سيدي عمر بجراح في يده، وأصابت فرسه ضربة قاتلة وانحبست يده السليمة تحت الفرس فلم يتمكن من سحبها، ولم تسعفه يده الجريحة، حاول رفاقه إنقاذه ولكن رصاص الجنود الطليان حصد أغلبهم ووقع الشيخ عمر المختار أسيراً في يد القوات الإيطالية بعد أن تمكّن أحد الخونة من التعرّف على شخصيته.[٢٢٧]

نُقِل البطل عمر المختار بعد أسره بالطائرة مكبَّلاً بالحديد تحت الحراسة المشدّدة إلى مدينة (**سوسة**) على الساحل بانتظار وصول الطراد "**أرسيني**" الذي نقله إلى بنغازي في اليوم التالي. وبعد وصول الطراد إلى بنغازي مساء يوم ١٢/ ٩/ ١٩٣١ أودع السجن المركزي. وفي يوم١٤/ ٩/ ١٩٣١ جرت المواجهة الشهيرة بينه وبين غراتسياني.[٢٢٨] ومثل سيدي عمر في اليوم التالي أمام **المحكمة العسكرية الخاصة**[٢٢٩] التي

٢٢٦ محمد أسد، **الطريق إلى الإسلام**، ط ٧ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١)، ص ٣٤٨-٣٧٠.
٢٢٧ أحمد، ص ١٠، ١٥، ٣١.
٢٢٨ المصدر نفسه، ص ١١-٢٠.
٢٢٩ انعقدت هذه المحكمة في مقر "**الاتحاد الفاشستي-الليتوري**" الذي كان في السابق مقر البرلمان البرقاوي بين عامي ١٩٢١-١٩٢٣.



أصـــدرت حكمها[٢٣٠] بإعدامه بعد محاكمة صورية لم تدم أكثر من ساعة ونصف الساعة. وفي صباح يوم ١٦/ ٩/ ١٩٣١ جرى إعدام المختار في ساحةٍ عامّة ببلدة "**سلوق**" أمام حشود من الأهالي يقدّر عددها بما يربو عن عشرين ألف نسمة تمَّ تجميعهم من معسكرات الاعتقال الجماعية القريبة. كان الشهيد يومذاك يناهز الواحد والسبعين عاماً.

ظل عمر المختار منذ لحظة وقوعه في الأسر إلى لحظة إعدامه، ورغم تقدّم سنِّه وضعف بصره، وإصابته بجرح وكسر في ساعده، مثالاً نادراً للكبرياء والشموخ، وللشجاعة والثبات، ورباطة الجأش والإيمان بالله، والتسليم المطلق لإرادته وقضائه وقدره. وسوف تبقى كلماته القوية المؤمنة في وجه غراتسياني وأمام المحققين وأمام قضاته تتردّد مدوّيةً مجلجلةً في سمع الزمان، وفي جنبات الدنيا كلها تستنهض همم المجاهدين في وجه كل أنواع الطغاة وتنير الطريق أمامهم.

"لقد حاربت الحكومة الفاشستية من أجل ديني ووطني".

"لم أكن متصوّراً في يوم من الأيام أنّني أقدر بإمكانياتي الضعيفة أن أطردكم من بلادي .. هذا مستحيلٌ .. إنَّني أحاربكم لأنَّ الحرب فرض علينا .. وما النصر إلا من عند الله..".

"أودُّ أن أؤكد لكم أنَّنا قد أقسمنا اليمين بأن نموت جميعاً واحداً واحداً ولن نستسلم .. بينما أنا شخصياً كعمر المختار لم ولن تحدّثني نفسي في أيِّ فترةٍ كانت من الزمن ماضية أو حاضرة بأن أحضر عندكم وبمحض إرادتي أطلب الاستسلام، وهذه حقيقة لا يتطرَّق لها أدنى شك ..".

"إنَّ وقوعي في أيديكم أسيراً كان قضاءً وقدراً ولا مردَّ لقضاء الله، وأنا الآن بين أيديكم تصرّفوا فيَّ كيفما تشاءون، وبالطبع لو لم تكن إرادة الله وحكمه لما وقعت أسيراً لديكم ..".

---

٢٣٠ يوجد ضمن الوثائق السرية الإيطالية برقيتان مرسلتان من (بادوليو) الأولى إلى رئيس الوزراء الإيطالي بتاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٣١، والثانية إلى غراتسياني بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٣١، وتفيد البرقيتان (وكلاهما حررتا قبل انعقاد المحاكمة) أنَّ الحكم الذي يصدر بحق عمر المختار يجب أن يقضي بإعدامه. أحمد، ص ٣١-٣٢.



"لست نادماً على ما فعلت فتلك هي إرادة الله".[٢٣١]

قضى عمر المختار بعد أن ظل في قيادة حركة الجهاد والمقاومة في برقة على مدى **تسع سنوات** ما بين عامي ١٩٢٣ و١٩٣١ وترك من خلفه في قيادة حركة الجهاد أربعة من المجاهدين الكبار هم **يوسف بورحيل** و**أحمد بوموسى (بوخير الله)** و**عصمان الشامي** و**عبد الحميد العبّار**.

فور استشهاد سيدي عمر قام المجاهد الشيخ **يوسف بورحيل** الذي تولى القيادة مؤقتاً بإرسال رسالة إلى السيد **أحمد الشريف** في الحجاز يعلمه فيها باستشهاد سيدي عمر ويطلب فيها منه تعيين من يخلفه.[٢٣٢] وقد ردَّ **السيد أحمد الشريف** برسالةٍ موجّهة إلى الشيخ **عبد الحميد العبار** قائمقام دور العواقير مؤرّخة في ١٦ جمادى الثاني ١٣٥٠هـ الموافق ٢٨ من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣١ كان مما جاء فيها:



"... هذا وقد بلغنا ما أزعجنا وكدّرنا غاية الكدر، وهو استشهاد حضرة النائب العام سيدي عمر المختار رحمه الله ورضي الله عنه وجعل جنَّة الفردوس مسكنه ومحله، وجزاه الله عنَّا وعن الإسلام أحسن الجزاء، فإنَّه كان عاملاً صادقاً ناصحاً، وإنَّنا لا نتكدَّر على نيله للشهادة، بل نحمد الله على ذلك ولا نقول إنَّه مات، بل إنَّه حيٌّ لقول الله: ﴿ولا تقولوا لِمَن يُقتَلُ في سبيلِ الله أمواتاً، بَلْ أحياء﴾ وإنَّما كدَّرنا فقدانه من بينكم وغيابه عنكم، ولكن هذا أمرَ الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلا يمكننا إلا تسليمنا لله ورجوعنا إليه، ولا نقول إلا كما يقول الصابرون، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، نعَم استشهد سيدي عمر المختار ولكنَّه أبقى العمل الطيّبَ والذكر الحسن إلى يوم القيامة".

"فالله يا أولادي في التمسّك، وإيَّاكم واليأس وإيَّاكم والقنوط، **إيَّاكم وأقاويل الناس الفاسدة** فجدّوا واجتهدوا كما كنتم، واجعلوا أعمالكم لله لأنَّه لنا ولا لغيرنا، لأنَّ من قاتل لله، فالله حيٌّ باقي، ومن قاتل لغير الله فعمله لا يفيده شيئاً، واعلموا أنَّ الله معكم، ولن يَتِرَكُم أعمالكم، فاصبروا وصابروا واعلموا

٢٣١ للمزيد انظر: الصلابي. المصدر نفسه، ص ٢٤١-٢٦٩؛ أحمد، المصدر نفسه؛ **مجلة المحامي**، المصدر نفسه، ص ٨٦-٨٩.

٢٣٢ انظر: **مجلة الإنقاذ** (عدد خاص رقم (٣٩). السنة العاشرة جمادى الآخر ١٤١٢ هـ-ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩١)، ص ٣٣.

أنَّ العاقبـةَ للمتقـين، وأنَّ الله مخزي الكافرين، وما ترونه من الأهوال، فإنَّه والله ثمَّ والله زائل عن قريب وسترون ما يسرّكم دنيا وأخرى ...".

"... وهانحـن نوَّبنـا عنَّا عليكم حضرة أخيكم المجاهـد الغيور الصادق، ولدنا **الشـيخ يوسـف بورحيـل**، فإنكم سـتلقونه بعـون الله وقوته، مثل السـيد عمر وأكثـر، ونحـن مـا قدَّمنـاه إلا بتقديم سـيدي عمر لـه في حياته، وامتثلـوا أمره واسـمعوا كلامه، وكونوا له عوناً معيناً، ومن خالفه منكم فلا يلومنَّ إلا نفسه، ومن تبعه وامتثل أمره، فهو الذي منّا وعلينا، وولدنا الشيخ يوسف المذكور هو النائـب عنَّا عموماً، فلا تروه إلا بالعين التي تروننا بها، وبذلك يتمُّ بالله أمركم، وتجتمع كلمتكم وتقهرون عدوَّكم، **وإيَّاكم ثمَّ إيَّاكم والمخالفة والنزاع**، قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعوا فَتَفشَـلوا وَتذهَبَ ريحُكم واصبروا إنَّ اللهَ مع الصابرين﴾ واعلمـوا يـا أولادي أنَّ العـدوَّ خيَّبه الله سـاعي بكل جهـده في القضاء عليكم في هذه المدَّة القريبة لا بلغه الله مناه.."



".. فجدّوا في عملكم، واصبروا وأبْشِروا بالنصر والفتح، ولا تيأسوا من روْح الله، إنَّه لا ييأس من روْح الله إلا القوم الكافرون، قال تعالى: ﴿حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرسـلُ وَظنُّوا أنَّهم قد كُذِبوا جاءَهُم نصرُنا﴾ ولا نشك يا أولادي أنَّ اللهَ منجز وعده لأنَّ اللهَ لا يخلف الميعاد، وإنّي والله ما يمنعني من الوصول إليكم إلا عدم الطريـق، ولكـن بحـول الله، لا زلت مجتَهـداً في وصولي إليكم وعـن قريبٍ يتمّ ذلك بحول الله وقوته، هذا وسلموا منَّا على عموم أولادنا المجاهدين، والبارئ يحفظكم وينصركم ويجمعنا بكم عن قريب".[٢٣٣]

صعّـد **غراتسـياني** حملته التي اسـتهدفت سـحق المقاومة عن طريـق الإبادة الكاملـة للقبائـل البرقاويـة وقطع دابر الطريقة السنوسـية تمامـاً. فكلما رصدت طائـرات الاسـتطلاع موقـع أحد المخيـمات القبليـة في برقة، كانـت المصفحات الإيطاليـة تهرع إليه فتسـوّيه بالأرض وهي تطلق نيران رشاشـاتها على أيِّ كائن حيّ بلا اسـتثناء، فتهلك الرجال والنسـاء والأطفال والحيوانات أيضاً. كما كان الإيطاليـون يتعاملون مع الأسرى بشـكل فـوري، فالرجال يُعدمـون في الحال، والنساء والأطفال يُساقون إلى معسكرات الاعتقال.[٢٣٤]

---

٢٣٣ مجلة **الإنقاذ**، المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤.

٢٣٤ تي. أ. ف. دي كانـدول، **الملـك إدريـس عـاهـل ليـبـيـا: حيـاتـه وعـصـره** (مانـشـسـتـر: مـحـمـد بـن غلبون ١٩٨٩)، ص ٥٩-٦٠.

وبعد أربعة أشـــهر من استشهاد عمر المختار اشــتبك المجـاهدون يــوم **١٩ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٣١** مع القوات الإيطالية في **"معركة الشبردق"** عند الحدود المصرية بالقرب من خط الأسـلاك الشـائكة.[٢٣٥] وفيها تمكن المجاهد الشـيخ **عبد الحميد العبّار**،[٢٣٦] مع خمسين آخرين من المجاهدين، من قطع حاجز الأسلاك الشـائكة واختراق الحدود المصرية فقد استشـهد خلال المعركة الشيخ يوسف بورحيل المسماري[٢٣٧] والشيخ **أحمد بوموسى** (بوخير الله)، وجُرح الشيخ المجاهد **عصمان الشامي** وأخذ أسيراً. وقد تضمَّن البلاغ الرسمي الذي أصدرته السلطات الإيطالية بشأن هذه المعركة:

"إنَّ الشـيخ يوسـف ورفاقـه الثلاثة أظهروا شـجاعة رائعة طـوال المعركة. ولمَّا توقـف إطلاق النار تقـدَّم الملازم (بريندـيزي) إلى موقعهم فوجـد أربعة رجال موتى وأيديهم ما زالت تمسك بالبنادق الساخنة".[٢٣٨]

أمَّا بالنسـبة **لسيدي أحمد الشريف** فنترك **لمحمد أسد** وصف آخر لقاءٍ جرى بينهما قبل أشهر قليلة من وفاة الأول:



"ومـرَّة أخـرى وقفت أمـامَ إمام السنوسـية ونظرت إلى وجـه ذلك المحارب القديـم المرهَـق .. ومرَّة أخرى قبَّلت اليد التي حملت السـيف طويلاً جداً حتى إنَّها لم تعد تستطيع بعد أن تحمله ..

(بارك الله فيك يا بني .. لقد مضت سنة منذ أن التقينا أوَّل مرَّة، وهذه السنة قد شهدت نهاية آمالنا، ولكن الحمد لله على كل حال)".

ويعلق محمد أسد على كلمات السيد أحمد:

---

٢٣٥ حميدة، ص ١٨٩؛ أحمد، ص ٣٢.

٢٣٦ التحق الشـيخ **عبد الحميد العبار** بالأمير إدريس في مصر، وشـارك معه في تأسيس الجيش الليبي في عام ١٩٤٠، كما كان ضمـن أعضاء وفد المؤتمـر الوطني البرقاوي إلى الدورة الثالثة للأمم المتحدة (إبريل/ نيسـان ١٩٤٩)، وعندما وقع انقلاب سبتمبر ١٩٦٩ كان الشيخ عبد الحميد العبار يشغل منصب رئيس مجلس الشيوخ في ليبيا، وكان ضمن رجـال العهد الملكي الذين زجَّ بهم الانقلابيون في المعتقل فور اسـتيلائهم على السـلطة، كـما كان - بحكم منصبه- ضمن الشخصيات التي شملها "قرار العزل السياسي" الذي أصدره الانقلابيون بتاريخ ٨/ ٧/ ١٩٧١.

٢٣٧ حمل الإيطاليون رأس المجاهد الشهيد يوسف بورحيل إلى بنغازي حيث علق على باب السرايا الحكومية. وسيلاحظ القـارئ في الجـزء الرابـع من هذا الكتاب كيف أنَّ ابن هـذا المجاهد الكبير المحامي أحمد يوسـف بورحيل قد ألقت سـلطات النظـام الانقلابي القبض عليـه في مايو/ أيار من عام ١٩٧٠، وحكمت عليه بالسـجن لمدّة ثماني سـنوات لمجرّد اتهامه بالاشتراك في إعداد منشورٍ سرّي ضدَّ سلطة سبتمبر.

٢٣٨ دي كاندول، ص ٦٠.

"والحق أنَّها كانت سـنة مفعمَة بالهموم والأكدار بالنسـبة إلى السـيد أحمد .. لقد أصبحـت الأخاديد حول فمـه أكثر عمقاً، وأصبح صوته أكثر انخفاضاً من أيِّ وقتٍ مضى ..

لقـد هـوى النسر .. إنَّه يجلس منكمشـاً على السـجادة، وقد لف نفسـه ببرنسـه الأبيض كأنَّما يطلب الدفء .. ويحدِّق بصمتٍ في الفراغ ثمَّ يهمس:

(لو أنَّنا اسـتطعنا فقـط أن ننقذ عمر المختار، لو أنَّنا تمكنـا من إقناعه بالهرب إلى مصر بينما كان هناك متسع من الوقت ..)

فقلت له:

(لم يكـن باسـتطاعة أحـدٍ أن ينقـذ سـيدي عـمر، إنَّـه لم يـرد أن يُنقــذ. لقد فضَّـل أن يمـوت إذا لم يسـتـطع أن ينتــصر، لقد عرفت ذلـك عندما فارقــته يا سـيدي أحمد ..)".[٢٣٩]

لقـد تعاظم مصاب **سـيدي أحمد الشريـف** في قومه بل في الأمَّة الإسـلامية كلهـا، وتعمقـت جراحـه وازداد نزفه، فاشـتدَّ عليـه المرض حتى أسـلم روحه الطاهرة في الزاوية السنوسية بالمدينة المنورة في تمام الساعة الثانية من يوم الجمعة ١٣ من ذي القعدة سنة ١٣٥١هـ الموافق العاشر من مارس/ آذار ١٩٣٣، ودُفن بالبركة بالبقيع بين زوجات النبي، صلى الله عليه وسلم، والإمام مالك رضي الله عنهم جميعاً.[٢٤٠]

صفـتان متمـيّزتان

قبل أن نترك الحديث عن ملحمة الجهاد والمقاومة في **برقة** بقيادة **عمر المختار** خلال هذه الحقبة ١٩٢٣-١٩٣١، واستكمالاً لها، نرى ضرورة التوقف والتأمّل في **صفتين** من الصفات والسجايا العظيمة التي تحلّى بها هذا المجاهد العظيم.

لقد حبا الله السيد عمر المختار بسجايا جليلة كثيرة: منها الإيمان القوي بالله والتوكل عليه والتسـليم لقدره، ومنها التقوى والتجرّد، ومنها الشجاعة الخارقة

٢٣٩ أسد، ص ٣٧٠.
٢٤٠ مجلة "**الإنقاذ**"، العدد (٣٩)، ص ٣٤؛ هويدي، ص ١٧٨-١٧٩.

والاقتحام، ومنها الجلد والصبر وقوة العريكة، ومنها العبقرية الحركية والقتالية، غير أنّه يعنينا في مجال العظة والعبرة أن نتوقف، بشكل خاص، عند **صفتين** من الصفات التي تحلى بهما سيدي عمر، وكان لهما أثرهما الكبير على استمرار مسيرة الجهاد التي قادها في أحلك الظروف وأصعبها، ونعني بهما صفتي: **الثبات على المبدأ، والولاء المطلق والمتواصل للحركة السنوسية وقيادتها،** وهو ما قد يُطلق عليه بعضهم بلغة العصر "**الانضباط الحركي والتنظيمي العالي**".

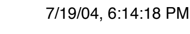


يتمثل **ثبات** السيد عمر المختار على مبدئه في جملةٍ من **المواقف** وخلال عددٍ من **المناسبات**. من ذلك، أنّ **إيطاليا** حاولت عن طريق عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار، وعرضت عليه تقديم مساعدة له إذا ما تعهَّد باتخاذ سكنه في مدينة بنغازي أو المرج، وملازمة بيته تحت رعاية وعطف إيطاليا، وأنَّ حكومة روما مستعدَّة أن تجعل من عمر المختار الشخصية الأولى في ليبيا كلها وتتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التي تتمتع بمكانتها عند إيطاليا في طرابلس وبنغازي، وإذا ما أراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهّد بأن يكون لاجئاً ويقطع علاقته بإدريس السنوسي، وفي هذه الحالة تتعهَّد حكومة روما بأن توفر له راتباً ضخماً يمكنه من حياةٍ رغدة، وهي على استعداد أن يكون الاتفاق بصورةٍ سرّية، وتوفير الضمانات لعمر المختار، ويتمّ كل شيء بدون ضجيج تطميناً لعمر المختار. وقد طلبت منه نصح الأهالي بالإقلاع عن فكرة القيام في وجه إيطاليا.[٢٤١]

وقد أكدّ عمر المختار هذا الاتصال وهو في مصر لمَّا سئل عن ذلك وقال:

"ثقوا أنّني لم أكن لقمة طائبة يسهل بلعها على من يريد، ومهما حاول أحد أن يغيِّر من عقيدتي ورأيي واتجاهي، فإنَّ الله سيخيّبه، ومن (طياح سعد) إيطاليا ورسلها هو جهلها بالحقيقة. وأنا لم أكن من الجاهلين والموتورين فأدّعي أنني أقدر أن أعمل شيئاً في برقة، ولست من المغرورين الذين يركبون رؤوسهم ويدّعون أنّهم يستطيعون أن ينصحوا الأهالي بالاستسلام، إنّني أعيذ نفسي من أن أكون في يومٍ من الأيام مطيّة للعدوّ وأذنابه فأدعو الأهالي بعدم الحرب ضدَّ

٢٤١ الأشهب، "عمر المختار"، ص ٥٦.

الطليان، وإذا لا سمح الله، قدّر عليَّ بأن أكون موتوراً فإنَّ أهل برقة لا يطيعون لي أمراً يتعلق بإلقاء السلاح. إنّني أعرف أنَّ **قيمتي في بلادي، إذا ما كانت لي قيمة أنا وأمثالي، فإنَّها مستمدَّة من السنوسية".**[242]

وعندما خرج السيد عمر المختار من مصر (١٩٢٣) قاصداً برقة لمواصلة الجهاد، اجتمع به شيوخ قبيلته الموجودون بمصر من المتقدمين في السن، وحاولوا أن يثنوه عن عزمه بدعوى أنّه قد بلغ من الكبر عتيّا، وأنَّ الراحة والهدوء ألزم له من أيّ شيءٍ آخر، وأنَّ باستطاعة السنوسية أن تجد قائداً غيره لتزعّم حركة الجهاد في برقة، فغضب عمر المختار غضباً شديداً، وكان جوابه قاطعاً حين قال لمحدّثيه:

"إنَّ كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيراً لي لأنَّ ما أسير فيه إنَّما هو طريق خير، ولا ينبغي لأحدٍ أن ينهاني عن سلوكها، وكل من يحاول ذلك فهو عدوٌّ لي..".[243]

لم تكفّ إيطاليا عن محاولاتها الفاشلة لتغيير موقف الشيخ عمر المختار وإقناعه بالتخلي عن حركة الجهاد والمقاومة. وتكشف صحيفة **(الوطن)** الصادرة عن "جمعية عمر المختار" في عددها رقم (١٤٢) الصادر في ٢١ من سبتمبر/ أيلول ١٩٤٨ (أيام الإدارة البريطانية في برقة) عن محاولةٍ قام بها المدعو **(عبود بك أبو راشد)** في عام ١٩٢٥، عندما كان يشغل منصب ترجمان لدى السلطات الإيطالية، فقد بعث برسالةٍ طويلة للسيد عمر يدعوه فيها إلى أن يترك الجهاد ويستسلم للإيطاليين. تقول صحيفة "الوطن" عن هذه المحاولة:

"وقد بعث أبو راشد المذكور بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٢٥ من مقرّه بخوَلان (الجبهة الشرقية من برقة) برسالةٍ طويلةٍ إلى السيد عمر المختار، ينصحه فيها بأن يترك الجهاد ويستسلم للإيطاليين بحجة أنّهم دولة قوية لا يمكن قهرها، ولأنَّ البلاد قد تكبَّدت من جرّاء ذلك تعباً وخسائر جسيمة، إلى آخر ما جاء في تلك الرسالة، وقد ردَّ البطل الشهيد على ما جاء في تلك الرسالة بما يصوّر قوة إيمان

---

٢٤٢ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٥٨.
٢٤٣ شكري، ص ٢٧١.

هـذا القائـد العظيم. وهانحن نروي للقرّاء نبذاً متفرّقة من رسـالة السـيد عمر المختار، وفي معانيها المقصودة ما يغني عن النظر في تركيبها اللفظي ...

قال طيَّب الله ثراه:

١- قولكـم إنّكم مـن حين قدومكـم لهذا الوطـن وأنتم باذلـون النصيحة لأبنـاء جنسـكم، وأنّـك عـربي ... فالنصيحة التـي تـؤدّي إلى الركون للعـدوّ لا حاجــة لنـا بهـا، فنحن متوكلـون عـلى الله لأنَّ قـوة الإيمان يتلاشـى في جانبهـا كل مدد. قال الله تعالى في كـتابـه المبـــين (إنَّ الله مع المتقين).

٢- وقولكــم من جهة تعـب الوطن وأهله، فنحن عارفـون مقصدنا، فمن عرف ما قصد هان عليه ما وجد.




٣- وقولكـم إنَّ حكومتكـم لا تقصـد للعـرب إلا الـشرف فالـذي رأيناه نحن بخلاف ذلك. عاينّا ذلك معاينة، فكل إنسـان له شرف، وحصل (وقع) تحت سيطرتهم لمجرّد أقوال واهية تنسب إليه من عدوٍّ أو واش، يسـجن ويبعد عـن أهله ووطنه أعواماً بدون مخابرة، وإذا أحسـنوا إليه يـترك بزوايـا الإهمـال وتحت مواطـئ النعـال. أفهـذه الأفعـال أفعال حكومـة لهـا شرف؟ (لا والله) وكل ما ذكر لـك لا تتحمّله نفس عربية ولا ذوو الشـيم الزكيّة، وقد نهانا الله سـبحانه وتعالى في كـتـابه العـزيز قـال: ﴿ولا تركنوا إلى الذي ظلموا فتمسكم النار﴾.

٤- وقلتم تعتقدون أنّكم قادرون أن تبعدوا هذه الحكومة من هذه المقاطعة لتحكمـوا مكانها، فالقادر هو الله، ولسـنا نحن طالبين شـيئا يسـتحيل علينـا بحول الله وقوته، فلتعلم أنَّ حكومتـك هذه لها مدّة خمس عشرة سنة وهي آتية لخبط طرابلس وتحارب فيه، والقوة التي أتت بها في أول الحـرب، الآن ليـس عندهـا منهـا العـشر. والوطن، مـن أول الحرب، لم يسـتعن بإعانـة خارجية، إلا من الوطن نفسـه، وبعـون الله وقوته إلى الآن مكـدّرون صفـو جنـود إيطاليا في جميـع نقطهم، ورجـال الوطن لا يتركونهـم بحـول الله وقوتـه حتى يطهـروه من أدرانهـم أو يضحوا

عـن آخرهم لا سـمح الله، وذلك هـو مرامهم: التضحية في سـبيل الله والوطن".[٢٤٤]

ومـن المعـروف، كـما سـنرى، إن العـدو الإيطـالي قـد ضيَّـق الخنـاق عـلى المجاهديـن في برقـة، ولاسـيما منـذ تعيـين (**بادوليو**) والياً على طرابلـس وبرقة في شـهر يناير/ كانـون الثـاني ١٩٢٩ ووصول (غراتسـياني) إلى بنغـازي في ٢٧ من مارس/ آذار ١٩٣٠. لقد أدّت الإجراءات التي اتخذتها السـلطات الإيطالية حينذاك إلى أن أصبح سـيدي عمر ورفاقه من المجاهدين معزولين عزلة تامَّة من غير تموين أو ذخيرة أو أموال أو شبكة معلومات محلية.

ينقـل الرحالة (**كنود هولمبو**)[٢٤٥] عن أحـد المجاهدين في يناير/ كانون الثاني ١٩٢٠ قوله في وصف حالتهم:

"عددنـا ينقـص كل أسـبوع، قرانا ونُجوعُنـا تدمَّر بهجـمات الجيش وغارات الطائرات، ونساؤنا أُسِرْنَ وأخِذن منَّا، ماذا نستطيع أن نفعل ضدَّ أسلحة العدو الشيطانية..".[٢٤٦]

وجـاء في فقرات من رسـالةٍ بعث بها عمر المختـار إلى أحد أصدقائه في مكة جاء فيها:

"إنّ المجاهديـن يعانـون مـن نقـص في كل شيءٍ ضروري للحرب، ضدَّ عدوٍّ يمتلـك كل شيءٍ حتى الطائرات، وإنَّه لكي يقاوم المجاهدون فإنّهم لا يملكون إلا صبرهم..".

ورغـم تلـك الظروف البالغة الصعوبة فقد أصرَّ عمـر المختار على البقاء في أرض الوطن وعدم مغادرته، وكان يقول:

"لا أغـادر هـذا الوطـن حتى ألاقي وجه ربّي، والموت أقـرب إليَّ من كل شيءٍ، فإنّي أترقبه بالدقيقة".

---

٢٤٤ محمد بشير المغيربي، **وثائق جمعية عمر المختار: صفحة من تاريخ ليـبيا** (القـاهرة: مؤسسة دار الهلال، ١٩٩٢)، ص ٤.

٢٤٥ كنـود هولمبـو Knud Holmboe صحفي ورحالة دانمركي، زار معسـكرات المجاهديـن في الجبل الأخضر في عام ١٩٣٠. اعتنق الإسلام ونشر كتابه *Desert Encounter* لأوَّل مرّة بالدنمركية في عام ١٩٣١.

٢٤٦ Knud, Holmboe, *Desert Encounter,* (The Quilliam Press, 1994).

كان كثير الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى:

"اللهم اجعلْ موتي في سبيل هذه القضية المباركة .."[٢٤٧]

وعندما عُرِض عليه أن يترك ساحة الجهاد، وأن يذهب إلى قضاء فريضة الحج، ردَّ على من جاء يعرض عليه هذا الأمر قائلاً:

"لن أذهب ولن أبرح هذه البقعة حتى يأتي رسل ربّي، وإنَّ ثواب الحج لا يفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة".[٢٤٨]

حتى بعد أن يقع الشيخ عمر أسيراً في أيدي الإيطاليين خلال معركةٍ بالقرب من **(سلنطة)** بالجبل الأخضر يوم **١١ من سبتمبر/ أيلول ١٩٣١** ويقف مكبَّلاً بقيوده في مواجهة الجنرال الإيطالي السفاح **غراتسياني**، لم يتردّد في التعبير عن موقفه الموغل شموخاً وكبرياءً وثباتاً على المبدأ **قائلاً**:




"أود أن أؤكد لكم أنّنا قد أقسمنا اليمين بأن نموت جميعاً واحداً واحداً ولن نستسلم .. بينما أنا شخصياً كعمر المختار لم ولن تحدّثني نفسي في أيِّ فترة كانت من الزمن ماضية أو حاضرة بأن أحضر عندكم وبمحض إرادتي أطلب الاستسلام، وهذه حقيقة لا يتطرَّق لها أدنى شك.."[٢٤٩]

وقد يتصوّر بعضهم أنّ موقف الشيخ عمر المختار في مواجهة العدو الإيطالي كان نتيجة خطأ في حساباته وتقديراته لمآل المعركة مع العدوِّ وأنَّ الشيخ ربَّما كان يتوهّم - بسبب ذلك الخطأ- إمكان انتصاره عسكرياً على عدوِّه. ويعبِّر غراتسياني عن تصوّر هؤلاء فيسأل سيدي عمر أثناء تلك المواجهة المشهودة:

"هل كنت يا عمر المختار تأمل خلال محاربتك لنا أنَّك تستطيع في يوم من الأيام أن تطردنا من برقة بعد أن تشنَّ علينا حرباً طاحنة تقودها بتلك القلةِ من الرجال وضآلة العتاد الذي تملكه؟ وهل كنت تأمل في شيءٍ مثل هذا؟"

فيردّ عمر المختار على غراتسياني، وعلى غيره ممّن يسألون مثل هذا السؤال في

٢٤٧ أحمد، ص ٣١.

٢٤٨ علي محمد محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا: سيرة الزعيمين إدريس السنوسي وعمر المختار (عمان: دار البيارق، ١٩٩٩) ج٣، ص ١٥٠.

٢٤٩ أحمد، ص ١٧.

أيّـة مواجهةٍ مماثلة وغير متكافئة عددياً ومادياً بين الخير والشر والحق والباطل، قائلاً:

"كلا! هذا مستحيل..".

إذن لا أوهام ولا حسـابات ولا تقديرات خاطئة لدى سـيدي عمر المختار حول عدم تكافؤ القوتين أو حول مآل المعركة. ويحتار غراتسـياني، مثل أشـباهه الذين عرفهم تاريخ ليبيا وتاريخ البشرية، ويعود ليسأل الشيخ عمر:

"ماذا كان غرضك إذن؟ وماذا كنت تبغي؟!"

ويجيب الشـيخ عمر المختار سـائله بسـجيّةٍ جهاديـةٍ عالية وبـروح مقاومةٍ جبّارة..

"لا شيء غير الجهاد.. كنت مجاهداً وكفى.. والباقي يترك ليد القدر.."[٢٥٠].



إذن فقد كان فعل الجهاد والمقاومة بالنسبة لسيدي عمر ورفاقه الميامين – كما كان لكواكب المجاهدين ومواكبهم عبر تاريخ أمّتنا المديد وسيظل – مسألة مبدأ وواجب، جاء الأمر به من السماء، وأملاه حب الوطن، وزكتّه أعراف الرجولة وتقاليد الفروسـية الحقّة، ولم يكن مسـألة حسـابات أو مرهوناً بتقديرات الربح والخسارة أو الهزيمة والنصر.

أمّـا **الصفة الثانية** التي تسـتوقف القارئ لسـيرة عمر المختـار وجهاده فهي **انضباطه الحركي والتنظيمي المتميّز، وولاؤه الشديد للحركة السنوسية ولقادتها،** وهو ولاء لم يعرف التردّد أو التوقف.[٢٥١]

ويكفي للتدليل على هذا أن نشير إلى عددٍ من المواقف والوقائع والوثائق.

يذكر **محمد الطيّب الأشـهب** أنّه أثناء زيارة السيد عمر المختار لمصر في شهر مـارس/ آذار عام ١٩٢٣ حاول جماعة مـن أبناء قبيلته **(المنفة)** المقيمين بمصر أن

---

٢٥٠ المصدر نفسه، ص ١٢؛ وانظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ٢٥٣؛ فرج بو العشة، "سيرة ملك مغيّبة" الحلقة الثانية – الاستقلال، صحيفة **الشرق الأوسط** (٧ مارس/ آذار ١٩٩٨).

٢٥١ يحاول بعضهم، بسـذاجة أو بجهلٍ أو بحقد، أن يفصل بين السـيد عمر المختار والحركة السنوسـية وقيادتها، وكأنه ليس بأحد أبناء تلك الحركة العظيمة.

يقابلوه للترحيب. فاستفسر المختار، قبل أن يأذن لهم بذلك، عمّا إذا كانوا قد سعوا لمقابلة الأمير إدريس عند وصوله (في شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٢٣) إلى مصر، فلمّا علم من إجابتهم أنّهم لم يقوموا بذلك الواجب لأسبابٍ عائليةٍ قهرية رفض سي عمر مقابلتهم قائلاً:

"وكيف تظهرون لي العناية وتحضرون لمقابلتي، وأنتم الذين تركتم شيخي الذي هو وليّ نعمتي وسبب خيري؟! (يقصد الأمير إدريس).. أمّا وقد فعلتم ذلك فإنّي لا أسمح لكم بمقابلتي ولا علاقة من الآن بيني وبينكم .."[٢٥٢]

وقد مرَّ بنا ما ورد في ردّه على السلطات الإيطالية عندما حاولت عن طريق بعض عملائها أن تستميل سيدي عمر وتجعله يقلع عن فكرة القيام في وجهها لم يتردّد المختار في تذكير هؤلاء العملاء ومن أرسلهم:

"..إنّني أعرف أنَّ قيمتي في بلادي، إذا كانت لي قيمة أنا وأمثالي، فإنّها مستمدَّة من السنوسية .."[٢٥٣]

فأيّ تواضع! وأيّ ولاء! وأيّ انضباطٍ تنظيمي وحركي رائع يعبّر عنه هذا المجاهد العظيم!

وهناك واقعة أخرى أشار إليها المؤلف ذاته تقدّم شاهداً آخر على الولاء الشديد الذي ظل عمر المختار يكنّه لقيادته السنوسية المتمثلة في الأمير إدريس. فقد حدث أن أكرهت الحكومة الإيطالية أحد رجال الحكومة السنوسية (الشارف الغرياني) وجعلته يرسل في عام ١٩٢٥ رسالة إلى السيد عمر المختار يدعوه فيها إلى إيقاف الحرب مع الطليان والصلح معهم، فردّ عليه المختار برسالة مؤرخّة في ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٤ هـ كان مما جاء فيها:

".. نعلمكم أنّ إيطاليا إذا أرادت أن تبحث معنا في أيّ موضوع تعتقد أنّه يهمّها ويهمّنا فما **عليها إلا أن تتصل بصاحب الأمر ومولاه سيدي السيد محمد إدريس بن السيد محمد المهدي بن السيد محمد السنوسي رضي الله عنهم جميعا، فهو الذي يستطيع قبول البحث معهم أو رفضه ... وأمّا أنا وبقية الأخوان**

٢٥٢ الأشهب، "عمر المختار"، ص ٨.
٢٥٣ المصدر نفسه، ص ٥٨.



المجاهديـن لا نزيد عـن كوننا جند من جنوده لا نعصي له أمـراً، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن لا يقدّر علينا مخالفته فنقع فيما لا نريد الوقوع فيه، حفظنا الله وإيَّاكـم مـن الزلل. نحن لا حاجة عندنا إلا مقابلة أعداء الله والوطن وأعدائنا، وليس لنا من الأمر شيء، **إذا ما أمرنا سـيدنا وولّي نعمتنا رضي الله عنه ونفعنا به بوقف القتال نوقفه، وإذا لم يأمرنا بذلك فنحن واقفون عند ما أمرنا به**".[٢٥٤]

مـا أروع هذا الولاء وما أعظمه! وما أعظم هـذا الانضباط والالتزام! وممَّا يزيـد الأمـر روعة وعظمة أن يصدر عن عمر المختـار الذي تحوَّل في تلك الآونة إلى أسطورةٍ من الشجاعة والبطولة والجهاد، لم يُغره أيٌّ من ذلك أن يتطاول على قيادته السنوسية أو يزايد عليها، حتى وهي بعيدة عن الواقع الصعب الذي كان يحياه ويكابده هو ورفاقه المجاهدون.

وممَّا يزيد ولاء عمر المختار للأمير إدريس السنوسي نصاعة وروعة وعظمة أن يكون، ويبقى، على هذا النحو الذي أشرنا، حتى إن كان يرى، كما عبَّر لمحمد أسد[٢٥٥] أثناء لقائه به في الجبل الأخضر:




"إنَّ السـيد إدريـس رجل طيّـب، إنَّه ولد طيب لوالدٍ عظيـم، ولكنَّ الله لم يعطِه قلباً يمكّنه من تحمّل مثل هذا الصراع".

فبالرغـم مـن هـذا التقييم من جانبه لشـخص الأمـير إدريـس، والذي قد يكون محقاً فيه، إلا أنَّه لم يجد في ذلك ما يسوّغ له - أي لسيدي عمر- أن يتطاول عـلى الأمـير إدريس، أو أن يخرج عن طاعته وولائـه له. فأيَّ درس عظيم يقدّمه هـذا الفـارس الجليـل في الجهاد وفي السياسـة وفي الحركـة والنضـال! رحم الله سـيدي عمر ورفاقه المجاهدين، وجزى الله الحركة السنوسـية، التي ترعرعوا في مدرستها، كل خير.

الجهاد في فـزان

أشرنا من قبل إلى أنَّ **المقاومة الطرابلسـية** لم تطـل بعد عام ١٩٢٤، وتحديداً

٢٥٤ المصدر نفسه. ص ٧٨.

٢٥٥ التقى محمد أسد بعمر المختار في الجبل الأخضر في مطلع عام ١٩٣١ مرسلاً من السيد أحمد الشريف الذي كان مقيماً حينذاك بالحجاز. انظر: أسد، ص ٣٣٨-٣٧٠.

بعد انسحاب قبائل الزنتان وأولاد بوسيف والمشاشية وورفلة إلى منطقة فزان الصحراوية، وبعد مغادرة **بشير السعداوي** لسرت، وهجرته إلى خارج ليبيا في ذلك العام.

بعد لجوء **عبد النبي بالخير** (زعيم ورفلة) إلى حلفائه أولاد سليمان في "الصف الفوقي" بمنطقة فزان تحالف مع **عبد الجليل سيف النصر** (زعيم قبيلة أولاد سليمان) ضدَّ **خليفة الزاوي** (الذي كان يحكم فزان الغربي) وتمكّنا من هزيمته في صيف ١٩٢٦ بعد حصار امتدَّ نحو (٦) شهور في قلعة مرزق.

منذ عام ١٩٢٦ قادت قبائل أولاد سليمان وحلفاؤهم في "**الصف الفوقي**" قبائل المشاشية والزنتان وأولاد بوسيف في فزان حرب عصاباتٍ جريئة ردعت التقدم العسكري الإيطالي حتى عام ١٩٣٠.[٢٥٦]

في عام ١٩٢٧ استطاعت القوات الإيطالية، بقيادة الجنرال غراتسياني، احتلال **الجفرة** والقسم الأكبر من فزان، وتمكّنت قبائل المغاربة، بزعامة صالح باشا لطيوش، وقبائل **أولاد سليمان**، بزعامة عبد الجليل سيف النصر، ودور أحمد بك سيف النصر وبعض قبائل **العواقير** بزعامة عبد السلام باشا الكزة والشيخ سليمان رقرق، الاشتباك مع القوات الإيطالية في عدد من المعارك العنيفة مثل "**الهروج**" و"**جبل السوداء**" و"**قارة عافية**".

وفي أواخر يناير/ كانون الثاني عام ١٩٢٨ جهّزت القيادة العسكرية الإيطالية، التي كانت حريصة على الاستيلاء على فزان بكاملها، قوَّتين تحرّكت الأولى من غدامس، والأخرى من الجبل الأخضر، واشتبكتا مع المجاهدين في منطقة الجبال السود، وجدَّد الطليان مسعاهم فتمكّنوا في العام نفسه من احتلال واحات زلة وجالو وأوجلة ومرادة، وقد أدّى سقوط هذه الواحات، واحتلال الجغبوب من قبل (٨/ ٢/ ١٩٢٦) إلى عزل السيد عمر المختار عزلة تامَّة في الجبل الأخضر.[٢٥٧]

في عام ١٩٢٩ قام أحمد سيف النصر (زعيم قبيلة أولاد سليمان) ومحمد بن الحاج حسن (من قبيلة المشاشة) بالزحف على **منطقة القبلة** لجمع البدو المحاربين

---

٢٥٦ حميدة، ص ١٨١-١٨٢.
٢٥٧ الصلابي، المصدر نفسه، ص ١٥٦-١٥٨.

وإرسالهم إلى الجبل الأخضر حتى يعزّزوا قوات المجاهدين بقيادة عمر المختار، كما شرع صالح لطيوش في تنظيم جماعات من المحاربين بمنطقة الهروج، وفي فبراير/ شباط من ذلك العام قامت قوات المجاهدين من (الهروج الأسود) للانقضاض على (النوفلية) من جانب، وعلى (أجدابيا) من جانب آخر، غير أنّ المجاهدين اضطروا للانسحاب إلى منطقة (وادي الفارغ)[٢٥٨].

وفي عام ١٩٣٠ استطاعت القوات الإيطالية بقيادة الجنرال غراتسياني،[٢٥٩] بأسلحتها الحديثة، من غازات سامة إلى طائرات مقاتلة، استكمال الزحف على فزان، فاحتلت مدينة **مرزق** (العاصمة) في ٢٤ يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٣٠، وغات (كبرى المدن الفزانية بعد مرزق) في ٢٥ فبراير/ شباط التالي.

أدَّى **احتلال فزان** في عام ١٩٣٠ إلى انتهاء حركة المقاومة بها، فقد هاجر عبد الجليل سيف النصر وإخوته أحمد وعمر إلى مصر وتشاد، كما أنَّ عبد النبي بالخير هاجر هو أيضاً إلى تونس، غير أنَّه مات عطشاً في طريقه إليها داخل الصحراء الجزائرية، ولم يُعثر على جثته.[٢٦٠]

وهكذا انتهت حركة الجهاد والمقاومة ضدَّ الطليان خلال هذه الحقبة الثانية التي امتدَّت ما بين عامي ١٩٢٣ و١٩٣٢.

وفي ٢٤ يناير/ كانون الثاني ١٩٣٢ أعلن (بادوليو) الحاكم العام على ليبيا، في تصريح رسمي، نهاية المقاومة في ليبيا، اعترف فيه (إنّه للمرّة الأولى، وبعد عشرين سنة من نزولنا بهذه الأرض قد تمّ احتلال المستعمرتين طرابلس الغرب وبرقة وتهدئتهما).[٢٦١]

انتهت المقاومة، ولكنها نجحت في شلّ الغزو الإيطالي وتأخيره طويلاً، وكبّدته خسائر فادحة. ويكفي تعبيراً عن قوة حركة الجهاد أنَّ مرحلة الغزو

---

٢٥٨ المصدر نفسه. ص ١٧٤، ١٨٥.
٢٥٩ كان ذلك من العوامل التي أدَّت إلى بزوغ نجم غراتسياني وتعيينه في مطلع عام ١٩٣١ نائباً للوالي في برقة.
٢٦٠ حميدة، ص ١٨٢.
٢٦١ التليسي، المصدر نفسه، ص ٨٨.

استمرَّت عشرين سنة بلا انقطاع، على حين لم تزد مرحلة الاستقرار عن عشر سنواتٍ فقط، أي أنَّ إيطاليا حاربت الشعب الليبي عشرين سنة لتستقرَّ في ليبيا عشر سنواتٍ فحسب.[٢٦٢]






٢٦٢ حمدان، ص ٣٦.




نسخة إلكترونية





الفصل الثالث

على طريق الاستقلال ..
المخاض العسير












مباحث الفصل الثالث

- ❊ تمهيد
- ❊ في ظل سياسة "الطّلينة"
- ❊ اندلاع الحرب العالمية الثانية
- ❊ الإدارة العسكرية البريطانية والفرنسية
- ❊ الحركات الوطنية والنشاط السياسي والحزبي
- ❊ جيل بناة دولة الاستقلال
- ❊ نحو تقرير المصير
- ❊ الجمعية الوطنية التأسيسيّة
- ❊ تأليف الحكومة الاتحادية المؤقتة
- ❊ وضع الدستور
- ❊ مهام عاجلة للحكومة المؤقتة




نسخة إلكترونية



تمهيد

عرضنا في الفصل السابق لصور من الجهاد والمقاومة الباسلة التي أبداها الشعب الليبي لصدِّ القوات الإيطالية الغازية على امتداد **عقدين** من الزمان، كان أطولها وآخرها في برقة حيث استمرَّت حركة الجهاد والمقاومة حتى عام ١٩٣١.

وشارك في هذا الجهاد، كما رأينا، كل مناطق ليبيا وقبائلها وفئات مجتمعها، رجالاً ونساءً، شيباً وشباباً.



- ولقد سجَّلت بوادينا وشطآننا .. مدننا وقرانا .. جبالنا ووهادنا، عشرات المعارك والملاحم .. وروى دم شهدائنا الزَّكي كل شبرٍ من أرضنا الغالية ..
- وما يزال رَجْعُ صدى تلك المعارك والملاحم والبطولات يتردّد مع نسمات كل فجر .. يحمل أصوات التهليل والتكبير .. وصيحات الجهاد .. ونداءات النفير .. وقعقعة السلاح ودويّ الرصاص .. وأنَّات الجرحى .. وحشرجات أرواح الشهداء وهي تصعد إلى بارئها ..
- وقدَّم شعبنا ما يربو على نصف تعداده شهداء في ساحات الوغى والجهاد، وفي معتقلات الإبادة، وعلى أعواد المشانق.[١]

لقد فرضت **معطيات الواقع الجغرافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي** للشعب الليبي لحظة وقوع الغزو الإيطالي لليبيا (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١١) أن تتخذ مقاومته لذلك الغزو أشكالاً وصوراً يطبعها التشتّت والانقسام، كما تتسم أحياناً بالتنافر والتطاحن، وهو ما كلّف هذه المقاومة كثيراً وكبَّدها ثمناً

١ من مقال للمؤلف باسم "أبو طارق" بعنوان "خواطر عن نضال الشعب الليبي في مواجهة حكم القذافي"، مجلة **الإنقاذ** (العدد الأول، شوال ١٤٠٢ - يوليو/ تموز ١٩٨٢)، ص ٦-٨.

باهظاً دون شـك، ومع ذلك فلا يوجد أدنى شـك في أنَّ حركة الجهاد والمقاومة في مجموعهـا، ومـن حيث زخمهـا ودرجة قوتها واسـتمراريتها، كانـت وما تزال مصـدر فخر واعتزاز لأبنـاء ليبيا ولأمَّتهم، كما كانت تلك الحركة مفاجأة مذهلة وغـير متوقعـة من قبل القـادة الإيطاليين الذين تصوَّروا، كما مـرَّ بنا، أنَّ غزوهم العسـكري لليبيا سوف يسـتغرق أياماً معدودات، وأنَّه لا يعدو أن يكون "**نزهة بحرية جميلة**".

على أنَّ هناك جملة من **الخلاصات** والملاحظات حول حركة الجهاد والمقاومة في ليبيا تسـتوجب التوقف عندها، والتأمّل فيهـا، ومحاولة إدراك دلالاتها وأخذ العبَر والدروس منها..

أولاً: إنَّ ليبيا، بمناطقها وأنحائها كلها، قد شاركت في الهبَّة لمواجهة الغـزو الإيطـالي والتصـدّي لـه ومقاومته. وكان أسـاس تلك الهبَّـة ودافعها (حركة الجهـاد والمقاومة) هو الدفاع عن **الوطن والديـن**. وقـد لخَّص ذلك عمـر المختـار بقولته، وهـو مكبَّل بالحديـد بعـد أسره، أثنـاء مواجهتـه مـع غراتسـياني: "**إنَّنـي أحاربكم من أجل ديني ووطني**".[٢]

ثانيا: لعبـت **الحركـة السنوسـية**، بتجديدهـا لـروح الإسـلام منـذ منتصـف القـرن التاسـع عـشر في ليبيـا، ومـن خـلال تحذيـر مؤسِّسـها **السـيد محمـد بن عـلي السـنوسي** منذ عـام ١٨٥٤ م من الغـزو **النابلطاني** (الإيطـالي) لبلادهم، وحـث أتباعه على أن يبـدأوا في الإعداد الاقتصادي والعسـكري لمواجهة الغزو القادم لبلادهـم، ومن خلال زوايا الحركـة **ونظامها التعليمي** وبقية تنظيماتها التي انتشرت في شتى أرجاء البلاد الليبية، ومن خلال **المسـاهمة والمشـاركة الميدانية والفعلية** لقادتها ولزعمائها وشـيوخها وأتباعها، الدور الأساس والأكثر فاعلية والأطول

---

٢ أشـار الدكتـور علي عبـد اللطيف حميدة في ص ١٧٩ من كتابه سـالف الذكـر إلى أنَّ أيديولوجيـة المقاومة أو الجهاد لم تكـن بسـيطة وأنها كانـت في غاية التعقيـد، وضرب مثلاً بآراء الشـيخ فرحـات الزاوي (تعلم في تونس وفرنسـا وحصل على ليسانس في القانون، واشتغل قاضياً ثمَّ انتخب نائباً عن طرابلس في البرلمان العثماني، وقتِل في فزان عام ١٩٢٥). ولكننا نعتقد أنَّ الدكتور حميدة لم يشر إلى أن هناك عنصراً مهماً آخر غير "الوطن والدين" قد دخل كمكوّن رئيسي في أيديولوجية المقاومة والجهاد.

مـدى في حركة الجهاد الليبي، ولئـن بدا ذلك أكثر وضوحاً في **برقة**، إلا أنَّه لم يكن بعيداً عن بقية أرجاء ليبيا.

ثالثاً: كانت "**القبيلة**" هي القاعدة الاجتماعية لحركة الجهاد والمقاومة، وكانت "أدوار" الجهاد "**المعسكرات**" على أسـاس قبلي، فكل قبيلة تقدّم عـدداً من المجاهدين بسـلاحهم ومؤونتهم، وعند استشـهاد أيٍّ منهم تعوّضهم القبيلة عـادة برجال آخرين. أي أنَّ القبيلة – وعلى الأخصِّ في دواخل ليبيا– كانت هي **القاعدة الأمامية للتنظيم الاجتماعي لمقاومة الاستعمار الإيطالي** وفي برقة خاصـة. وفي الواقع، كانت هذه الفكرة امتداداً للفكرة نفسـها التي قامت عليها "الزوايا السنوسـية" على يد مؤسِّـس الحركة السـيد محمد بن علي السنوسي. ومن اللافت للنظر حقاً – وفي برقة خاصة– انعدام المشـاجرات والخلافات والحزازات التي كانت قائمة بين عددٍ من قبائلها، فأصبحت برقة جماعة واحدة في جهادهـا ضـدَّ الطليان. إنّ هـذا "التوظيف" الإيجـابي البنَّاء للقبيلـة وللعلاقـات القبليـة – دون الاصطـدام بهـا– هو أمر جدير بالتأمّل والإكبار.[٣]




رابعاً: لعبت **المرأة الليبية** إلى جانب الرجل دوراً هامّاً في حركة الجهاد الليبـي. وقـد وقع على كاهلها العبء الأكبر مـن المعاناة جرَّاء ممارسـات الغـزاة الطليـان الوحشـية وغـير الأخلاقيـة وغير الإنسـانية. لقـد لعبـت المـرأة دوراً هاماً في الاعتنـاء بالجرحى وإعـداد الطعـام ونقل الأخبـار للمجاهدين وإذكاء حماسـهم بالزغاريـد والغناء. وممّن برزت في سـاحات الحرب المجاهدة (**سـليمة النايليـة**)[٤]. وقـد تحدَّث الضبـاط الأتراك ممّـن قاتلوا مـع المجاهديـن بالجبل الأخـضر كيف كان من بـين الجرحى،

٣ انظر: زيادة، المصدر نفسه، ص ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧؛ حميدة، ص ١٦٦، ١٨٧؛ الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا**، ج ٣، ص ١٦٢، ١٦٥.

٤ انظر: حميدة، ص ١٦٦.

في إحدى المعارك، مجاهدة أصيبت بقذيفةٍ في صدرها، ورغم ذلك رفضت البقاء للعلاج وعادت إلى الجبهة لتلهب معنويات المجاهدين.[٥]

خامساً: شهدت حركة الجهاد والمقاومة صوراً من **التلاحم والتنسيق** الرائع بين مختلف زعماء الجهاد في برقة وطرابلس كما حدث في معركة "**القرضابية**" (إبريل/ نيسان ١٩١٥)، وكما حدث في **اجتماع قصر سرت** الشهير بين وفدين من مجاهدي طرابلس وبرقة حيث أبرموا وثيقة تاريخية هامَّة في ٢١ يناير/ كانون الثاني ١٩٢٢. كما عرفت كذلك صوراً أخرى من **التناحر والتنازع**، بل الاقتتال والحروب الأهلية لأسبابٍ شخصية وقبلية ومصالح شخصية.

سادساً: شهدت حقبة الجهاد **مبادرات سياسية** رائدة، مثل الإعلان عن تأسيس "**الجمهورية الطرابلسية**" في ١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٨. وسوف تبقى هذه المبادرة - رغم أنَّها لم تدم طويلاً- سبقاً تاريخياً في البلاد العربية من حيث المضمون والصيغة والاختيار.

سابعاً: أظهر القادة والزعماء الليبيون، سواء في طرابلس أو في برقة، **استعداداً فائقاً للمناورة السياسية والدبلوماسية** مع العدوِّ الغازي، وقد تمثل ذلك في عددٍ من **محاولات الهدنة واتفاقيات الصلح** التي أبرموها معه (محادثات الزويتينة ١٩١٦، اتفاقية عكرمة ١٩١٧، اتفاقية الرجمة ١٩٢٠، اتفاق بومريم ١٩٢١ في برقة بين السيد إدريس السنوسي والطليان، واتفاقية صلح سواني بن يادم في إبريل/ نيسان ١٩١٩ بين القيادات

٥ انظر: الصلابي المصدر نفسه، ج٢، ص ١٨٢، كما وردت إشارة إلى ذلك في **الطريق إلى الإسلام**، ص ٣٦٥، فعندما وصل مؤلفه محمد أسد إلى معسكر المجاهدين بالجبل الأخضر للقاء بالسيد عمر المختار لاحظ وجود امرأتين: إحداهما مسنَّة، والأخرى شابَّة، كانتا جالستين في المعسكر بالقرب من إحدى النيران مستغرقتين في إصلاح سرج ممزَّق بمخرز غليظ، فقال عمر المختار للمؤلف: "إنَّ أختينا هاتين تذهبان معنا حيثما نذهب، لقد رفضتا أن تسعيا إلى الأمن في مصر مع سائر نسائنا وأولادنا .. إنَّهما أم وابنتها، وقد فقدتا جميع رجالهما في الحرب".

الطرابلسـية والطليـان، وكذلك محادثات الصلـح بين الطليان والسـيد عمـر المختار عـام ١٩٢٩). وممّـا يلفت الانتبـاه حقاً إصرار هـؤلاء الزعـماء، في كل المحادثـات والاتفاقـات التـي دخلـوا فيها مـع إيطاليا، على **هويّة الشـعب الليبـي ومرجعيته الإسـلامية، وعـلى ضرورة وجـود دسـتور ينظـم الأوضـاع والعلاقات، وعلى ضرورة وجود برلمان يمثل الشـعب الليبي، وضرورة اختيـار مـن يمثلهـم ويقـوم عـلى أمرهـم بأسـلوب الانتخـاب**. وتعدّ تجربـة **البرلمان البرقـاوي** (١٩٢٠-١٩٢٣) مـن التجـارب الديمــقراطـيـة المبـكرة واللافـتـة للنـظر في هذا الشأن.

ثامناً: عانـت حركـة الجهـاد الليبـي، ليـس فقط مـن صـور التناحر والتنـازع والاقتتال الذي نشـب بين بعض الزعـماء والمناطق، ولكـن عانـى أيضـاً، وبصورة أشـدّ وأكـبر، من بعـض **صوَر التواطؤ مـع العدوّ الغازي والتآمر معـه والقتال إلى جانبه** ضدَّ المجاهديـن. ولم تقتـصر هـذه الظاهرة الخطيرة عـلى جهةٍ دون أخـرى، أو فئةٍ سـكانية دون غيرها، بل إنَّها للأسـف شـملت حتـى بعض الشـخصيات المحسـوبة عـلى العـائلة السنوسـية (مثل محمد هلال السـنوسي) والحركة السنوسية. وغالباً ما تمَّ ذلك بسـبب مشـاحنات أو بدوافع مصلحية أنانية (شـخصية أو قبليـة أو جهويـة)، ولعب العدوّ الإيطالي عـلى الدوام، وفي معظم هذه الحالات، دوراً مهمّاً في اسـتغلال هذه الخصومات، وفي تحريك الفتن وشراء الذِمم وتقديم الوعود والإغراءات.

تاسعاً: كان **اليهود** في ليبيا من أكبر الفئات تواطؤاً مع الغزو الإيطالي، وكان التجـار منهـم عمومـاً، وعـلى الأخصّ العاملـون منهم في مـصرف روما (ولاسـيما عائـلات خلفـون، لاي، أربيب، ناحوم) من المرحّبين بسياسة التمييز الاقتصادي والثقافي التي شرعت السـلطات الاسـتعمارية بتطبيقها في ليبيا، إذ رأوا فيها

دعماً لمصالحهم الاقتصادية والتجارية وتوسيعاً لنفوذهم. وقد وصف راباي طرابلس (موردخاي كوهين) الغزو الإيطالي بأنَّه إعادة لمجد الإمبراطورية الرومانية، ووصف المقاومة خارج مدينة طرابلس بأنَّها مجموعة من المتمرّدين والخارجين عن القانون.[٦]

عاشراً: رغم الإهمال والتخاذل والتفريط الذي طبع موقف **الحكومة التركية**، ولاسيما منذ ظهور جماعة الاتحاد والترقي على المسرح السياسي التركي، تجاه ليبيا والغزو الإيطالي الذي تعرَّضت له، ظلت القيادات والزعامات الليبية، وكذلك **معظم الأهالي في برقة وطرابلس، على درجة عالية من الاندفاع والصدق في ولائهم للدولة العثمانية**، وأكثر من ذلك، في تعويلهم على مساندتها لهم في التصدّي لذلك الغزو.



غير أنَّ **تركيا (الاتحادية)** للأسف نظرت إلى حركة الجهاد في ليبيا من خلال مصالحها الخاصة، بل لم تتردَّد في محاولة توظيف العواطف الإسلامية التي تعتمل في صدور القادة والزعماء الليبيين، وفي مقدّمتهم السيد أحمد الشريف، بما يخدم مصالحها الإمبراطورية الأنانية، غير عابئةٍ بما يترتب على ذلك من أضرار جسيمة وعواقب وخيمة على حركة الجهاد.

ومن المحزن حقاً - والجدير بالاعتبار أيضاً- أنَّ تركيا لم تتردَّد، خدمة لهذه المصالح، في التآمر على بعض أطراف حركة الجهاد، والتلاعب بها، والاضطراب في تأييدها للزعامات الوطنية، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في إرباك حركة الجهاد.

كما لا يخفى الدور المشبوه الذي لعبته "**منظمة تشكيلات مخصوصة**" التركية، رغم ظاهر نبل مقاصدها، بالإضرار

٦ انظر: حميدة، ص ١٥٦؛ بعيو، **المشروع الاستيطاني لتوطين اليهود في ليبيا**؛ انظر أيضاً: فصل "البعد الثالث" في الجزء الثالث من هذا الكتاب. ومن المعروف أنَّ علاقة اليهود بالاستعمار الإيطالي تبدَّلت بعد أن استولى الفاشيست على السلطة في إيطاليا وناصبوا اليهود العداء.

بحركـة الجهاد الليبـي.[٧] كذلك لوحظ وجود "**قـوة خفيّة**" في البـلاط العثـماني عملت على تعطيل، بل عرقلة، رجوع السـيد أحمـد الشريـف إلى ليبيا مزوداً بقوةٍ عسـكرية ومادية سـبق أن قرّرتها وزارة الحربية العثمانية.[٨]

حادي عشر: رغم الظروف القاسية التي كان **العالم الإسلامي** يحياها، ورغم المعانـاة التـي كان يعيشـها إبَّان تعـرّض ليبيا للغـزو الإيطالي، تفاعلت معظم الشـعوب الإسـلامية والعربية مـع البطولات العظيمة التي سـجَّلها الشـعب الليبي في مواجهة ذلك الغزو، وتدفقـت عـلى ليبيـا أفـواج مـن المتطوّعـين، وبعثـات طبيـة، ومعونات ومساعدات وتبرّعات مالية وعينية من شتى أصقاع العـالم الإسـلامي، كما انـبرت الصحافـة في كثيرٍ مـن الأقطار الإسلامية للتعريض بما حل بالشعب الليبي على أيدي القوات الاسـتعمارية الإيطالية، وكان من أبرز الشخصيات التي لعبت دوراً بارزاً ومسـتمرّاً في مناصرة الشعب الليبي وجهاده الأمير شـكيب أرسـلان **(من لبنان)**، والقائمقام محمد صالح حرب، وعبـد الرحمن عـزام،[٩] والدكتـور حافظ عفيـف،[١٠] والدكتور سـيد دسـوقي،[١١] وعبد القادر طراف، ووالـدة خديوي مصر (أم المحسـنين)، والأمـير عمـر طوسـون، وعـلي يوسـف، وعلوبة باشا، وحمد باشا الباسل **(من مصر)**، والضابط نجيب الحـوراني **(من سـوريا)**، هذا عـدا عشرات المجاهديـن الذين التحقـوا بالجهـاد الليبي بحكـم انتمائهم إلى الحركة السنوسـية **في تشـاد والسـودان**، ومن أشـهر هؤلاء المجاهـد قجة عبد الله التشـادي، الذي تولى قيـادة أحد أدوار الجهـاد في برقة. فضلاً عـن بعض **الضبـاط العرب** الذين جاءوا مـع مجموعة الضباط



٧ راجع ما ورد بشأن دور هذه المنظمة في الفصل السابق "مقاومة وملحمة جهاد خالدة".
٨ هويدي، ص ١٨٥.
٩ صار عبد الرحمن عزام أميناً للجامعة العربية في وقتٍ لاحق.
١٠ صار فيما بعد سفيراً لمصر في لندن. انظر: دي كاندول، ص ١٥.
١١ ظـل هـو ومحمد صلاح حرب وآخرون مع السـيد أحمد الشريف، وقد قتل الدكتور دسـوقي عام ١٩١٧ عن طريق عناصر تابعة لرمضان السويحلي في مصراته، وهي الحادثة المعروفة **بحادثة القافلة**. انظر هويدي: ص ١٦١-١٦٦.

الأتراك مـن أمثال عزيز عـلي المصري،[١٢] وجعفر العسـكري، وأدهم باشا الحلبي.

وكان من مظاهر تعاطف العالم الإسلامي مع الشعب الليبي ودعمه لجهاده ترحيـب عدد من الأقطار العربية (من أهمّها مصر وتونس وسـوريا وفلسـطين) **بـآلاف المهاجرين الليبيّين** الذين نزحوا إليها هربـاً من الغزو الإيطالي في مراحله المختلفة.

١٢ راجع ما ورد بشأن هذه الشخصية في الفصل السابق من هذا المجلد، وانظر أيضاً: دي كاندول، ص ١٧.

في ظل سياسة "الطّلينة"[١٣]

في شهر يناير/ كانون الثاني عام ١٩٣٢، وبعد نحو عشرين عاماً من المقاومة الليبية، تمكن الماريشال الإيطالي "**بادوليو**" من إعلان الاحتلال الكامل لليبيا، لتبدأ بذلك **مرحلة الاستقرار** للاستعمار الإيطالي فيها، وهي لم تزد على عشر سنوات، عدّت فيها إيطاليا الأراضي الليبية بمثابة **الشاطئ الرابع** لدولتها.[١٤]

في هذه المرحلة بدأ الاستعمار الإيطالي يضع أغراضه ومشاريعه الاستيطانية والاستراتيجية موضع التنفيذ الجدّي. ورغم أنَّ المحاولات الأولى في هذا السبيل بدأت من قبل، فإنَّ استمرار القتال جعلها عسيرة ومتعثرة للغاية.

فخلال هذا العقد الأخير من عمر الاستعمار الإيطالي في ليبيا شرع في تنفيذ سياسة "**الطّلينة**" بلا هوادة، فأعلنت ليبيا كجزءٍ من صميم الكيان الإيطالي، وصارت الولايات الليبية الأربع (طرابلس ومصراته وبني غازي ودرنة) ولايات إيطالية بكل معنى الكلمة. وجرى سنُّ **قانون للرعوية** أصبح بموجبه الناس في ليبيا رعايا إيطاليين كاثوليك، ورعايا إيطاليين مسلمين، كما سُمِح لليبيّين بالحصول على **الجنسية الإيطالية** من الدرجة الثانية.

وفي إطار سياسة "**الطّلينة**" فرضت السلطات الإيطالية في ليبيا حظراً على أداء الصلوات في المساجد، وأمرت بدكّ الزوايا السنوسية أو تحويلها لخدمة أغراض أخرى، وأعلنت قراراً رسمياً بإلغاء التقسيمات القبائلية العشائرية كليَّة، وعملت على ضم أبناء الأهالي من سكان المدن لمنظمة "**القمصان السوداء**"، منذ سنٍّ مبكرة قدر الإمكان، لضمان تلقينهم مبادئ الفاشستية، بالإضافة إلى تجنيدهم قسراً لأداء الخدمة العسكرية الإيطالية. ولعل أخطر السياسات التي

---

١٣ للمزيد حول هذا الموضوع انظر: زيادة، المصدر نفسه، ص ١١٨-١٢٤؛ دي كاندول، ص ٦٠-٦٢؛ حمدان، ص ٣٧-٤٣؛ جون رايت، ص ١٥٨-١٧٠؛ الشيخ، ص ٢٣٣-٢٦٦.

١٤ في ٣١/ ١/ ١٩٣٤ عدّت الحكومة الإيطالية ليبيا مستعمرة إيطالية. وفي ٢٥/ ١٠/ ١٩٣٨ أصدرت مرسوماً يسري مفعوله بدءاً من ٩/ ١/ ١٩٣٩ يعدّ ليبيا جزءاً من الدولة الإيطالية. انظر:
John Stewart, *African States and Rulers* (North Carolina & London: Mcfarland & Coy Inc. 1999).

انتهجهـا المسـتعمرون الإيطاليون في مضـمار "**الطلينة**" هي **حرمـان الليبيّين من حقّهم الطبيعي الموروث في تعلّم اللغة العربية**، ومن ثم الارتباط بثقافتهم العربية الإسلامية. وترتب على ذلك أنّ **جيلاً كاملاً بلغ طور الرجولة في عهد الإيطاليين لم يكد يعرف القراءة والكتابة باللغة العربية**، وحرصت إيطاليا على إنشاء أجيال من الليبيين أشبه بنوع ممسوخ من الطليان يعيشون على هامش الجنسية الإيطالية، وتتوقـف حياتهم عـلى رضى الإيطاليين. كـما اهتمَّت إيطاليا اهتمامـاً كبيراً بعزل ليبيا عن العالمين العربي والإسـلامي، فأنشـأت مدرسة إسـلامية للتعليم الديني في طرابلـس لمنـع طلاب العلم من السـفر إلى الجامع الأزهـر في مصر، أو جامع الزيتونة في تونس.

وخلال هذه الحقبة من الاسـتعمار الإيطالي في ليبيـا تقدَّمت بصورةٍ خطيرة خطـط **إجلاء الوطنيين بالجملة عن المناطق الخصبة**، وكذلك اغتصاب الأراضي الزراعية ومصادرتها. وفي هذا الصدد، صادرت السلطات الإيطالية جميع أملاك وأراضي ومزارع وبسـاتين الحركة السنوسـية، وجرَّدت جميع السكان من ملكية الأراضي الصالحـة للزراعـة أو أن يقيمـوا فيها، كـما حدَّدت لهـم الأراضي التي يمكـن لقطعان ماشـيتهم أن تسرح داخلهـا، وقامت بالمقابـل بتمليك الأراضي المصـادرة لشركـة "**اينتي ENTE**" الإيطالية لاسـتعمارها، كـما شرعت في جلب المستوطنين الإيطاليين وزرعهم في الأراضي المصادرة.[١٥]

و لم يكن غريباً، في ظل هذه السياسات، أن يقوم الدكتور (تودسكي) مدير مستشـفى درنة بإبلاغ الجنرال الإيطالي غراتسـياني (الذي اشـتهر بلقب سـفاح برقـة) "أنّـه يتوقع انقراض العنصر العـربي في ليبيا مع نهاية القـرن الحالي (القرن العشريـن)".[١٦] وقـد ذكـر دي كاندول[١٧] أنَّ **تعـداد الجيش الإيطـالي في برقة عند بدايـة حرب ١٩٣٩-١٩٤٥ كان يفوق حتماً عدد السـكان العرب بنسـبة مرّتين ونصف تقريباً**.

---

١٥ من الأمور التي ستلفت نظر القارئ في الجزء الرابع من هذا الكتاب التشابه الغريب بين سياسات إيطاليا خلال هذه الحقبة بسياسـات النظام الانقلابي منذ سـبتمبر ١٩٦٩، ولا سيما في مجالات التعليم، وتفكيك المجتمع ومسخه، وفي ملكية الأراضي، وإن اختلفت المسمّيات والمسوّغات.

١٦ سامي حكيم، **هذه ليبيا**، (القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠)، ص ١٤٢.

١٧ دي كاندول، ص ٧٥.

الليبيّـون في المنفـى

هرعـت أعداد كبيرة من الليبيّين، كما سـبق أن ألمحنـا، إلى الهجرة عن البلاد فـور تعرّضهـا للغـزو الإيطـالي في أكتوبر/ تشريـن الأول ١٩١١. وتواصلـت موجـات الهجـرة عـلى امتـداد السـنوات التاليـة مـع كل مرحلـةٍ تنجـح فيهـا السـلطات الإيطالية في دحر المقاومة الليبيّة والسـيطرة على المزيد من الأراضـي الليبيّـة وإخضاعها لحكمــهـم. وقُدِّرت أعـداد المهاجرين الليـبيّـين بنحو **مائة ألف مهاجر**.[١٨]

وكانت **مَصابّ** الهجرة الرئيسـة هي، على ترتيـب أحجامها، مصر، تونس، سـوريا، لبنان، وعـلى حين كانت **مصر**، بحكـم الموقع، الملجـأ الطبيعي لأغلب لاجئـي برقـة، كان لاجئو طرابلس يجدون ملجأهـم الطبيعي في **تونس**، وغدت مصر يومها مقراً لأكبر جالية ليبية خارج الوطن، ولم تكن نظيرتها في سوريا قليلة الأهميـة كذلـك.[١٩] كما وجدت أعداد أخرى من الليبيين ملاذاً في تشـاد والجزائر وفلسطين والأردن والحجاز وتركيا.[٢٠]

أما **السـيد إدريس السـنوسي** فعلى الرغم من أنَّ الحكومة المصرية قد رحَّبت بـه للإقامة فوق أرضها فإنَّها أوضحـت له أنَّه يتحتم عليه بصفته لاجئاً أن يمتنع عن النشــاط الســياسي، حرصاً منـها على عدم إغضــاب الإيطـاليين الـذين كـانـت لهـم مــع مصـر، ولاسيما مع الأسـرة الحـاكمة، صــلات صداقة.[٢١] ومــن ثمَّ فقد عـاش طوال الفترة ما بـين ١٩٢٣ و١٩٣٩ **حياة شـديدة العزلة**، ولم يشـارك في أيِّ نشـاطٍ سـياسي أو اجتماعـي، ولم يسـتغل مكانتـه كأمـير، ولا كان المصريـون يعامـلونه بتلـك الصـفة، كما لم يطلب الجنسـية المصـرية، وكـان يُعدّ **فاقد الجنسـية عملياً**، وسـمحت له السـلطـات المصـرية باستعمال جــواز مــرور مصري.

ويبـدو أنَّ الحكومـة المصريـة كانت تنظـر إلى أتباع السنوسـية المهاجرين في

١٨ سامي حكيم، المصدر نفسه، ص ١٤١.
١٩ الصلابي، **الحركة السنوسية**، ج٣، ص (٢٩٣).
٢٠ خدوري، ص ٣٧ وما تلاها.
٢١ دي كاندول، ص ٦٣.



مصر على أنَّهم مجرّد جماعة شديدة الفقر عديمة الأهمية لا تحمل أيَّ وزنٍ سياسي، ومن ثمَّ فلم تعر أدنى اهتمام لصالح السيد إدريس ومستقبل شعبه. وكان **معظم اللاجئين الليبيّين في مصر في حالة فقرٍ مدقع، يحتالون على العيش كخفراء أو عمّال مياومة في الفيوم وأسيوط**. وقد وصف ذلك مقيم بريطاني في مصر، ما أحاط بأحوال السنوسيين في ذلك الوقت، قائلاً:

> "لم يصادفني من السنوسيين أيّ واحدٍ يملك أيّة وسيلة للعيش إطلاقاً، بل كانوا معدمين كلهم، يعيشون على مجرد الكفاف. **السيد إدريس نفسه كان دائماً يعاني من ضيق ذات اليد، فيما بقيت أملاكه المتواضعة مثقلة بالرهون**".[22]

وفضلاً عن انشغال الأغلبية الساحقة من المهاجرين الليبيّين في مصر في تحصيل معاشهم، فإنَّ وضعهم ظلّ متقلقلاً بسبب الاحتجاجات المستمرَّة التي كانت الحكومة الإيطالية تقدّمها إلى الحكومة المصرية على نشاطهم، لأنَّه يحول دون استتباب النظام والاستقرار داخل ليبيا نفسها، الأمر الذي يبدو أنَّ الحكومة المصرية قد أذعنت له، وحظرت على المهاجرين الليبيّين ممارسة أيّ نشاطٍ سياسي.[23]

وينطبق الأمر ذاته على المهاجرين الليبيين في **معظم الأقطار العربية**، إذ كان أكثرها في ذلك الوقت تحت السيطرة الأوروبية.[24]

كان من بين التجمّعات الليبية المهاجرة النشطة، **تجمّع الليبيّين في سوريا**، فقد تمكّن هؤلاء في عام ١٩٢٨ من تأسيس "**جمعية الدفاع الطرابلسي والبرقاوي بالشام**"،[25] وكان مقرّها دمشق،[26] وانتخب **بشير السعداوي**[27] رئيساً، و**عمر فائق شنّيب** سكرتيراً للجمعية. وقد وضعت الجمعية عام ١٩٢٩ **الميثاق الوطني** للشعب الطرابلسي البرقاوي، وتضمَّنت مواده:

---

٢٢ دي كاندول، ص ٦٤. طبعاً لا يعني هذا أن الشعب المصري قصَّر في نصرة الشعب الليبي وفي تقديم العون للمهاجرين الليبيّين، فضلاً عن المجاهدين داخل ليبيا حتى عام ١٩٣١.

٢٣ خدوري، ص ٣٨-٣٩. ما أشبه اليوم بالبارحة !

٢٤ المصدر نفسه، ص ٣٨.

٢٥ شكري، **السنوسية دين ودولة**، ص ٣٧٣-٣٧٥.

٢٦ قامت الجمعية بفتح فرع لها في تونس عام ١٩٣٠ برئاسة محمد عريقيب الزليتني.

٢٧ للمزيد حول الجهود التيّ بذلها بشير السعداوي في المنفى راجع المقالات التي نشرها الكاتب السوري محمود السيد الدّغيم في صحيفة **الحياة** اللندنية في الأعداد الصادرة ما بين ٢٧/ ٢/ ١٩٩٥ و٤/ ٣/ ١٩٩٥.

١- تأليف **حكومة وطنية** ذات سيادة قومية لطرابلس- برقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمَّة.

٢- دعوة **جمعية تأسيسية** لسنّ **دستور البلاد**.

٣- **انتخاب الأمَّة مجلساً** حائزاً على الصلاحية التي يخوّله إيَّاها الدستور.

٤- اعتبار **اللغة العربية** اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.

٥- المحافظة على **شعائر الدين الإسلامي** وتقاليد القطرين في جميع أرجائه.

٦- العناية بالأوقاف الإسلامية وإدارتها من قبل لجنة إسلامية.

٧- العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

٨- تحسين العلاقات بين الأمَّة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدةٍ يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي.

وقد نشطت الجمعية في المجال الإعلامي بالتعاون مع العناصر الوطنية في البلاد العربية، وكان في مقدّمتهم الأمير **شكيب أرسلان** الذي جعل صحيفة "**الأمَّة العربية**"، التي كان يصدرها في جنيف باللغة الفرنسية، منبراً لهذا النشاط.[٢٨]

وقدَّمت الجمعية في ٦ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٣١ وثيقة تاريخية عن "القضية الطرابلسية- البرقاوية" إلى **المؤتمر الإسلامي في القدس**[٢٩] كما أدّى **بشير السعداوي** رئيس الجمعية فريضة الحج عام ١٩٣١، وألقى خطاباً على مسمع آلافٍ من الحجاج في مكة ندَّد فيه بمظالم الإيطاليين في ليبيا.[٣٠] وأعيد تشكيل الجمعية من جديد عام ١٩٤٠ فأسندت رئاستها إلى الدكتور **كامل عيد**. وبقيت منذ ذلك الحين تحت إرشاد الأمير إدريس وتوجيهاته من مصر.[٣١]

٢٨ خدوري، ص ٣٨.
٢٩ انظر: **حاضر العالم الإسلامي**، ج ٣، ص ٣٨٥.
٣٠ خدوري، ص ٣٨.
٣١ الأشهب، المصدر نفسه، ص ٣٧٥.



اندلاع الحرب العالمية الثانية

عندما لجأ الأمير إدريس إلى مصر عام ١٩٢٣ كان في عنقه **بيعتان** من زعماء وشيوخ وأعيان برقة وطرابلس، ومن ثمَّ كانت الأغلبية الساحقة من الشعب الليبي تنظر إليه على أنَّه ممثلهم الشرعي الحقيقي. كما حرص الأمير إدريس، من جهةٍ أخرى، على الحفاظ بالعلاقة الودّية التي نشأت بينه وبين **الإنجليز** منذ عام ١٩١٤ (أثناء مروره بمصر لتأديته فريضة الحج ذلك العام). ولعل هذا يفسّر ما ورد على لسان **غراتسياني** بحقه عندما قال:

"إذا أردنا أن نقضي مرّة واحدة على العصيان يجب أن يغيَّب إدريس من عالم الوجود، فإذا مات هو مات معه التمرّد والعصيان، يجب لتحقيق هذا أن نضغط على مصر حتى تسلّمه لنا، أو ننفّذ نحن المهمة من وراء ستار".[٣٢]

ومن ثمَّ فقد كان طبيعياً أن تقوم **بريطانيا في عام ١٩٣٦**، في أعقاب تدهور علاقاتها بإيطاليا، نتيجة قيام الأخيرة باحتلال **الحبشة** بالقوّة، بالاتصال بالأمير إدريس السنوسي في مصر بواسطة أدميرال الأسطول الإنجليزي الرابض في الإسكندرية.[٣٣]

وفور اندلاع **الحرب العالمية الثانية** في سبتمبر/ أيلول ١٩٣٩ عقد أعيان ليبيا المغتربين **اجتماعاً تاريخياً** في بيت الأمير إدريس السنوسي في **الإسكندرية**، بين ٢٠ و٢٣ أكتوبر/ تشرين الأول من ذلك العام،[٣٤] وقد ضمَّ الاجتماع نحو **أربعين شخصية من طرابلس وبرقة**، وبحثوا في خطة العمل المناسب في حالة قيام تحالفٍ بين إيطاليا وألمانيا، ونجح المجتمعون في تناسي الخلافات التي دبَّت بينهم في ظل حياة المهجر، وأصدروا **وثيقة تاريخية** في ٩ من رمضان ١٣٥٨ الموافق **٢٣ من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٩** تقرَّر أن يعهد بموجبها **بالزعامة**

---

٣٢ الأشهب، **برقة العربية**، ص ٥٣١.

٣٣ الصلابي، **الحركة السنوسية**، ج ٣، ص ٣١٦.

٣٤ انظر: خدوري، ص ٤١ – ٤٢؛ دي كاندول، ص ٦٤.



العامّـة للسـيد إدريس، شريطـة أن يعيّن "**لجنة مشـتركة**" من زعماء طرابلسـيين وبرقاويـين تكـون مهمّتها تقديـم النصح للسـيد إدريس في كل عمـل قد يتخَّذ ممَّـا يتعلـق بتحرير بلادهم.[٣٥] وقـد جرى إبلاغ رئيس الوزراء المصري والسـفير البريطاني في القاهرة بفحوى تلك القرارات.[٣٦]

في **العـاشر من يونيو/ حزيران ١٩٤٠** أعلنـت إيطاليا الحرب على **بريطانيا،** وكان مـن بـين مـا قامت بـه بريطانيـا، كردٍّ فعـل لتـصرّف الحكومـة الإيطالية، **الاتصـال بالأمـير إدريـس** عـن طــريـق الجـــنـرال **(ويلسـون)** آمـر القـوات البريطــانية في مصر تحت قيادة الجنرال **(ويفل)** وطلبت منه **المساعدة في المجهود الحربي ضدَّ الإيطاليين.**



دعـا **الأمـير إدريس** فوراً الزعـماء الليبيـين في المهجر إلى **اجتـماع** في القاهرة خـلال **شـهر أغسـطس/ آب ١٩٤٠**، وانعقد الاجتماع واسـتمرَّ التَّداول طيلة يومي السابع والثامن من **أغسطس،** وفي اليوم **التاسع** جاء قرار أغلبية المجتمعين معـبّراً عن الثقـة في الحكومة البريطانية، والاعتراف بالأمـير إدريس مفوّضاً عن الليبيّين في علاقاتهم مع بريطانيا، والاتفاق على إنشـاء جيش ليبي يسـمَّى "**القوّة العربيـة الليبيّـة**" للقتال إلى جانـب القوات البريطانية ضـدَّ الإيطاليين.[٣٧] وكان الجنرال (ماتيلاند ويلسون) حاضراً في اليوم الثالث للاجتماع.

كان ذلـك الاجتـماع مـن المناسبات المبكّـرة التي ظهـر فيهـا الاختلاف في وجهات النظر بين الزعماء الطرابلسيين والبرقاويين؛ ففي الوقت الذي لم يُبدِ فيه البرقاويـون أيَّ اعتراض على انتهاز الفرصة لاسـتئناف الجهاد ضدَّ الطليان لأنَّ ذلـك لن يعود عليهم إلا بالكسـب، ولن يخسروا أكثـر ممّا خسروا على أيِّ حال، كان **الطرابلسـيون** يشعرون بالحرج خوفاً من انتهاء الحرب بانتصار دول **المحور**

---

٣٥ يمكـن مراجعـة نص الوثيقة في ص ٣١٩-٣٢٠ في كتاب الصلابي، المصدر نفسـه، وقد وقـع على هذه الوثيقة نحو (٥١) شـخصية ليبيّة، كما بادرت "جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي" في دمشـق، برئاسـة بشير السعداوي، بتبنّي ما جاء في تلك الوثيقة.

٣٦ حـول تفاصيـل الاتفاق الذي أسـفر عنه ذلـك الاجتماع، انظر: شـكري، المصدر نفسـه، ص ٦٤-٦٦، وأصبحت الوثيقة المحتوية للقرارات الصادرة عن الاجتماع، التي أرسـلت رسـمياً إلى الجنرال ويلسـون، هي الأسـاس الذي قام عليه التعاون بين الليبيّين وبريطانيا. وقد وافق عليها المهاجرون الليبيّون في سوريا والسودان وتونس، وعرضوا الانضمام إلى مواطنيهم في مصر. خدوري، ص ٤٣-٤٥.

٣٧ الصلابي. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٢٤ وما بعدها.

فيأخذ عليهم الطليان قتالهم في صفوف الأعداء.[٣٨] وقد أدَّى هذا التوجّس لدى الطرابلسيين إلى إحجام عددٍ ممّن شارك منهم في الاجتماع عن الموافقة على قراراته، وانسحبوا منه. وقد تردَّد أنَّ **عبد الرحمن عزام باشا**،[٣٩] الذي كان وزيراً مفوضاً في وزارة الخارجية المصرية آنذاك، لعب دوراً جليّاً في تحريض الليبيّين من إقليم طرابلس على رفض فكرة الأمير إدريس بتأسيس جيش ليبي يقف إلى جانب الحلفاء، إذ إنَّ الرأي السائد في المشرق العربي يومذاك أنَّ دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) هي التي ستخرج منتصرة في الحرب.[٤٠]

قام الأمير إدريس، فور توصّل الاجتماع إلى قراره المذكور، بالتعاون مع البريطانيين في تنظيم "**القوة العربية الليبية**" التي تكوّنت في معظمها من البرقاويين اللاجئين بمصر، ومن ضمنهم بعض المجاهدين الذين تمكّنوا من عبور الحدود المصرية بعد اشتراكهم في المقاومة ضدَّ الإيطاليين. ولم يلبث الجيش أن وصل إلى قوةٍ قوامها أربع كتائب قتالية وكتيبة أركان (أي نحو ٤٠٠٠ مقاتل).

وقد حدث أن وقعت قرب **سيدي براني** خلال شهر ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٠ معركة بين القوات البريطانية والإيطالية هُزِمت فيها الأخيرة، الأمر الذي أدّى إلى وقوع آلاف الليبيّين المجنّدين بالجيش الإيطالي في الأسر، حيث نُقلوا إلى معسكرات الأسرى في منطقة قناة السويس، وقد أخذ الأمير إدريس في التردّد على هؤلاء الأسرى، ونجح في ضمِّ عددٍ كبيرٍ منهم إلى "القوة العربية الليبية" الوليدة حتى وصل تعدادها إلى (١٤,٠٠٠) متطوّع.[٤١]

وقد شاركت وحدات "**القوة العربية الليبية**" في الحملات العسكرية التي جرت على امتداد السنوات ١٩٤٠-١٩٤٣، وقدَّمت كل ما عندها لدعم الصف البريطاني، كما لم يتردد الأهالي المدنيون داخل برقة في تقديم مساعداتٍ

---

٣٨ دي كاندول، ص ٦٥؛ خدوري، ص ٤٢.

٣٩ مرَّ بنا كيف أنَّ عبد الرحمن عزام شارك في جهاد الليبيّين ضدَّ الاحتلال الإيطالي، كما أنَّه رافق الأمير إدريس عندما هاجر إلى مصر في أواخر عام ١٩٢٢.

٤٠ مذكرات محمد عثمان الصيد، رئيس الحكومة الليبية السابق، **محطات من تاريخ ليبيا** (الرباط: [دن]، ١٩٩٦)، ص ٢٧.

٤١ هنري ميخائيل، **العلاقات الإنجليزية الليبية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ١٩٧٠)، ص ١١٣.

جريئة ومحفوفة بالمخاطر للجيش البريطاني.[٤٢] وقد اعترفت الحكومة البريطانية رسمياً بأهمّية المساعدات التي قدَّمها الليبيّون، بقيادة الأمير إدريس السنوسي، أثناء الحرب، وذلك حين نوَّه بها وزير الخارجية (**أنطوني إيدن**) في تصريح أدلى به أمام مجلس العموم البريطاني بتاريخ ٨ من ينـاير/ كانون الثـاني ١٩٤٢.[٤٣]

كانت المنطقة الساحلية الواقعة بين (**العلمين**) في شمال مصر و(**مارت**) بين تلال مطماطة وخليج قابس بتونس الممتدّة لنحو (٥,٠٠٠) ميل مسرحاً لمعارك وعمليات حربية ضارية ومتواصلة بين قوات الحلفاء والقوات البريطانية من جهة، وبين القوات الإيطالية والألمانية من جهةٍ ثانية، على امتداد السنوات ١٩٤٠-١٩٤٢. وقد شهدت عمليات كرٍّ وفرّ بين القوات المتحاربة، وتبادلت **الأيدي برقة** ثلاث مرّاتٍ قبل أن يستولي عليها الجيش الثامن البريطاني نهائياً[٤٤] في أواخر عام ١٩٤٢.

ومن التطورات المفاجئة التي شهدتها تلك الحرب نجاح القائد الألماني (**رومل**) في إحراز سلسلةٍ من الانتصارات الباهرة على القوات البريطانية في شرقي برقة في أوائل صيف ١٩٤٢، وقد مكنته تلك الانتصارات من الاستيلاء على **طبرق** والتوغّل في مصر حتى وصل إلى نقطةٍ على الساحل لا تبعد عن **الإسكندرية** غير ستين ميلاً فقط، فبدا الطريق مفتوحاً على مصراعيه أمام قوات المحور لاحتلال مصر. وطار **موسوليني** من روما إلى بلدة "**القبة**" في الجبل الأخضر ببرقة وهو على أتمّ الاستعداد لقيادة جيوشه المظفرة والزحف بها على القاهرة راكباً حصاناً أبيض. وقد أثار هذا التحوّل المفاجئ في مجرى الأحداث موجة من الذعر في مصر، حتى إنَّ القيادة البريطانية أخذت تعدّ العدَّة لإخلاء المنطقة من الأهالي. وكان ممَّن جرى إجلاؤهم في تلك الأثناء مجموعة من الزعماء الليبيّين الذين أيّدوا الحلفاء، وعلى رأسهم السيد إدريس الذي أقنِع بالذهاب إلى **القدس** بدلاً من السعودية.[٤٥] وتمَّ في الوقت نفسه نقل الليبيّين المدنيين الآخرين إلى فلسطين والسودان، حيث بقوا هناك إلى ما بعد "**معركة العلمين**" في ٢٣ من



٤٢ للمزيد حول هذا الموضوع انظر: الصلابي، المصدر نفسه، ص ٣٢٦-٣٣٧.
٤٣ انظر: دي كاندول، ص ٦٦-٦٧.
٤٤ خدوري، ص ٥٦؛ حمدان، ص ٤٧-٤٨.
٤٥ يبدو أنَّ الملك عبد العزيز بن سعود لم ترق له فكرة انتقال السيد إدريس إلى الحجاز بسبب بعض الموانع المذهبية من جانب الزعماء الوهابيين. دي كاندول، ص ٦٨.

أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢ التي انتصر فيها القائد البريطاني **مونتجمري** على قوات المحور بعد قتال شرس دام اثني عشر يوماً.[٤٦]

وقد واصل **الجيش الثامن البريطاني بقيادة مونتجمري** انتصاراته على قوات المحور، فأكمل **احتلال برقة**، وأعلنه في ١١ من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٢، وتمَّ الاستيلاء على **مصراته** في ١٨ يناير/ كانون الثاني ١٩٤٣، كما سقطت **طرابلس** في أيدي القوات البريطانية الزاحفة في ٢٣ من الشهر ذاته، كما احتل **الفرنسيون** بقيادة الجنرال **لوكليرك** فزان في الوقت نفسه، وبعد أسبوعين من ذلك تمَّ إجلاء بقية قوات المحور، وحُرّرت ليبيا تحريراً كاملاً منهم.[٤٧]

على الرغم من أنَّ الحرب العالمية الثانية أسفرت عن دحر قوات المحور، وهزيمة القوات الإيطالية ورحيلها عن ليبيا، فإنَّ المعارك التي جرت خلال تلك الحرب، والتي كانت الأراضي الليبية، ولاسيما برقة، مسرحاً دائماً لها – على امتداد ١٩٤٠/ ١٩٤٢ – ألحقت بالبلاد الليبية **دماراً وخراباً هائلين، كما عانى خلالها الليبيون ويلاتٍ وأهوالاً شديدة وبالغة.**

لقد اكتسحت القوات المتقاتلة **مدن برقة** عدَّة مرّات جيئة وذهاباً حتى حرثتها حرثاً، وكانت هذه المدن الضحية الكبرى لحركة المدّ والجزر التي كانت أعنف المعارك تركّزاً فيها، وعلى سبيل المثال فقد دُمِّرت ٨٥٪ من مدينة **طبرق، على حين فقدت بنغازي ٦٠٪** من مبانيها.[٤٨]

كتب **الصحفي البريطاني "مورهيد"** يصف مدينتي **درنة** و**بنغازي** إبَّان تلك المعارك:

"المدينة الجميلة **درنة** قد احترقت ونهبت وخرّبت مزارعها الإيطالية .. أمَّا **بنغازي** في شتاء ١٩٤١ فلم تعد مدينة البته، فقد حطمتها المتفجرات الثقيلة، وتركتها خالية خربة ومحزنة باردة، وأغلقت المتاجر والأسواق، وتتابع الخراب بعد الخراب، واستمرَّ سلاح الطيران البريطاني مدَّة عام كامل يقصف المدينة

٤٦ دي كاندول، ص ٦٧–٦٨.
٤٧ خدوري، ص ٥٦؛ دي كاندول، ص ٦٩.
٤٨ حمدان، ص ٤٦– ٤٧.

ليل نهار حتى أصبحت أثراً بعد عين.."[٤٩]

وقدّم **دي كاندول** في كتابه "**الملك إدريس عاهل ليبيا**" وصفاً لما كانت عليه الحالة في مدينتي **طبرق** و**بنغازي** في شتاء سنة ٤٢-١٩٤٣ جاء فيه:

"بدأ موسم الأمطار مبكّراً في شتاء سنة ١٩٤٢-١٩٤٣. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، حين كان الجيش الثامن يواصل تقدّمه عبر أراضي برقة، تحت سمائها المكفهرة، صادفته مشاهد الفوضى والخراب في كل مكان. وكان الإيطاليون قد أخلوا البلاد من جميع مواطنيهم المدنيين البالغ عددهم آنذاك نحو أربعين أو خمسين ألف نسمة. فغدت مدينة **طبرق** شبه خالية من الحياة تماماً، وقد تهدَّمت كل مبانيها تقريباً، وغصَّ الميناء الواسع بحطام مائة وثلاثين سفينة غارقة، وبدت آثار القصف الجوي في ما خلّفته القنابل من دمار شامل في **البردى** و**درنة**، وفي **بنغازي** بوجهٍ خاص، حتى إنَّ كثيرين من سكانها لاذوا بالتلال والأغوار خارج المدن. وكانت سفوح المنحدرات التي تناثرت فوق أرضها بقايا الدبابات والشاحنات المحترقة، أشبه بحقل ألغام هائل لا أوَّل له ولا آخر، فكانت سيارات الجيش عرضة لخطر الهلاك في أيّ لحظة إذا حادت عن الطريق العام. وقد تعطّلت الخدمات العامَّة كالكهرباء والمياه والمرافق الصحية، لأنَّ قوات العدو قبل انسحابها من **بنغازي** دمَّرت محطة توليد الكهرباء، ونسفت سدود الميناء، كما عمدت إلى تلويث المياه بتحويل قنواتها للمرور في مجاري المدينة. وبقية المباني القليلة القائمة على جانبي الطريق كانت معبَّأة بالشراك القاتلة والمتفجرات المخبَّأة في كل ركنٍ منها. أمَّا في منطقة الجبل الأخضر، وهي لم تشهد كثيراً من معارك الحرب، فإنَّ الأضرار المادية كانت أخف وطأة، غير أنّ بيوت المزارع البيضاء الجميلة التي هجرها ساكنوها الطليان بدت موحشة وخاوية. ولم يعد حول القرى سوى القليل من الزراعة، بينما لم يبقَ أيّ أثر على الإطلاق للحرف أو التجارة، فمظاهر الحياة العادية قضي عليها بالكامل.."[٥٠]

كما يقدّم دي كاندول في كتابه المذكور وصفاً لما كانت عليه **الأحوال الصحية**

٤٩ نقلاً عن جون رايت، ص ١٧٢-١٧٣.
٥٠ دي كاندول، ص ٦٨.



في **برقة** في أعقاب الحرب العالمية الثانية ودخول الجيش البريطاني إليها:

".. لقد ظهرت ثمَّة مشكلة خطيرة وهي كثرة الإصابات من جرّاء وجود الألغام والمتفجّرات التي خلّفتها جيوش الأعداء قبل خروجها من البلاد .. كما كانت هناك مشكلة ارتفاع نسبة المرض بين الليبيين عموماً .. كانت هناك حالات تفشّي الأمراض السارية مثل الجدري والحمّى ونسبة عالية من المصابين بالتدرّن والتراخوما وارتفاع معدّلات الإصابة بالأمراض التناسلية التي اعتبرت سبباً مباشراً في انتشار حالات العقم، وزيادة نسبة وفيات الأطفال..".

".. وكانت المرافق العامة من شبكات توزيع الكهرباء والمجاري قد دمِّرت عن آخرها، فلم يعد بالإمكان إصلاحها ... وقد انهارت معظم المباني فتحوَّلت إلى مجرّد أكداس من الأنقاض تغصّ بالجرذان، بينما ظلت رائحة الموت والعفونة تخيّم عليها شهوراً طويلة ... ولم يكن من المستطاع إعادة مواسير المياه والمجاري الرئيسية إلى حالتها الأولى لأنّها خرِّبت على نحوٍ متعمَّد، ولم يُعثر على أيّة خرائط توضّح تصميمها الأصلي..".[٥١]



أمَّا اللورد رينل **Rennel of Rodd** فيورد في هذا الصدد :



"لقد هُدِّمت مدينتا البردية (البردى) **وطبرق** تهديماً تاماً، وتعرَّضت مدينة **بنغازي** لدمارٍ شديد. وشهد المواطنون **الجيوش الغازية تحتلّ بلادهم ثلاث مراتٍ في مدى سنتين**، وشهدوا **انسحابين بريطانيين**، وتحمَّلوا على مضضٍ انتقام الجيوش الإيطالية منهم لموقفهم الودّي من الجيش البريطاني، وواجه عدد منهم الإعدام بالرصاص لأسبابٍ تافهة جداً".

"وبسبب **تكرّر عمليات الاحتلال والانسحاب** عانت برقة الأمرَّين، ليس من الوجهة المادية فحسب، بل من تمزق معنويات سكانها بسبب ما لاقوا من الأهوال".[٥٢]

أمَّا الدمار الذي خلفته الحرب في منطقة **طرابلس** فقد كان نسبياً قليل الأثر مقارنة بما لحق بمنطقة برقة، كما أنَّ المصائب التي حاقت بسكانها كانت دون ما عاناه أهل برقة.[٥٣]

---

٥١ المصدر نفسه، ص ٧٤.

٥٢ نقلاً عن خدوري، ص ٦٠-٦١.

٥٣ المصدر نفسه، ص ٢٦٧-٢٦٨.

الإدارة العسكرية البريطانية والفرنسية

تولّت **بريطانيا**، طوال السنوات ما بين ١٩٤٢ و١٩٥١، بموجب (**معاهدة لاهاي**)، مسؤولية حكم برقة وطرابلس، وتولّت فرنسا حكم فزان، باعتبارها مناطق محتلّة من العدو (إيطاليا). وقد ألزمت أحكام (معاهدة لاهاي) بريطانيا وفرنسا باحترام حق السيادة الإيطالية القائمة ضمناً وعدم اتخاذ أيّ إجراءٍ دستوري من شأنه أن يؤثّر في وضع البلاد مستقبلاً.[٥٤]

(أ) الإدارة العسكرية البريطانية في برقة

دخل **الجيش الثامن** البريطاني برقة، كما ذكرنا، خلال شهر **نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٤٢**، وفي الحادي عشر من ذلك الشهر أعلن الجنرال **مونتجمري** احتلال بريطانيا لبرقة، وحدَّد في إعلانه السياسة البريطانية للإدارة العسكرية.[٥٥]

كان مقرّ الإدارة العسكرية البريطانية في **المرج** خلال عام ١٩٤٢، ثم نقل إلى **بنغازي** عام ١٩٤٣، وتم تبديل اسم الحكومة العسكرية البريطانية إلى الإدارة العسكرية البريطانية في ١٠ مارس/ آذار ١٩٤٣.

ورغم أنَّ **السيادة الإيطالية** في القوانين ظلّت مستمرّة في البلاد (في انتظار وضعٍ حدٍّ للاحتلال الإيطالي بموجب معاهدة صلح) فقد جرى تهذيب القوانين الإيطالية السارية مما أضيف إليه من المواد الفاشستية، كما أدخلت عليها التعديلات التي اقتضتها الضرورة العسكرية، وحاجات الأهلين الملحَّة.[٥٦]

وخلال حقبة الإدارة العسكرية البريطانية جرى تقسيم برقة إلى **سبعة أقضية** (المرج، أجدابيا، شحات، درنة، طبرق، الكفرة، ومدينة بنغازي ومنطقتها) ثمَّ

---

٥٤ دي كاندول، ص ٧١.
٥٥ للمزيد حول هذا الإعلان انظر: خدوري، ص ٥٦-٥٧.
٥٦ خدوري، ص (٥٨).



أعيـد جمع هـذه الأقضية في ثلاثة فقط. كما جرى إنشـاء **خدمة مدنية أهلية** سـنة ١٩٤٣، **ومجلـس بلـدي** عُـيِّن أعضـاؤه من الوجهـاء، وقـد برهن عـلى أنّه كان المعـبِّر عن الرأي السـياسي في برقة. (وقد نشر خلال عـام ١٩٤٨ إعلان خاص بالمجالس البلدية توسّـعت بموجبه سـلطة أهل البلاد من المستوى التنفيذي إلى المسـتوى السـياسي). كما شهد عام ١٩٤٣ إنشـاء **مكتب للمعلومات** في بنغازي شرع في إصـدار صحيفة عربية اسـمها "**جريـدة بنغازي**". ورغـم حاجة البلاد بسـبب الدمار الذي لحق بمدنها ومرافقها، والفقـر والعوز الذي كان فيه أهلها، فإنَّ الإدارة البريطانية لم يكن بمقدورها أن تفعل أيَّ شيءٍ، ولاسيما في مجال إقامة المشروعات الجديدة، بسـبب قلة الأموال المتوفرة لديها وبحكم سياسة التقشف التي يتحتم على الإدارة العسكرية أن تتقيَّد بها.[٥٧]

(ب) الإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس

قامـت الإدارة العسـكرية البريطانيـة رسـمياً في منطقـة طرابلـس في **١٥ ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٤٢** عندما نشر الجنـرال مونتجمري، من مركز قيادة الجيـش الثامن بالقرب مـن أجدابيا، عدداً مـن البيانات كان أوّلهـا الإعلان بأنَّ المنطقـة أصبحت تحت الاحتلال البريطاني. وفي صباح يوم **٢٣** من يناير/ كانون الثـاني من عـام ١٩٤٣ تسـلّم مونتجمري رسـمياً، عنـد باب بن غشـير، مدينة طرابلـس بحضـور الحاكـم الإيطـالي[٥٨] (Ettore Bastico)، ونائبـه، ورئيـس البلدية.[٥٩]

وخلال فترة الإدارة البريطانية قسِّـمت منطقة طرابلس إلى **ثلاث** ولايات، هـي طرابلـس ومصراته وغريان، وقسِّـمت كل ولاية إلى مجموعـةٍ من الأقضية

٥٧ المصدر نفسه، ص ٥٩-٦٠؛ دي كاندول، ص ٧٣.

٥٨ عرفت ليبيا خلال الفترة منذ ٢٤/ ١/ ١٩٢٩ وحتى ذلك اليوم ستَّة حكام عامِّين هم:
(١) بييترو بادوليو (Pietro Baddoglio) من ٢٤/ ١/ ١٩٢٩ إلى ٣١/ ١٢/ ١٩٣٣.
(٢) إيتالو بالبو (Italo Balbo) من ١/ ١/ ١٩٣٤ إلى ٢٨/ ٦/ ١٩٤٠.
(٣) جوسيبي بروني (Giuseppe Bruni) من ٢٨/ ٦/ ١٩٤٠ إلى ٣٠/ ٦/ ١٩٤٠ (يومان فقط).
(٤) رودولفو غراسياني (Rodolfo Graziani) من ٣٠/ ٦/ ١٩٤٠ إلى ١١/ ٢/ ١٩٤١.
(٥) إيتالو غاريبالدي (Italo Gariboldi) من ١١/ ٢/ ١٩٤١ إلى ١٩/ ٧/ ١٩٤١.
(٦) إيتوري باستيكو (Ettore Bastico) من ١٩/ ٧/ ١٩٤١ إلى ٢٣/ ١/ ١٩٤٣.
انظر: ستيوارت (John Stewart).

٥٩ خدوري، ص ٦٢؛ الصلابي، المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

بحيث كان في المنطقة كلها ٢١ قضاءً، بالإضافة إلى عددٍ من المراكز.[٦٠]

كانت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في طرابلس قد اضطربت بطبيعة الحال بسبب الحرب، لكن منطقة طرابلس كانت أحسن حالاً من برقة، لأنَّ عدداً كبيراً من الفلاحين الإيطاليين ظلوا في مزارعهم ومستعمراتهم، كما بقي كثيرون من مواطنيهم في المدن، وقد ساعد ما أنفقته بريطانيا مدَّة الحرب على تيسير الوضع المالي بالمنطقة. وفي أغسطس/ آب عام ١٩٤٣ قامت **مظاهرة في** مدينة طرابلس انتهت بتقديم عريضة احتوت جملة من التظلّمات والمطالب إلى المسؤول عن الإدارة البريطانية في طرابلس المستر **ترافرس روبرت بلاكلي**.

وجدير بالذكر أنَّه على الرغم من أنَّ منطقتي طرابلس وبرقة كانتا تحت الإدارة العسكرية البريطانية فإنَّ تنقّل السكان بين الولايتين كان مقيَّداً، وكانت التجارة بينهما خاضعة لرسوم جمركية.[٦١]

(ج) الإدارة العسكرية الفرنسية في فزان

أورد **محمد عثمان الصيد** (رئيس الحكومة الليبية الأسبق) في مذكراته أنَّ الملك إدريس حكى له شخصياً أنَّ الجنرال الفرنسي **شارل ديجول**، الذي كان أيامئذٍ قد أسَّس قوات فرنسا الحرّة، اتصل به (بالأمير إدريس) في مصر وعرض عليه التعاون على طرد إيطاليا من ليبيا، وأنه بناءً على ذلك قام بمكاتبة **أحمد سيف النصر**، وكان مقيماً مع آلاف الليبيّين ما بين تشاد والنيجر، وطلب منه تشكيل جيش ليتعاون مع قوات فرنسا الحرة لدخول إقليم فزان، فاستجاب أحمد سيف النصر (الذي وصفه الصيد بأنّه كان من أتباع الطريقة السنوسية، ومن كبار المجاهدين الليبيين، ومشهود له بالشجاعة والنزاهة والكرم) إلى طلب الأمير إدريس، وقام بتجنيد **الليبيّين المهاجرين في تشاد والنيجر** من قبائل أولاد سليمان وورفلّة وزويّة والقذاذفة. وتولّت قوات فرنسا الحرّة تدريب هذه القوات الليبية وتسليحها لتدخل في **الثالث من يناير/ كانون الثاني ١٩٤٣** إلى إقليم فزان مع القوات الفرنسية بقيادة الجنرال الفرنسي **لوكليرك دي هوتكلوك**.[٦٢]

٦٠ خدوري، ص ٦٣.
٦١ المصدر نفسه، ص ٦٣-٦٤.
٦٢ الصيد، ص ٢٧-٢٨.

ومن جهةٍ أخرى، تمَّ في ٢٦ من الشـهر ذاتـه الاتفاق بين الجنرال البريطاني **ألكسـندر** والجنرال **لوكليرك** على أن تتقدَّم قوات فرنسـا الحرّة من بحيرة تشـاد وتحتـل واحات فـزان في الجنوب الغـربي من الصحـراء الليبية، والاتفـاق أيضاً عـلى أن يمتـدَّ النفـوذ الفرنـسي إلى خـط العرض ٢٨ شـمالاً، وخـط الطول ١٨ شرقاً. وبعد ثلاثة أيام احتلت القوات الفرنسـية غدامس، ودَرَج، وسِنّوان، وتمّ الاتفاق على أن تدير القوات الفرنسية هذه المنطقة أيضاً.[٦٣]

كان سـكان فزان لا يتجاوزون (٤٠) ألف نسـمة. وقد قسَّـمت السلطات العسـكرية الفرنسـية الإقليـم إلى **خمس مناطق**، وهي سـبها والشـاطئ ومرزق وغـات وغدامـس، وكل منطقة من هـذه المناطق يحكمها ضابط فرنسي يسـمَّى "المتصرّف"، وتمَّ تعيين ضابط برتبةٍ كبيرة في منصب والي الإقليم ومركزه سبها. وحكم الفرنسيون الإقليم، على غرار الإيطاليين، حكماً عسكرياً مباشراً، وكانت بيدهم جميع السـلطات، رغم أنَّهم أبقوا الموظفين المحليين على وضعهم السـابق إبَّان فترة الحكم الإيطالي.[٦٤] كما قامت السـلطات الفرنسية، لأغراض عسكرية، بضمِّ (غات) إلى المناطق العسـكرية الجنوبيـة في الجزائر، و(غدامس) إلى المناطق العسكرية الجنوبية في (تونس).[٦٥]

ويبدو أنَّ فرنسـا شرعت في **تنفيذ مخططٍ يرمي إلى ضمِّ فزان إلى مستعمراتها الإفريقية**، ليتسـنَّى لهـا ربط تونس والجزائر ببقية مسـتعمراتها عـن طريق فزان. ولهـذا انتهجت سياسـة ترمي إلى فـرض **عزلةٍ كاملـة** على الإقليم وسـكانه، إلى درجـة أنَّ أيَّ أحـدٍ من الإقليم كان يرغب في الذهـاب إلى طرابلس أو برقة كان عليه أن يحصل على تصريح مكتوب، ولم يكن يُمنح بسـهولة. وكان على سـكان برقـة وطرابلـس أيضـاً إذا أرادوا دخول إقليم فـزان أن يأخذوا إذنـاً مكتوباً من القنصلية الفرنسية في بنغازي أو طرابلس، على حين شجَّعت السلطات الفرنسية أهل الإقليم على التنقل والسفر بين فزان وتونس والجزائر والنيجر وتشاد.

ولتحقيق هذه السياسـة دأبت السـلطات الفرنسـية على ترويـج الدعايات التـي تنفّـر أهل الإقليـم من الجامعـة العربية-الوليـدة يومـذاك، ومنعوا دخول

---

٦٣ خدوري، ص ٦٤-٦٥.
٦٤ المصدر نفسه، ص ٦٥.
٦٥ الصيد، ص ٢٩.

الصحف والمنشورات والكتب إلى الإقليم، كما أعدمت السلطات الفرنسية ما لا يقل عن مائة وخمسين مواطناً من الإقليم لمجرّد وجود شبهات حولهم بأنَّ لديهم نزعة وطنية أو يملكون سلاحاً.[٦٦]






٦٦ الصيد، ص ٢٩.



الحركات الوطنية والنشاط السياسي والحزبي

أولاً: في ظل الإدارة العسكرية البريطانية

لم تكد برقة وطرابلس تتحرّران من الحكم الإيطالي حتى طالبت الفئات الواعية في كل منهما بالاشتراك في الإدارة، وتكوين أحزاب سياسية، منتهزة أجواء "الحرّية" النسبية التي سمحت بها الإدارة البريطانية في الإقليمين.

كانت **جذور** بعض الأحزاب السياسية قد تأصّلت، إمّا في جماعاتٍ قامت في وقتٍ مبكر من عهد الاحتلال الإيطالي،[٦٧] وإمّا في جمعياتٍ أنشأها الليبيون في المهجر. ومن العوامل التي ساعدت على هذا الأمر انتشار الدعوة القومية في عددٍ من الأقطار العربية ولاسيما تلك التي كان المهاجرون الليبيّون يقيمون فيها، كمصر ولبنان وسوريا. كما أنّ عدداً من هؤلاء المهاجرين انخرط في النشاط السياسي في تلك الأقطار مشاركة لإخوانهم في جهادهم لتحرير بلادهم، وترتّب على هذه المشاركة أنّهم لم يقتصروا على تعلم فنون التحريض القومي تعلّماً مباشراً فحسب، ولكنّهم تعلموا أيضاً وسائل مقاومة النفوذ الأجنبي، وقام بعضهم بدور فعّال في التحريض القومي، واشتركوا في الاجتماعات العامّة ومظاهرات الشارع. كما أتيح لبعض الشباب الليبيّين أن يدرسوا في الخارج، وأن يتعرّضوا للمؤتمرات القومية على نحو ما تعرّض له مواطنوهم المنفيّون.[٦٨]

لقد تمحورت **المطالب الوطنية والسياسية لليبيّين** عموماً، كما تركّز نشاط الفئات الواعية منهم، حول مقاومة النفوذ الأجنبي (البريطاني)، والمطالبة بالحكم الذاتي، ونقل السلطة من الأيدي الأجنبية إلى أبناء البلاد. وقد شهدت حقبة الإدارة العسكرية البريطانية في برقة وطرابلس (١٩٤٢-١٩٥١) تشكيل **عددٍ من الأحزاب والهيئات والتنظيمات السياسية.**

٦٧ شهدت ساحات الجهاد الليبي ضدّ الطليان، كما مرَّ بنا، مساهمة أعدادٍ كبيرة من المجاهدين العرب والمسلمين من شتى البلاد العربية والإسلامية.

٦٨ خدوري، ص ٦٥-٦٧.

(أ) في بـرقة

رغم أنّ **الأمير إدريس** ظلّ مقيماً في مصر، حتى بعد اندحار القوات الإيطالية ورحيلها عن برقة في أواخر عام ١٩٤٢، ولم يعد للإقامة بشكل اعتياديٍّ في البلاد إلا في أواخر عام ١٩٤٧، [٦٩] فإنَّه **ظل الشخصية السياسية الأولى في برقة وزعيمها دون منازع**. فهو من جهة سـليل الحركة السنوسـية ذات القبول الواسع في برقة، والتـي خاضت حركـة الجهاد ضدّ الطليان فيها، وهو، من جهةٍ أخرى، قد نجح في إقامـة علاقـاتٍ جيّـدة مع الحكومـة البريطانية، وفي أن يحصل عـلى وعدٍ منها بعدم عودة الإيطاليين إلى حكم البلاد، هذا فضلاً عن مشاركته وقيادته الحقيقية للمقاومـة السياسـية في برقـة من عـام ١٩١٦ إلى عام ١٩٢٣. ومـن جهةٍ ثالثة، كان يحظى باحترام وقبول أهالي فزان بقيادة المجاهد أحمد سـيف النصر، وبقبول شريحـةٍ واسـعة من أهـالي طرابلـس وزعمائها السياسـيين، الأمر الـذي يؤكده مبايعتهم له عام ١٩٢٢ وتجديد الولاء له خلال سنوات المهجر.



لقد اسـتدعت الوضعية الخاصَّة والمتميّزة التي كان الأمير إدريس يحظى بها في برقة أن يكون محور النشاط السياسي وقطب رحاه فيها، وألا يكون بعيداً عن حركة ونشـأة الهيئات والتنظيمات السياسـية فيها. ومن الهيئات والتنظيمات التي شـهدتها السـاحة السياسـية البرقاوية خلال حقبة الإدارة العسـكرية البريطانية "**جمعيـة عمر المختـار**" و"**الجبهـة الوطنية**" و"**رابطـة الشـباب**" و"**المؤتمر الوطني البرقاوي**".

(*) جمعية عمر المختار

تأسَّسـت جمعية عمر المختار **في مصر** في ٣١ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٤٢ على يد عددٍ من المهاجرين الليبيّين[٧٠] ممّن انضموا إلى القوات السنوسـية في مصر

---

٦٩ بالرغم من أنَّ الأمير إدريس لم يجعل من برقة مقرّه الدائم إلا في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧ فقد قام قبل ذلك بعدة زيـارات لبرقـة أولاها في يوليو/ تموز ١٩٤٤، وثانيتها في عام ١٩٤٥، ثمّ زيارتان في يوليو وأغسـطس (تموز وآب) مـن عـام ١٩٤٦. وكانت وجهة نظـر الأمير إدريس ألا يقيم في برقـة ما دامت الإدارة العسـكرية قائمة. خدوري، ص ٧٢، وذكـر دي كانـدول في هـذا الصـدد أنَّ "الأمير إدريس كان لا يريد تقديم أيّ وعـدٍ بالعودة (إلى برقة) ما لم يتمّ الاعتراف بمركزه رسـمياً، على حين لم تكن الحكومة البريطانية مسـتعدّة لذلك خشية أن تخالف أحكام معاهدة لاهاي"، ص ٨٥.

٧٠ كان **أسـعد عرابي بن عمران** هو صاحب فكرة تأسـيس الجمعية، وهو من أسرةٍ وطنيةٍ عريقة في بنغازي، وشاركه في التأسيس **علي فلاق**، و**محمود مخلوف**، و**مهدي المطردي**، وتمَّ ذلك بالتشاور مع الأستاذ **مصطفى بن عامر** الذي كان يدرس وقتئذ بكلية دار العلوم بالقاهرة، وكان يُنظَر إليه باعتباره رمزاً قيادياً ووطنياً. انظر: المغيربي، ص ٩-١٠.

(القـوة العربيـة الليبيّة) قبل ذلك بمـدّة قصيرة. وإذ وجد هؤلاء المؤسسـون أنَّ ظـروف الحرب لا تشـجّع رجالاً، لا يزالـون يقومون بالخدمة العسـكرية، على العمـل في تنظيم سـياسي، قرّروا تسـميتها "**جمعية عمر المختـار الرياضية**". وقد وافـق السـيد إدريس (الـذي كان موجـوداً آنـذاك في مصر) على فكـرة الجمعية وشملها برعايته. وبعد إجلاء قوات المحور عن برقة، وعودة المهاجرين الليبيين إليها، أعلِن رسـمياً عن تأسـيس الجمعية في **بنغازي** في ٤ إبريل/ نيسان ١٩٤٣، وتشكّل للجمعية فرع في **درنة**. وعلى الرغم من أنَّ الجمعية كانت قد سُجِّلت على أنَّها "نادٍ" غايته الاهتمام بالنشاط الثقافي والرياضي فإنَّه لم يمض عام على تأسيسها حتى انغمست، ولاسيما من خلال صحيفة "**الوطن**" التي أصدرتها، في القضايا السياسية، واتخذ أعضاؤها الشباب لأنفسهم صفة التّكلم باسم الأمَّة.[٧١]

كان أغلب أعضاء الجمعية من الشباب المثقف، الذي تلقى تعليمه في مصر، وتأثر بآراء التحرّر العربي، كما شاهد تأسيس الجامعة العربية وتمنَّى أن يرى وطنه عضـواً فيهـا، وكان توجّه التيار السـياسي الذي كانت تمثلـه الجمعية، باختصار، ليبيّاً **قومياً**.[٧٢]

لم يكن **الولاء للأمير إدريس** وللإمارة السنوسـية موضع شك أو تردّد لدى الجمعيـة وزعمائهـا، ولم تكن الجمعيـة في البداية معارضة لـلإدارة البريطانية، إذ إنَّ مؤسّسـيها وأعضاءهـا كانـوا يعرفـون بأنّهـم مدينـون للبريطانيـين في تحرير بلادهـم. غـير أنَّه سرعان مـا أخـذت الجمعية، عـبر صحيفتهـا "الوطن" وعبر بياناتها السياسـية، توجّه انتقاداتٍ حادَّة لهذه الإدارة، بسـبب تقاعسها عن تنفيذ وعودها إبَّان الحرب العالمية الثانية **باستقلال البلاد**، وهو ما يشكّل هدفاً أساسياً من أهداف الجمعية.

المطلـب الثاني الـذي كانت الجمعية تنـادي به هو **وحدة كل البـلاد الليبية**، وقـد أدَّى تبنّـي الجمعية لهـذا المبدأ ظهور خـلافٍ حادٍّ بينها وبـين المدافعين عن "**الإقليميـة البرقاويـة**" الذين كانت "الجبهـة الوطنية" تمثلهم (كما سـنرى). غير أنَّ موضـوع "وحـدة ليبيـا" ذاتـه هو الذي كان فيما بعد سـبباً في حدوث انقسـام

٧١ خدوري، ص ٧٩-٨٣.

٧٢ مصطفى أحمد بن حليم، مذكرات رئيس وزراء ليبيا الأسبق: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، (الهاني، ١٩٩٢)، ص ٣١.

في داخل الجمعية بين فرعيها في بنغازي ودرنة، ففيما تمسَّك فرع درنة، الذي كان يرأسه إبراهيم أسطى عمر، بالوحدة الاندماجية الفورية لكامل التراب الليبي، أظهر فرع بنغازي، برئاسة مصطفى بن عامر، بعض المرونة، وقبل بفكرة أن تقوم في ليبيا دولة اتحادية، وتكون برقة إحدى ولاياتها.[٧٣]

في السابع من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧ دعا الأمير إدريس إلى **إلغاء جميع الأحزاب السياسية في برقة**، وأعرب عن أمله في أن يتمَّ النشاط السياسي في برقة بأجمعه عن طريق "المؤتمر الوطني" الذي استعيض به عن "الجبهة الوطنية" (كما سنرى)، وقد نزل زعماء الجمعية عند رغبة السيد إدريس وعادت الجمعية للظهور كمنظمةٍ رياضية.

بعد قيام الإمارة السنوسية الثانية في برقة (١ يونيو/ حزيران ١٩٤٩) عادت الجمعية للظهور تحت اسم "الجمعية الوطنية"، وأصبحت من أكثر القوى السياسية نفوذاً في برقة، إلى أن جرى حلّها نهائياً في يوليو/ تموز ١٩٥١.[٧٤]



(*) الجبهة الوطنية (البرقاوية)

ترجع بداية تأسيس "الجبهة الوطنية" إلى اجتماع عقده عدد من **زعماء قبائل السعادي** في ٢٦ يوليو/ تموز ١٩٤٦ في البيضاء قرّروا فيه إرسال مذكرة إلى السلطات البريطانية طالبوا فيها بتحقيق أماني البلاد القومية. وقد اشتملت المذكرة على المطالب التالية:

١- الاعتراف بالاستقلال، وإنشاء حكومة دستورية.

٢- الاعتراف بالإمارة السنوسية بإمرة السيد إدريس.

٣- تسليم الإدارة إلى البرقاويين حالاً.

وخلال اجتماع جرى في ميدان البلدية **ببنغازي** يوم ٩ أغسطس/ آب ١٩٤٦ (بمناسبة الذكرى السنوية لتأسيس القوات السنوسية) ألقى الأمير إدريس خطاباً أشار فيه إلى الاجتماع الذي سبق لزعماء القبائل عقده بالبيضاء،

---

٧٣ بن حليم، ص ٣١؛ للمزيد حول هذه الجمعية انظر: المغيربي.
٧٤ للمزيد حول هذه الجمعية انظر: المغيربي.

وأوعز إلى المشاركين في الاحتفال بتأسيس "جبهة وطنية" "**تتمثل فيها كل عناصر البلاد تمثيلاً شكلياً مؤقتاً**" من أجل معاونته "في مهمّته الشاقة في تقرير مصير البلاد (برقة) .. وبلوغ الغاية المنشودة وهي الحرية والاستقلال".

ثمَّ جرى فور ذلك توسيع نطاق الجبهة، بحيث ضمَّت ممثلين عن القبائل الأخرى وعن سكان المدن، وأضيف إليها آخرون[٧٥] في نوفمبر/ تشرين الثاني بحيث بلغ العدد **خمسة وسبعين**، بما في ذلك لجنة عمل مكوَّنة من (١٩) شخصاً. وقد ضمَّت الجبهة الوطنية بعد تأسيسها بعض أعضاء العائلة السنوسية، وأغلب شيوخ القبائل، وعدداً من زعماء المدن التقليديين كان من أبرزهم عمر باشا منصور الكيخيا، الذي كان له نشاط كبير بعد عودته من المنفى في إيطاليا في أوائل عام ١٩٤٥.[٧٦]

ويبدو أنَّ الغرض المباشر من إنشاء الجبهة الوطنية هو تقديم القضية البرقاوية إلى "**لجنة التحقيق الدولية**" التي أرسلت للتّوثّق من رغبات الشعب الليبي في مستقبله. وفي ٣٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٦ نشرت الجبهة أوّل تصريح رسمي لسياستها، وكان موجّهاً إلى السلطات البريطانية، أكّدت فيه على المطلبين التاليين:

١- الاعتراف بالإمارة السنوسية بإمارة السيد إدريس.

٢- السماح بإنشاء حكومةٍ وطنية لإدارة البلاد استعداداً للاستقلال التام.

وقد أصبحت الجبهة وسيلة لتنسيق نشاط "**الساسة القدامى**"[٧٧] لمجابهة تأثير الشباب الوطنيين المتزايد، والمتمثل في رجال جمعية عمر المختار. وأصبحت **قضية الوحدة الليبية** مجالاً للأخذ والردِّ بين الساسة الشباب والساسة القدامى في برقة. وفيما كان الفريقان متفقين على الإمارة السنوسية، فإنَّ إلحاح الشباب على الوحدة مع طرابلس تحت الزعامة السنوسية كان أمعن في جذب الناس إليه وإحراج موقف الساسة القدامى وإضعافه.

---

٧٥ كان من بينهم ممثلون عن الجالية اليهودية والجالية اليونانية.

٧٦ راجع خدوري، ص ٧٤-٧٩؛ بن حليم، ص ٣٠.

٧٧ وصف دي كاندول (ص ٨٧) "الجبهة الوطنية" بأنها محافظة تتبنّى أفكاراً رجعية عفى عليها الزمن، وتتألف كلها من كبار السن الذين كانت ذكريات مقاومة الإيطاليين خلال العشرينيات والثلاثينيات ما تزال طريّة في أذهانهم.

وعندما دعا الأمير إدريس في ٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧ إلى إلغاء جميع الأحزاب السياسية، تمَّ حل "الجبهة الوطنية" واستعيض عنها بـ"**المؤتمر الوطني**".[٧٨]

(*) رابطة الشباب الليبي

أنشئت رابطة الشباب الليبي عام ١٩٤٥، بإيعاز من بعض الساسة القدامى والعناصر المعتدلة، كي تنافس جمعية عمر المختار في استقطاب الشباب. وكان **صالح بويصير** الشخصية الرئيسية في لجنتها التنفيذية.

ويبدو أنَّ الرابطة فشلت في استمالة الاهتمام العام إليها، كما لم تنجح محاولتها في الاندماج مع جمعية عمر المختار بسبب حرصها على أن تكون ذات نفوذٍ كبير في اللجنة المركزية للجمعية.

اتسم موقف الرابطة بتأييد الساسة القدامى وميولهم البرقاوية، كما دعت في الوقت نفسه إلى تقبّل الفكرة العامّة للوحدة الليبية والانضمام إلى الجامعة العربية.

وعلى العموم، فقد زاد إنشاء الرابطة ونشاطها **التّوتّر السياسي القائم في البلاد** بلبلة، وعندما دعا الأمير إدريس في السابع من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧ إلى حل جميع الأحزاب السياسية ودمجها في جبهةٍ واحدة (المؤتمر الوطني البرقاوي) تتألف من جميع الأحزاب، نزلت الرابطة مثل غيرها عند رغبة الأمير راضية.[٧٩]

(*) المؤتمر الوطني البرقاوي

تمَّ الاتفاق على إنشاء "**المؤتمر الوطني البرقاوي**" خلال اجتماع عقد في مطلع شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٤٨ حضره البارزون من زعماء القبائل، والساسة القدامى، والشباب المحافظين، وأعيان المدن، و(ممثل عن الطائفة اليهودية).[٨٠]

٧٨ خدوري، ص ٧٤-٨٢.

٧٩ خدوري، ص ٨٦-٨٧؛ آمال السُّبكي، **استقلال ليبيا: بين هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ١٩٤٣-١٩٥٢** (القاهرة: مدبولي، ١٩٩١)، ص ١٣.

٨٠ كان أول إجراء اتخذه الأمير إدريس فور قراره بالإقامة في برقة بصفة اعتيادية (أواخر عام ١٩٤٨) هو رفع نسبة تمثيل الجاليتين اليهودية واليونانية في المؤتمر الوطني. دي كاندول، ص ٩٣.



وفي العاشر من يناير/ كانون الثاني من العام نفسه جرى انتخاب **لجنة تنفيذية** للمؤتمر برئاسة السيد محمد الرضا السنوسي، (أخي الأمير إدريس)، والسيد الصديق السنوسي، والسيد أبي القاسم السنوسي، والسيد علي الجربي، والسيد خليل القلال.

وقد عهد للجنة أن تعدَّ **برنامجاً** لمستقبل البلاد على أساس مبدأي الوحدة والإمارة السنوسية، وقد طالب المؤتمر بدولةٍ مستقلة ذات سيادة برئاسة الأمير إدريس. وكانت الغاية من هذا البرنامج، كما قيل يومها، التأثير في العالم الخارجي بإظهار الشعب (البرقاوي) في مظهر المصمّم على أن يكون الأولى في تقرير مصيره.

وقدّم المؤتمر الوطني مذكرة إلى "**لجنة التحقيق الرباعية**"، عندما زارت برقة في إبريل/ نيسان ١٩٤٨، تضمَّنت المقترحات التالية:

١- استقلال برقة التام فوراً.

٢- الاعتراف بالأمير إدريس ملكاً لدولةٍ برقاوية دستورية.

٣- فيما يخصّ علاقات برقة بطرابلس الغرب "إذا كان إخواننا الطرابلسيون فيما بعد يرغبون في الانضواء تحت تاج السنوسية، فإنَّ ذلك سوف يجعل بالإمكان توحيد الأراضي الليبية في دولتنا، وإلا فإنَّ برقة سوف تحتفظ باستقلالها الخاص."[٨١]

وفي التاسع والعشرين من شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٤٩ أرسلت الهيئة **خطاباً إلى جميع الأحزاب في طرابلس** توضّح برنامج عمل الشعب البرقاوي، وقد انحصر في نقاطٍ ثلاث هي:

أولاً: وجوب المطالبة باستقلال البلاد الليبية بعد أن أسهمت في انتصارات الحلفاء.

ثانياً: تشكيل حكومة وطنية تتسلم ناصية الأمور في ليبيا تحت إمرة

---

٨١ خدوري، ص ٨٧-٨٨؛ دي كاندول ص ٨٧؛ بن حليم، ص ٣٠.

الأمير إدريس السنوسي.

ثالثاً: الوحدة الليبية تحت إمرة السيد إدريس، وانحصار الوراثة في أسرته، مع أخذ الاحتياطات والوسائل اللازمة لمنع تسرّب الإيطاليين إلى برقة كمحصّلة للوحدة الليبية المرجوّة.[٨٢]

وفي الأوّل من يونيو/ حزيران ١٩٤٩ أعلن السيد إدريس **استقلال برقة** في اجتماع للمؤتمر الوطني[٨٣] عقِد في قصر المنار، وقد استمرَّ وجود المؤتمر الوطني، فقد سحب الثقة من عمر باشا منصور الكيخيا (أول رئيس وزراء في حكومة برقة المستقلة) واضطرَّه إلى تقديم استقالته في ٩ مارس/ آذار ١٩٥٠، ولم يجر حل المؤتمر الوطني إلا في ٥ يونيو/ حزيران في العام نفسه عندما أجريت أول انتخاباتٍ عامَّة في برقة.

(ب) في طرابلس




تمثلت أهم معالم المشهد السياسي في منطقة طرابلس خلال تلك الحقبة في:

١- **غياب زعامةٍ سياسيةٍ** واحدة (مثل شخصية الأمير إدريس في برقة) تحظى بولاء وإجماع الغالبية من قبائل وأهالي المنطقة. وترجع هذه الحقيقة في جزءٍ هام منها إلى ضعف الولاء الديني والقبلي فيها، الأمر الذي لم يتمكن معه أيّ زعيم ديني أو قبلي من فرض سلطته على الناس.

٢- ظلّت **أنواع الولاء العائلية والحزازات والتنافس الشخصي والقبلي** تقوم بدور بارز في تكوين الجماعات السياسية وفي تحديد الولاءات داخل هذه الجماعات.

٣- لم تكن **الحركة السنوسية** أو الإمارة السنوسية تحظى في منطقة طرابلس بالولاء نفسه الذي تحظى به في برقة، وكانت هذه القضية مثار جدل دائم بين الزعامات الطرابلسية، سواء في

٨٢ محمد الهادي أبو عجيلة، **كفاح الشعب الليبي من أجل الاستقلال والوحدة** (القاهرة: جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٨٧)، ص ٩٦.

٨٣ كان عدد أعضاء المؤتمر الوطني يومذاك (١٦٥) عضواً. دي كاندول، ص ٩٧.



مرحلة المقاومة والجهاد، أو في سنوات الهجرة، أو في ظل الإدارة العسكرية البريطانية. (ويبدو أنَّ مواثيق البيعة التي بعث بها زعماء طرابلس للأمير إدريس في عدّة مناسباتٍ منذ عام ١٩٢١ كانت لا تستند إلى قناعاتٍ حقيقية وإنَّما لاعتباراتٍ مصلحية مؤقتة).

٤ - **لم تقدِّم الحكومة البريطانية إلى الطرابلسيين أيّة ضمانة لمستقبل الوضع في منطقتهم**، كذلك الوعد الذي قطعته للأمير إدريس في برقة بأنَّ بلاده لن تعود إلى السيادة الإيطالية، وقد أثار انعدام مثل هذه الضمانة شعوراً بالخيبة عند الواعين سياسياً من أهل طرابلس.

وهكذا يمكن القول إنَّ الشعب في طرابلس كان منقسماً على نفسه، وقامت فئات كثيرة كل منها يدور في فلك إحدى الشخصيات البارزة. وقد شهدت هذه الحقبة قيام عددٍ من **الأحزاب والتنظيمات السياسية**.

(*) الحزب الوطني

تأسَّس الحزب الوطني سراً عام ١٩٤٤ على يد فئةٍ من الوطنيين بزعامة **أحمد حسن الفقيه**، وعدّ نفسه ممثلاً للأماني الوطنية للبلاد برمَّتها، واعترفت به الإدارة العسكرية رسمياً في ٨ إبريل/ نيسان ١٩٤٦.

تضمَّن برنامج الحزب:

١ - المحافظة على وحدة الأراضي الليبية (مع التأكيد على أن يكون **التفوق** لمنطقة طرابلس) والتصدي لعودة الحكم الإيطالي إلى ليبيا تحت أيّ شكل من الأشكال.

٢ - ضرورة الاستبدال بالإدارة البريطانية إدارة ليبية وإلغاء كافة القوانين الإيطالية.

٣ - إيصال القضية الليبية إلى هيئة الأمم المتحدة للاعتراف باستقلال البلاد.

ولم يمانع الحزب، في حال تعذّر استقلال ليبيا، في قبول وصايةٍ لجامعة الدول العربية على ليبيا الموحّدة، بل دعا بعض أعضائه إلى **حمايةٍ مصرية**، ونشب الخلاف داخل الحزب حول هذه القضية، الأمر الذي جعل رئيس الحزب (أحمد حسن الفقيه) يخرج عنه ليؤسّس حزباً آخر. وتولى رئاسة الحزب الوطني بعد ذلك (**مصطفى ميزران**)، الأمر الذي عزّز مكانة الحزب، وقدِّر عدد أعضاء الحزب المسجلين بنحو (١٥,٠٠٠) عضو.[٨٤]

(*) حزب الجبهة الوطنية المتحدة

انشيء حزب الجبهة الوطنية المتحدة رسمياً في ١٠ مايو/ أيار ١٩٤٦، وأسند زعامته إلى **سالم المنتصر** من وجهاء طرابلس، كما دخل في عضويته شخصيات طرابلسية كبيرة من أمثال محمد أبو الأسعاد العالم، (مفتي طرابلس)، وعون سوف، وطاهر المريّض، وإبراهيم بن شعبان. وقد دعا الحزب إلى استقلال ليبيا ووحدتها بزعامةٍ سنوسية، رغبة منه في الحصول على تأييد السيد إدريس في ضمِّ منطقة طرابلس إلى برقة في إمارته، دفعاً لأيِّ ادّعاءٍ إيطاليٍّ بشأنها.



وقدّم الحزب **مذكرةٍ** رسمية في شهر يونيو/ حزيران ١٩٤٦ إلى الدول الكبرى الأربع (الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، وبريطانيا، وفرنسا) ضمَّنها مطالب تمحورت حول تحقيق الاستقلال التام في أسرع وقتٍ ممكن، **وإقامة نظام ديمقراطي دستوري**.

كما أرسل الحزب وفداً تكوّن من **محمود المنتصر والطاهر المريّض** إلى القاهرة في يونيو/ حزيران ١٩٤٦ يحمل رسالة توضّح برنامجه، وتقدّم إلى الأمير إدريس بمنهاج للعمل يقوم على الأسس التالية:

١- يجب رفض أيّ استقلال أو وصاية تتقدّم بها الدول الكبرى لأيٍّ من المنطقتين دون اعتبار وجهة نظر سكان المنطقة الأخرى.

٢- يجب أن تقتصر الإمارة السنوسية على شخص الأمير إدريس لا أن تكون وراثية في أسرته.

٨٤ انظر: خدوري، ص ١٠٣- ١٠٤؛ السبكي، ص ١٥؛ عبد المنصف حافظ البوري، "دور الأحزاب والقوى السياسية الليبية"، مجلة **الإنقاذ**، (عدد خاص رقم ٣٩، جمادى الآخر ١٤١٢- ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩١)، ص ٥٢-٥٥.

٣- يجب أن يكون شكل الحكومة برلمانياً دستورياً.

بعد موافقة الأمير إدريس من حيث المبدأ على ما جاء في مذكرة الحزب المذكورة جرت بين وفدٍ منه (مكوَّن من عشرة أشخاص برئاسة محمد أبو الأسعاد العالم) ووفدٍ آخر تشكّل من الجبهة الوطنية (البرقاوية) (برئاسة عمر منصور الكيخيا، معيَّناً من الأمير إدريس) محادثات لبحث السبل والوسائل التي تؤدّي إلى وضع الاتفاق المبدئي الذي تمَّ مع السيد إدريس موضع التنفيذ، وقد اجتمع الوفدان في بنغازي خلال النصف الثاني من شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٤٧، غير أنَّ الوفدين أخفقا في الوصول إلى اتفاق على خطة العمل في سبيل الوحدة.[٨٥]

وقد شهد **حزب الجبهة الوطنية المتحدة** انشقاقاً بسبب خلافٍ طفيف بين رئيس حزب الجبهة سالم المنتصر وبين بشير السعداوي (الذي كان قد أنشأ **هيئة تحرير ليبيا** في مارس/ آذار ١٩٤٧)، وقد ترتّب على هذا الخلاف أن استقال المنتصر من حزب الجبهة، وكوَّن حزباً آخر هو "**حزب الاستقلال**" وانتخبت الجبهة الطاهر المريّض رئيساً لها.

(*) حزب الكتلة الوطنية الحرّة

أسّس حزب الكتلة، في ٣٠ مايو/ أيار ١٩٤٦، الأخوان **علي** و**أحمد الفقيه حسن**، وعدد من العناصر المنشقة عن الحزب الوطني. وكان الحزب ذا **ميول جمهورية**، ومن ثم فقد رفض الزعامة السنوسية، ودعا إلى عقد مجلس تأسيسي لوضع خطةٍ لشكل الحكومة المقبلة. ورغم ادّعاء الحزب بأنَّ أعضاءه بلغوا نحو (٧٠،٠٠٠) عضو إلا أنَّ مصادر الإدارة البريطانية ظلت تؤكد أنَّ عدد أعضاء الحزب لم يزيدوا عن (٨٠٠) عضو.

أرسل الحزب مذكرة فور تأسيسه إلى جامعة الدول العربية تتضمَّن عدداً من المطالب الرئيسية مناشداً الجامعة العربية تبنّيها في المحافل الدولية، كان من أهمِّها:

- توحيد ليبيا بحدودها الجغرافية الممتدَّة من مصر شرقاً إلى تونس غرباً ومن تشاد جنوباً إلى البحر المتوسط شمالاً.

---

٨٥ للمزيد حول هذا الموضوع انظر: خدوري، ص ١٠٩-١١٤؛ المغيربي، ص ٢٢-٢٣.

- تحقيق استقلال ليبيا التام دون شروطٍ أو قيود من قبل الدول الأجنبية.

(*) حزب الاتحاد المصري الطرابلسي

أسَّس حزب الاتحاد، في ١٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٦، اثنان انفصلا عن حزب الكتلة الوطنية، هما: الحاج **يوسف المشيرقي**، و**علي رجب**، وكان الأخير سكرتيراً لحزب الكتلة، وأصبح رئيساً لهذا الحزب الجديد. ودعا الحزب إلى الاتحاد تحت التاج المصري، شريطة أن تحتفظ طرابلس (ومن ضمنها برقة) باستقلالها الداخلي. ولم يلقَ هذا البرنامج استجابة تذكر، لا في طرابلس ولا في مصر.[٨٦]

(*) حزب العمال



تأسَّس حزب العمال، في سبتمبر/ أيلول ١٩٤٧، بزعامة **بشير بن حمزة** بعد طرده من حزب الكتلة الوطنية الحرَّة. وقد تمَّ الاعتراف به كتنظيم عمالي بعد أن منعت الإدارة البريطانية في البداية تأسيس وإنشاء أيَّة نقاباتٍ عمالية في ليبيا. وقد دعا الحزب إلى ليبيا موحَّدة ومستقلة استقلالاً تامًّا تحت إمارةٍ سنوسية.[٨٧]

(*) حزب الأحرار

تأسَّس حزب الأحرار، في ١١ مارس/ آذار ١٩٤٨، بزعامة أحد الوكلاء السابقين للحزب الوطني (**الصادق بن ذراع**)، وقد ضمَّ عدداً من المثقفين العاملين في مجال التعليم والعناصر المعتدلة، وكان يدعو إلى ليبيا موحَّدة مستقلة تحت إمارة السيد إدريس السنوسي. ولم يكن لهذا الحزب دور يُذكر في الشارع السياسي الطرابلسي.[٨٨]

---

٨٦ خدوري، ص ١٠٥؛ السبكي، ص ١٥. كما كان من ضمن مطالب هذا الحزب "الدفاع عن قضية فلسطين إذ كانت هذه القضية تشغل، كاليوم، الرأي العام العربي آنذاك". انظر: مصباح عبد العزيز، "النشاط السياسي والتيارات السياسية في فترة ما قبل الاستقلال"، مجلة **الإنقاذ**، (العدد السابع جمادى الأولى ١٤٠٤- فبراير/ شباط ١٩٨٤)، ص ٤٩-٥٥.

٨٧ خدوري، ص ١٠٥؛ البوري، ص ٥٤.

٨٨ خدوري، ص ١٠٥؛ البوري، ص ٥٤؛ السُبكي، ص ١٦.

(*) حزب الاستقـلال

أسّـس حزب الاستقلال، عام ١٩٤٨، **سـالم المنتصر** وعدد آخر من أعضاء حزب الجبهة الوطنية المتحدة الذين انشقّوا عنها. وكان معظم هؤلاء من المناوئين لبشير السـعداوي ولجامعة الدول العربية. وقد نادى الحزب، وفقاً لما يتضح من بيانه التأسـيسي، بحق الشعب الليبي في اختيار النظام السياسي الذي يرتضيه من خـلال جمعيةٍ وطنيـة. ونادى الحزب أيضاً باسـتقلال البلاد والوحـدة مع برقة، كما دعا إلى تشـكيل "لجنة تحضيرية" منتخبة تضمّ ممثلي الأحزاب السياسية الليبية برئاسـة الأمـير إدريس. ودعا كذلـك إلى التعاون مع **إيطاليا** مـن أجل الوصول إلى اسـتقلال ليبيا. وقد وجد الحزب مناصرة شـديدة من المستوطنين الإيطاليين في طرابلـس، وأصبح هؤلاء المحـرّك لتوجّهاته، رغم تعارض هـذه التوجّهات والشعور الوطني العام في ليبيا.[٨٩]

وقـد أصرَّ حـزب الاسـتقلال على إرسـال وفدٍ خـاصٍّ به إلى مؤتمـر "**ليك سكسس**" في دورته الثانية في شهر إبريل/ نيسان عام ١٩٤٩، وكان الوفد يضم أحمد راسم كعبار، وعبد الله الشريف، ومختار المنتصر، وعبد الله بن شعبان.

(*) هيئة تحـرير ليبيا

أنشـئت هيئة تحرير ليبيـا، في **القاهرة** في مارس/ آذار ١٩٤٧، بزعامة **بشـير السـعداوي**[٩٠] وبتأييـد مـن الجامعـة العربيـة. وقـد تزامن إنشـاؤها مـع إخفاق القيـادات البرقاويـة (الجبهة الوطنيـة) والقيادات الطرابلسـية (الجبهـة الوطنية المتحـدة) خـلال شـهر يناير/ كانـون الثـاني ١٩٤٧ في التوصّـل إلى خطـة عمل مشتركة في سبيل وحدة الإقليمين.

دعـت الهيئـة إلى الوحـدة والاسـتقلال دون إشـارةٍ صريحـة إلى الزعامـة السنوسـية، وقد اعتبر الزعماء البرقاويون هذه الخطوة الجديدة تهجّماً على السـيد إدريـس، ومـن ثم رفضوا الاسـتجابة إلى الدعوة التي وجَّهها السـعداوي إليهم بالمشاركة في الهيئة،[٩١] فاقتصر تأليف الهيئة على الزعماء الطرابلسيين وحدهم، مع

٨٩ خدوري، ص ١١٩؛ البوري، ص ٥٤؛ السُبكي، ص ١٦.

٩٠ كان بشـير السـعداوي حتى ذلك الوقت يعمل كأحد المستشارين عند ابن سعود، وكان حتى ذلك الوقت أيضاً على وفاق تام مع الزعماء البرقاويين والطرابلسيين على السواء كما كان مؤيّداً للزعامة السنوسية في ليبيا.

٩١ انظر: السُبكي، ص ١٨-١٩.

أنَّ هدفها كان الدفاع عن حقوق ليبيا عامَّة.

في العام التالي نقل مركز هيئة تحرير ليبيا من القاهرة إلى **طرابلس**، ومع الزمن رأى فيها الطرابلسيون وسيلة قوية للدفاع عن حقوق ليبيا. ونجح بشير السعداوي في توحيد الأحزاب الطرابلسية (عدا حزب العمال)، وأعدت الهيئة مذكرة قدّمتها **للجنة التحقيق الرباعية** (وصلت إلى ليبيا في مارس/ آذار ١٩٤٨) مطالبة بالوحدة والاستقلال، والانضمام إلى جامعة الدول العربية، دون إشارةٍ إلى الزعامة السنوسية، فعدّ ذلك **دليلاً آخر** على أنَّ الزعماء الطرابلسيّين لم يكونوا يعيرون اهتماماً إلى الزعامة السنوسية، وقد أدّى ذلك بدوره إلى تفاقم الخلاف بين "الحزب الوطني" و"الجبهة الوطنية المتحدة" في منطقة طرابلس.[٩٢] ولأن محور الخلاف بين الاثنين كان الزعامة السنوسية فقد حاول السعداوي جاهداً أن يوفق بينهما من خلال إصدار التصريح تلو التصريح معبِّراً عن تأييد السيد إدريس، وكذلك من خلال رفع صيغةٍ جديدة دعا الأحزاب الرئيسية للالتفاف حولها وهي "**ليبيا مستقلة موحَّدة تحت إمارةٍ سنوسية**". ويبدو أنَّ السعداوي لم ينجح، لا في مساعيه لترضية الزعماء البرقاويين، ولا في إزالة الحساسيات بين الزعماء الطرابلسيين أنفسهم، ولا سيما بينه وبين سالم المنتصر الذي كان يترأس حزب الجبهة الوطنية المتحدة.

وقد ترأس السعداوي الوفد الطرابلسي إلى الأمم المتحدة في يناير/ كانون الثاني ١٩٤٩، وحاول أن يحصل من الحكومة البريطانية على تأييدٍ للأماني الطرابلسية، ولكنَّ الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها بشيء، وأوضحت له أنَّه لا رغبة لديها في أن تقبل مسؤولية طويلة الأمد بالنسبة لمنطقة طرابلس.[٩٣]

(*) المؤتمر الوطني الطرابلسي

أعلن الزعماء الطرابلسيون في ١١ مايو/ أيار ١٩٤٩ الإضراب العام، وسيَّروا مظاهرة في ذلك اليوم احتجاجاً على **مشروع بيفن- سفورزا** الذي أعلن عنه ليل ٨-٩ من الشهر ذاته (سنتناول في مبحثٍ تال الحديث عن هذا المشروع) إذ إنهم رأوا في ذلك المشروع خطر عودة إيطاليا إلى البلاد، وذلك تحت فكرة

٩٢ خدوري، ص ١١٤-١١٨.
٩٣ خدوري، ص ١١٤-١١٨.





الوصاية التي تضمنها المشروع.

في تطـوّر لاحق لهذه الخطوة، اجتمع يوم ١٤ من الشـهر ذاته زعماء الحزب الوطنـي والجبهة الوطنية المتحدة للتنسـيق بين جهودهم ونشـاطاتهم، فقد كانوا عـلى اتفـاقٍ في مطالبهـم القوميـة. وقـد انبثق عن ذلـك الاجتماع إنشـاء "**المؤتمر الوطنـي الطرابلسـي**" الـذي وجّـه الدعـوة إلى الأحـزاب الطرابلسـية الأخرى للانضمام إليه، وكان طبيعياً أن تُسلّم قيادة ذلك المؤتمر إلى **بشير السعداوي** الذي أصبح بطلاً وطنياً في منطقة طرابلس.

وفي محاولةٍ من المؤتمر للتأكيد على أهمية الوحدة بين مناطق ليبيا أرسل المؤتمر وفداً إلى برقة لتهنئة الأمير إدريس بمناسبة استقلال برقة (في أوّل يونيو/ حزيران ١٩٤٩) ولبحث قضية الزعامة السنوسـية مع الزعماء البرقاويين. كما دعا الوفد الأمـير إدريـس لزيارة طرابلـس.[٩٤] ولم يدّخر المؤتمـر الوطني الطرابلسي وسـعاً لإظهار مدى تعلّق الطرابلسيين بالبيت السنوسي وولائهم له.

وفي شـهر أغسـطس/ آب ١٩٤٩ عقـد المؤتمر عـدَّة اجتماعـات، ردَّد فيهـا برنامجـه السـياسي، وأكّـد عليه، وهـو يتلخّـص في "**ليبيـا مسـتقلة موحَّدة تحت الزعامة السنوسـية**". كما سعى إلى تشـكيل وفدٍ واحد مشترك من المؤتمر الوطني وحزب الاستقلال إلى اجتماعات الأمم المتحدة في سبتمبر/ أيلول ١٩٤٩، ولكنَّ مسـاعيه في إقناع **حزب الاستقلال** باءت بالفشـل، فقد حضر تلك الاجتماعات وفـدان يمثلان منطقة طرابلس، وكان وفـد المؤتمر الوطني الطرابلسي مكوّناً من بشير السعداوي ومصطفى ميزران.[٩٥]

(*) جماعات اليهود والمعمّرين الإيطاليين

ظهـرت خـلال فـترة الإدارة البريطانيـة لمنطقـة طرابلـس أربـع جماعـات للمعمرين الإيطاليين فيها، وهي:

---

٩٤ تمّت الزيارة في ١٩ يوليو/ تموز ١٩٤٩، وكانت ناجحة في جملتها، واجتمع الأمير بالزعماء الطرابلسـيين، ووافق أن يحمل باسمهم ثلاثة مطالب إلى الحكومة البريطانية وهي: "(١) المسارعة بإنشاء حكومة طرابلسية على غرار حكومة برقة. (٢) إقامة اتحادٍ فدرالي يضمّ طرابلس وبرقة في ظل التاج السـنوسي، بتوحيد الشـؤون الاقتصادية والدفاعية. (٣) تشـكيل وفـدٍ مشـترك لتمثيـل ليبيـا في دورة الجمعيـة العامَّة للأمـم المتحدة المزمـع عقدها في سـبتمبر/ أيلول ١٩٤٩". دي كاندول، ص ١٠٣.

٩٥ خدوري، ص ١٢٣، ١٢٤.

١- **اللجنة الإيطالية التمثيلية**، وقد تأسّست في عام ١٩٤٧، وهي مؤلفة من فاشيين سابقين، وكانت تطالب بوصايةٍ إيطالية على ليبيا بأسلوبٍ لا هوادة فيه، وكانت تحظى بتأييد الحكومة الإيطالية.

٢- **الجمعية الإيطالية لتقدّم ليبيا**، وكانت تؤيّد استقلال ليبيا، وتعارض بشدَّة موقف اللجنة التمثيلية. وقد حاول (أنريكو شيلي) زعيم هذه الجمعية توحيد الجماعات المختلفة للمعمرين تحت زعامته في برنامج أساسه الاعتراف التام بأماني العرب القومية، ولكنَّه فشل في مسعاه بسبب انقسام تلك الجماعات إلى يمين ويسار.

٣- **الجبهة الديمقراطية الشعبية**، وقد أيَّدت استقلال ليبيا، وكان لكثير من مؤيّديها ميول شيوعية.

٤- **الجبهة الليبية الاقتصادية**، وهي غير سياسية ومعنية بالدرجة الأولى بالمسائل الاقتصادية.

وقد اتّسم نشاط بعض هذه الجماعات (واللجنة التمثيلية خصوصاً) **بالعنف**، ممَّا أدَّى إلى خلق أجواءٍ من التوتر في العلاقات بين المعمّرين الإيطاليين والليبيّين. كما تمكّن المعمّرون في إبريل / نيسان١٩٤٩ من إرسال ليبيّين (عرب) من الميَّالين إلى إيطاليا إلى اجتماعات الأمم المتحدة في (ليك سكسس) لمناوءة وفد هيئة تحرير ليبيا. وقد قلّت أهميّة هذه "الجماعات" مع اقتراب ليبيا من الحصول على استقلالها ومغادرة الكثيرين من المعمرين لليبيا، وانصراف البقية الباقية منهم إلى النشاط الاقتصادي.[٩٦]

أمَّا **اليهود** في ليبيا، وأغلبهم كان يقيم في منطقة طرابلس، فمن المعروف أنَّهم تعرّضوا للكثير من وحشية الطليان في المرحلة الفاشستية، واضطهدوا زيادة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ودخول الطليان طرفاً فيها، إلى جانب ألمانيا الهتلرية.

٩٦ خدوري، ص ١٢٤-١٢٧.

"وفي عـام ١٩٤٢ احتلـت قـوات الجيـش الإيطالي محـلات اليهـود وقتلتهم، واسـتولت عـلى ما بها من نفائس، وفي نفس العام تـمَّ تجميع ثلاثة آلاف يهودي أرسـلوا إلى معسـكرات الاعتقال بدون أي تهمةٍ قضائية، وقد مات بالمعتقلات أكثر من خمسمائة وأربعين يهودياً من المعتقلين لسوء المعاملة".

"كـما أصدر الحاكـم العام الإيطالي قـراراً في ١٨ يونيو/ حزيـران ١٩٤٢ يلزم كل الرجال من سـنِّ الثامنة عشرة حتى الخامسـة والأربعـين بالعمل في الجيش الإيطـالي، وعليـه فقد أرسِـلت أعـداد كبيرة مـن اليهـود إلى جبهة القتـال قبل وصول قوات الحلفاء".[٩٧]

وبالطبـع فقد **تغيَّر الحال لصالـح اليهود الليبيّين** بعد دخـول **قوات الحلفاء** إلى ليبيـا، بل إنَّهـم أصبحـوا **يعامَلون معاملة متميّزة** في ظـل الإدارة البريطانية في طرابلـس وبرقة.[٩٨] ورغم أنَّهم كانت لهـم نواديهم الاجتماعية والرياضية الخاصة فمـن الواضـح أنَّهم آثروا، فيـما يتعلق بالقضايا السياسـية المحليـة، الاندماج في الهيئات والأحزاب السياسـية الوطنية والتعبير سياسـياً من خلالها كما حدث في برقـة، حيث كان بعضهم أعضاء في الجبهـة الوطنية البرقاوية وفي المؤتمر الوطني البرقـاوي، بـل في مجلس إدارة جمعية عمـر المختار (فرع برقة)،[٩٩] والشيء نفسـه حـدث في طرابلـس. وعندمـا جرت محادثـات في بنغازي يـوم ١٨ يناير/ كانون الثـاني ١٩٤٧ بين ممثلي طرابلس وبرقـة، من أجل تبادل وجهات النظر والبحث والمداولـة فيما يخـصّ القضية الليبية، كان ضمن أعضـاء الوفد الطرابلسي، الذي تكـوَّن من عشرة أشـخاص، اليهودي "إسـحاق حبيب" كـما كان ضمن الوفد البرقاوي الذي شارك في تلك المحادثات يهودي آخر هو (ريناتو تشوبه).[١٠٠]

ثانياً: في ظل الإدارة العسكرية الفرنسية في فزان

شـكّل **موقع إقليم فـزان** ومناخه طبيعـة خاصَّة به. وقد رسـم بُعد الإقليم عـن الإقليمـين الآخرين (طرابلـس وبرقة) وعزلتـه عنهما نهجاً سياسـياً فريداً،

٩٧ انظر: السُبكي، ص ٢٣-٢٤.

٩٨ راجع فصل "البعد الثالث" في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

٩٩ كان (خمّـوس حيّـون) أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية عمر المختار بدرنـة في عام ١٩٤٤. انظر: المغيربي، ص ٣٣٤-٣٣٥.

١٠٠ المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣.

وقد ساعد على ذلك قلة عدد سكان الإقليم (٤٠,٠٠٠ نسمة) وانتشار الأمّية بشكل كبير بينهم، هذا فضلاً عن **أسلوب الإدارة العسكرية الفرنسية** في حكم الإقليم، وقد حرصت على عزل سكانه عن حركة التيار الوطني الدائر في شرق البلاد وغربها خدمة لهدفها النهائي المضمر، الذي كان يرمي إلى ضمِّ الإقليم إلى بقية المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الشمالية والاستوائية.

ومن الطبيعي، في ظلّ هذه الظروف، أن يكون النشاط السياسي في الإقليم في حالة شبه انعدام كامل، ولاسيما العلني منه. ومع ذلك فلم تخلُ الساحة من ظهور حركاتٍ سياسيةٍ رافضة للإدارة الأجنبية، كان من أبرزها **الحركة السرَّية** التي أسَّسها الشيخ **عبد الرحمن البركولي الحضيري**[١٠١] في عام ١٩٤٦، واختير محمد عثمان الصيد نائباً لرئيس الحركة. وقد حظيت الحركة بمباركة أحمد سيف النصر سرّاً، رغم أنَّه ظاهراً كان يتعاون مع الإدارة الفرنسية. وقد اتصلت الحركة عن طريق محمد عثمان الصيد بالزعماء الطرابلسيين وبالأمير إدريس سرّاً، وكانت تنادي بالاستقلال وتوحيد البلاد.

واكتشفت السلطات الفرنسية عام ١٩٤٧ نشاط الجمعية، وألقت القبض على عددٍ من أعضائها، مما أدَّى إلى توقّف نشاطها، ولكن عندما وصلت "**لجنة التحقيق الرباعية**" إلى فزان في الربع الأول من عام ١٩٤٨ شكت الجمعية الإدارة الفرنسية جهاراً، وطالبت بوحدة إقليم فزان مع المناطق الليبية الأخرى تحت الزعامة السنوسية.[١٠٢]

وقد أوردت **لجنة التحقيق الرباعية** (سترد الإشارة إليها) في تقريرها عن إقليم فزان الذي زارته في ١٦ إبريل/ نيسان "أنَّ نحو ٤٤٪ من سكان الإقليم يحبّذون الإدارة الفرنسية، ولعل أكثر من نصف هؤلاء هم من قبائل الطوارق الرحَّل، و٢٦٪ من السكان يقبلون أيَّة حكومة تأتي لإدارة الإقليم، و١٨٪ من السكان يرغبون في قيام حكومة إسلامية، وأخيراً نحو ١٢٪ من السكان يقبلون قرار الدول الأربع الكبرى".[١٠٣]

١٠١ درس هذا العالم الجليل في جامع الزيتونة بتونس وتخرَّج منه حاملاً شهادة العالمية، وقد توثقت صلاته بمشاهير علماء الزيتونة وعلى رأسهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وابنه الشيخ الفاضل بن عاشور، والشيخ الصادق النيفر. الصيد، ص ٣١.

١٠٢ الصيد، ص ٢٩-٣٦؛ خدوري، ص ١٢٧- ١٣٠.

١٠٣ مصباح عبد العزيز، مجلة **الإنقاذ**، المصدر نفسه، ص ٤٩-٥٥. راجع أيضاً ما ورد في مذكرات محمد عثمان الصيد بشأن هذه اللجنة وتقريرها، ص ٣٨-٤٠.



ولمَّـا أصـدرت الأمم المتحـدة في ٢١ نوفمبر/ تشرين الثـاني ١٩٤٩ قرارها القاضي بأن تصبح ليبيا دولة واحدة مسـتقلة، هيَّأ الفرنسـيون خطة لإقامة حكم ذاتي في فزان على غرار ما تمَّ في برقة (الأول من يونيو/ حزيران ١٩٤٩)، غير أنَّ العمـل بذلك المشروع توقف بناءً على اقتراح من منـدوب الأمم المتحدة أدريان بلـت، وبـدلاً من ذلك أقيم نظـام إداري تحت إشرافٍ فرنـسي إلى أن يتمَّ انضمام فزان إلى بقية الأجزاء الليبية بشكل أو آخر.[١٠٤]

وفي ١٥ من يناير/ كانون الثاني ١٩٥٠ عقدت السـلطات الفرنسية اجتماعاً شارك فيه كل الأعيان والشيوخ والوجهاء من جميع أنحاء فزان لانتخاب (٥٨) عضواً يشـكلون **مجلسـاً تمثيلياً** للإقليم، وفي منتصف شـهر فبراير/ شـباط التالي انتخب المجلس بالإجماع **أحمد سيف النصر** رئيساً لفزان.[١٠٥]



١٠٤ خدوري، ص ١٢٩.

١٠٥ الصيد، ص ٤٦. وقد أورد الصيد أنَّ أعيان الطوارق لم يشاركوا في الانتخابات، رغم حضورهم الاجتماع، بناءً على نصيحة السـلطات الفرنسـية لهم، بدعـوى أنَّ لهم وضعاً خاصًّا، إذ إنهم موزّعون بـين ليبيا والجزائر ومالي والنيجر، وسيكون لهم نظام يجمعهم.

جيـل بناة دولة الاستقـلال

لا نشـك في أنَّ العرض السـالف قد كشـف الزخم الذي زخـرت به الحياة السياسـية والنشـاط السـياسي للقـوى الوطنية خـلال حقبة الإدارة العسـكرية البريطانيـة في إقليمي برقة وطرابلس. لقد أسـهم نشـاط القيـادات والزعامات الوطنية (سياسية ودينية وقبلية) التي برزت خلال هذه الحقبة في توعية المواطنين الليبيـين بقضيـة بلادهـم، وفي بلـورة مطالبهـم وأمانيهم عـبر برامجهـا وبياناتها ومطبوعاتهـا، كما أسـهمت أيضـاً في قيـادة حركة الجماهـير الليبيـة والتعبير عن إرادتهـا من خلال تنظيم المسـيرات والمظاهرات والإضرابـات العامَّة وحركات العصيـان المـدني ضدَّ الإدارة الأجنبيـة، ولعبت دوراً هاماً للغاية على المسـتويين الإقليمـي والـدولي، من خلال الاتصالات السياسـية التي أجرتهـا، والمذكرات التـي أعدَّتهـا، والوفـود التي أرسـلتها، في بيان قضيـة ومطالب الشـعب الليبي للـرأي العام العـربي والعالـمي. وفضلاً عن ذلك فقـد أفرزت هـذه الحقبة، وما دار خلالها من نشـاطٍ وحركة، النّخب السياسـية والإدارية التي قادت – مع من بقي حيّاً من رجال حقبة الجهاد والمقاومة– مسـيرة البلاد في مرحلة الاسـتقلال، وشكلت **جيل بناة دولة ليبيا الحديثة**.



وتجدر الإشارة إلى عددٍ من **الملاحظات العامَّة** بشأن حركة **القيادات الوطنية الليبية** وتفاعلها فيما بينها خلال تلك الحقبة، لعل أهمّها:

١- لقيت قضية **استقلال ليبيا** استقلالاً تامَّاً اتفاق وإجماع كافة القوى والتيارات السياسية في الأقاليم الثلاثة خلال هذه الحقبة.

٢- لقيـت مسـألة **وحـدة الأراضي الليبيـة** بأقاليمهـا الثلاثـة، برقـة وطرابلـس وفزان، إجماعـاً من قبل هذه القـوى والزعامات، غير أنَّ وجهـات النظر بينهم تباينت حول شـكل هـذه الوحدة، ففي الوقت الذي حرص فيه معظم الزعماء الطرابلسيين على أن تكون الوحدة شاملة، فضَّل أغلبية الزعماء البرقاويين والفزانيين على أن

تأخذ الوحدة الشكل "**الاتحادي**".

٣- ظلت قضية "**الإمارة السنوسية**" مسألة محورية في مواقف الشخصيات والتنظيمات السياسية، وفيما كانت هذه القضية تلقى إجماعاً من كافة القوى والشخصيات الوطنية في برقة وفزان، فإنّها لم تحظ بالدرجة نفسها من القبول من بعض الزعامات الطرابلسية.

٤- حرصت جميع القوى والزعامات الليبية على أن يكون نظام البلاد بعد استقلالها **دستورياً وديمقراطياً قائماً على الانتخابات الحرَّة**.

٥- اعتمدت القوى والزعامات الوطنية في تعاملها فيما بينها، وفي بحث مختلف القضايا والمسائل، على "**أسلوب الحوار**" الذي لم يتردَّد فيه كل طرف من التعبير عن وجهات نظره، كما أظهرت مختلف القوى حرصاً غير عادي على الوصول إلى "**قناعاتٍ مشتركة**" من خلال الإصرار على معاودة طرح وبحث الموضوعات الخلافية ذاتها مرَّة تِلو المرَّة.

٦- وبالطبع، فإنَّ المتأمِّل لحركة ونشاط بعض الزعامات والقوى الوطنية في تلك المرحلة لا يملك إلا أن يسجِّل **ظاهرتين سلبيتين**: تمثلت **أولاهما** في نزوع هذه الزعامات إلى الانشقاق عن تنظيماتها السياسية وتشكيل أحزاب جديدة كلما دبَّ خلاف بينها وبين بقية رفاقها في التنظيم حتى إن كانت أسباب ذلك الخلاف بسيطة. وتمثلت **ثانيتهما** في استعانة بعض هذه القوى والزعامات سرّاً بجهاتٍ غير ليبية، بل أحياناً غير عربية، وتبنّي وجهات نظرها الخاصَّة في القضية الليبية، بل تلقّي مساعداتٍ منها.

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أنَّ هذه الحقبة لم تخلُ من استخدام عددٍ من هذه التنظيمات بعض **صوَر العنف** في التعبير عن "**الأماني الوطنية**" في مواجهة الإدارتين العسكريتين البريطانية والفرنسية. من ذلك ما أشار إليه **دي كاندول**، المقيم المفوّض للحكومة البريطانية في برقة منذ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٨،

في كتابه، وقد جاء فيه:

".. وعقـب عـودتي إلى برقة في سـنة ١٩٤٨ تعرَّضت لتجربـةٍ مؤلمة ... كنت أقضي بعض الوقت متجوّلاً في أنحاء المنطقة (برقة) لمقابلة الموظفين البريطانيين الجـدد، وتوثيـق معرفتي السـابقة بزعماء القبائـل والأرياف وموظفـي الدوائر المحلية ... وفي الوقت نفسه كانت زوجتي قد بقيت في بيتنا ببنغازي لأنَّ الرحلة شاقة إلى حدٍّ ما .. وعندما رجعت في ختام جولتي اكتشفت أنَّ منزلنا تعرَّض في غيـابي لهجوم جماعةٍ من الغوغاء طفقت تقـذف النوافذ بالحجارة، ولم يردّها إلا ضابط بلجيكي شـاب من موظفي الإدارة العسـكرية كان يتكلم العربية ... ثمَّ أسـفرت التحقيقات عن أنَّ هذا الاعتداء حدث بمعرفة بعض أفراد نادي عمر المختار.."[١٠٦]

الحادثـة الأخـرى مـن حـوادث العنف أشـار إليها **محمـد عثـمان الصيد** في مذكراتـه،[١٠٧] وتتلخَّـص الحادثـة في أنَّ مجموعة من الشـباب الفـزاني من منطقة "وادي الآجـال" ينتمـون إلى قبائـل الحطـمان والزوايـدة والقوايـدة وغيرهـم، بقيادة **عبد القادر بن مسعود**، هاجموا في أواسط شـهر يوليو/ تموز ١٩٤٨ مركز قيـادة القـوات الفرنسـية بمنطقـة "القاهـرة" بسـبها، واسـتعملوا في هجومهم السـيوف وبعض البنادق، واسـتطاعوا قتل حرّاس المعسكر عند مدخل القلعة، ورفعوا فوقها علماً أسـود تتوسـطه نجمة وهلال. غير أنَّ الفرنسـيين تمكّنوا من مهاجمـة عبـد القـادر بن مسـعود ورفاقـه، الذيـن بلغوا قرابة خمسـين شـخصاً، وأبادوهم عن آخرهم، ثمَّ سكبوا على جثثهم البنزين وأحرقوها.[١٠٨]



مـن **الظواهـر** اللافتـة للنظـر، والجديرة بالتسـجيل بشـأن هذه الحقبـة، أنَّ الشـعب الليبـي اسـتطاع أن يظهر تسـامحاً إزاء ظاهـرة **المتواطئين** مع الاسـتعمار الإيطـالي، وأن يتجاوزهـا، وأن يسـدل السـتار عليهـا، فلم تقع حـوادث انتقام منهم، بل بلغ التسامح أحياناً أن وجد بعض الذين سبق أن توطّأوا مع الاستعمار الإيطالي المجال مفتوحاً أمامهم لمواصلة دورهم ونشـاطهم في الحياة العامَّة، وفي

١٠٦ المصدر نفسه، ص ٩١.
١٠٧ المصدر نفسه، ص ٤١.
١٠٨ راجع ما ورد بشأن بعض حوادث العنف التي وقعت في طرابلس خلال هذه الحقبة بين اليهود والمسلمين في فصل "البعد الثالث" في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

مختلف التنظيمات والأحزاب السياسية.

ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى جملةٍ من الأسباب:

(أ) أنَّ الإدارة العسكرية البريطانية لم تكن معنية بهذا الأمر باعتبار أنَّها لم تكن إدارة وطنية، فضلاً عن أنَّها، دون شك، لم تكن لتظهر أيَّ تساهل إزاء عمليات انتقام يمكن أن تقع بحق المواطنين.

(ب) أنَّه كان قد مضى على عمليات التواطؤ يومذاك وقت طويل (عقدان على الأقل من استقرار الوضع للإيطاليين في طرابلس وأكثر من عقدٍ في برقة) وكانت هذه المدَّة كفيلة بإسدال ستارٍ من النسيان على تلك العمليات.

(ج) احتماء بعض المتواطئين وراء عصبياتهم القبلية والجهوية.

(د) بقاء مستقبل البلاد، ولاسيما إقليم طرابلس، غير معروف، فعودة الإيطاليين إليها - ولو في شكل وصاية - كان وارداً حتى وقت متأخّر من عمر الإدارة البريطانية فيها.

نحـو تقريـر المصيـر

مشروعات الوصاية

لا يشـك أيٌّ منصـفٍ في **صـدق وضراوة حركـة المقاومـة والجهـاد الليبـي** في مقاومـة الغـزو الإيطالي، التي اسـتمرَّت زهـاء عشرين عاماً، ولا في جسـامة التضحيـات التـي تكبَّدهـا الشـعب الليبـي، وصـوَر الظلـم والعسـف والقهر وسياسة "الطلينة" وعمليات الإبادة الوحشية التي تعرَّض لها على امتداد العقود الثلاثـة التـي مضـت، منذ قصـف المدافـع الإيطالية للسـواحل الليبية في شـهر أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩١١، كما لا يشك أحد في **الجهود** المثابرة التي بذلها المهاجرون الليبيّون في الخارج، وعلى رأسهم الأمير إدريس السنوسي، للتعريف بقضية بلادهم، والتنبيه لما كان يتعرَّض له الشـعب الليبي على أيدي مسـتعمريه الإيطاليين.

ومـع ذلـك بـدا أنَّ الأمـور في ليبيا عنـد اندلاع **الحـرب العالميـة الثانية** عام ١٩٣٩ قد استتبَّت لإيطاليا، وأنَّ الجهود والتضحيات وصور الجهاد السابقة قد أصبحت نسـياً منسياً. ولو أنَّ راصداً للأحداث ومسارات التاريخ سئل في تلك اللحظة عن مآل تلك التضحيات والبطولات لسـفّه أمرها ونتائجها، ولأكّد أنَّ إيطاليا سوف تبقى في احتلالها لليبيا لعدَّة عقودٍ قادمة.

ولكـن شـاءت **إرادة الله** ألا تذهـب تلـك التضحيـات والبطـولات هدراً وهبـاءً، وتلـك سـنَّة مـن سـنن الله الماضيـة في الشـعوب والأمم والـدول، فإذا **بموسـوليني** طاغيـة إيطاليا يقـرّر في العام الثاني لاندلاع تلـك الحرب أن يدخل أتونها إلى جانب ألمانيا وبقية دول المحور ضدَّ بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، وما عُرف بدول الحلفاء، وأن يخرج منها مهزوماً مدحورا.

كانـت تلكـم **نقطة فاصلة**، ليـس في تاريخ إيطاليا فحسـب، ولكن أيضاً في

تاريخ الشعب الليبي، ذلك أنَّ الأمير إدريس كان قد قرَّر، بحكمةٍ سياسيةٍ نادرة وبنظر سياسيٍّ ثاقب، أن ينحاز إلى جانب **الحلفاء**، وأن يقاتل بالقوات الليبية التي تشكّلت عام ١٩٤٠ إلى جانب بريطانيا وحلفائها الذين خرجوا منتصرين في تلك الحرب.

غير أنَّ انحياز الأمير إدريس إلى جانب الحلفاء، وخروج الحلفاء منتصرين في تلك الحرب، لم يكن وحده ليكفي كي يبلغ الليبيّون مرادهم لنيل استقلال بلادهم، ذلك أنَّ **الدول الكبرى التي خرجت منتصرة كانت لها أطماعها الخاصَّة بكل منها، في ليبيا** وفي غيرها من المستعمرات الإيطالية السابقة التي أرغمت إيطاليا المهزومة على إعلان تنازلها عنها.

كانت **فترة ما بعد الحرب** نموذجاً للعبة القوى في صورة "**الاستعمار الجديد**"، وكان الصراع حول ليبيا يدور كجزءٍ من صراع القوى على وراثة المستعمرات الإيطالية. وقد قدَّم **تقسيم ليبيا** بين الإدارة البريطانية في طرابلس وبرقة والإدارة الفرنسية في فزان أساساً لمحاولات عودة الاستعمار إليها.

وأبرز ما ميَّز هذه المرحلة محاولة الدول العظمى فرض نوع من **الاستعمار العالمي الجماعي المشترك** على ليبيا تحت اسم "**الوصاية**" أو "**الحماية**"، فكما كان "الانتداب" هو الشكل المعتاد للاستعمار القديم بعد الحرب العالمية الأولى في ظل عصبة الأمم، كانت "**الوصاية**" هي الشكل المستحدَث للاستعمار الجديد بعد الحرب الثانية في ظل الأمم المتحدة.[١٠٩]

صحيح أنَّ **زعماء ليبيا** رفضوا كل صوَر الوصاية والحماية على بلادهم، كما عارضوا بشدَّة أيَّ شكل من أشكال السيطرة الأجنبية عليها، ولكن ذلك وحده لم يكن يكفي، في مواجهة التكالب الدولي عليها، ليحقق لها استقلالها ووحدتها دون أن تجتاز مرحلة انتقالية من الحماية أو الوصاية.

لقد كان الاتجاه هو إمَّا إلى فرض وصايةٍ دولية من خلال **الأمم المتحدة عامَّة**، أو إلى فرض **وصاية دول محدَّدة** من الدول الكبرى، وفي الحالين إمَّا أن تكون الوصاية موقوتة بأجل محدَّد، وإما غير موقوتة على الإطلاق. وبين هذين

---

١٠٩ حمدان، ص ٥٢.

الطرفـين ظهـرت **كل الصيـغ وأشـكال الاقتراحات الممكنـة**، ابتـداءً من عودة إيطاليـا إلى الوصايـة الكاملة عـلى كل ليبيا، أو الوصاية الجزئية عـلى إقليم منها، إلى انقسـام الوصايـة بين بريطانيا وفرنسـا وإيطاليـا،[110] أو اسـتبعاد إيطاليا تماماً وانقسام الوصاية بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، أو بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي، هذا فضلاً عن اقتراحٍ بوصاية الجامعة العربية بعامَّة أو مصر بالذات.



وفي هـذا **الـصراع المعقـد المتعدّد الأطـراف** يمكـن القـول إنَّ دول الحلفاء الأربـع المنتـصرة بدَّلت مواقفها أكثر من مرَّة، بل تبنَّـى معظمها جلّ هذه الصيغ والاقتراحـات في وقـتٍ أو آخـر، ولكن القاسـم المشـترك دوماً كان هـو **توازن القـوى**: إمَّـا بالأطـماع الإمبرياليـة، وإمَّـا بحرمـان الآخريـن منها، إمَّا سياسـة الاقتسام والاقتسام بالتساوي، وإمَّا منطق لا شيء للجميع. **وأصبح محور اللعبة المطروحـة هـو اقتسـام ليبيا على أسـاس ثلاثي**: برقـة لبريطانيا، وفزان لفرنسـا، وطرابلس لإيطاليا، وحول هذا المحور دارت لعبة صراع القوى، وعلى صخرته بالذات أيضاً تحطمت.[111]



وفي ضوء **رفض الليبيّين لأيَّة عودةٍ لإيطاليا**، وفي إطار صيغة تعدّد الوصاية، اقـترح **الاتحـاد السـوفييتي** أن تكون له الوصاية على طرابلس بدلاً مـن إيطاليا، وكان هـذا مـا يكفي جداً لأن يسـارع **الغرب** باقتراح الاسـتقلال التام لليبيا، لا رغبة في اسـتقلالها، ولكن إبعاداً للاتحاد السـوفييتي، واسـتبعاداً لخطر تسلّله إلى البحر المتوسـط. لقد اختلف الاستعماريون، فاسـتقلت المستعمرة، وهذا وحده هو المعنى الحقيقي - والسـلبي بالطبـع- "**لفضل**" كل من الغرب والشرق على استقلال ليبيا.[112]

لقـد كان مـن حسـن حـظّ ليبيـا وشـعبها أن يجـري بحـث قضيـة بلادهم ومسـتقبله خلال حقبةٍ ظهرت فيها **التناقضات في سياسـات الدول**، وأن يتزامن ذلـك البحث مـع بداية **الحـرب الباردة** بين الغـرب والشرق، فضـلاً عن غياب

---

١١٠ الإشـارة هنا إلى مشروع بيفن- سـفورزا. راجع على سبيل المثال بشأن هذه المشروع ما ورد في مقال الأستاذ إبراهيم عبد العزيز صهد، مجلة **الإنقاذ** (العدد الخاص رقم ٣٩، جمادى الآخر ١٤١٢ - ديسمبر ١٩٩١)، ص ٩-٢٦.

١١١ حمدان، ص ٥٢-٥٣.

١١٢ حمدان، ص ٥٣-٥٤.

الاتفاق فيما بين الدول الغربية على خطةٍ موحَّدة بشكل مستقبل ليبيا، بالإضافة إلى أنَّ أكثر من دولةٍ منها كانت عينها على ليبيا وتطمع في الاستيلاء عليها. لقد عادت كل تلك الأجواء وذلك الخلاف بالخير الأكبر على ليبيا، وقام زعماؤها بدورهم في استغلال التنافس الدولي خير قيام.[١١٣]

الإحالة على الأمم المتحدة

لئن كانت إحدى نتائج الحرب العالمية الثانية هي رحيل القوات الإيطالية المهزومة عن الأراضي الليبية عام ١٩٤٣، فإنَّ إيطاليا، من الناحية القانونية، ظلَت تتمتع **بالسيادة** على جميع مستعمراتها السابقة ومن بينها ليبيا.

وكان تنازل إيطاليا عن تلك السيادة، ومن ثم تقرير مصير مستعمراتها السابقة، مرهونا بعقد "**معاهدة صلح**" بينها وبين دول الحلفاء، وهو ما لم يتم إلا عام ١٩٤٧، حين وُضعت تلك المعاهدة موضع التنفيذ في ١٥ من سبتمبر/ أيلول ١٩٤٧. أي أنَّه كان على الشعب الليبي أن ينتظر **أربع سنوات** في ظل الإدارتين العسكريتين البريطانية والفرنسية.

غير أنَّ **معاهدة الصلح** المبرمة، ولخيبة أمل الليبيّين مرَّة أخرى، تركت **قضية التصرّف في المستعمرات الإيطالية للدول الأربع الكبرى** التي وقّعت معاهدة الصلح مع إيطاليا، وكان على ليبيا الانتظار سنتين أخريين قبل أن يتقرَّر استقلالها عن طريق الأمم المتحدة، في نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٤٩، وقد **أحيلت** القضية إليها من قبل الدول الأربع الكبرى في سبتمبر ١٩٤٨ بعد أن عجزت هذه الدول عن التوصّل إلى أساس مشترك للعمل النهائي بشأن مصيرها. وكانت تلك الإحالة على الأمم المتحدة إعمالاً لنصٍّ ورد في معاهدة الصلح، يقضي بأن تكون المنظمة العالمية الحكَم الأخير في القضايا الخلافية.[١١٤]

شرعت **الأمم المتحدة** في مناقشة المسألة الليبية في دورتها **الثالثة** التي انعقدت في (**ليك سكسس**) في إبريل/ نيسان ١٩٤٩، وقد حضر تلك الدورة

---

١١٣ خدوري، ص ١٣٣-١٣٤. وللمزيد حول هذا الموضوع انظر: خدوري، ص ١٣٣-١٥٧؛ صهد، المصدر نفسه؛ السبكي، ص ٣١-٥٠.

١١٤ للمزيد حول ما دار في اجتماعات وزراء الخارجية للدول الأربع وموقف مصر والجامعة العربية ولجنة التحقيق الرباعية التي شكلها وكلاء وزراء الدول الأربع وعمل تلك الدول راجع خدوري، ص (١٣٣-١٥٠) ومقال إبراهيم عبد العزيز صهد، المصدر نفسه،

وفـد عـن **المؤتمـر البرقاوي** يمثّـل برقة (ويتكوَّن مـن عمر فائق شـنيب، وخليل القلال، وعبد الحميد العبّار، وعبد الرازق شـقلوف)، ووفد آخر من **هيئة تحرير ليبيـا** يمثـل طرابلس (ويتكوَّن من منصـور بن قدارة، والدكتـور علي نور الدين العنيزي، والدكتور محمد فؤاد شكري "مستشار")، وممثل عن **الطائفة اليهودية في** طرابلس، ومندوبون عن جمعيات تمثل **الأقليات الإيطالية** المقيمة في طرابلس.

وبينـما كانـت الأمم المتحـدة تنظر في المسـألة الليبية، أميط اللثـام ليل ٨-٩ مايو/ أيـار ١٩٤٩ عـن اتفـاقٍ سرّي كان قد جرى بـين وزير خارجيـة بريطانيا العـمالي "**أرنسـت بيفن**"، ووزير الخارجيـة الإيطالي الكونت "**كارلو سـفورزا**"، وهو الاتفاق الذي اشـتهر فيما بعد بمشروع "**بيفن- سـفورزا**". وأهم ما تضمنَّه ذلك المشروع أن تحصل ليبيا على استقلالها بعد **عشر سنواتٍ**، وبعد موافقة الأمم المتحـدة، عـلى أن توضع أقاليم ليبيا الثلاثة خلال هـذه الفترة تحت **وصايةٍ دولية** تتولى بموجبها **بريطانيا** إدارة برقة، وتتولى **فرنسا** إدارة فزان، وتتولى **إيطاليا** إدارة طرابلس، مع العمل على تنسـيق السياسـة بين الإدارات الثلاث حتى لا ينشأ ما قد يعرقل استقلال ليبيا، أو يؤثّر في وحدتها.

وكان طبيعياً أن يستقبل ذلك المشروع الاستعماري بكل صور الاستهجان والرفض في سائر **أوساط الشعب الليبي**، وعلى لسان وفوده لدى الأمم المتحدة، ولم يقتصر اسـتهجان المشروع على الأوسـاط الليبية، بـل تعدَّاها إلى **أروقة الأمم المتحـدة**، إذ هاجمته بعض الوفـود، ونظرت إليه على أنَّه منافٍ لمطالب أهل البلاد في الاسـتقلال والوحدة. ولكن الاسـتهجان والرفض الليبـي، وكذلك العربي، لم يكـن ليمنع النظر في ذلك المشروع الاسـتعماري أمـام الاجتماع العام للجمعية العامة للأمم المتحدة يوم **١٧ مايو/ أيار ١٩٤٩**.

كان المشروع السـيئ السـمعة في حاجـة لتمريره، عند التصويـت عليه أمام الاجتـماع العـام، إلى ثلثـي الأعضـاء الحاضريـن المصوَّتين. كان إجــمالي عــدد الـدول الحـاضرة لذلـك الاجتـماع (٥٨) دولة امتنـع عن التصويـت منها **ثماني** دول. ومعنـى ذلـك أنَّ ذلك المشــروع كــان بحاجةٍ لكي يفـوز أن يصوّت إلى جـانبـه ثلثـا الدول الحـاضرة المصوّتـة، أي أن يحـوز على أصـوات **(٣٤)** دولة. وشـــاءت إرادة الله وقدر الشـعب الليـبي ألا يصوّت إلى جـانب ذلك المـشروع

سوى (٣٣)[١١٥] دولة فقط، وبذلك **سقط** مشروع بيفن- سفورزا.

وعلى أثر سقوط هذا المشروع بادر **الوفد العراقي** لدى الأمم المتحدة بتقديم مـشروع قرار يقـضي بمنح ليبيا اسـتقلالها فوراً، وتقدَّمـت دول أخرى من بينها باكستان بمشروعات قراراتٍ لإبقاء القضية الليبية حيَّة، غير أنَّها رُفضت جميعاً، وتقـرَّر إحالة القضية إلى **الدورة الرابعـة** للجمعية العامَّة بناءً على اقتراحٍ تقدَّمت به **بولندا**.

استقـلال برقـة[١١٦]

رغـم أنَّ مـشروع "**بيفـن- سـفورزا**" آلَ إلى السـقوط، إلا أنَّه أبرز بشـكل واضـح وجـليّ أمـام الليبيّين وزعمائهـم المطامع الاسـتعمارية، ولاسـيما لإيطاليا وفرنساً، في بلادهم، الأمر الذي زاد من درجة الغليان السياسي في ليبيا. وممَّا زاد مـن حدَّة ذلك الغليان تعثّر الأمم المتحدة في اتخاذ قرارٍ بخصوص المسـتعمرات الإيطالية السابقة، كما ظهر جلياً في اجتماعات دورتها الثالثة.

قابـل **الأمـير إدريس** مـن جانبه مشروع "بيفن- سـفورزا" باسـتنكار بالغ، فالمشروع، إلى جانب أنَّه أثار السـخط الشـعبي الواسع في البلاد، وضع في أيدي العناصر الوطنية "المتطرّفة"، مثل **جمعية عمر المختار**، سـلاحاً يمكنها أن تشـهره في وجـه الأمير وتؤكد اتهاماتهـا له بأنَّه مجرّد "أداة للسياسـة البريطانية". وممّا زاد مـن انزعـاج الأمير قيـام **الصحافـة المصرية** يومذاك بشـنٍّ حملـة صحافية ضدَّه، اسـتهدفت تشـويه سـمعته، والإسـاءة إليه أمـام العـرب، وقد نُسـب إلى الملك فاروق قوله يومذاك بحق الأمير إدريس بأنَّه "**درويش جاهل**".

وقـد أورد دي **كاندول**، رئيس الإدارة البريطانية المقيم في برقة يومذاك، أنَّ الأمـير إدريس اعترته إحدى نوبات الغضب النـادرة خلال أحد لقاءاته اليومية معـه، وطالب بريطانيـا بالموافقة الفورية على تشـكيل حكومـةٍ برقاوية، وتوقيع معاهدةٍ للتعاون والدفاع المشترك:

---

١١٥ تبـيَّن أنَّ أحـد أعضـاء الوفد الليبـي الدكتور **علي نور الدين العنيزي** نجح في اسـتقطاب منـدوب هايتي لدى الأمم المتحدة الدكتور (**أميل سـان لو**) وكسب تعاطفه الشخصي مع قضية الشعب الليبي، الأمر الذي جعله يصوِّت ضدَّ مشروع بيفن- سفوزا خلافاً لتعليمات دولته. انظر: خدوري، ص ١٥٥-١٥٦؛ انظر: صهد، المصدر نفسه.

١١٦ للمزيد حول خلفيات هذا الموضوع انظر: خدوري، ص ٨٨-٩٨؛ دي كاندول، ص ٩٣-١١٤.

"إذا توانت بريطانيا أكثر من هذا، فسوف أضطرّ إلى إخبار الشعب (البرقاوي) بأنّـه لا بـدَّ لي مـن التخلّي عن الكفـاح، وعدم المشـاركة في الشـؤون الليبية بعد ذلك. وإمَّا أن أعود إلى مصر، أو أعيش في برقة كمواطن عادي..".

"ولسـوف أُتهَم بأني نكثت عهدي بعد كل هذه السـنين، وخنت شـعبي بعد أن كنـت أوصيـه بالصبر زمنـاً طويلاً. وقـد تلقيت تأكيـداً بأنّـه إذا لم تنجح الأمم المتحدة في الاتفاق على مسـتقبل ليبيا بالكامل، فإنَّ بريطانيا نفسـها سوف تنظر في منح الاسـتقلال لبرقة، والتعـاون معها على عقد معاهـدةٍ للتعاون والدفاع. وإنَّ احـترام البرقاويين لبريطانيا آخـذ في الضعف، على حين ينتشر انتقادهم لها ولشـخصي بدعوى أنّنـي أداة لها. والحرية التي كافحنا مـن أجلها طويلاً غدت مهدَّدة بالخطر".[117]

شـعرت **الإدارة البريطانية** في برقة بحرج شديدٍ أمام هذه التطورات، وأمام صيحات البرقاويين المنادين بتسلّم السـلطة في إقليمهم، فكان أن لجأت إلى حل لا يتعـارض مع مطامعهم البعيـدة المدى، كما يرضي البرقاويـين في الوقت ذاته، فاتفقوا مع الأمير إدريس على تسـليمه **السـلطة الداخلية** في برقة بشروطٍ معينة، عـلى أن تبقـى **أمور الدفـاع والخارجيـة**، والأمـن في الأزمات، مـن صلاحيات بريطانيا.[118]

وفي **أوّل يونيو/ حزيـران ١٩٤٩** انعقـد في قصر المنار بمدينة بنغازي اجتماع للمؤتمـر الوطنـي البرقـاوي أعلـن **فيه الأمـير إدريس اسـتقلال برقـة**، وطالب بريطانيا والدول العربية والمجتمع الدولي بالاعتراف بهذا الاسـتقلال، وعبَّر عن أملـه في أن تتحقـق وحدة طرابلس وبرقة في المسـتقبل. كما أعلـن عن عزمه على **تشكيل حكومةٍ وطنية، ودعوة برلمان منتخب من الشعب**".[119]

لم يخـلُ ذلك الاجتماع من ظهور أصـواتٍ لبعض أعضاء جمعية عمر المختار بين الجمهور المحتشد أمام القصر تردّد "**لا استقلال قبل تحقيق الوحدة؛ ونحن لا نفرح وطرابلس تبكي؛ فليسقط الاستقلال المزيَّف**". وفيما عدا هذا الحادث فقد

١١٧ دي كاندول، ص ٩٥-٩٦.
١١٨ بن حليم، ص ٣١.
١١٩ دي كاندول، ص ٩٧-٩٨؛ صهد، المصدر نفسه، ص ٢٠.



لقي الإعلان قبولاً واسع النطاق في سائر أرجاء البلاد.[١٢٠] وقد بادرت **الجبهة الوطنية الطرابلسية** بإيفاد وفدٍ لتهنئة الأمير باستقلال برقة، كما أرسل **المؤتمر الوطني الطرابلسي** وفداً لمباركة للأمير، ولبحث قضية الزعامة السنوسية مع زعماء برقة. وقد لقي الوفد الطرابلسي ترحيباً حاراً في بنغازي، ووجَّه الدعوة إلى الأمير إدريس للمرور بطرابلس، في طريقه لزيارة بريطانيا للاطلاع على وجهات النظر الطرابلسية ونقلها إلى لندن، وهو ما قام به الأمير في رحلتي الذهاب والعودة، ولقي ترحيباً منقطع النظير في طرابلس.[١٢١]

وفي الواقع فإنَّ هذه الخطوة كانت دون **الاستقلال الكامل للإقليم**، ولكنَّها كانت أيضاً أكبر بكثير من مجرّد حكم ذاتي، وبقدر ما أثارت من ابتهاج وترحيب، أثارت أيضاً انتقاداتٍ كثيرة ونظر إليها بعضهم على أنّها خطوة انفصالية.[١٢٢]

وفي **إمارة برقة**، تكوّنت أول **حكومة** برئاسة الدكتور **فتحي الكيخيا** (١٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٤٩) ولكنّه استقال قبل أن يتسلم عمله، أو يقسم اليمين، فخلفه لمدَّة شهور والده **عمر باشا منصور** الذي أتمَّ تشكيل وزارته في ٩ نوفمبر/ تشرين الثاني، وكان قوي الشخصية، جمّ النشاط، جريئاً فيما يراه الحق، وسرعان ما اصطدم مع جمعية عمر المختار ومع المؤتمر الوطني، فطلب منه الأمير الاستقالة، فقدّمها في التاسع من مارس/ آذار ١٩٥٠، وجرى قبولها بعد يومين. وفي ١٨ من الشهر ذاته طلب الأمير من **محمد الساقزلي**، الذي كان يشغل منصب وزير العدل في وزارة عمر باشا منصور، أن يشكّل الوزارة، وقد بقي على رأسها إلى أن تمَّ استقلال ليبيا كلها في ٢٤ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥١.[١٢٣]

في ١١ من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٩ وقّع الأمير إدريس على **دستور برقة** الذي أعدَّت مشروعه لجنة دستورية بالتشاور مع السلطات البريطانية.[١٢٤] وفي ٢١ من إبريل/ نيسان ١٩٥٠ صدر **قانون الانتخابات**، وشهدت برقة أوّل انتخاباتٍ عامَّة حرَّة في ٥ من يونيو/ حزيران ١٩٥٠. وفي الثاني عشر من

---

١٢٠ دي كاندول، ص ٩٨.

١٢١ غادر الأمير إدريس برقة يوم ٩/ ٧/ ١٩٤٩ في طريقه إلى لندن، وتوقف ليلة في مصراته ويومين بطرابلس. انظر: دي كاندول، ص ١٠٣؛ خدوري، ص ٩١.

١٢٢ صهد، المصدر نفسه، ص ٢٠.

١٢٣ بن حليم، ص ٣٢؛ خدوري، ص ٩٣-٩٥.

١٢٤ نُشر نصّ الدستور في جريدة **برقة الرسمية** في ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٩. خدوري، ص ٩٢.

الشـهر ذاته انعقد **أوَّل برلمان** منتخَب انتخاباً حرّاً **في برقة** برئاسـة **رشيد الكيخيا**. وقد شـهد ذلك البرلمان مناقشـاتٍ حامية، وتمكّن في إحدى المـرَّات من أن يهزم الحكومـة في أحـد مواقفها (بشـأن مقاطعـة إسرائيـل)، الأمر الـذي دفع رئيس الـوزراء إلى تأجيل الدورة البرلمانية الثانية في إبريل/ نيسـان ١٩٥١، ثمَّ إرجائها إلى أجل غير مسـمَّى.[١٢٥] وقد تبدَّلت الأمور بشكل جذري بالنسبة لهذا البرلمان، ولحكومـة برقـة بصفـةٍ عامَّـة، في ضوء صـدور قرار الأمـم المتحـدة في ٢١ من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٩ باستقلال ليبيا ووحدتها (كما سنرى).

لم يكن غريباً أن تكون أكبر مشـكلةٍ واجهتها الحكومة البرقاوية الناشئة هي **قلـة الموارد المالية**، ففـي عهد الإدارة البريطانية كان عجـز ميزانية برقة قد بلغ في سـنة ١٩٤٨/ ١٩٤٩ نحو (٧٣٨) ألف جنيه إسترليني، وقد جرى تسديد ذلك العجز بمنحةٍ من الخزينة البريطانية. أمَّا في عام ١٩٤٩/ ١٩٥٠ فقد ارتفع إجمالي العجز إلى (مليون) جنيه إسترليني، وفيها جرت تغطية جزءٍ منه عن طريق الخزانة البريطانية، فقد تمَّ تغطية الجزء الثاني (نصف مليون جنيه إسـترليني) عن طريق زيادة الرسـوم الجمركية ورسـوم الإنتـاج، الأمر الـذي أدَّى إلى ارتفاع تكاليف المعيشة، وسبَّب في بعض التذمّر الشعبي.[١٢٦]



شـهدت هـذه الحقبة مـن حياة **برقـة المسـتقلة** (يونيو/ حزيـران ١٩٤٩– ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٥١) **واقعتين**، رغـم أنَّهما بدتا صغيرتين، فإنَّ أولاهما تركت آثاراً بعيدة على علاقات ليبيا مع جارتها **مصر** (وتحديداً بين الأمير إدريس والنظـام الملكـي في مـصر)، أما الثانية **فقد زادت من اتسـاع الفجـوة التي كانت قائمة في برقة بين جيلي الساسة القدامى والجدد.**

تحدَّث عن **الواقعة الأولى** دي كاندول على النحو التالي:

".. ففي ذات يوم من أوائل يوليو (تموز ١٩٤٩) بينما كنت في إحدى زياراتي المعتادة للأمير (في بنغازي) (كان المؤلف يشـغل يومذاك منصب المقيم المفوض

---

١٢٥ للمزيد حول هذا الموضوع انظر: دي كاندول، ص ١١٢؛ خدوري، ص ٩٥-٩٦.

١٢٦ انظـر: دي كانـدول، ص ١١١. وقـد أشـار المؤلـف إلى أنَّ الأمـير إدريـس والحكومـة البرقاوية كانا غـير راضيين عـن ضآلـة حجم المسـاهمة البريطانية. كما أشـار أيضـاً إلى أنَّ الأمير والبرقاويـين عموماً كانـوا ممتعضين من وجود المستشـارين البريطانيـين، ومـن بينهم المستشـار المـالي، الذين كانـوا مقترنين بالمسـاعدات البريطانية، وقـد اعتبروا وجودهم مجرّد ستارٍ للسيطرة البريطانية، ص ١١٠، ١١١.



للحكومة البريطانية في برقة) أخبرني أنَّه في مساء اليوم السابق سمع طرقاً على النافذة، فلمَّا استوضح جليَّة الأمر قالوا إنَّهم لاجئون من مصر بعدما اتهموا زوراً بالاشتراك في جريمة اغتيال النقراشي باشا،[١٢٧] وقد استجاروا بالأمير متوسّلين إليه باسم الواجب الإسلامي، فلم يجد بدّاً من إجابة طلبهم، وأمر بإسكانهم في قصر المنار..".

"وقلت له صراحة (أي للأمير) إنَّ هذا الموقف يضعني في موقفٍ حرج إذ إنني ما زلت مسؤولاً عن الأمن العام والعلاقات الخارجية. فأصرَّ على أنَّه **لا يملك إلا أن يجير من يلجأ إلى حماه..**".

"وحين رجعت إلى بنغازي (من قصر الغدير حيث كان الأمير يقيم) علمت أنَّ اثنين من كبار ضباط الشرطة المصرية قد وصلا من القاهرة جوّاً في مطاردة الرجال الثلاثة بعدما تمَّ اقتفاء آثارهم إلى حدود برقة .. وأخفقت عملية البحث عن الأشخاص الثلاثة، وعاد الشرطيان المصريان بخفي حنين .. ولم يكن بوسعي أن أفعل شيئاً أكثر من رفع تقرير إلى الحكومة البريطانية..".



"وسرعان ما جاء الردّ المصري على تصرّف الأمير. ففي اليوم التالي مباشرة أغلقت الحدود المصرية مع برقة، كما ألقي القبض على اثنين من الشخصيات البرقاوية البارزة[١٢٨] كانا يزوران مصر..".

"وهكذا فإنَّ أول إجراءٍ اتخذه الأمير بعد الاعتراف الرسمي به (استقلال برقة) أقحمه في صدام مع الحكومة المصرية .. وكان رأيي الشخصي أن نسلّم الرجال المطلوبين حرصاً على مصلحة الأمن العام وحسن العلاقات مع مصر،

---

١٢٧ كان الشبان الثلاثة هم: عز الدين إبراهيم، ومحمود يونس الشربيني، وإبراهيم سعدة، من جماعة الإخوان المسلمين. ويقول يوسف عيسى البندك أحد الذين عرفوا الأمير إدريس عن قرب: "وقد انجذبَت إلى (الملك إدريس) قلوب الصفوة من الإخوان المسلمين الذين يعيشون بالفكرة في سبيل الفكرة. ومن الجميل أن أذكر هنا أنّه يوم حرقت القاهرة قبل ثلاث سنوات (١٩٥١) في أواخر عهد فاروق، كان كرسي العرش السنوسي قد تمَّ صنعه في إحدى دور القاهرة التي أخذت تلحسها ألسنة النيران، فاندفع فريق من الإخوان المسلمين وسط اللهب وأنقذوا كرسي العرش السنوسي من اللهب وأوصلوه سالماً إلى بنغازي عاصمة برقة". انظر: يوسف عيسى البندك، **من الأفق السنوسي** (أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، ٢٠٠٢)، ص ٣٠. كما أشاد السيد يوسف ندا مفوّض جماعة الإخوان المسلمين للعلاقات الخارجية، في الحلقة الأخيرة من برنامج "**شاهد على العصر**" الذي بثته قناة الجزيرة خلال شهر سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٢، بدور الملك وصلاحه. يبدو أنَّ بعض قادة هذه الجماعة في مصر، بمن فيهم أولئك الذين عاصروا تلك الواقعة، قد نسوا للملك إدريس تلك المكرمة وما أسداه لهم.

١٢٨ كان أحدهما عبد ربّه الغنّاي الذي كان رئيساً لتحرير صحيفة **الاستقلال** الناطقة باسم رابطة الشباب الليبي في برقة.

ولكن الأمير ظل متشبّثاً بموقفه وما كان باستطاعتي أن آمر بانتهاك حرمة مقرّه الخاص.."[129]

رحـم الله الأمـير إدريـس! ورحـم الله ذلك الجيل مـن الرجـال الذين كان للاجئين إلى حماهم حرمة ومعنى!

أمَّـا **الواقعة الثانية**، فقد حدثت بعد عامـين تقريباً من وقوع الحادثة الأولى، أثنـاء وزارة **محمد السـاقزلي** وتحديداً يـوم **٧ من يوليو/ تمـوز ١٩٥١**. وتتلخَّص الواقعة في أنَّ أحد المواطنين كان قد توفي في المستشفى الحكومي ببنغازي ولم يتم دفنـه إلا بعـد مضيِّ عدَّة أيـام على وفاته،[130] الأمر الذي عـرَّض جثته التي كانت موجودة بالمستشـفى للتعفّـن. فقامت عناصر من جمعية عمر المختار باسـتغلال حالة الإهمال الظاهر في إدارة المستشـفى الحكومي[131] بتسـيير مظاهرة احتجاجاً عـلى الحـادث، وتوجَّهت المظاهـرة إلى بيت رئيـس الوزراء السـاقزلي فحطمت نوافـذه، وتوجَّهت بعـد ذلك صوب بيت المعتمد البريطـاني فاعتدت على العلم البريطـاني، وحطمـت نوافـذ الـدار. وقـد ترتـب على هـذه المظاهـرة وحوادث الشغب التي صاحبتها أن قامت الحكومة بالقبض على زعماء الجمعية وتقديمهم إلى المحاكمـة. وبينـما كانت المحاكم مـا تزال تنظر في قضايـا المعتقلين، أصدرت الحكومـة مرسـوماً بتاريخ ٨ يوليو/ تمـوز ١٩٥١ **قضى بحـل الجمعية ومصادرة أموالها، وكان ذلك إيذاناً بقيام هوَّةٍ بين جيلين من رجال برقة وزعمائها زادت مع الأيام اتساعاً، وكانت أحد أسباب الصراع داخل نخبها السياسية**.



وبعيـداً عـن هاتـين الواقعتـين وتأثيراتهـا، فقـد ترتّـب على حصـول ليبيا بأقاليمهـا الثلاثة على اسـتقلالها في الرابع والعشرين من ديسـمبر/ كانون الأول مـن عام ١٩٥١ أن خُفِّضت منزلة حكومة برقة إلى إدارةٍ للولاية، فأصبح رئيس وزرائها **محمد الساقزلي** والياً لولاية برقة.

١٢٩ دي كاندول، ص ٩٩–١٠٠.

١٣٠ راجع، للمزيد حول هذه الواقعة ونتائجها، ما ورد في ص (٩٧) من كتاب خدوري السالف الإشارة إليه.

١٣١ تُـرى، مـاذا كانـت لتفعل هـذه الجمعيـة إزاء حالات الإهمـال المتعمَّـد، البالغة حدَّ الإجـرام، التي مارسـها النظام الانقـلابي منـذ الأول من سـبتمبر ١٩٦٩؟! وقد تحدّث بعـض الذين تعرّضوا للاعتقال على أيدي سـلطات النظام الانقلابي كيف أنّ بعض رفاقهم ماتوا بسـبب الإهمال الطبي الذي تعرّضوا له، ولم يكتفِ النظام بذلك بل تعمّد في حالاتٍ كثيرة إبقاء من توفوا منهم داخل الزنزانات بين رفاقهم الأحياء، ولم يقم بنقل الأجداث إلا بعد مضيّ قرابة أسبوع، بعد أن بدأت في التحلل والتعفن.

قـرار الأمم المتحدة باستقـلال ليبيا

أعيد طرح المسألة الليبية أمام **الدورة الرابعة** للجمعية العامَّة للأمم المتحدة، وفي الثلاثين من سبتمبر/ أيلول ١٩٤٩، شرعت **اللجنة السياسية** في النظر فيها، فخصَّصت لها أربع عشرة جلسة، استمعت اللجنة خلالها إلى كلماتٍ ألقاها عدد من **وفود الدول** تدعو كلها إلى منح ليبيا الاستقلال، وكذلك إلى كلمةٍ ألقيت باسم وفدٍ عن **المؤتمر الوطني البرقاوي**،[١٣٢] وأخرى باسم **المؤتمر الوطني الطرابلسي**،[١٣٣] وثالثة باسم **حزب الاستقلال** (الطرابلسي)،[١٣٤] ورابعة ألقاها مندوب **الأقلية اليهودية** في ليبيا، وقد طالبت الوفود الثلاثة بمنح ليبيا استقلالها الكامل فوراً دون إبطاء، وطالب مندوب **الأقليـة اليهودية** بحماية اليهود مدَّعياً أنَّ مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية قد أخذت تتدهور، وأنَّهم قد تعرَّضوا للخطر نتيجة **لأعمال إرهابية** موحى بها من الخارج. وقد تلقّى وفد المؤتمر البرقاوي برقية من الأمير **إدريس السنوسي** يعلن فيها رفضه لأيَّة فترةٍ انتقالية، ويطالب بمنح البلاد استقلالها فوراً. وقد عاود **مندوب مصر** خلال هذه الدورة (كما فعل في الدورة السابقة) المطالبة **بتعديل حدود مصر مع ليبيا**.

كان واضحاً منذ البداية، خلال المناقشات التي دارت في أروقة الهيئة الأممية، أنَّ **فكرة الوصاية المؤقتة على ليبيا قد طُرحت جانباً** وحلّ محلها النظر في إقامة دولةٍ مستقلة موحَّدة في وقتٍ قريب. وكان منح برقة استقلالها الذاتي وما تردّد حوله من دعايةٍ واسعة على النطاق العالمي، قد عجَّل كثيراً بحدوث هذا التحوّل الذي طرأ على الموقف الدولي إزاء القضية الليبية عموماً.[١٣٥]

جرت مناقشات مطوَّلة للقضية على مستوى اللجان المتخصّصة في الأمم المتحدة، وانتهت أخيراً إلى وضع **مشروع قرار في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٩** يتضمَّن أن تنال ليبيا استقلالها في أول فرصةٍ ممكنة، على ألا يتأخَّر ذلك عن الأول من يناير/ كانون الثاني ١٩٥٢، وقد انصرف جزء هام من

---

١٣٢ ألقى الكلمة عمر فائق شنيب، وقد تكوَّن الوفد البرقاوي منه، ومن خليل القلال، وعبد الرازق شقلوف.

١٣٣ ألقى الكلمة بشير السعداوي، وقد ضمَّ الوفد إلى جانبه مصطفى ميزران، والدكتور محمد فؤاد شكري (مستشاراً).

١٣٤ ألقى الكلمة عبد الله الشريف، وقد ضمَّ الوفد إلى جانبه أحمد راسم كعبار، ومختار المنتصر، وعبد الله بن شعبان.

١٣٥ دي كاندول، ص ١٠٦.

وقت اللجنة الفرعيـة،[١٣٦] التي أعدَّت مشروع القرار، إلى بحث القضايا المتعلقة بالوحدة الليبية، ودور الأمم المتحدة في تحقيق الاسـتقلال، وانسـحاب القوات الأجنبية.

شرعـت **الجمعيـة العامَّة** للأمم المتحـدة يوم ١٩ مـن نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٩ في مناقشـة مـشروع القرار المذكور، وبالرغم مـن الاعتراض الذي أثاره **الوفـد الفرنسي** بأنَّ المدَّة التي حدّدت لنيل الاسـتقلال كانت قصيرة، واحتجاج **الاتحـاد السـوفييتي** بـأنَّ ليبيا لم تمنَح اسـتقلالها فوراً، فقـد تبنَّت الجمعيـة العامَّة في **٢١ نوفمبر/ تشريـن الثـاني ١٩٤٩** القرار بأغلبية (٤٨) صوتـاً مقابل صوتٍ واحـدٍ معارض، على حـين امتنعت عن التصويت تسـع دول. وقـد حمل القرار الرقم (٢٨٩- الدورة الرابعة).



نـصَّ قـرار الأمم المتحدة على أن تصبح ليبيا دولة مسـتقلة ذات سـيادة في موعـدٍ لا يتجاوز **أول يناير/ كانون الثاني ١٩٥٢**، على أن يوضع للدولة الجديدة في أثناء ذلك دسـتور تقرّره جمعية وطنيـة تضمّ ممثلين عن الأقاليم الثلاثة المكوِّنة للبلاد، بالتشاور فيما بينهم كهيئةٍ واحدة، كما نصَّ القرار أيضاً على تعيين **مفوَّض خاص** من الأمم المتحدة للمساعدة في صياغة الدستور وإنشاء **حكومة مستقلة**، ويُسـدي إليه العون والمشـورة في أداء تلك المهمة **مجلس** يتألف من عشرة أعضاء موزَّعين على النحو التالي:

١- منـدوب واحـد عـن كل مـن مـصر وفرنسـا وإيطاليا وباكسـتان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

٢- منـدوب عن كل مـن الأقاليم الليبيـة الثلاثة بالإضافـة إلى واحدٍ يمثل الأقليات في ليبيا.

في ١٠ ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٤٩ عيَّنـت الجمعيـة العامَّـة، تنفيـذاً لقرارها بشـأن اسـتقلال ليبيـا، **أدريان بلت**[١٣٧] (مسـاعد السـكرتير العام للأمم المتحـدة) مندوباً لها في ليبيا. كما تمَّ في ٥ إبريل/ نيسـان ١٩٥٠ تشـكيل **المجلس**

١٣٦ أعـدَّ وفـد بنَما تقرير اللجنـة الفرعية المتضمّن مـشروع قرار الاسـتقلال. وتواصلـت أعمال اللجنة مـا بين ١١ من أكتوبر/ تشرين الأول،، والأول من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٩.

١٣٧ دبلوماسي هولندي من أعضاء الجهاز الدائم بهيئة الأمم المتحدة، وسبق له أن اشتغل في عصبة الأمم.






الاستشـاري[١٣٨] الخـاص بليبيا على النحو الـذي ورد في القـرار (٢٨٩- الدورة الرابعة).

بـدأ **المجلـس الاستشـاري** (مجلـس العـشرة) عملـه في ٢٥ إبريل/ نيسـان ١٩٥٠، **وأقـرَّ خطة** تقـدّم بها أدريان بلت لتنفيذ قرار الأمـم المتحدة، وتضمَّنت الخطة:

١- انتخـاب **المجالـس المحليـة** في برقة وطرابلس وفزان خلال شـهر يونيو/ حزيران ١٩٥٠.

٢- اختيـار "**لجنـة تحضيريـة**" لأعـمال الجمعيـة الوطنيـة التأسيسـية في وقـتٍ لا يتجـاوز شـهر يوليو/ تمـوز ١٩٥٠. (لجنـة الواحـد والعشرين).

٣- انتخـاب "**الجمعية الوطنية التأسيسـية**" ودعوتهـا إلى الاجتماع في خريف ١٩٥٠ (لجنة الستين).

٤- إقرار الجمعية الوطنية التأسيسية **للدستور** خلال عام ١٩٥١.

٥- إعلان الاسـتقلال، وإنشـاء حكومة وطنية قبل الأول من يناير/ كانـون الثاني ١٩٥٢، وهو الموعد الذي حدَّده قرار الأمم المتحدة كموعدٍ أقصى للاستقلال.

كانـت **الخطوة الأولى**، كما أشرنا، هي تشـكيل "**لجنة تحضيريـة**" تقوم باتخاذ الترتيبـات الضروريـة لانتخـاب جمعيـة وطنية تأسيسـية لوضع دسـتور للبلاد.

---

١٣٨ لم تكـن مهمَّـة اختيار المندوبين الليبيّين الذين يمثلون الأقاليم الثلاثة والأقليات في ذلك المجلس مهمَّة سـهلة. وقد قام أدريان بلت لهذا الغرض بأوّل زيارةٍ له إلى ليبيا في ١٨ يناير/ كانون الثاني ١٩٥٠، حيث قضى ثلاثة أسـابيع زار خلالها الأقاليم الثلاثة، وتشـاور مع القيادات السياسـية والحزبية الموجودة فيها، وأمكنه في ختام هذه المشاورات أن يختار أربعة أسماء من بين قوائم الأسماء التي قدِّمت إليه كمرشحين، وهم: **علي أسعد الجربي** عن برقة (وقد حل محله فيما بعد الدكتور **علي نور الدين العنيزي**)، و**مصطفى ميزران** عن طرابلس، و**أحمد الحاج السـنوسي صوفر** عن فزان (وقد اسـتبدل به بسـبب مرضه **محمد عثمان الصيد**) بالإضافة إلى **جياكومو مارشـينو** عن الأقليات. أمَّا بقية أعضاء المجلس الاستشـاري فكانوا : محمد كامل سـليم (عن مصر)، وعبد الرحيم خان (عن باكسـتان)، ولويس كلارك (عـن الولايـات المتحدة الأمريكية)، وفيتاليانوكونفا لونيري (عن إيطاليا)، وهيو سـتو نهيـوار بيرد (عن بريطانيا)، وجورج بالاي (عن فرنسا).

وقـد تكوَّنـت اللجنـة التحضيرية مـن **واحد وعشريـن عضواً** يمثلـون الأقاليم الثلاثـة بالتسـاوي، فاختار **الأمـير إدريس** سـبعة ممثلين لبرقـة،[139] واختار ممثلي فـزان زعيمها **أحمد سـيف النصر**.[140] ونظـراً لوجود أحـزابٍ متضاربة الآراء في طرابلس، فقد قام باختيار ممثليها السـبعة[141] **مندوب الأمم المتحدة** شـخصياً بعد التشاور مع زعمائها، وكان أبرزهم بشير السعداوي. وقد أثارت **عملية الاختيار** هـذه كثيراً مـن الجدل، فلم تتمكـن اللجنة من الانعقاد بطرابلـس حتى ٢٧ من شـهر يوليو/ تمـوز ١٩٥٠ (بناءً على دعوة بلت) فقد ترأسـها **محمد أبو الأسـعاد العـالم** مفتـي طرابلـس، كما جرى انتخـاب **خليل القـلال** (برقـة)، و**محمد عثمان الصيد** (فزان) سكرتيرين لها، وقد أقرَّت اللجنة نظامها الداخلي.





١٣٩ هم: خليل القلال، وعمر فائق شنيب، وأحمد عقيلة الكزة، وعبد الكافي السمين، والطايع البيجو، ومحمود بوهدمة، ورشيد الكيخيا.

١٤٠ هـم: علي المقطوف، وطاهـر الجراري، وعلي بديوي، وأبو القاسـم بوقيلة، وأحمـد الطبولي، ومحمد عثمان الصيد، والسيد المهدي (قاضي غدامس).

١٤١ هم: الشيخ محمد أبو الأسعاد العالم، والشيخ أبو الربيع الباروني، وسالم القاضي، وإبراهيم بن شعبان، وسالم المريّض، وأحمد عون سوف، وعلي رجب. بالإضافة إلى مندوبين يمثلان الأقليات أحدهما يهودي والآخر إيطالي.



الجمـعية الوطنية التأسيسيّة

كانت **المهمّة الأساسية** المنوطة بلجنة الواحد والعشرين "**اللجنة التحضيرية**" هي تشكيل "**الجمعية الوطنية التأسيسية**" التي ستضع دستور البلاد، وقد ثار داخل اللجنة **جدل واسع**[١٤٢] حول عددٍ من القضايا في هذا الصدد كان أهمها: هل ينبغي تشكيل الجمعية الوطنية عن طريق **الانتخاب أم التعيين**؟ وهل يكون تأليفها على أساس **التمثيل المتكافئ** للأقاليم الثلاثة أم بحسب عدد السكان في كل منها؟ وقد أجمعت اللجنة في نهاية الأمر على أن **تتألف الجمعية الوطنية التأسيسية من ستين عضواً يمثلون المناطق الثلاث على أساس التساوي العددي،** بمعدل عشرين ممثلاً لكل منطقة، على أن يتولى **الأمير إدريس** اختيار ممثلي برقة، و**أحمد سيف النصر** ممثلي فزان، وعلى أن يعهد للشيخ **محمد أبو الأسعاد العالم** (المفتي) اختيار ممثلي طرابلس بعد التشاور مع الأحزاب والزعامات القائمة بالمنطقة.[١٤٣] كما **أجمعت اللجنة على ألا يسمح للأقليات غير الوطنية أن تشترك في الجمعية الوطنية أو تمثل فيها**. واتفقت اللجنة على أن تعقد الجمعية الوطنية التأسيسية **أولى جلساتها** في طرابلس في ٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٠، ويترك لها بعد ذلك أن تقرّر جلساتها التالية حيثما شاءت. **وقد تشكّلت الجمعية من السادة الآتية أسماؤهم:**

أولاً: عن بـرقة

١- عمر فائق شنيب* (نائب رئيس الجمعية)
٢- محمد السيفاط بوفروة[١٤٤]
٣- عبد الحميد الدلاف
٤- رافع بوغيطاس

---

١٤٢ راجع بشأن الموضوعات التي دار حولها الجدل: خدوري، ص ١٦٧-١٧٠.

١٤٣ وجِّهت إلى الشيخ "أبو الأسعاد" انتقادات من أعضاء اللجنة التحضيرية الطرابلسيين بأنَّه لم يقم بالاستشارات الكافية مع الأحزاب السياسية والشخصيات المستقلة في طرابلس. انظر: خدوري، ص ١٧٤.

١٤٤ شارك في تأسيس الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا في ٧ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨١، كما ترأس أوّل جلسة لمجلسها الوطني الذي انعقد في مدينة أغادير بالمغرب في مايو/ أيار ١٩٨٢.

* هؤلاء أيضاً كانوا أعضاء في اللجنة التحضيرية، ويشير هذا الأمر إلى ندرة العناصر الوطنية التي كان يمكن الاعتماد عليها في تسيير أعمال هذه الهيئات.



٥- أحميدة المحجوب
٦- سالم الأطرش
٧- خليل القلال
٨- الطايع البيجّو*
٩- أحمد عقيلة الكزّة*
١٠- محمود بوهدمة
١١- عبد الكافي السمين*
١٢- سليمان الجربي (سكرتيراً للجمعية)
١٣- محمد بورحيّم
١٤- عبد الجواد الفريطيس
١٥- المبروك الجيباني
١٦- الكيلاني لطيوش
١٧- طاهر العسبلي
١٨- عبد الله عبد الجليل سويكر
١٩- حسين جربوع
٢٠- أبو بكر بوذّان

ثانياً: عن طـرابلس

١- أحمد عون سوف*
٢- عبد العزيز الزقلعي
٣- منير برشان
٤- علي تامر
٥- أحمد السري (الصاوي)[١٤٥]
٦- مختار المنتصر (سكرتيراً للجمعية)
٧- سالم المريّض*
٨- محمد المنصوري

١٤٥ ذكر الصيد في مذكراته (ص ٦٥) أنه استقال من الجمعية لأنّه كان مع وحدةٍ اندماجية بين الأقاليم الثلاثة، وضدَّ نظام الاتحاد.



٩- محمد الهنقاري
١٠- الشيخ محمد أبو الأسعاد العالم * (رئيس الجمعية)
١١- علي الكالوش
١٢- عبد المجيد كعبار
١٣- عبد الله بن معتوق
١٤- محمد الهمالي
١٥- إبراهيم بن شعبان *
١٦- يحي مسعود بن عيسى
١٧- أبو بكر نعامة[١٤٦]
١٨- محمود المنتصر
١٩- الطاهر القره مانلي
٢٠- علي بن سالم

ثالثاً: عن فـزان

١- السنوسي حمادي
٢- علي بديوي *
٣- الفيتوري بن محمد
٤- الشريف علي بن محمد
٥- طاهر القذافي بريدح
٦- منصور بن محمد خليفة
٧- المبروك بن علي عريبي
٨- طاهر بن محمد العالم (سكرتيراً للجمعية)
٩- محمد عثمان الصيد[١٤٧] (نائب رئيس الجمعية)
١٠- حمد الأمير
١١- علي عبد اللطيف القطروني

١٤٦ ويُسمى أيضاً: أبوبكر بونعامة.
١٤٧ استقال الصيد من عضوية الجمعية الوطنية التأسيسية ليتفرَّغ لعضوية المجلس الاستشاري (مجلس العشرة)، وحل محله في عضوية الجمعية خليل الشاعر. الصيد، ص ٦٩.

١٢- أبو القاسم بوقيلة *
١٣- أحمد الطبولي *
١٤- علي السعداوي
١٥- أبو بكر بن أحمد
١٦- سعد بن ميدون
١٧- الأزهري بن علي الحطماني
١٨- الهادي بن رمضان
١٩- علي المقطوف * [١٤٨]
٢٠- محمد العكرمي

قبل أن تبدأ الجمعية الوطنية التأسيسية عملها نظرت **الجمعية العامة للأمم المتحدة** خلال شهر نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٠ في أول **تقرير** قدَّمه أدريان بلت عـن مهمته في ليبيـا، المتعلقة بوضع قرار المنظمة الدولية، بشـأن اسـتقلال ليبيا، موضـع التنفيـذ. وقـد وجّهت وفود عـدَّة دول، مـن أبرزها الاتحاد السـوفيتي ومـصر (وعدد من الـدول العربية والآسـيوية)، انتقـاداتٍ شـديدة إلى بريطانيا وفرنسـا للتباطؤ في نقل السـلطات من الهيئات المسـؤولة عن الإدارة إلى الشعب الليبي. كما حظي الأسلوب الذي تمَّ به اختيار أعضاء الجمعية الوطنية التأسيسية بحصَّةٍ وفيرةٍ من الانتقاد، ووصِف بأنَّه "**غير ديمقراطي**".

وكان من بين ما ورد على لسان أدريان بلت، في معرض الدفاع عن الكيفية التي نفّذ بها مهمّته في ليبيا، ومن بينها ما يتعلق بأسـلوب اختيار الجمعية الوطنية التأسيسـية (مؤكداً أنَّه شخصياً كان ضدَّ أسلوب الاختيار، وأنَّه يفضّل أسلوب الانتخاب) ما يلي:

"يتحتَّم علينا أن ندرك أوضاع ليبيا كما هي. فإنَّ ليبيا، بسبب العوامل الجغرافية والتاريخيـة، مكوَّنـة مـن ثلاث مناطـق. وهـذه المناطق، مـع أنَّها تتمتـع بالكثير المشـترك فيما بينها -أكثر ممَّا يلزم لتكوين أمَّـة موحَّدة في دولةٍ واحدة- فإنَّ لكل منها خصائصها المحليـة، ووجهات نظرها، ومصالحها التي ترتبط بها وتريد أن تحافظ عليها. وهذا ينطبق بشكل خاص على برقة وفزان".

١٤٨ هؤلاء أيضاً كانوا أعضاء في اللجنة التحضيرية، ويشير هذا الأمر إلى ندرة العناصر الوطنية التي كان يمكن الاعتماد عليها في تسيير أعمال هذه الهيئات.







غير أنَّ الجمعية العمومية للأمم المتحدة وضعت حداً للجدل الذي دار حول **شرعية** الجمعية الوطنية التأسيسية، وأقرَّت **الخطوات الدستورية** التي قام بها أدريان بلت تنفيذاً لمهمته في ليبيا، وإن لم يوقف هذا بالطبع الهجوم العنيف الذي شنَّته على تلك الجمعية العناصر المعارضة داخل ليبيا وخارجها، ولاسيما في مصر.[١٤٩]

في الخامس والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٠ عقدت **الجمعية الوطنية التأسيسية** أوّل اجتماعاتها في مدينة طرابلس. ورغم محاولات العرقلة التي واجهتها، داخلياً وخارجياً، فقد انطلقت إلى إنجاز مهامها التاريخية المناطة بها، ولاسيما في **جلستها الثانية** التي انعقدت يوم ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني، بالموافقة على مشروع لائحتها الداخلية وأقرَّته.




وفي إطار التوطئة للشروع في **إعداد مشروع الدستور** قامت الجمعية في ٢ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥٠ بإقرار **مبدأين** صاغتهما في شكل **قانونين أساسيين** اعتبرا ضروريين لتقرير مستقبل الدولة الليبية.[١٥٠]

أمَّا **أوَّلهما**، فقد نصَّ على أن تكون ليبيا **دولة اتحادية**. ولقي هذا المبدأ قبولاً فورياً من ممثلي برقة وفزان[١٥١]، أمَّا ممثلو طرابلس فقد قبلوه على مضض، وعلى أمل أن يكون هذا النظام خطوة على طريق الوحدة الكاملة. وقد أثار هذا الاختيار المزيد من الجدل في الأوساط الليبية[١٥٢] حول شرعية الجمعية الوطنية، وحول فائدة وحكمة هذا الاختيار، وفي النهاية ساد الرأي القائل بأنَّ النظام الاتحادي هو الخطوة العملية الوحيدة التي تتيح للولايات الثلاث الارتباط معاً بحيث تنتهي بالوحدة التامَّة.[١٥٣]

---

١٤٩ خدوري، ص ١٧٤-١٧٩ وص ١٩٠-١٩٣؛ الصيد، ص ٦٧-٦٨. وقد تجدَّد الجدل حول عمل اللجنة التحضيرية (لجنة الواحد والعشرين) المتعلق بتأليف الجمعية الوطنية التأسيسية مرَّة أخرى داخل المجلس الاستشاري لليبيا، عندما بحث هذا المجلس يومي ١٠، ١١ مارس/ آذار ١٩٥١ مذكرة تقدَّم بها أدريان بلت (في ١٥/ ١٢/ ١٩٥٠) بشأن أعمال تلك اللجنة.

١٥٠ انظر: الصيد، ص ٦٤-٦٥.

١٥١ أشار الصيد إلى وجود تيَّارٍ محدودٍ جداً في برقة يومذاك كان يردّد "**نتَّحد مع مالطا ولا نتحد مع طرابلس**" نظراً لهيمنة الإيطاليين على إقليم طرابلس. كما أشار أيضاً إلى أنَّ **أحمد سيف النصر** رئيس فزان كان لا يميل إلى الوحدة مع طرابلس باعتبار أنَّها تحكم من طرف الإيطاليين، وكان يكنّ عداءً شديداً لإيطاليا. الصيد، ص ٦٤.

١٥٢ أدّت هذه القضية، كما سلفت الإشارة، إلى ظهور انقسامٍ داخل "**جمعية عمر المختار**" إذ انشق فرعها بمدينة درنة عن فرعها في مدينة بنغازي.

١٥٣ خدوري، ص ١٩٣-١٩٥؛ الصيد، ص ٦٥-٦٧.

أمَّـا **القانـون الثـاني** فهو الذي نـصَّ على أن يكـون **نظام الحكـم ملكياً**، وأن يعرض عرش ليبيا على أمير برقة السـيد إدريس السـنوسي. وقد جرى إقرار هذا القانـون **بالإجماع** في جلسـة الجمعية ذاتهـا المنعقدة في الثاني من ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٥٠ وسـط الهتـاف والتهليـل. وقـرَّرت الجمعية إبـلاغ الأمير إدريس بقرارها الذي اتخذته، وبأنَّها تعتبره منذ ذلك اليوم ملك ليبيا.

وقد شـكر الأمير الجمعية على قرارها مؤكـداً قبوله له،[١٥٤] ولكنَّه آثر تأجيل إعـلان قبولـه للقرار إلى أن يتمَّ وضع الدسـتور الذي سـوف يتيـح له أن يمارس صلاحياته، ومن ثمَّ فقد أصبح لقبه منذ يومذاك "**الملك المقبل**".

وفي الرابـع مـن ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٥٠ أقـرَّت الجمعيـة الوطنيـة التأسيسـية **بالإجماع** قانوناً أساسـياً آخر حدَّدت بموجبه شكل **العلم الوطني**[١٥٥] وأبعـاده، وقـد أصبح ذلك القانون مادة من مواد الدسـتور الذي كانت الجمعية بصدد الشروع في إعداده.



وفي السابع عشر من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥٠ انتقلت الجمعية الوطنية التأسيسـية بكاملها إلى مدينة **بنغازي**، وقدَّمت إلى السيد إدريس، في شكل **وثيقة بيعـة**،[١٥٦] قرارهـا باختياره ملـكاً لليبيا، وذلـك بحضور **محمد السـاقزلي** (رئيس وزراء برقـة)، و**بشـير السـعداوي** (زعيـم حـزب المؤتمـر الوطنـي الطرابلسي)، وغيرهمـا من الأعيان. وقـد أكد "الملك" إدريس خلال ذلـك الاجتماع التاريخي بأنَّ الوحدة التامَّة هي الهدف النهائي للجميع.[١٥٧]

رغم أنَّ **بشـير السـعداوي** رئيس حزب المؤتمر كان من بين الحاضرين أثناء الاجتـماع الـذي جـرى في بنغـازي، وقامت خلالـه الجمعية الوطنية التأسيسـية

١٥٤ راجع مـا ورد حـول هذا الموضـوع في مذكرات بن حليـم في **الشرق الأوسـط** (العـدد ٥٢٣٨، ١/ ٤/ ١٩٩٣)؛ و الصيد، ص ٦٦.

١٥٥ سيلاحظ القارئ أنَّ انقلابيي سـبتمبر قاموا فور اسـتيلائهم على السـلطة في الأوَّل من سـبتمبر ١٩٦٩ بإلغاء هذا العلم، واسـتبدلوه بعلم آخر حدِّد شـكله ورسـمه في مبنى السـفارة المصرية ببنغازي عن طريق الملحق العسـكري المصري صلاح الدين السّعدني. راجع فصل "معركة مع الدستور" في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

١٥٦ كانت الوثيقة موقعة من جميع أعضاء الجمعية الوطنية التأسيسية. انظر: الصيد، ص ٣٤٠.

١٥٧ خدوري، ص ١٩٥-١٩٦. وقد جاءت هذه العبارة على لسـان الملك إدريس ردّاً على البيان الذي ألقاه **عبد العزيز الزقلعـي** أحـد أعضـاء الجمعية الطرابلسـيين وأعلن فيه أنَّه يشـارك في شرف إعـلان الأمير ملكاً عـلى ليبيا، ولكنَّه لا يزال يحبِّذ شـكل الحكومة الوحدوية لا الاتحادية. وقد قدَّم السـيد الزقلعي اسـتقالته من الجمعية لأنَّه لم يرغب في الإسهام بوضع دستورٍ أساسه الفكرة الاتحادية.

بتسليم الملك المقبل إدريس وثيقة البيعة، فإنَّه سرعان ما قام إثر عودته إلى طرابلس بالإدلاء بتصريحاتٍ تضمّنت قوله:

"إنَّ قضية الاستقلال بكاملها يجب أن يعاد النظر فيها بالجمعية العامَّة للأمم المتحدة كما يمكن اتخاذ قرار جديد يتفق مع رغبات سكان ليبيا".

وقد تزامنت هذه التصريحات المفاجئة للسيد السعداوي بقيام **عبد الرحمن عزام** أمين عام جامعة الدول العربية بشنِّ حملةٍ في الصحف المصرية والأجنبية[١٥٨] ضدَّ الجمعية الوطنية التأسيسية بدعوى أنَّها لا تمثل الشعب الليبي. ولم يكف السيد عزام عن حثّ جامعة الدول العربية على عدم الاعتراف بالحكم الذي أنشأته تلك الجمعية.[١٥٩]

ولمواجهة هذه الحالة وما صاحبها من حملاتٍ تشكيكية، شكلت الجمعية الوطنية التأسيسية في ١٧ من يناير/ كانون الثاني ١٩٥١ وفداً، برئاسة رئيسها الشيخ **محمد أبو الأسعاد العالم** وعضوية **عمر فائق شنيب**، و**خليل القلال**، و**أبي بكر نعامة**، و**أبي بكر أحمد**، توجَّه إلى مصر ليشرح لجامعة الدول العربية والحكومة المصرية وجهة نظر الجمعية.



ومن الأمثلة على **الحملات** التي وجّهها النظام المصري (كان ما يزال ملكياً) **ضدَّ الجمعية الوطنية التأسيسية** ما ورد في كتاب "حقيقة إدريس – حقائق وصور وأسرار"،[١٦٠] وقد جاء فيه تحت عنوان "الجمعية الوطنية تحتجّ على مندوب مصر":

"بعد ظهر يوم **١٢ من مارس (آذار) ١٩٥١** عقد مجلس الأمم المتحدة لليبيا جلسة لموالاة البحث في طلبٍ قدّمه مندوب الأمم المتحدة (بلت) بشأن مشورة يريد تقديمها للجمعية الوطنية بشأن التطوّرات الدستورية، وكان المندوب

---

١٥٨ من الأمثلة على ذلك التصريح الذي أدلى به إلى صحيفة **التيمبو** الإيطالية في أواخر شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٥١. انظر: الصيد، ص ٦٧.

١٥٩ اتخذ مجلس جامعة الدول العربية خلال الجلسة الخامسة عشرة بتاريخ ١٧ مارس/ آذار ١٩٥١ قراراً – بناءً على توصية اللجنة السياسية بالجامعة– يدعو فيه الدول العربية إلى عدم الاعتراف بالحكم الدستوري الذي أنشأته الجمعية الوطنية التأسيسية. خدوري، ص ١٩١–١٩٢؛ الصيد، ص ٦٨؛ البندك، ص ٤٥–٤٩.

١٦٠ الكتاب من إصدار مكتب الادعاء العام للنظام الانقلابي في ليبيا. الجزء الثاني، الطبعة الأولى يناير/ كانون الثاني ١٩٧٦، ص ١٢١–١٢٤.

والجمعية وبقية الأطـراف منهمكين في تهيئة الظروف لتعيين الحكومة الاتحادية المؤقتة.

فقام مندوب مصر في المجلس بمهاجمة النظام (الفدرالي) وقد جاء في سياق خطبته ما يلي:

١- أنَّ (الفدراليـة) سـلعة أوروبية هرّبت إلى داخـل البلاد، وفرضتها على البـلاد الدولتان المشرفتان على الإدارة مـع الولايات المتحدة، بالتعاون مع الوفدين البرقاوي والفزاني بالجمعية الوطنية، ضدَّ رغبات الليبيّين، بما في ذلك شعب برقة، تمهيداً للاستغلال الأجنبي.

٢- أنَّ (الفدراليـة) قـد بدت سـائدة متألقة في الجلسـة الأولى التي عقدتها مـا تسـمّى الآن بالجمعية الوطنية عندما أعلن سـموّ الأمير السـنوسي ملكاً، وأعلنت - في نفس اللحظة- (الفدرالية) شكلاً للحكم في ليبيا. فكانت الأولى ثمناً للثانية.

٣- أنَّ الجمعية الوطنية تضمّ ممثلين عن الحكام، لا عن الشعب، وأعضاؤها أدوات طيّعة في يد الحكام. فلا يعصون لهم أمراً خشية العقاب.

٤- وصـف مندوب مـصر في نهاية الخطـاب بعبـارةٍ نابية مسـتهجنة كلام منـدوب برقـة، عندمـا ردّ عليـه، ملاحـظاً أنَّ خطاب سـعادته قد يثير النفوس، وقد يؤدّي إلى انقسام في الشعب."

وقـد أورد الكتـاب المذكـور أنَّ الجمعيـة الوطنـية التأسيسـية بـادرت إلى الاجتـماع في ٢٢ من مارس/ آذار١٩٥١ وقدّمت احتجاجاً على ما حواه خطاب منـدوب مصر **كامل سـليم** في المجلس الاستشـاري يـوم ١٢/ ٣/ ١٩٥١، وقد تضمّن **احتجاج الجمعية:**

"إنَّ الجمعية الوطنية تسجّل على مندوب مصر في مجلس ليبيا:

١- تعريضـه بالـذّات الملكيـة عندمـا ذكـر أنَّ الأولى (الملكية) كانـت ثمناً للثانية (الفدرالية).





٢- اتّهامه للوفدين البرقاوي والفزاني في الجمعية الوطنية، مع الدولتين المشرفتين على الإدارة والولايات المتحدة، بفرض (الفدرالية) على غالبية الليبيّين تمهيداً للاستغلال الأجنبي، وإهانته لأعضاء الجمعية الوطنية، بوصفه لهم بأنّهم مجرّد آلات تنفيذ لما يلقى إليهم من أوامر.

٣- إهانته لمندوب برقة في المجلس، باستعماله كلمات نابية أثناء جلسة رسمية، هو مسّ وانتهاك لحرمة المجلس وخروج عن آدابه وتقاليده، ممّا يهين الجهة التي يمثلها المندوب ويجرح شعور ليبيا كافة.

وعليه فإنَّ الجمعية الوطنية تحتجّ بكل قوّة على سعادة مندوب مصر في مجلس ليبيا، وتستنكر أشدّ الاستنكار محاولة النيل من أقدس مقدّسات الشعب الليبي، وتطاوله على الجمعية الممثلة الشرعية لشعب ليبيا، وإهانته للممثل الرسمي للشق الشرقي من ليبيا في المجلس بكلمات نابية. إنَّ الجمعية الوطنية صفوة مختارة من الشعب الليبي تقدّس واجباتها، وقد اختارت النظام الذي يلائم البلاد وأوضاعها، واتخذت ما اتخذته من قرارات بملء إرادتها، مؤمنة بأنَّ الطريق الذي سلكته هو المؤدّي إلى إسعاد الوطن. وممثل برقة إنّما هو المعبّر الصادق في المجلس الدولي عمّا ارتضاه الشعب لنفسه من نظام".

يقول **محمد عثمان الصيد** في مذكراته واصفاً الحملة التي واجهتها هذه الجمعية يومذاك:

"وأقول، للحقيقة والتاريخ، إنَّه لولا صمود رجال الجمعية التأسيسية لانفرط العقد، وضاع الاستقلال الذي كان قاب قوسين أو أدنى، بسبب تلك الألاعيب والمخططات الخفيّة. ولولا حكمة الملك إدريس السنوسي وصبره، وعقلاء طرابلس، وعلى رأسهم الشيخ المفتي، لما وصلنا إلى الاستقلال، ولظلت ليبيا مقسَّمة ومشتتة".[١٦١]

---

١٦١ الصيد، ص ٦٨.

تأليـف الحكومة الاتحادية المؤقتة

مـن جهةٍ أخرى، أصـدرت **الجمعية الوطنية التأسيسـية** في ٢١ من فبراير/ شـباط ١٩٥١ قـراراً تقدّمـت بموجبه إلى (الملـك المقبل) إدريس داعيـة إيَّاه إلى اختيـار أعضـاء **الحكومـة المحليـة في منطقتـي طرابلـس وفـزان**، وأن يطلب من الدولتـين المشرفتين عـلى الإدارة أن تمكّنا لهاتين الحكومتـين مزاولة عملهما، لأنَّ ذلك يشكل خطوة أولية في سبيل إنشاء **حكومة ليبيا الاتحادية**.

وبالفعـل فقـد أنشـئت **الحكومتان المحليتـان** في مـارس/ آذار ١٩٥١ تحت إشراف مجلسـين لهما صفة الوصاية إلى أن يتمَّ وضع وإقرار الدستور الليبي. وقد تشكلت **حكومة طرابلس**[١٦٢] على النحو التالي:



محمود المنتصر، رئيساً للوزراء.
منصور بن قدارة، وزيراً للمالية.
فاضل بن زكري، وزيراً للتربية.
سالم القاضي، وزيراً للزراعة.
إبراهيم بن شعبان، وزيراً للمواصلات.
محمد الميت، وزيراً للأشغال العامَّة.

أمّـا في فـزان، فقـد اختار **أحمد سـيف النصر** (الـذي كان قد انتخب رئيسـاً لفزان في ١٢ فبراير/ شباط ١٩٥٠ من المجلس التمثيلي الفزاني) كلاً من:

حمودة طه، العدل والداخلية.
نصر بن سالم، المالية والزراعة.
مهدي أحمد، الصحة والتعليم.

---

١٦٢ جرى تسمية حكومة طرابلس المحلية عن طريق المعتمد البريطاني في إقليم طرابلس البريجادير بلاكلي. خدوري، ص ٥١٦. أمّا برقة فقد تشكلت حكومة فيها منذ إعلان استقلالها في أول يونيو/ حزيران ١٩٤٩، وكانت حكومة إمارة برقة تتألف، منذ ١٨/ ٣/ ١٩٥٠، من:
محمد السـاقزلي (رئيساً للوزارة ووزيراً للعدل)؛ حسـين مازق (وزيراً للداخلية والمعارف)؛ محمد بودجاجة (وزيراً للماليـة)؛ عبـد القادر العلام (وزيراً للزراعة والغابات)؛ سـعد الله بن سـعود (وزيراً للصحـة العامة)؛ مصطفى بن حليم (وزيراً للأشغال العامة والمواصلات).

كما قامت الجمعية الوطنية التأسيسية في ٢٩ من مارس/ آذار ١٩٥١ – بعد أخذ رأي (الملك المقبل) إدريس الذي استشار بدوره زعماء الأحزاب السياسية والشخصيات النافذة – بتأسيس **الحكومة الاتحادية المؤقتة** بالقرار التالي:

(قرار بتأليف الحكومة الاتحادية الليبية المؤقتة في ٢٩ من مارس سنة ١٩٥١)

"بناءً على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ٢١ من نوفمبر ١٩٤٩ الـذي ينصّ على أن تصبح ليبيا، وتشـمل برقة وطرابلس وفزان، دولة مسـتقلة وذات سـيادة في أقرب وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز اليوم الأول من شـهر ينايـر سـنة ١٩٥٢ وعـلى أن يقرّر دسـتور ليبيا، بما فيه شـكل الحكم، بواسـطة ممثلين عن السـكان من برقة وطرابلس وفزان مجتمعين للتشـاور في شكل جمعية وطنية.

وحيـث أنَّ القرار الذي أصدرته الجمعية العامـة للأمم المتحدة بتاريخ ١٧ من نوفمبر ١٩٥٠ يؤيّد، ويدعو إلى تنفيذ القرار الأول وينصّ على:

(أ) أن تجتمـع جمعية وطنية ليبية تمثل سـكان ليبيا تمثيـلاً صحيحاً في أقرب وقت ممكن، وفي مدّة لا تتجاوز أول يناير ١٩٥١.

(ب) أن تؤلـف هـذه الجمعية الوطنيـة **حكومة ليبيـة مؤقتـة** في أقرب وقت ممكن، على أن تضع نصب أعينها أول إبريل سنة ١٩٥١ هدفاً لذلك.

(ج) أن تنقـل الدولتان القائمتـان بأعمال الإدارة في ليبيا السـلطات تدريجياً إلى الحكومـة الليبية المؤقتـة بطريقة تضمن إنجاز نقل جميع السـلطات مـن أيدي الإدارتـين الحاليتين إلى حكومـةٍ ليبيّة شرعية قبـل **أول يناير ١٩٥٢**.

(د) أن يقـوم منـدوب الأمم المتحدة حالاً. مسـتعيناً ومسترشـداً بمشـورة الأمم المتحـدة لليبيا، بإعداد برنامج، بالتعاون مـع الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة في ليبيا، لنقل السلطة إلى الحكومة الليبية طبقاً لما ذكر في الفقرة (ج).

وحيث طبقاً لقراري الجمعية العامة للأمم المتحدة المذكورتين تشكّلت الجمعية الوطنية واجتمعت في طرابلس الغرب في **٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٠** وقرّرت في جلستها المنعقدة في يوم **٢ من ديسمبر سنة ١٩٥٠** بأن تصبح ليبيا دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة وذات سيادة، وتتألف من أقاليمها الثلاثة برقة وطرابلس وفزان بحدودها الطبيعية، ونادت بسموّ الأمير السيد محمد إدريس المهدي السنوسي أمير برقة المعظم، وبايعته ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة.

وحيث أنَّ جلالة الملك المعظم قد تفضّل بتاريخ ١٧ **من ديسمبر ١٩٥٠** باستلام **البيعة** وقبول الدعوة لتولي عرش ليبيا، وأرجأ من طرفه إعلانها للوقت المناسب.

وحيث أنَّ الجمعية الوطنية قرّرت بتاريخ **٢١ من فبراير سنة ١٩٥١** رفع التماسها لجلالة الملك المعظم لقيام **الحكومات المحلية** في الأقاليم الثلاثة، توطئة لقيام الحكومة المركزية الاتحادية، وقد تفضل جلالته واستجاب إلى ذلك.



وبناءً على رغبة الجمعية الوطنية وحرصها على أن تقوم الحكومة الليبية المؤقتة ضمن الميعاد المحدد، ووفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٧ من نوفمبر ١٩٥٠.

وحيث أنَّ الجمعية الوطنية تنفيذاً لهذه الغاية قرّرت بتاريخ **٢٤ من مارس ١٩٥١** إيفاد وفد من عشرة أشخاص من أعضائها للسفر لبنغازي، والتشاور مع جلالة الملك المعظم حول تشكيل الحكومة الليبية المؤقتة، وقد عاد هذا الوفد مزوّداً بإرشادات جلالته وموافقته حول هذا الموضوع.

لذلك تقرّر **الجمعية الوطنية** ما هو آتٍ:

١- تأليف الحكومة الاتحادية المؤقتة اعتباراً من هذا اليوم ٢١ من جمادى الثانية ١٣٧٠هـ الموافق ٢٩ من مارس سنة ١٩٥١، على أن يكون من صلاحياتها الأولى:

(أ) الاتصال بمندوب الأمم المتحدة بشأن إعداد البرنامج المنصوص عليه في قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة

الصادر بتاريخ ١٧ من نوفمبر ١٩٥٠ بخصوص نقل السلطات إليها من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة في ليبيا.

(ب) تسلّم السلطات من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة في ليبيا تدريجياً بطريقة تضمن نقل جميع السلطات من أيدي الإدارتين الحاليتين قبل أول يناير ١٩٥٢ طبقاً لقرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٧ من نوفمبر ١٩٥٠ على أن تكون ممارسة تلك السلطات من قبلها وفقاً لنصوص الدستور، وبصورة خاصّة فيما يتعلق بتوزيع السلطات بين الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية عند تقرير ذلك من قبل الجمعية الوطنية.

٢- تعيين السادة المدرجة أسماؤهم أدناه بعد أن أخذت موافقتهم في مناصب الدولة على الصورة الآتية:

محمود المنتصر، رئيساً للوزارة ووزيراً للعدل والمعارف.
علي الجربي، وزيراً للخارجية والصحة.
عمر فائق شنيب، وزيراً للدفاع.
منصور بن قدارة، وزيراً للمالية.
إبراهيم بن شعبان، وزيراً للمواصلات.
محمد بن عثمان، وزير دولة.

٣- على سماحة رئيس الجمعية الوطنية تبليغ هذا القرار للجهات المختصّة.

صدر في مقرّ الجمعية الوطنية بطرابلس الغرب يوم الخميس ٢١ من جمادى الثانية سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ٢٩ من مارس ١٩٥١م". [١٦٣]

---

١٦٣ أورد الصيد في مذكراته (ص ٧٠-٧١) أنَّ ممثلي فزان في المجلس الاستشاري وفي لجنة التنسيق احتجوا على وجود وزير وحيد ودون حقيبة عن إقليم فزان. ولعل ما أشار إليه الصيد هو الذي أدّى إلى أن تقوم الجمعية الوطنية بإصدار قرار في ١١ من رجب ١٣٧٠ الموافق ١٧ من إبريل/ نيسان ١٩٥١ بتعديل جزئي في المناصب بحيث أصبح علي الجربي وزيراً للخارجية والعدل، ومحمد بن عثمان الصيد وزيراً للصحة .

وقد وجّه محمود المنتصر، عقب اختياره رئيساً للحكومة المحلية لإقليم طرابلس، بياناً إلى "الشعب الطرابلسي". وهذا نصه:

بيان للشعب الطرابلسي
من رئيس وزرائه محمود المنتصر

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شرّفني جلالة الملك المعظم فاختارني لتشكيل الحكومة الأولى لهذا القطر.

وإنّي حين يوليني عطفه السامي، وثقته الغالية، أدرك عظم المسؤولية التي تواجه الحكومة الجديدة أبّان اضطلاعها بالحكم.



لقد شاء القدر أن تحرم هذه الأمّة من نعمة الحرية والاستقلال زمناً ليس باليسير، وبعد جهادٍ مرير وتضحياتٍ جسيمة قام بها الشعب الليبي، وهبنا الله تعالى هذه النعمة، وشرعنا نسير في طريق الاستقلال، ونزاول سلطاتنا لنصبح عمّا قريب إن شاء الله أمّة ذات سيادة يرفرف علمها فوق ربوع هذه البلاد، وتتربّع في مصاف الأمم الحرة في العالم.

وبناء على رغبة الجمعية التأسيسية، وموافقة جلالة الملك المعظم، انبثقت هذه الحكومة المؤقتة، التي تشكّل جزءاً من المملكة الليبية الاتحادية، لتتولى **استلام السلطات** [١٦٤] من الإدارة البريطانية في طرابلس عملاً بنصوص قراري هيئة الأمم المتحدة المؤرّخين في ٢١ من نوفمبر ١٩٤٩ و١٧ من نوفمبر ١٩٥٠.



إنَّه لا يخفى على أحد أنَّ المراحل التي اجتازتها هذه البلاد لبلوغ الاستقلال كانت شاقة وعسيرة، وأنَّ المحافظة على هذا الاستقلال في المراحل المقبلة ستكون أشقّ وأعسر، وستتطلب جهوداً جبارة، وتضامناً وثيقاً، وإخلاصاً مبروراً، من الحكومة، ومختلف طبقات الشعب، وعليه فإنّنا سنعنى، قبل كل شيء، بتوجيه الوعي القومي الذي أخذ يشمل كافة طبقات الشعب نحو

---

١٦٤ تشكلت لهذه المهمّة لجنة عُرفت بـ"**لجنة التنسيق**" برئاسة أدريان بلت، وقد ضمّت في عضويتها، إلى جانب ممثلي الإدارتين البريطانية والفرنسية، السادة: محمود المنتصر، وسالم شرميط (عن إقليم طرابلس)، ويوسف بن كاطو، وحامد الشويهدي (عن إقليم برقة)، والحاج النور بن طاهر (عن إقليم فزان، وكان يساعده شاب جزائري من موظفي حكومة فزان). وقد أعدّت اللجنة لنقل السلطات من الهيئات المشرفة على الإدارة إلى الحكومة المؤقتة، كما شرعت في إعداد مخططات الإدارة والميزانية. انظر: الصيد، ص ٧٧؛ خدوري، ص ١٨٧-١٨٩.



الإدراك القومـي الصحيح، وتحويل قوى الأفراد المبعثرة في أجواء النزاع الحزبي إلى **قوّة وطنية متماسـكة متجانسة** تعمل لمصلحة الشعب والوطن، وممّا تهدف له هذه الحكومة، وستعمل على تحقيقه، هو وضع الأسس لبناء **الهيكل الحكومي**، وإتمـام مـشروع التلييب حتى يشـمل كافة المصالـح الحكومية، وذلـك بقدر ما تسمح به الكفاءات المطلوبة.

وسـتعمل هـذه الحكومة عـلى **تأمين الحريـات للأفراد والجماعـات** ضمن نطاق القانون، كما ستعمل على حفظ الأمـن والأنظمة والقوانين، باتخاذ التدابير ضدَّ من تسوّل لهم نفوسهم الخروج على قوانين البلاد.

وسـتعنى هـذه الحكومة **بتحسـين الحالة الاقتصادية**، وتوسـيع نطـاق التجارة، وذلك بإعداد مشـاريع طويلة الأمد لإنماء الثروة الزراعية والصناعية، وتوسيع الأعمال العمرانية.



وسـتنصرف هـذه الحكومة إلى معالجة شـؤون اليـد العاملة، لتأمـين العمل لها، وزيادة أجورها، ورفع مسـتواها الصحي، وتحسـين طرق معيشـتها، وسنحقق لهـم التأمـين الاجتماعي ضـدّ البطالة والمـرض، كما أنّنا سـنقضي عـلى **الفوارق الجنسـية والعنصريـة** التـي أوجدتها ظروف شـاذة، لتحـلّ محلها كفـاءة العامل الفردية، وقدرته على العمل.

وسـوف لا تغفـل الحكومـة حالـة **الموظفين** على اختـلاف درجاتهم، فسـتعمل مـا في حيّـز قدرتها على تحسـين حالتهم الاقتصاديـة، وتصنيفهـم تصنيفاً يكفل للكفاءات حقها.

أمّا شؤون **المعارف** فإنَّ هذه الحكومة تعتبرها ذات أهمّية بالغة، وستبذل كل ما في وسـعها لرفع مسـتوى التعليم وتقدمه وانتشاره، وكذلك **شؤون الصحة العامة** فسنوليها كل عناية مستطاعة.

وسـوف لا نألو جهداً في أن تكون سياسـتنا منسـجمة كل الانسجام مع سياسة الحكومتـين البرقاوية والفزانية، كي نضمن الارتبـاط الوثيق بين أجزاء المملكة الليبية المتحدة والسير نحو الأهداف التي سينصّ عليها **دستور الدولة الليبية**[١٦٥]

١٦٥ لم يكن الدستور قد صدر بعد.

ويوجهنا إليها صاحب الجلالة الملك المعظم.

أمّا كلمتنا إلى **الجاليات الأجنبية** فهي أنّها تقطن بلداً عربياً يكرم الضيف ويحترمه، ويتمنى له الهناء ورغد العيش، وسنحافظ على حقوق ومصالح هذه الجاليات ما دامت في حيّز المنافع المشتركة، وضمن نطاق قوانين البلاد ومصلحتها، وعلى هذه الجاليات أن تظل عنصراً مفيداً يساهم في تقدّم البلاد الزراعي والصناعي والعمراني والعلمي، وأن تنصرف عن كل ما من شأنه أن يسيء إلى سيادة هذه البلاد، وإلى العلاقات الطيبة التي تربطنا بحكومات وأقطار هذه الجاليات.

إنَّ اعتمادنا على الله تعالى، وعلى ثقة جلالة الملك الغالية، وعلى تأييد الشعب الكريم، دفعنا إلى الإقدام أنا وزملائي الأفاضل على تحمّل هذه المسئولية الخطيرة الشاقة، وحسبنا أنَّ الأعمال بالنيّات، فعسى أن نوفق لخدمة هذا الشعب بكل وسيلةٍ ممكنة لدينا، ويجب ألا يخفى على مواطنينا الكرام أنَّ تحقيق جميع رغباتهم وأمانيهم يستلزم وقتاً كافياً، وجهداً كبيراً، وجواً ملائماً، ولكنّنا سنحاول إن شاء الله تحقيق ما يمكن تحقيقه إبّان وجودنا في الحكم.

هذه أسس **برنامجنا الرئيسية، وهذه أهدافنا،** التي سنعمل على تحقيقها بعزم وإخلاص ورغبة، يحدونا إليها حبّنا لهذا الوطن المفدّى، وتعلقنا بجلالة مليكنا المعظم.

عاش الملك وعاشت ليبيا.[١٦٦]

١٦٦ تعمّدنا إيراد النصّ الكامل لهذه الوثيقة، والوثيقة التي سبقتها حتى يدرك القارئ مستوى الأداء الرفيع، ودرجة الحرص على الإتقان التي كان يتّسم بها رجال تلك الحقبة المبكرة من تاريخ ليبيا، رغم المحدّدات القاسية التي كانت تحيط بهم.

وضـع الدسـتور

إنَّ المهمة الأساسية التي كانت منوطة بالجمعية الوطنية التأسيسية هي **وضع دسـتور** لدولة ليبيا. وقبل أن نتناول ما قامت به الجمعية في هذا الصدد يحسن أن نعـرض لموقف **المجلس الاستشـاري** (لجنة العشرة) من موضوع الدسـتور، كما يتضـح مـن المقتطفات التالية التـي وردت بمذكرات محمد عثمان الصيد، الذي كان يومذاك أحد أعضاء ذلك المجلس ممثلاً لإقليم فزان.

يقول **محمد عثمان الصيد** في مذكراته:

"كانـت مهمـة **المجلس الاستشـاري** الأساسـية تقديـم النصح لمنـدوب الأمم المتحدة حول الخطوات الواجب اتخاذها لوضع دستورٍ دائم وانتقال السلطة إلى الليبيّين، وبالتالي الوصول إلى الاستقلال قبل نهاية عام ١٩٥١".

"ولكـن المجلـس الاستشـاري انقسـم إلى **ثـلاث كتـل**، **الأولى** تضـم مـصر والباكسـتان وممثـل إقليم طرابلـس. والكتلـة **الثانية** تضم المنـدوب الأمريكي والبريطـاني والفرنسي، **والثالثة** تتكـوَّن من ممثلي فزان وبرقة، وكنا نتفق مع ممثلي الدول الثلاث حول بعض الأمور الأساسـية. أما ممثلا إيطاليا والأقليات، فقد كانا يقفان في أكثر الأحيان على الحياد..".

"كان موقف مناديب مصر وباكستان وطرابلس، بشأن الدستور الذي كلّفت الجمعية التأسيسـية بوضعه، يرمي إلى اعتباره "**مشروع دسـتور**" **وليس دستوراً** دائـماً، وبعد الاسـتقلال يعرض عـلى برلمان منتخب بحجَّـة أنَّ الجمعية الوطنية التأسيسية غير منتخبة".[١٦٧]

ثـمَّ يعـرض **الصيد** لمواقـف طريفة جـرت معه في تلـك الفترة أثنـاء بحث موضوع الدستور في اجتماعات المجلس الاستشاري فيقول:

---

١٦٧ الصيد، ص ٦٩؛ راجع ما أورده خدوري في هذا الصدد، ص ١٧٩-١٨٦.



"وخلال هذه المناقشات والمجادلات التي عرفتها القضية الليبية الدستورية ... اتصل بي **كامل سليم** مندوب مصر في المجلس ودعاني للعشاء .. وخلال ذلك طلب مني السيد كامل سليم أن انضمَّ إلى كتلته في المجلس التي تضمّ إلى جانبه ممثل باكستان وممثل طرابلس، وذلك بتبني موقف هذه الكتلة الذي يقول إنَّ الدستور الذي تضعه الجمعية الدستورية يظل دستوراً مؤقتاً يعرض في المستقبل على مجلس نواب منتخب، بحجَّة تفادي مناورات الفرنسيين والبريطانيين على حدِّ زعمه، **وعرض عليَّ في حالة الانضمام إليهم والتصويت إلى جانبهم، تسليمي مبلغاً من المال، وبعد انتهاء مهمة المجلس وعدني بتخصيص سكنٍ لائق في مصر ومرتَّب دائم لأعيش هناك** ... كما اتصل بي في الاتجاه نفسه مندوب إقليم طرابلس السيد مصطفى ميزران .. بيد أني سايرت هذه الاتصالات لمعرفة نوايا الجميع، وحين طرح القرار على التصويت، وقفت إلى جانب مشروعية تمثيل الجمعية التأسيسية للشعب الليبي، وبالتالي فإنَّ الدستور الذي ستضعه سيكون دستوراً نهائياً.."[١٦٨]

ما أن تجاوزت الجمعية الوطنية التأسيسية هذه "**المناورات**"، وفرغت من مهامها الأساسية التمهيدية التي أشرنا إليها آنفاً (إعلان النظامين الملكي والاتحادي) حتى انطلقت نحو تنفيذ مهمتها الأساسية المتمثلة في وضع **دستور دائم** للبلاد.



قامت الجمعية في الرابع من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥٠ بتعيين لجنة سمِّيت "**لجنة الدستور**" مكوَّنة من (١٨) عضواً[١٦٩] أناطت بها مهمة إعداد مشروع الدستور. ورغبة من هذه الأخيرة في التسريع بعملها قامت بتأليف لجنة فرعية من ستَّة أعضاء (اثنان من كل ولاية) باسم "**جماعة العمل**" لإعداد أجزاء مختلفة من الدستور وتقديمها إلى اللجنة أوَّلاً بأوَّل. وقد عقدت لجنة الدستور أوَّل اجتماع لها في ٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٥١، كما اجتمعت جماعة العمل أوَّل مرَّة في ١١ يناير/ كانون الثاني من العام نفسه.

قامت "**جماعة العمل**" بترجمة دساتير اثنتي عشرة دولة اتحادية، وقامت

---

١٦٨ الصيد، ص ٦٩.
١٦٩ عمل عمر شنيب رئيساً للجنة، وسليمان الجربي سكرتيراً لها. وقدَّم كل من عمر لطفي وعوني الدجاني الاستشارة القانونية للجنة. خدوري، ص ٥١٩.

بدراستها، ثمَّ شرعت في إعداد فصول الدستور الاثني عشر (٢١٣ مادة)، وكلما فرغت من إعداد أحد الفصول أحالته على "**لجنة الدستور**" لمناقشته ولإقراره بشكل مبدئي.

وبعد تمام (٢٥) اجتماعاً عقدتها "**لجنة الدستور**"، و(٩٦) اجتماعاً عقدتها "**جماعة العمل**" كان مشروع الدستور جاهزاً أمام الجمعية الوطنية التأسيسية لمناقشته وإقراره.

وفي العاشر من سبتمبر/ أيلول ١٩٥١ شرعت **الجمعية الوطنية التأسيسية** في مناقشة **مشروع الدستور**، غير أنَّه، نظراً للضغوط المتواصلة التي طفقت تمارسها المعارضة في طرابلس، [١٧٠] وأدَّت إلى عرقلة العمل، انتقلت الجمعية إلى بنغازي في أواخر شهر سبتمبر/ أيلول حتى يتمكن أعضاؤها من دراسة نصوص الدستور في جوٍّ أهدأ. [١٧١] وقد لعب الملك (المقبل) إدريس وأدريان بلت دوراً هاماً في مساعدة الجمعية على تجاوز بعض نقاط الخلاف التي كانت قائمة، وكان أبرزها يتعلق باختيار "**العاصمة**"، حيث استقرَّ الرأي على الأخذ بفكرة العاصمتين للمملكة، وهما: **طرابلس** و**بنغازي**، ولكل منهما مكانة الأخرى نفسها.




استأنفت **الجمعية** اجتماعاتها في **بنغازي** يوم **٢٩** سبتمبر/ أيلول، وما أن حل السابع من أكتوبر/ تشرين الأول حتى كانت الجمعية انتهت من إقرار مشروع الدستور بعد الموافقة على مواده كلها، مادة مادة، ثم صوَّتت بالإجماع على الدستور بكامله، وعهدت إلى رئيس الجمعية ونائبيه بالتوقيع عليه، وإبلاغه إلى الملك، ونشره في الجريدة الرسمية. [١٧٢]

وممَّا هو جدير بالتنويه أنَّه بينما كان أعضاء الجمعية الوطنية التأسيسية يقومون بالتصويت على الدستور، **قام الملك (المقبل) إدريس بزيارةٍ مفاجئة**

---

١٧٠ لمعرفة المزيد عن هذا الأمر، انظر: سامي الحكيم، **هذه ليبيا** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠)، ص ١٥٤-١٥٥؛ وانظر أيضاً: خدوري، ص ١٩٩.

١٧١ دي كاندول، ص ١١٥-١١٦.

١٧٢ خالد خليفة، "ليبيا دولة الدستور"، **مجلة الإنقاذ** (العدد ٣٩، جمادى الآخر ١٤١٢- ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩١). ص ٥٦-٦٢. ولا شك أن مقارنة الأسلوب الحضاري الذي تمَّ به إعداد وإقرار الدستور في عام ١٩٥١ بالطريقة الارتجالية الخرقاء التي أعدَّ بها الإعلان الدستوري الذي أعلنه الانقلابيون في ١١/ ١٢/ ١٩٦٩ لتحزّ بالنفس، وتصيب المرء بأشدِّ الأسى لما آلت إليه أوضاع ليبيا على يد الانقلابيين. راجع فصل "معركة مع الدستور" في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

للجمعيـة لتهنئتها علـى ذلك الإنجاز، وألقـى كلمة قصيرة عبَّر بها عن سـعادته بإصدار الدسـتور، معلناً موافقته على كل ما ورد فيـه، متعهداً باحترامه والعمل على تطبيقه والالتزام بأحكامه.

وقد سـجَّل **أدريان بلت** رأيه في الدسـتور الليبي في مقالةٍ له نشرتها صحيفة "**برقة الجديدة**" بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٩٥٣، إذ قال:

"إنَّ دسـتور ليبيـا قـد توخَّـى تطبيـق الـروح الديمقراطيـة واحـترام الحريات الإنسـانية. وقـد يعترض البعض عليـه بأنَّ فيه مـن المواد ما يلائـم أكثر الدول الديمقراطية تطوراً، وهو لا يصلح للشعب الليبي في مرحلته الحاضرة. إنَّني لا أشـاطرهم هذا الرأي، إذ عندما يحصل شـعب حديث العهد سياسياً على حكم دستوري، فإنَّ الحكمة تقضي بأن نفسح أمامه المجال في الحقل السياسي بدلاً من أن نضيِّق عليه الخناق."[١٧٣]

وقـد وصف الدكتور محمود عزمي، السـياسي والقانوني المصري الأشـهر، الدسـتور الليبـي، عندمـا عُرضـت عليه نسـخة منه أثنـاء اجتماع مجلـس ليبيا في جنيف عام ١٩٥١، بأنَّه "**فوق المستوى السياسي لأيِّ قطر عربي**".[١٧٤]

وقد خصَّصت **الجمعية الوطنية التأسيسية** ما بقـي من الدورة للنظر في **مشروع قانون الانتخابات** الذي تقدَّمت به الحكومة المؤقتة في ٢١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥١، واسـتغرقت الجمعية سـبع اجتماعاتٍ من ١ إلى ٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥١ في مناقشـة مشروع **قانون الانتخـاب** وأقرّته بالإجماع في اجتماعها **الثالث والأربعـين** الـذي انعقد في ٦ نوفمبر/ تشرين الثاني عـام ١٩٥١، وبذلك **انتهت أعـمال الجمعيـة**، ولكنَّها **بقيت في حالـة انعقادٍ** دائم إلى حين إعلان الاسـتقلال، الذي تحدَّد له يوم ٢٤ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥١.[١٧٥]

لقـد أشـاد **أدريان بلت** في تقريـره إلى الجمعية العامة للأمـم المتحدة بجهود الجمعيـة الوطنية التأسيسـية، وعبَّر عـن امتنانه ورضاه عن العمـل الذي قامت به.[١٧٦]

١٧٣ خدوري، ص ٢٠٢.
١٧٤ انظر: البندك، ص ٦٦.
١٧٥ خدوري، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ دي كاندول، ص ١١٦.
١٧٦ أورد الصيـد في مذكراتـه، (ص ٧٦) أنَّ السـيد بلـت اقـترح علـى المجلس الاستشـاري إرسـال برقيـة إلى الجمعية التأسيسـية لتهنئتها على اكتمال عملها بوضع الدسـتور، غير أنَّ هذا الاقتراح لقي معارضة شـديدة من مندوبي مصر وباكستان وطرابلس بحجَّة أنَّه لا يمكن تهنئة الجمعية على إنجازها لأنَّها جمعية لا تمثل الشعب الليبي، وغير منتخبة، كما أنَّ الدستور الذي وضعته هو، برأيهم، مشروع دستور وليس دستوراً نهائياً.

وفي **تقييـم ختامي** لدور الجمعية الوطنية التأسيسـية وعملها يقول الدكتور **خدوري**:

"عندمـا يلقـي المرء نظرة عامَّة على عمل الجمعية الوطنية يسـتطيع أن يرى فيها تجربـة ناجحة، إذ إنَّ النتيجة كانت إعداد **إطار دسـتوري** للدولة الليبية الحديثة النشأة".

"لقد كادت وجهات النظر التي تقدَّمت بها الولايات الثلاث المكوَّنة منها هذه الدولة الحديثة **تتباين حول كل نقطةٍ أساسية**".

"وكانت **الجماعات المخالفة** من الكثرة بحيث لم يكن الجو خالياً من التشـويش، والمنافسات الشخصية".

"وكاد ذلـك أن يعـوق الجمعيـة الوطنية عن العمـل .. ولكن أعضاء الجمعية أظهـروا الكثـير من كبح جماح نفوسـهم في المسـائل التي كانت تثـير الكثير من الشعور المؤلم، فلم يسجَّل احتجاج عضوٍ على آخر، ولم يكن أيّ تذمّرٍ من تطبيق النظام الداخلي..".

"وقـد أدار رئيـس الجمعية (السـيد الشـيخ أبو الأسـعاد العـالم) الاجتماعات بأسـلوبٍ عمـلي منظّـم، وتأثر الجميـع بحنكته ومنزلتـه، فكان ذلـك عاملاً في الاتجاه نحو الاعتدال..".

"وكانت الجمعية على **اسـتعدادٍ لسـماع الانتقاد من الفئات المناوئة، وقبول آراء الخبراء**، وكثيراً ما كان الأعضاء ينقلون إلى القاعة آراء النقاد المناوئة، ويحاولون التأثير على الجمعية الوطنية، خاصَّة فيما يتصل بالعلاقة بين السـلطات الاتحادية وسلطات الولايات وتكوين البرلمان واختيار العاصمة".

"لكـن الجمعيـة الوطنيـة أخذت بعـين الاعتبار أيضـاً آراء الخـبراء، وبخاصَّة مقترحـات منـدوب الأمم المتحدة (أدريـان بلت) وقبلت كثـيراً منها بالرضى. وغالباً ما كان للملك المقبل، مع أنَّه آثر عدم التدخل في مناقشات الجمعية، أثر في توجيه الأمور توجيهاً معتدلاً عند اشتداد الأزمة".[١٧٧]

---

١٧٧ خـدوري، ص ٢٠٤؛ انظـر أيضـاً: السُـبكي، ص ١٩٠، ومـا أوردتـه الكاتبة حـول تقييمها الإيجـابي للكيفية التي أنجزت بها الجمعية الوطنية التأسيسية المهام المنوطة بها.

مهـام عاجلة للحكومة المؤقتة

كما سـلفت الإشارة، جرى تشـكيل **الحكومة الاتحادية المؤقتة** برئاسة **محمود المنتـصر** بموجب قرار أصدرته الجمعية التأسيسـية المؤقتة في التاسـع والعشرين من شـهر مارس/ آذار ١٩٥١. وكان من المهـام المبكرة التي انصرفت إليها تلك الحكومة المشـاركة في "**لجنة التنسيق**" مع الإدارتين البريطانية والفرنسية لإعداد مخططات الإدارة والميزانية، لنقل السـلطات من الهيئـات المشرفة على الإدارة إلى الحكومـة الليبية، كما قامت بإعـداد مشروع "**قانون الانتخابات**" الذي قدمته إلى الجمعية الوطنية في ٢١/ ١٠/ ١٩٥١.

غـير أنَّ **المهمَّـة الأصعب** التي كان على تلك الحكومة أن تواجهها هي كيفية **تدبـير المـوارد الماليـة لتغطية نفقات دولـة الاسـتقلال الوليدة**. فالأقاليـم الثلاثة كانت تعاني من **عجز** في إيراداتها الذاتية، وكانت الإدارتان البريطانية والفرنسية همـا اللتان تتوليـان تغطية ذلك العجـز، وفضلاً عن ذلك كانـت الدولة الوليدة في حاجـةٍ إلى مصروفـاتٍ جديـدة من أجل تسـيير دولابهـا الإداري، ومن أجل الإنفاق على بعـض مشروعات التنمية الحيوية التي كانت البلاد في أمسّ الحاجة إليها.

ماذا كان بمقدور تلك الحكومة أن تفعل؟! نترك لمحمد عثمان الصيد، الذي كان في تلـك الفـترة عضـواً في المجلس الاستشـاري (مجلس العشرة)، ويشـغل في الوقت نفسـه منصـب وزير للصحة في الحكومة المؤقتـة، أن يتحدَّث إلينا عن مصاعب تلك الفترة وتحدّياتها.

يقول **الصيد**:

"وخـلال شـهر ديسـمبر ١٩٥١ عقدنـا، كأعضـاء **للمجلـس الاستشـاري**، اجتماعـاتٍ مطولـة ومهمّـة مـع **الحكومـة المؤقتـة ولجنـة التنسـيق**، وواجهتنـا مشـاكل عويصة، منها على سـبيل المثال **توفير اعتمادات لميزانية الدولة الناشـئة**،

وسـك العملـة وتوفير غطاءٍ مالي لها، إذ لم تكـن في ليبيـا آنذاك أيَّة موارد توفـر الغــطـاء المطلوب.

وفي هذا السـياق ارتأت "**لجنة التنسـيق**" أن تكون العملة الليبية هي **الجنيه**،[178] وتدخـل في نطـاق **منطقـة الإسـترليني**، وتغطى مـن قبل هـذه المنطقـة. بيد أنَّ **الفرنسـيين** عارضوا هذا الاقتراح، وطالبوا أن تدخل فرنسـا في مسألة التغطية. لكن الليبيّين رفضوا الاقتراح الفرنسي الذي كان يقضي بأن تكون العملة الليبية مقسّمة ما بين منطقتي الإسترليني والفرنك. وعقب اجتماعاتٍ مضنية تقرَّر أن تكون العملة الليبية داخل منطقة الإسترليني.

بعـد تجـاوز هذه العقبة، اقترح المندوب الأممي (السـيد أدريـان بلت) أن **يطلب من سكرتير عام الأمم المتحدة تخصيص دعم مالي لميزانية الدولة الجديدة باعتبار أنَّ المنظمـة الدوليـة هي التي قرَّرت اسـتقلال ليبيا، ويقع عـلى عاتقها دعم هذا الاستقلال، ولكن للأسف لم تستجب أيّة دولة في المنظمة لهذا الطلب.**



كانـت الـدول العربيـة المسـتقلة آنذاك سـبع دول وهـي مصر ولبنان وسـوريا والأردن والعـراق والمملكة العربية السـعودية واليمـن، **ولم تكن لأيَّة دولةٍ منها إمكانيات تقديم مساعدة مالية لليبيا.**

نصَّ قرار الأمم المتحدة على تحقيق استقلال ليبيا قبل نهاية عام ١٩٥١، وإذا لم يتم الاسـتقلال تعود القضية بطبيعة الحـال مجدداً إلى الأمـم المتحـدة. وكانت عودة القضية إلى المنظمة الدولية يعني ببسـاطة أنَّ ليبيا سـتفقد قرار الاسـتقلال، لأنَّ أموراً كثيرة تشابكت بين تاريخ اتخاذ القرار وتاريخ تنفيذه.

وإزاء ذلـك قـرَّرت الحكومة المؤقتة برئاسـة محمود المنتصر فتـح **مفاوضات** مع ممثلي فرنسـا وبريطانيا وأمريكا **وهي الدول الثلاث التي كان لها وجود عسكري في ليبيا** دون الوجود الإيطالي.

---

١٧٨ كان في البلاد غداة الاستقلال ثلاث عملات متداولة: "**المال**" وهي عملة أصدرتها الإدارة العسكرية البريطانية في طرابلـس؛ و"**الجنيـه المصري**" وكان متداولاً في برقة، و"**الفرنك الفرنسي** وكان متداولاً في فزان. ورغم صدور قرار توحيـد العملـة في ٢٤/ ٣/ ١٩٥٢ فإنَّه لم يعمل بـه فور صدوره، ولم يعمل به في الولايـات الثلاث في وقت واحد، فبـدأت فـزان بتطبيقه في ١٢/ ٤/ ١٩٥٢، وبرقـة في ٢٥/ ٤/ ١٩٥٢، أمَّا طرابلس فلم تنفـذ القرار إلا في ٢١/ ٦/ ١٩٥٢.

كانت بريطانيا تحتل برقة وطرابلس، وفرنسا تحتل فزان، في حين منحت بريطانيا قاعدة عسكرية للأمريكيين هي مطار الملاحة في ضواحي طرابلس وكان في السابق مطاراً عسكرياً للإيطاليين قبل هزيمتهم من طرف الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

فكرنا في الحكومة المؤقتة، في **كيفية التعامل مع هذا الوجود العسكري**، لأنَّه بعد الاستقلال لا بدَّ من تكييفٍ قانوني للوجود الأجنبي، وإذا ما تقرَّر استمراره يجب أن يكون ذلك برضى الليبيين، ولكن بالمقابل **تحتاج ليبيا إلى المال**، فتقرَّر بالاتفاق مع المندوب الأممي (أدريان بلت)، بعد اليأس من الحصول على المساعدات المالية من الأمم المتحدة أو من أيَّة دولة عربية، توقيع **اتفاقياتٍ عسكرية** مع بريطانيا[١٧٩] وفرنسا[١٨٠] وأمريكا[١٨١]، على أن تكون اتفاقيات **مؤقتة** لا تتجاوز مدة صلاحيتها ستة أشهر أو سنة على أكثر تقدير، **وبعد إعلان الاستقلال يعاد النظر في الاتفاقيات، إمَّا بالإلغاء وإما بالتمديد**. وبناءً على هذه الاتفاقيات تقدِّم كل من بريطانيا وأمريكا مساعداتٍ مالية لتغطية عجز الميزانية العامَّة، على حين تقدِّم فرنسا مساعدة مالية لتغطية عجز ميزانية ولاية فزان. وبالفعل أقرَّ هذا الاتفاق".

ويواصل **الصيد** توضيح ما قامت به الحكومة الاتحادية المؤقتة، برئاسة محمود المنتصر، لمواجهة عجز موارد الدولة الليبية الوليدة قائلاً:

"بموازاةٍ مع ذلك، وباقتراحٍ من أدريان بلت مندوب الأمم المتحدة في ليبيا، تقرَّر توقيع **اتفاقيات مع جميع المنظمات التابعة للأمم المتحدة**[١٨٢] وهي منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الفاو ومنظمة اليونيسف ومنظمة العمل الدولية، وذلك قبل إعلان الاستقلال، حتى تعد هذه الاتفاقيات بمثابة التزام عملي وواقعي بالاستقلال.

كما تمَّ توقيع اتفاقية مع المنظمة الأمريكية التي كانت تسمَّى (**النقطة الرابعة للمساعدات الدولية**).

---

١٧٩ وقعت الاتفاقية مع بريطانيا في ١٣/ ١٢/ ١٩٥١.

١٨٠ وقعت الاتفاقية مع فرنسا في ١٤/ ١٢/ ١٩٥١.

١٨١ وقعت الاتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية قبيل إعلان الاستقلال يوم ٢٤/ ١٢/ ١٩٥١.

١٨٢ كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد وافقت بالإجماع في ١٦/ ١١/ ١٩٥٠ على تقديم المساعدة الفنية لليبيا بعد تحقيق استقلالها. انظر: السبكي، ص ١٤٣-١٤٤.



أتذكر الآن أنَّنا عملنا طوال ثلاثة أيام بلياليها وبدون انقطاع، لإنجاز كل ذلك، وفي ليلة ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ وهي ليلة إعلان الاستقلال تمَّ التوقيع على جميع هذه الاتفاقيات".[١٨٣]

وإلى جانب هذه **المهام الإدارية والمالية** الصعبة التي واجهتها الحكومة الاتحادية المؤقتة شهدت تلك الحقبة تجدّد واستمرار **المظاهرات الاحتجاجية في** منطقة طرابلس ضدَّ الجمعية الوطنية، والحكومة المؤقتة، والنظام الاتحادي، كما شهدت تأسيس "**جمعية اليد السوداء**" السرية، وتم إلقاء **قنبلة يدوية** على موكب الملك إدريس عند دخوله مدينة طرابلس يوم ١٩ من مايو ١٩٥١، كما ألقيت القنابل، وأطلق الرصاص على بعض البريطانيين، والعديد من الشخصيات الليبية. وأدَّت تلك الحوادث بالطبع إلى القبض على أعدادٍ من المشتبه فيهم.[١٨٤]

وأيّاً ما كان من شأن تلك **المهام والتحديات**، والكيفية التي عالجتها بها الحكومة الاتحادية المؤقتة، فإنَّها لم تحل دون اقتراب حلول يوم إعلان الاستقلال الذي تحدَّد في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٥١. وقبل يوم واحد من ذلك الموعد وقع المقيم البريطاني في برقة، دي كاندول،[١٨٥] على آخر البيانات الرسمية الصادرة عن الإدارة البريطانية في البلاد، بحيث انتقلت إلى الملك إدريس سائر السلطات التي كان المقيم البريطاني قد احتفظ بها من قبل.[١٨٦]

إعلان الاستقلال

في يوم **٢٤ من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥١**، وبحضور عددٍ من الضيوف والدبلوماسيين المدعوين، في مقدّمتهم أدريان بلت، ورئيس وأعضاء الحكومة الاتحادية المؤقتة، ولفيف من كبار أعيان البلاد، وقف الملك إدريس معلناً من شرفة قصر المنار في بنغازي، ووسط تهليل وتكبير الجموع الحاشدة، استقلال

١٨٣ الصيد، ص ٧٧-٧٨.
١٨٤ حكيم، المصدر نفسه، ص ١٥٤-١٥٧.
١٨٥ كان المعتمد البريطاني في طرابلس (المستر بلاكلي) قد أصدر منشوراً خاصّاً بنقل السلطات في طرابلس إلى الحكومة الاتحادية المؤقتة في ١٥/ ١٢/ ١٩٥١. كما أصدر المقيم الفرنسي في فزان (كوناي) أربعة إعلانات لانتقال السلطة إلى الحكومة الاتحادية المؤقتة، كان آخرها بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ١٩٥١.
١٨٦ دي كاندول، ص ١١٦-١١٧؛ السبكي، ص ١٩٢-١٩٣.

ليبيا، وقيام دولتها الحديثة التي ستعرف باسم "**المملكة الليبية المتحدة**". وألقى كلمة تاريخية جاء فيها:

"يسرّنا أن نعلن للأمَّة الليبية الكريمة أنَّه **نتيجة لجهادها**، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩، قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة، وإنَّنا لنبتهل إلى المولى عزَّ وجل بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه، ونوجّه إلى الأمَّة الليبية أخلص التهاني بمناسبة هذا الحدث التاريخي السعيد. ونعلن رسمياً أنَّ ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً، نزولاً على قرار الجمعية الوطنية الليبية الصادر في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٠، لقب صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة.

ونشعر أيضاً بأعظم الاغتباط لبداية العمل منذ الآن **بدستور البلاد** كما وضعته وأصدرته الجمعية الوطنية في ٦ من محرّم سنة ١٣٧١ هجرية الموافق ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥١ ميلادية، وإنَّه لمن أعزّ أمانينا، كما تعرفون، أن تحيا البلاد **حياة دستورية صحيحة**، وسنمارس من اليوم سلطاتنا **وفقاً لأحكام هذا الدستور**.



ونحن نعاهد الله والوطن، في هذه **الفترة الخطيرة** التي تجتازها البلاد، أن نبذل كل جهدٍ بما يعود بالمصلحة والرفاهية لشعبنا الكريم، حتى تتحقق أهدافنا السياسية، وتتبوأ بلادنا العزيزة المكان اللائق بها بين الأمم الحرة.

وعلينا جميعاً أن **نحتفظ بما اكتسبناه بثمن غال، وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة. وإنَّنا في هذه الساعة المباركة نذكر أبطالنا**، ونستمطر شآبيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار، ونحيي العلم المقدَّس رمز الجهاد والاتحاد وتراث الأجداد، راجين أن يكون العهد الجديد الذي يبدأ اليوم عهد خير وسلام للبلاد، ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد، إنَّه خير معين".

ينقل إلينا الأستاذ **البندك** انطباعاته عن ذلك اليوم المشهود فيقول:

"من الصور التي لن تزول من ذهني، صورة ذلك الصبح التاريخي الذي أعلن فيه رسمياً استقلال ليبيا في بنغازي عاصمة الجهاد ومعقل السنوسي الذي

خضّبته الدماء، وخصبت فيه الذكريات.."."

"وأعود إلى السنوسي في صبيحة ذلك اليوم. فقد وقف على شرفة قصر المنار، والحجرة المؤدّية للشرفة غاصّة بالشخصيات الليبية والدولية، من دبلوماسية وغيرها، والساحة التي تطل عليها الشرفة بجموع تموج بها العاطفة، تلتمع فيها دموع الانتصار على مضاضة الذل الذي زال إلى غير رجعة. وفي غمرة الأطفال الحفاة، بثيابهم الممزقة وعيونهم المقروحة وجسومهم الناحلة، كانت تشرق الحرية المنتصرة انتصار السابح الذي أنهكته مغالبة الأمواج، وكاد أن ينتهي إلى الغرق، لولا روح به نزّاعة إلى الحياة، وإرادة أبت أن تستكين! وقد كان السنوسي هو الروح وهو الإرادة! في تلك اللحظة شعرت، والدمع يترقرق من عينيّ، بأن الشعب الليبي قد حقق روحه وعاد إلى التاريخ.

ولم أستطع أن أكبح جماح نفسي، فمضيت إلى الشرفة، وهنّأت الملك إدريس، وأحسست في حرارة يده استسلاماً لحكمة الله، فكأنّما شعر الملك إدريس بأنّه قد جاوز قمة الألم، وقمم الألم هي المجد الحقيقي الذي يصبح الألم معه ذكرى تنحدر مع الأيام، ويبقى الذي صعد إلى تلك القمة، وحيداً أقرب إلى السماء منه إلى الأرض. وفي لحظة الانتصار تكون المتعة بمقدار الألم الذي حقق النصر. وردّ السنوسي على تهنئتي بصوتٍ خافت ترتجف فيه آمال جيل معذّب. ورأيت في عينيه ورعاً ذائباً يكاد أن يتساقط قطرات ... ولم أرَ فيه زهواً، ولا نشوة بالعرش، ولا استعلاء على الناس، وإنّما رأيت إنساناً قد تجرّد في زهده من الزمن نفسه، لأنَّ قلبه كان متصلاً بالله، وبدا في لحظةٍ كأنَّه غريب يحتمل فرحه العميق بهذا اليوم الزاهي، كما يحتمل الأمل الجميل. فكأنّه في زهده يرى من الإثم أن يَنْحَل الإنسان نفسه الفضل في نصر هو من عند الله".[١٨٧]

ويقول الأستاذ **إبراهيم عبد العزيز صهد** عن يوم الاستقلال:

"في حياة كل أمّة من الأمم تبرز أيام مخصوصة تتميّز عن غيرها من الأيام بما يقع فيها من أحداثٍ عظيمة، وبما تشهده من إنجازات فريدة .. وتحفل الأمم لهذه الأيام وتحتفل بها .. تخلدها وتفرد لها موقعاً متميّزاً .. وتبقيها دائماً

---

١٨٧ البندك، ص ٥٩-٦١.

منـبراً تطـل منه الأجيال على تاريخ الأمّة مسـتذكرة تجاربه وعبره .... وفي حياة الشـعب الليبي يبرز يـوم الرابع والعشرين من ديسـمبر ١٩٥١ على أنّه يوم من أيـام التاريـخ الخالدة، بل **إنّه يوم التاريخ دون منـازع** .. فهو اليوم الذي توّجت فيـه البلاد كفاحهـا ونضالها الطويل المريـر من أجل الحرّية .. وهـو اليوم الذي نالت فيه ليبيا استقلالاً انتزعته بجدارةٍ واستحقاق .. وهو اليوم الذي تأسّست فيه دولة ليبيا الحديثة .. وهو اليوم الذي تحققت فيه – للمرّة الأولى– وحدة ليبيا بأقاليمها الثلاثة تحت حكومةٍ وطنيةٍ واحدة .. وهو اليوم الذي كان فجره إيذاناً ببداية مرحلة جديدة يتسلم فيها أبناء ليبيا مصير بلادهم". [١٨٨]

ويتحدّث الأسـتاذ **عبد الحميد البكوش** رئيس وزراء ليبيا الأسـبق عن يوم الاستقلال فيقول:

"وخصوصية شـهر كانون الأول بالنسـبة لشعب ليبيا أنَّ يومه الرابع والعشرين قد شـهد ميـلاد دولتهم الحديثة في ١٩٥١، إذ بقيت البـلاد عبر تاريخها الطويل تابعـة لحكـم يديرها من خـارج حدودها، تبادلـه الإغريق والرومـان، فالدولة الإسـلامية العربيـة، ثمّ الدولة الإسـلامية العثمانيـة، ومن بعدهـا الإيطاليون، فحلفـاء الحرب العالمية الثانيـة. ولم تنفرد ليبيا بنفسـها إلا لفترات زمنية قصيرة لعـل أبرزها حكم الأسرة القره مانلية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وهي فترة لا يمكن وصفها بالاستقلال على أيّ حال".

"**وعليـه فلـم تظهر لليبيا دولة إلا في ذلك اليوم المشـهود من أيـام كانون الأول**، عندمـا أذاع المرحـوم الملـك محمـد إدريس السـنوسي أول إعلان للاسـتقلال، وذلك بعد كفاح مسـلح خاضه الشـعب الليبي ضدّ جيـوش إيطاليا الغازية ما بـين ١٩١١ و١٩٤٣، وهو العام الذي اسـتولت فيه جيـوش الحلفاء البريطانية والفرنسـية عـلى البلاد، قام في إثـره كفاح سـياسيّ نشـط أدّى إلى ولادة الدولة الليبية..".

".. إنَّ **الملـك إدريس** لم يرث عرشـاً، وإنّما كان مؤسّـس دولـة، وهو لم يقفز إلى السـلطة عن طريق الانقلاب، بل إنّه سـليل أسرة صاحبة دعوة ومنهج حارب

١٨٨ إبراهيم عبد العزيز صهد: "المعركة الدبلوماسية .. صراع من أجل الحرية والوحدة والسيادة" مجلة **الإنقاذ** (عدد ٣٩ خاص بذكرى الأربعين لاستقلال ليبيا، ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩١).



أعضاؤها وأتباعها فوق ظهور الخيل ضدّ الاستعمار الأوروبي في تشاد والنيجر والسودان، وما زال لهم في تلك البلاد مريدون، وحارب محمد إدريس الغزو الإيطالي لليبيا أكثر من ثلاثين عاماً على صهوة جواد..".

"والسنوسي زعيم بايعه الليبيّون ثلاث **بيعات مكتوبة ومحفوظة** ... وهكذا يبرّر التاريخ شرعية محمد إدريس السنوسي كملك مؤسّس حفلت حياته بالجهاد".[189]

كما وردت في حق يوم الاستقلال عدّة إشارات على لسان عدد من المشاركين في أعمال **المؤتمر** الذي نظمه **مركز الدراسات الليبية** (أكسفورد) بمناسبة الذكرى **الخمسين** لاستقلال ليبيا بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ببريطانيا يوم ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٢، وقد افتتح مدير المركز الأستاذ **يوسف المجريسي** المؤتمر قائلاً:





".. حقيقٌ علينا أن نحيّي هذه الذكرى العطرة، وفاءً لضحايا الغزو الإيطالي، وإجلالاً للجهاد الليبي وقادته، وعلى رأسهم السيد محمد إدريس السنوسي.

إنَّ الذين جاهدوا الاحتلال الإيطالي ثمّ أتمّوا نضالهم السياسي أثناء حكم الإدارة العسكرية البريطانية هم الذين صنعوا الاستقلال. **فمن سخر من الاستقلال واستخف به استهزأ بجهاد شعبنا، وحط من تاريخ بلادنا. فما كان استقلالنا زائفاً ولا ناقصاً ولكن استقلالاً حقيقياً لا شبهة فيه ولا مغمز.**

إنَّ ملحمة الاستقلال قد كتبت في الرابع والعشرين من ديسمبر عام واحد وخمسين، وليس كما يدّعي المبطلون يوم اغتصابهم للسلطة، فالأمم لا تتحرّر من الاستعمار، ولا تنال استقلالها، بالسيطرة على إذاعاتها وبث البيانات منها، وإنّما يحرّر الأوطان شعوبها وأبطالها المعروفون، لا حفنة مغمورة من العسكر".

"**لا أستطيع أن أتحدّث عن استقلال ليبيا وأغفل الملك إدريس رحمه الله**. فلا بدّ لي أن أقف اليوم أجادل عنه. لقد عرفت ليبيا إدريس **مجاهداً** أكثر ممّا عرفته **ملكاً**، وقاد الجهاد رحمه الله قرابة أربعين عاماً، فمن ارتاب في صدق جهاده وإخلاص

١٨٩ عبد الحميد البكوش، "ليبيا بين أمسها ويومها، أو الكيفيّة التي يتجلى فيها تاريخ مرّ ومرير"، **الحياة** (٢٧/ ١٢/ ١٩٩٧).

بلائه، فقد أهان آلاف الشهداء الذين رضوا بإمرته، وقاتلوا تحت رايته، وعلى رأسهم شيخ الشهداء **عمر المختار** رحمه الله.

فالحق الذي لا مراء فيه أنّ اسمه **اقترن باستقلال ليبيا، فهو والاستقلال صنوان،** وارتبط اسمه كذلك بالجهاد الليبي، فقد هاجر، رحمه الله، من بعد ما فُتن، وقاتل الغزاة، وأعدّ لهم ما استطاع من قوّة، وقاد الجهاد حتى أنعم الله عليه وعلينا بالاستقلال".

ومما جاء في كلمة الأستاذ **محمد إحداش** التي ألقيت في المؤتمر بعنوان "ملاحظات شرعية وقانونية على الاستقلال:

".. جاء الاستقلال بعد جهاد مرير دام أربعين سنة، ورافق الاستقلال صعوبات ومشاكل داخلية حادّة ومؤامرات خارجية ماكرة، فلم يكن لقمة سائغة، ولا شيئاً سهلاً، ولا مشروعاً وهمياً، ولا أمجاداً زائفة، ولا بطولات ورقية..".




".. يحسن أن ينصبّ اهتمامنا بالاستقلال بوصفه حدثاً تاريخياً مهمّاً في ليبيا، له آثاره السياسية والثقافية والاجتماعية في بلادنا، وكذلك باعتباره معنًى ورمزاً تاريخياً تجسّدت فيه آمال الشعب، وأثمرت فيه معارك الجهاد الطويلة الشاقة، وانقضت فيه حقبة الاستعمار، وتحققت لليبيا فيه دولة، بعد أن كان يصفها جلادها الفاشل موسوليني، معللاً هزيمته ومسوّغاً وحشيته، بأنّها مجرّد صندوق من الرمال."

"كان **الاستقلال السياسي هدفاً وطنياً سامياً، ومقدّمة ضرورية لبناء الدولة الحديثة، لذلك توحّد لتحقيقه جميع أبناء الشعب، الذي أرهقته الاختلافات والفتن كما أرهقه الاحتلال الإيطالي**".

كان ذلك اليوم، بالمعايير كلها، يوماً تاريخياً مشهوداً .. وبه بدأت مسيرة دولة الاستقلال.






نسخة إلكترونية











الفصل الرابع

ليـبـيا عـشـيَّة الاسـتقلال




نسخة إلكترونية





مباحث الفصل الرابع







❊ عن الموقع والسكان

❊ ميراث العهود الماضية




نسخة إلكترونية



عن الموقع والسكان

تتوسَّط ليبيا ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي كما تتوسَّط العالم العربي الأفريقي. وهي تملك جبهة بحرية مترامية تمتدّ نحو (١٩٠٠) كلم، وتعدّ بذلك الدولة **صاحبة أطول ساحل على الشاطئ الجنوبي من البحر الأبيض المتوسط**. وتبلغ مساحة ليبيا نحو ١,٧٥٩,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً ويمكن القول إنَّ ليبيا يمكن أن تستوعب داخل حدودها رقعة فرنسا والجزر البريطانية وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال مجتمعة. كما تعادل ربع مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، ممَّا يجعل منها رابع **أكبر دولة في إفريقيا**.

وتبلغ حدود ليبيا مع مصر	١٠٩٤	كلم
ومع السودان	٤٠٠	كلم
ومع تشاد	١٠٩٠	كلم
ومع النيجر	١٥٠	كلم
ومع الجزائر	١٢٠٠	كلم
ومع تونس	٥٠٠	كلم

ورغم هذه المساحة الشاسعة والساحل والحدود الممتدة المترامية فإنَّ **عدد سكان ليبيا** عندما نالت استقلالها عام ١٩٥١ لم يكد يتجاوز مليون نسمة إلا بقليل، ومعنى ذلك أنَّ **القوة البشرية** لم تكن **ضئيلة** فحسب ولكنَّها **منتشرة** على رقعةٍ جغرافية وسياسية شاسعة.[١] ولم يكن يقطن **ولاية برقة**، التي كانت أكبر الولايات الثلاث مساحة، سوى ٢٧٪ من السكان، أمّا **ولاية طرابلس** التي لم تكن مساحتها تزيد على ثلث مساحة برقة فكان يقطنها نحو ٦٨٪ من مجموع سكان ليبيا، أمَّا **ولاية فزان** فكانت مساحتها تشكل ١/٣ مساحة ليبيا، ولم يكن عدد سكانها يزيد عن ٥٪ من إجمالي عدد السكان.[٢]

---

١ حمدان، ص ٨٢-١٠٤. ويعلق المؤلف على هذه الحقيقة بقوله: "وفي هذه الحقيقة تكمن نقطة الضعف الأساسية والتقليدية في كيان ليبيا الجيوبولوتيكي".

٢ Ronald Bruce St. John, *Gaddafi' s World Design, Libyan Foreign Policy 1969 -1987* London: Saqi Books, 1987), p. 12).

وقـد أظهر **التعداد السـكاني** الذي أجري في عام ١٩٥٤ [٣] بمسـاعدة الأمم المتحدة أنَّ إجمالي سـكان **ليبيا** بلغ ١,٠٨٨,٨٨٩ نسـمة، أي أنَّ متوسط الكثافة السكانية للميل الواحد لم يتجاوز (١,٦) شخصاً.

كان يعيش من هؤلاء السكان في **ولاية طرابلس** نحو (٧٣٨,٣٣٨) نسمة، يقطن منهم في مدينة طرابلس وحدها نحو (١٢٩,٧٢٩) نسـمة. وبلغ متوسط الكثافة السكانية في **ولاية طرابلس** نحو (٦,٧) شخصاً للميل الواحد.

كما كان يعيش من هؤلاء السـكان في **ولاية برقة** نحو (٢٩١,٢٣٦) نسمة، يقطـن منهم في **مدينـة بنغازي** وحدها نحو (٦٩,٧١٨) نسـمة. وبلغ متوسـط الكثافة السكانية في الولاية (٠,٨) شخصاً للميل الواحد.

أمَّا **ولاية فزان** فكان يقطنها نحو (٥٩,٣١٥) نسمة. وبلغ متوسط الكثافة السكانية في الولاية (٠,٢) شخصاً للميل الواحد.

وأظهر تعداد عام ١٩٥٤أن:

- ٦٥ ٪ من السكان **مستقرون** (سكان المدن والأرياف).
- ٢٠ ٪ منهم **شبه رحَّل**.
- ١٥ ٪ منهم **رحَّل**.

كما أظهر التعداد ذاته أيضاً:

- ما بين ٢٥٪–٣٠٪ يعيشون في **المدن**.
- ما بين ٤٠٪–٤٥٪ يعيشون في **المناطق الريفية**.
- الباقي نحو ٣٥٪ هم **رُحَّل أو شبه رُحَّل**.

أمَّـا فيما يتعلق بتوزيع السـكان **الرُحَّل وشـبه الرُحَّل** بـين الولايات الثلاث فقد أظهر التعداد أنَّ هؤلاء كانوا يشكلون:

- نحو ٤٥٪ من إجمالي السكان في ولاية **برقة**.
- نحو ٣٪ من إجمالي السكان في ولاية **فزان**.
- نحو ٨٪ من إجمالي السكان في ولاية **طرابلس**.

---

٣ بدأ التعداد بتاريخ ٣١/ ٧/ ١٩٥٤.

أمَّا من **الناحية العرقية** فينحدر سكان ليبيا المعاصرة من مزيج من الأعراق والسلالات (البربر[٤] والعرب والزنوج والأتراك) التي امتزجت وتصاهرت عبر التاريخ في ظل الإسلام وبتأثير تعاليمه الجامعة التي تنفِّر من التعصب القبلي أو العنصري.

ويشكل **المزيج العربي/ البربري** (الأمازيغي) نحو ٩٧٪ من سكان ليبيا، ويتكلم هؤلاء اللغة العربية ويدينون جميعهم بالإسلام وينتمون إلى المذهب المالكي. أمَّا **البربر** (الأمازيغ) **الخالصون**[٥] فيكاد يبلغ تعدادهم يومذاك نحو (٤٠,٠٠٠) نسمة يشكلون نصف سكان جبل نفوسة (شمال غرب ليبيا)، ويتكلمون بالإضافة إلى العربية لغة خاصَّة بهم، وينتمون إلى المذهب الإباضي (السنّي).

أمَّا الليبيون الذين ينحدرون من **أصل زنجي** فيقدَّر عددهم بنحو (٣٥,٠٠٠) نسمة وهم يتكلمون العربية. ويقيم نحو (٢٠) ألف من هؤلاء في ولاية طرابلس، وينتشر الباقون ما بين مجموعة الواحات الموجودة في ولايتي فزان وبرقة. وبالإضافة إلى هؤلاء يوجد في ليبيا نحو (٧٠٠٠) ليبي ينتمون إلى قبائل **الطوارق**، ونحو (١٢٠٠) ليبي ينتمون إلى قبائل (**التيبو**) ولهؤلاء لغتهم الخاصة وينتشرون في عددٍ من الواحات والقرى والمدن الليبية التي تقع في جنوب ليبيا وعلى حدودها مع الجزائر والنيجر وتشاد والسودان. ويدين جميعهم بالإسلام.

وبلغ تعداد **الأقلية اليهودية**[٦] غداة الاستقلال نحو (٧٠٠٠) نسمة، وفيما يرجع وجود بعض اليهود في ليبيا إلى **هجرةٍ قديمة** منذ العهد البطليمي في مصر، فإنّ وجود أغلبهم يرجع إلى هجرات أعدادٍ منهم هربت من البرتغال (في عام ١٣٩١) ومن أسبانيا (في عام ١٤٩٢) بسبب ما تعرّضوا له من بطش وتنكيل في ذينك البلدين، كما قدمت أعداد أخرى منهم إلى ليبيا مع الأتراك في القرن الثامن عشر من **البلقان وأرمينيا**. وقد بلغ عدد اليهود في ليبيا قبيل الحرب العالمية الثانية

---

٤ إبراهيم أحمد رزقانة، **جغرافية الوطن العربي: المملكة الليبية**، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤)، ف ٩، ص ٢٦٨-٢٩٧.

٥ يذهب بعض المؤلفين إلى أنَّ البربر هم أيضاً سلالة قديمة هاجرت إلى ليبيا من جنوب شبه جزيرة العرب. رزقانة، المصدر نفسه، ص ٢٦٩-٢٧١.

٦ راجع ما ورد في فصل "البعد الثالث" بالجزء الثالث من هذا الكتاب.



نحـو (٣٠,٠٠٠) كان أغلبهـم يقيمون في طرابلس، غـير أنَّ هذا العدد تناقص كثـيراً وسريعـاً بسـبب هجرتهم إلى **إسرائيـل** فلم يبـقَ منهم إلا نحـو (٧٠٠٠) يهودي، لا يوجد منهم في برقة سـوى (٢٠٠) شخص. ولم يحتفظ اليهود بلغتهم الخاصـة فكانوا يتكلمـون العربية، غير أنَّهم احتفظوا بشـخصيتهم الدينية وكان معظمهم يعيش في أحياء خاصة بهم ويسيطرون على التجارة.

كـما قدِّر تعـداد **الأقلية الإيطاليـة** في ليبيا في الحقبة نفسـها بنحو (٤٠) ألف نسـمة، منهم في برقة نحو (٢٦٠) شـخصاً فقط وبقيّتهم في طرابلس (كان عدد الطليـان في ليبيـا في عـام ١٩٤١ نحـو (١٢٠) ألفاً منهم (٨٠) ألفـاً في طرابلس وبقيتهم في برقة)، وعلى حين كان الإيطاليون الباقون في برقة يعملون كموظفين لدى الحكومة الليبية أو في المنشآت الدينية والتعليمية الإيطالية فإنَّ نظراءهم في طرابلـس كانوا يؤلفون نسـبة عالية بين أصحاب المهـن والحرف والعمال الفنّيين والمشتغلين بالتجارة والزراعة.

وبالإضافـة إلى الأقليـة الإيطاليـة، فقـد كان هنـاك أقليَّتـان أخريـان مـن الأوروبيـين هما **المالطيون** حوالي(٢,٠٠٠) نسـمة، **واليونانيـون** حوالي (٥٠٠) شخص، ومعظم هؤلاء سكان مدن وموانئ يحترفون التجارة وأعمال السفن.[٧]

---

٧ رزقانة، المصدر نفسه، ص ٢٧٦-٢٨٢.

ميراث العهود الماضية

كان استقلال ليبيا الذي أعلنه الملك إدريس في الرابع والعشرين من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥١ **استقلالاً حقيقياً لا صورياً ولا مزيّفاً**، حتى إن شابهُ بعض أوجه القصور والتشويه الخَلقي، ككل ولادةٍ عسيرةٍ معقّدة.

ورغم أهمية الدور الذي لعبته **هيئة الأمم المتحدة** بشأن إخراج ذلك الاستقلال إلى حيّز الوجود، فإنَّه **لم يكن منَّة أو هبة أو عطاءً منها أو من أيَّة جهةٍ أخرى**.

لقد خاض الليبيون من أجل نيله **معركتين**:

الأولى .. معركة جهاد ومقاومة

والثانية .. معركة سياسة وديبلوماسية.

وقد قدَّم الليبيّون خلال كل معركةٍ منهما، رغم المحدّدات الذاتية والإقليمية والدولية، أروع وأغلى ما يمكن أن يقدّمه شعب من أجل حريته واستقلاله. قدّموا في **الأولى** .. المهج والأرواح والأنفس، ويكفي أنَّهم استطاعوا أن يفاجئوا المحتل الإيطالي، وأن يعرقلوا محاولة سيطرته على كامل البلاد الليبية ما يربو عن عشرين عاماً كبَّدوه خلالها الكثير من الخسائر البشرية والمادية والهزائم العسكرية.[٨]

كما أظهروا في **المعركة الثانية** من ضروب الحكمة والحنكة والمثابرة والإصرار[٩] ما مكّنهم من نيل ذلك الاستقلال في وقتٍ كانت فيه معظم الدول العربية والأفريقية ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار الأوروبي.[١٠]

وخلال **المعركة الأولى**، لعبت الحركة السنوسية، قيادة وشيوخاً وزوايا،

٨ راجع الفصل الثاني "مقاومة وملحمة جهاد خالدة" في هذا المجلد.

٩ راجع الفصل الثالث "على طريق الاستقلال .. المخاض العسير" في هذا المجلد.

١٠ لم يكن قد استقل يومذاك من دول القارة الإفريقية سوى مصر والحبشة وليبيريا وجنوب إفريقيا. أمّا الدول العربية فلم ينل الاستقلال منها سوى لبنان وسوريا والعراق والسعودية والأردن بالإضافة إلى مصر واليمن.



الـدور الأسـاسي، ولاسـيما في إقليميْ برقة وفـزان. وفي إقليـم طرابلس والجبل الغـربي، برزت عدّة قيادات وزعامات محلية ووطنية حملت لواء الجهاد والمقاومة ضدَّ الغزاة الطليان.[١١]

أمَّا **المعركة الثانية** فقد خاضها رجالات ليبيا وزعماؤها، كان أبرزهم الأمير إدريس السـنوسي ابن الحركة السنوسية وخليفتها، كما ظهر إلى جانبه خلال هذه الحقبـة عدد مـن الزعماء مـن مختلف أقاليـم ليبيا، كان من أبرزهم السـيد بشـير السعداوي (طرابلس)، والشيخ أحمد سيف النصر (فزان).[١٢]

غير أنَّ مسيرة الليبيّين والزعامات الليبية خلال **مرحلة الجهاد والمقاومة** بقدر ما حفلت بالعديد من صور البطولات العظيمة التي قدَّمها الشـعب الليبي أثناء تصدّيـه للاسـتعمار الإيطالي وجحافله، فإنَّها حفلت أيضـاً بالكثير من **الحزازات والخصومات والمشـاحنات** بـين مختلف الزعامات المحلية، بـل **بالاقتتال والنزاع المسـلح والحـروب الأهلية** بين عـددٍ من القبائـل والمناطق، فضـلاً عن **حركات التواطؤ** مع الغزاة الطليان. ولم تنحصر هذه السلبيات في حدود الإقليم الواحد، بل تجاوزتها أحياناً لتشمل أكثر من إقليم.[١٣] ولا يوجد شك في أنَّ بعض مشاهد ووقائع ومفردات هذه السـلبيات كانت على درجةٍ من الشـناعة والعنف بحيث تركت ندوباً غائرة حفِرت في ذاكرة معاصريها والمشاركين فيها، بل الأجيال التي لحقت بهم. ولا شك أنَّها لوَّنت علاقات هذه الأطراف المتشاحنة أو المتقاتلة على امتداد عقودٍ تالية، حتى بعد هزيمة إيطاليا وقيام دولة الاستقلال.

كما شـهدت بـلاد **المنفى** التي لجـأ إليهـا الليبيّون، مصر خاصـة، صوراً من الخـلاف، ولاسـيما بـين الزعـماء البرقاويـين والطرابلسـيين حول تأسـيس نواة جيـش من الليبيّين عـام ١٩٤٠ يقاتل إلى جانب قوات الحلفاء في مواجهة قوات المحور.[١٤]

كذلـك فلا يخفى، كما مـرَّ بنا، أنَّ **حقبة الإدارة البريطانية والفرنسـية** في ليبيا (منـذ بدايـات عـام ١٩٤٣ حتـى نيل الاسـتقلال) شـهدت هي الأخـرى بروز

---

١١ راجع الفصل الثاني "مقاومة وملحمة جهاد خالدة" في هذا المجلد.
١٢ راجع الفصل الثالث "على طريق الاستقلال .. المخاض العسير" في هذا المجلد.
١٣ راجع الفصل الثاني "مقاومة وملحمة جهاد خالدة" في هذا المجلد.
١٤ راجع الفصل الثالث "على طريق الاستقلال .. المخاض العسير" في هذا المجلد.

خلافـاتٍ كثيرة وحادَّة في بعض الأحيان بين مختلف الزعامات السياسـية داخل كل إقليـم مـن الأقاليم الليبية الثلاثـة، وإن اختلفت درجة حدّتهـا من إقليم إلى آخر، فعلى حين كان الالتفاف حول قيادة الأمير إدريس في برقة شاملاً، وكذلك الأمر حول أحمد سيف النصر في فزان، لم تظهر في طرابلس زعامة سياسية واحدة تمكّنت من استقطاب ولاءٍ مماثل لها من بقية الزعامات السياسية بالإقليم.

ومنـذ صدور **قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة** في ٢١ نوفمبر/ تشرين ثاني ١٩٤٩ القـاضي بمنح ليبيـا بأقاليمها الثلاثة: برقة وطرابلس وفزان، اسـتقلالها قبـل الأول مـن يناير/ كانون الثاني عـام ١٩٥٢، وشروع مندوب الأمم المتحدة أدريـان **بلـت** في وضع ذلك القرار موضع التنفيذ، ظهـرت الخلافات الحادّة بين ممثلي هذه الأقاليم وزعمائها حول عددٍ كبير من القضايا المحورية والجزئية، وكان واضحاً أنَّ مواقف بعض الأطراف ينطلق من تقييمها لمواقف الأطراف الأخرى ودورها إبَّان حقبة الجهاد والمقاومة، أو إزاء الحركة السنوسية وعلاقتهم بقيادتها المتمثلة في الأمير إدريس السنوسي.



فقبـل أن تجتمع **الجمعية الوطنية التأسيسـية** ثار الخلاف بـين زعماء الأقاليم الثلاثـة حول أسـلوب تشـكيل **اللجنـة التحضيرية** (لجنـة الواحـد والعشرين) وحول نسبة تمثيل كل إقليم فيها. كما ثار الخلاف **داخل اللجنة التحضيرية** حول أسـلوب تشـكيل الجمعية الوطنية، وهل يكون بالانتخاب أم بالتعيين؟ وكذلك حـول حصَّة كل إقليـم فيها. وقد عكسـت اجتماعـات "**المجلس الاستشـاري**" و"**اللجنـة التحضيرية**" الاختلاف البيِّن والحـادّ بين وجهات نظر ممثلي كل إقليم من الأقاليم الثلاثة.

أمَّا بعد تشـكيل "**الجمعية الوطنية التأسيسـية**" وشروعها في القيام بمهامها المنوطـة بها، والتي كان أبرزها وضع دسـتور للبلاد، فقد بـدا واضحاً وجلياً أنَّ ممثـلي الأقاليـم الثلاثـة كانوا يحملـون وجهات نظـر متباينة حول جميـع القضايا الأساسية:

- الإمارة السنوسية.[١٥]
- نظام الحكم: أهو اتحادي أم وحدة شاملة؟

---

١٥ كان هنـاك إجماع شـبه كامل على إمارة السـيد إدريس، وفضلاً عن وجود أصوات محـدودة في إقليم طرابلس كانت تعارض الفكرة، كان هناك أصوات أكثر في الإقليم ذاته تناهض فكرة أن يكون نظام الحكم الملكي وراثياً.

- أساس تمثيل الأقاليم في مجلسي النواب والشيوخ: أهو متساوٍ أم على أساس عدد السكان؟
- عاصمة الدولة الوليدة: أهي طرابلس أم بنغازي؟
- الدستور: أهو مؤقت أم نهائي؟

وكانـت بعض أوجه الخلاف تسـتند إلى عددٍ من **الموروثـات التاريخية تعود** إلى سـنوات مقاومة الطليان، **وكانت تنمّ بشـكلٍ قاطع عن وجود هواجس لدى هـذه الأطراف، وعن غيـابٍ للثقة الكاملـة عند كل طـرف إزاء نيّات الأطراف الأخرى تجاهه.**

وعـلى الرغم مـن أنَّ الجمعية الوطنية التأسيسـية برئاسـة الشـيخ **محمد أبو الأسـعاد العالم** اسـتطاعت تجاوز هذه الخلافات والوصول إلى قناعاتٍ مشـتركة حولهـا، وربّـما تـمَّ ذلك بتأثـير مندوب الأمـم المتحـدة، وتحت ضغط عـددٍ من المخـاوف كان أخطرهـا الخـوف من عـدم تحقق اسـتقلال البلاد، فقـد كان من الواضح أنَّ **الهواجس والاختلافات القديمة ظلّت كامنة في نفوس تلك الأطراف لتشـكّل أحد الموروثات السياسـية الهامَّة التي قامت عليها دولة الاستقلال، وقد لعبت فيها بعد دوراً خطيراً في مسار تلك الدولة ومآلها.**

هنـاك **واقعة** أشـار إليها **محمـد عثمان الصيـد** في مذكراته نحسـب أنَّها – إن صحَّت – تجسِّـد جانباً من هذا **الموروث السـياسي الثقيل** الذي قامت عليه دولة الاستقلال. يقول الصيد:

"‥ وفي أحـد اجتماعـات مجلس الـوزراء[١٦] تطـرَّق المجلـس إلى وضعية ولاية فزان، التي كانت منعزلة عن سـائر أنحاء ليبيا، فقرَّر المجلس أن تزور الحكومة الولايـة بكامـل هيئتهـا، وذلك للبرهنـة على أنَّها جـزء من ليبيـا، وأنَّ الحكومة الاتحاديـة تمثل الأقاليم الثلاثة خاصَّة وأنَّهـا كانت تعقد اجتماعاتها آنذاك في كل مـن طرابلـس وبنغـازي. وقـدَّم المجلس اقتراحاً للملـك بذلك فوافـق عليه. ولكن، في إطار مراعاة الأصول، تقرَّر الإبراق إلى والي فزان **أحمد سـيف النصر** بقرار الحكومة زيارة ولاية فزان‥".

---

١٦ يشـير الصيد هنا إلى أول حكومة اتحادية ليبية بعد الاسـتقلال، وكانت برئاسـة محمود المنتصر، وكان الصيد يشـغل منصب وزير الصحّة فيها.

ويصف الصيد ردَّ والي فزان على تلك البرقية على النحو التالي:

"أجـاب (أحمد سـيف النصر) على برقية الحكومة ببرقيـةٍ جوابية بعثها للملك إدريس السـنوسي يقول فيها إنَّه إذا حضر **السـيد محمـود المنتصر** رئيس الوزراء إلى فـزان، فإنَّـه **سـيطلق عليـه الرصاص** لأنَّه – وعـلى حدِّ اعتقاده – أنَّ السـيد المنتـصر عميل إيطالي ووالده عمل مـع الإيطاليين. وأهل طرابلس جميعاً عملوا معه .."."[١٧]

لا عجـب، في ضـوء مثل هذا الموقف،[١٨] والذي لا نشـك في وجود مواقف أخـرى كثـيرة مماثلة له من قبل عددٍ من الزعماء والقادة السياسـيين الليبيّين بحقِّ بقيّة زملائهم، أن ترد مثل العبارات التالية في وصف دولة الاستقلال:

"المملكة الليبية كانت نتاجاً هشّاً للمساومات والموازنات بين المصالح الداخلية والخارجية".[١٩]

"عند الاستقلال، تشكلت المملكة الليبية من ثلاث ولايات هي برقة وطرابلس وفـزان، ولم يكـن بين هـذه الولايات، فعليـاً، أيُّ شيءٍ مشـترك لا اقتصادياً ولا اجتماعياً ولا سياسياً.."."[٢٠]

"عـلى امتـداد تاريخهـم الطويـل، عـبَّر الليبيّون عـن رغبـةٍ، خالية من الشـعور بالمسـؤولية، في الاسـتقلال وتقريـر المصير. وقـد أثبتت هذه الرغبـة الجامحة أنَّها المصـدر الأعظـم لقوتهم وضعفهم في الوقت نفسـه .. لقد دخلـت ليبيا المسرح الـدولي منذ النصـف الثاني من القرن العشرين كدولةٍ مسـتقلة، غـير أنَّها لم تكن في الحقيقة سـوى "مصطلح جغرافي" ... لقد غـدت ليبيا "دولة" قبل أن تكون "شعباً".."."[٢١]

١٧ الصيد، ص ٨٠.

١٨ نحن هنا لا نشك إطلاقاً في جهاد ووطنية وأخلاق السيد أحمد سيف النصر كما لا نتبنَّى تقييمه للسيد محمود المنتصر ووالـده، ولكنَّـا نهـدف إلى أن نقدّم نموذجاً، وإن كان حـادّاً، لطبيعة العلاقة التي كانت سـائدة بين عددٍ من رجال النخبـة الحاكمـة في تلك المرحلة المبكرة من عمر دولة الاسـتقلال، وهو ما لا نحسـب أن يشـينها على الإطلاق، أو يشين الرجال الذين قامت عليهم.

١٩ جون رايت، ص ٧٧.

٢٠ Dirk Vandewall, *Libya Since Independence*, (Ithaca and London:Cornell University Press, 1998), p.42

٢١ Martin Sicker, *The Making of A Pariah State*, (New York: Praeger, 1987), pp. 1,7.



"..وعلى العموم، فلم يكن الليبيّون جميعاً سعداء بالاستقلال. وقد لاحظ أدريان بلت نفسه أنَّه من المبالغة الادّعاء بأنَّ الليبيين جميعهم كانوا سعداء بالتطور الدستوري الذي أنجز، وبالأخصّ فإنَّ العناصر الوطنية التي كانت تدعو إلى وحدة البلاد (بدلاً من النظام الاتحادي) سوف تبقى على اعتقادها بأنَّ البلاد ستظل محكومة بالعناصر التقليدية ..".[22]

قد تكون هذه العبارات قاسية وعلى درجةٍ من المبالغة،[23] ولكن ينبغي الإقرار بأنَّها تشير إلى حقيقةٍ كانت قائمة غداة حصول ليبيا على استقلالها، وشكّلت من ثم **جزءاً مهماً من التركة التي ورثها بناة دولة الاستقلال، كما ينبغي التأكيد على أنّ النظام الملكي لم يكن هو المسؤول عنها.**

الموروث الآخر الذي ورثه بناة دولة الاستقلال من تركة العهود والأحقاب الماضية هو **الفقر المدقع، وانعدام الثروات الطبيعية بالبلاد، والنقص الشديد في العناصر البشرية الوطنية المدرّبة وقصور تأهيلها.**

لقد حصلت ليبيا على استقلالها بعد **ثلاثين** عاماً (١٩١١ إلى ١٩٤١) رزحت خلالها تحت حكم واحدٍ من أبشع أنواع الاستعمار الغربي الاستيطاني وأكثرها تخلفاً، ألا وهو الاستعمار الإيطالي، وفقد خلالها الشعب الليبي نحو ٧٠٠ ألف نسمة من سكانه (نصف عدد سكان ليبيا تقريباً) في ساحات المقاومة والجهاد، وفي معسكرات الاعتقال، وعلى أعواد المشانق.

وقد أعقبت هذه السنوات **الثلاثين** العجاف عشرُ سنواتٍ أخرى، كانت ليبيا في ثلاثٍ منها (١٩٤١-١٩٤٣) مسرحاً للعمليات الحربية بين قوات الحلفاء وقوات المحور غطت الشمال الإفريقي بكامله، وهَدَمت معظم ما كان في المدن الليبية (ولاسيما البرقاوية) الرئيسة المنتشرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من مبان وموانئ وطرق ومظاهر عمران محدودة. وأصبحت ليبيا، في السبع الباقية منها، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، تعيش في ظل **الإدارتين**

---

٢٢ Geoff Simons, Libya: *The Struggle for Survival* (New York: St. Martins Press, 1996), p.155.

٢٣ تجدر الإشارة إلى أنَّ صحيفة نيويورك الأمريكية نشرت في عددها الصادر بتاريخ ١٢/١٢/١٩٥١ مقالاً عن استقلال ليبيا يومذاك، جاء فيه ما ترجمته: "إنَّ تأسيس المملكة الليبية المتحدة يستحقّ الجائزة الأولى عن أغرب الأعمال، وربّما أكثرها حمقاً، التي وقعت باسم "الوطنية" في عالم ما بعد الحرب".

العسكريتين البريطانية (في إقليمي برقة وطرابلس) **والفرنسية** (في إقليم فزان).

لقد كان "**فقر البلاد وندرة مواردها**" هما الأمران اللذان استندت إليهما "**لجنة التحقيق الرباعية**"،[٢٤] التي شكّلها وكلاء وزراء الخارجية للدول الأربع (بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) عام ١٩٤٧ لمعرفة رغبات سكان ليبيا بشأن مستقبل بلادهم، وذلك للوصول إلى نتيجةٍ مفادها أنَّ ليبيا لا تستطيع القيام بأمر نفسها، وأنّها ستحتاج إلى العون الأجنبي لسنواتٍ كثيرة في المستقبل، وأنها لذلك لم تكن مهيَّأة للاستقلال.[٢٥]



ولم تختلف الأوضاع الاقتصادية والمالية في ليبيا عشيَّة حصولها على استقلالها في أواخر عام ١٩٥١ كثيراً عمَّا كانت عليه في عام ١٩٤٨ عندما قامت لجنة التحقيق الرباعية بالزيارة التي انتهت بها إلى توصياتها السابقة.

ويحسن أن نترك القارئ مع عددٍ من **المقتطفات** في وصف أوضاع ليبيا الاقتصادية والمالية في تلك الحقبة كما وردت في عددٍ من تقارير الأمم المتحدة وخبرائها، وفي الكتب والدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

لقد شكّلت **هيئة الأمم المتحدة** منذ عام ١٩٥١ عدداً من **لجان الخبراء** لدراسة شتى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، وقد وردت الفقرات التالية في تقرير إحدى هذه اللجان[٢٦] في وصف حالة الاقتصاد الليبي يومذاك:

"إنَّ مهمَّة رفع مستوى المعيشة لليبيّين ليست مهمّة سهلة أو ممكنة ذلك، أنّ الاقتصاد لا يتيح خياراتٍ عديدة يمكن ارتيادها .. إنَّ عدد السكان قليل أصلاً .. ومعظم الأراضي هي صحراء جرداء .. ويعيش ٩٥٪ من السكان في المناطق الساحلية والجبلية في برقة وطرابلس .. أمَّا بقية السكان فيعيشون حول عددٍ من الواحات في منطقة فزان .. حتى المناطق التي ينتشر فيها السكان فإنَّ التربة لا تعدّ جيدة .. وكميات الأمطار التي تهطل كل عام ليست كافية، ولا يمكن

---

٢٤ وصلت اللجنة ليبيا في ٦ مارس/ آذار ١٩٤٨ وغادرتها في ٢٠ مايو/ أيار ١٩٤٨ قضت خلال ذلك أربعين يوماً في منطقة طرابلس، وعشرة أيام في فزان، وخمسة وعشرين يوماً في برقة.

٢٥ رغم أنَّ اللجنة أوردت في تقريرها بأنَّ ثمَّة اتجاهاً عاماً بين الليبيين، يكاد يكون إجماعياً، إلى التحرر من الحكم الأجنبي، وأمنية أصيلة لنيل الاستقلال. خدوري، ص ١٤٦-١٤٧.

٢٦ تشكلت هذه اللجنة برئاسة الخبير الاقتصادي الدكتور بنجامين هيجنز، وقد شارك في أعمالها اثنان وعشرون خبيراً. وقد أتمَّت إعداد تقريرها في أواخر عام ١٩٥٢، وجرى نشره باللغة الإنجليزية في نيويورك في عام ١٩٥٣. وكان هذا الفريق من الخبراء قد كلف في عام ١٩٥١ من قبل هيئة الأمم المتحدة ووكالتها المتخصصة بالاتفاق مع حكومات كل من بريطانيا وفرنسا بوضع مشروع خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا.





الاعتماد عليها".

"إنَّ ليبيا تعدّ دولة متخلفة اقتصادياً .. فهي فقيرة وأساليب العمل والإنتاج فيها بدائية .. كما أنَّ أدوات الإنتاج ذاتها محدودة جداً".

"إنَّ المهمة التي تواجهها ليبيا على الصعيد الاقتصادي تتمثل في محاولة إيقاف وكبح حالة الانهيار والتردّي التي تحياها، والبدء في مرحلة جديدة، أكثر منها محاولة للسعي إلى تحقيق تنميةٍ اقتصادية **في بلدٍ لم تتوفّر فيه مقوّماتها في يومٍ من الأيام**".

"لقد زاد من تعقيد المشكلة الاقتصادية في ليبيا وجود كثير من الإنشاءات (الطرق، السكك الحديدية، الموانئ، والمباني، والمرافق العامة، والمساكن) التي أقامتها السلطات الاستعمارية الإيطالية في البلاد، وهي فضلاً عن أنها لا تناسب سوى اقتصادياتٍ متطوّرة ونامية، فإنهّا قد تضرَّرت كثيراً أثناء العمليات الحربية التي كانت البلاد مسرحاً لها (خلال الحرب العالمية الثانية)، الأمر الذي يجعل إمكان الاستفادة من هذه الإنشاءات متعذّراً دون إنفاق أموال كبيرة على ترميمها وإصلاحها".

"وفضلاً عن ذلك فإنَّ من الأمور التي ستعيق عملية التخطيط المتكامل للتنمية في ليبيا **حقيقة انقسامها إلى ثلاثة أقاليم جغرافية** (طرابلس وبرقة وفزان) تفصل بينها مئات الأميال من الصحراء، ولا يوجد بينها أيَّة وسائل نقل أو اتصال. **إنَّ كل واحدٍ من هذه الأقاليم الثلاثة يشكل وحدة جغرافية واقتصادية مستقلة لم يسبق لها أن توحَّدت سياسياً إلا كأجزاء من إمبراطوريات تشكلت إثر فتوحات أجنبية.**"

".. إنَّ الاقتصاد الليبي هو **اقتصاد مُجهَد** .. إنَّه يعاني الآن من مشاكل الجفاف وانجراف التربة وزحف الرمال والتصحّر التي تبدو كلها نتاجاً للاستغلال الجائر في الماضي البعيد للغابات والمراعي والمياه والتربة، مع ما أعقبه من إهمالٍ فيها بعد..".

" .. إنَّ ليبيا الآن هي مجرد **وعاء ترابيٌّ هائل** "Gigantic dust bowl" تشكّلت

بسبب الإهمال البشع والاستغلال الجائر لتربتها عبر السنوات الماضية".

أمَّـا خبـير الأمم المتحدة "**جان ليـزج**" فقد لخَّص في تقريـره الذي قدَّمه إلى المنظمـة عـام ١٩٥١ رأيـه في الأوضـاع الاقتصاديـة في ليبيا خلال تلـك الحقبة بقوله:

"وخلاصـة القول، فإنَّه يبدو، دون ريب، أنَّ مسـتوى المعيشـة في البلاد بصورةٍ عامَّـة، يقـرب إلى درجةٍ خطيرة من حدَّ الكفاف، ونجـد أنَّ هذا الحدّ يخرج عن توازنه ويميل إلى الهبوط مع كل حالةٍ من حالات الجفاف المتكرّرة..".

وقد عـاد الدكتـور **بنجامـين هيجنز** (الخبير الاقتصـادي الذي تـرأسَّ بعثة خـبراء الأمم المتحدة إلى ليبيا في عام ١٩٥٢) للكتابـة عن حالة الاقتصاد الليبي يومذاك في كتابه الذي أصدره عام ١٩٦٨، فكان من بين ما جاء فيه:

"في عـام ١٩٥٢ بـدت ليبيا، من حيث وضعها الاقتصادي، حالة ميئوسـاً منها، إذ إنَّ غالبيـة سـكانها كانت تعيش عـلى حدّ الكفاف، وكان متوسـط دخل الفرد يقـل كثيراً عن (٥٠) دولاراً في العام. ولم تكن هناك مصادر للطاقة أو أية ثروات طبيعية. كما أنَّ النمو الزراعي كان محدوداً بشكل قاس، بسبب الظروف الطبيعية. ولم تكن هناك أيضاً رؤوس أموال أو أية أيدٍ عاملة مدرّبة، كما لم يكن في البلاد أيّة مهارات إدارية محلية. ومن ثمّ فإنّ ليبيا، حين حصلت على اسـتقلالها في ديسـمبر ١٩٥١ تحت رعاية الأمم المتحدة، **كانت تمثل أدنى المعدلات في العالم، سـواء من حيث مستويات الدخول أو من حيث توفر الإمكانات والثروات**..".[٢٧]

ولم يخـلُ كتاب مـن الكتب التي تناولت تاريخ ليبيـا المعاصر من تأكيد هذه الحقيقة المأسـاوية بشـأن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية عشـيَّة حصولها على الاستقلال.

ومن الأمثلة على ما ورد في وصف حالة الاقتصاد غداة الاستقلال ما جاء في كتاب:[٢٨] *Area Handbook for Libya*

٢٧ Benjamin Higgins, *Economic Development: Principles, Procedures & Policies*, (New York: W.W Northon & Coy, 1968), p. 918.

٢٨ المصدر نفسه، والكتاب من إعداد مؤسسة ستانفورد للبحوث Stanford Research Institute لاستعمال الجامعة الأمريكية، وقد جرى الانتهاء من إعداده في الأول من يونيو/ حزيران ١٩٦٩، وتمَّ نشره في ديسمبر/ كانون الأول في العام نفسه.




"لأول مـرَّة في تاريخهـا الطويـل أصبح لليبيا حكومتها، ولكـن هذه الحكومة كانـت تفتقر إلى الثروة البشرية والطبيعية المناسـبة. ففي عـام ١٩٥٢ كان هناك عدد محدود جداً من الأشخاص المؤهلين لشغل أيَّة وظائف حكومية، كما كانت البلاد تفتقر لكل مقوّمات القاعدة الأساسية لاقتصادها".[٢٩]

"بـدت ليبيـا في عـام ١٩٥١، في ظـل الخـراب الـذي أحدثتـه الحـرب العالميـة الثانيـة، وحالة الأمّية شـبه الكاملة[٣٠] التي عليها مواطنوها، واعتمادها المسـتمر عـلى المسـاعدات الأجنبيـة، متخلّفة عـدة عقود عـن التنمية. وخلال سـنوات العشر الأولى من اسـتقلالها كانت أهم صادراتها تتكوَّن من نبات الحلفا (الذي يسـتخدم في صناعـة ورق العملـة) ومـن مبيعـات حديـد الخردة مـن مخلفات الحرب العالمية الثانية".[٣١]

كما جاء في كتاب **جمال حمدان** في هذا الصدد ما نصّه:



"وليبيـا المسـتقلة وُلدت ولادة عسيرة، وورثت في هذا كله إرثـاً صعباً معقداً، وتركـة مـن المشـاكل الجسـيمة، الطبيعيـة والمصطنعـة، المفروضـة والمفترضة، السياسـية والاقتصاديـة ... الخ، تتجاوز جميعاً قدرات دولـة جديدة في مرحلة التكويـن ... أمَّـا عـلى الجانب الاقتصـادي، فثمَّـة كان الفقر الطبيعـي والعجز المالي..".



"خرجـت ليبيا من الاسـتعمار الفاشسـتي وهـي "**صندوق من الرمـال**" – هذا تعبـير موسـوليني المعـروف – لتصبح في ظل الاسـتعمار الأطلنطـي "**دولة على المعاش**" البريطاني ثمَّ الأمريكي، **دولة عجز مزمن**..".[٣٢]

أمّا **روث فيرست Ruth First** فقد وصفت في كتابها "**ليبيا: الثورة المراوغة**" حالة الاقتصاد الليبي في تلك الفترة بقولها:

"في عام ١٩٥١ حصلت ليبيا على اسـتقلالها وسـيادتها، غير أنَّه إلى جانب ذلك لم تكـن تملـك أيّ شيءٍ آخر، وربَّما كانت أفقر دولة في العالم. لقد هدمت معارك

٢٩ المصدر نفسه، ص ٣٤.
٣٠ كانت نسبة الأميّة المتفشّية بين الكبار تتراوح بين ٩٠٪، ٩٥٪.
٣١ المصدر نفسه، ص ٢٠٣.
٣٢ حمدان، ص ٥٤، ٥٨، ٥٩.

الحـرب العالميـة الثانية، التـي دارت رحاها فوق أرضها كل البنيـة التحتية التي كان جـرى بناؤهـا (خلال حقبة الاسـتعمار الإيطالي)، كما عطّلـت كافّة مظاهر الحيـاة الاقتصادية حتـى تلك الخاصّـة بالتجمّعات البدوية. ولم يهتـمّ الطليان، خـلال حقبة احتلالهم للبـلاد، بإعداد نخبة، من خلال نظـام تعليمي قادر على إفراز عناصر قادرة على شغل مناصب في الحكم والإدارة .."[٣٣].

".. لقـد كانـت ليبيا طوال العقد الأول من اسـتقلالها أفقر دولة في العالم. كما بـدت، وفقاً لكافّة المعايير، حالة مسـتحيلة مسـتعصية على التنميـة .. وقد رفع الخـبراء والمستشـارون الدوليون أيديهم من فرط يأسـهم بشـأن حالة الاقتصاد الليبي البائسة .."[٣٤].

ويورد **Frank C. Waddams** الإشارات التالية في هذا الشأن:



"في ٢٤ مـن ديسـمبر/ كانون الأول ١٩٥١ أصبحـت ليبيا دولة مسـتقلة. وفي الواقع أنَّ تجميع مسـاحة واسـعة تصـل إلى ١,٧٦٠,٠٠٠ كيلومتر مربع (هي مسـاحة ليبيـا) يرجـع فيه الفضـل إلى التاريخ أكثـر منه إلى منطـق الجغرافيا، أو وحدة الاقتصاد".

"لقد تكوَّنت الدولة الجديدة، بسكانها المسلمين الذين يتكلمون العربية والبالغ عددهـم نحـو مليون نسـمة، من منطقتين قابلتـين للرعي والزراعة هما: سـهل الجفـارة بطرابلس، وهضبة الجبل الأخضر ببرقة، غـير أنَّ هاتين المنطقتين كانتا منفصلتـين بنحـو ٤٠٠ ميـل من الصحـراء. أمّا معظم الدواخـل فهي صحراء جرداء تتخللها بعض الواحات المتناثرة"[٣٥].

ويضيـف الدكتـور **J. A. Allan** للصورة هـذه التي كانت ليبيا عليها عشـيَّة استقلالها:

"في عـام ١٩٥١ لم تكـن ليبيـا فقـيرة فحسـب، بـل لم يكن لديهـا أيَّـة تقاليد أو

---

٣٣ Ruth First, Libya: *The Elusive Revolution* (New York: Africana Publishing & Coy, 1975), p. 16.

٣٤ المصدر نفسه، ص ١٤١.

٣٥ Frank C. Waddams, *The Libyan Oil Industry* (Baltimore & London: The John's Hopkins University Press, 1980), p. 21.



مورثاتٍ كدولةٍ واحدة".[٣٦]

أمَّا الدكتور **عمر إبراهيم الفتحلي** فهو يصف حالة ليبيا في تلك الحقبة بقوله:

"كانت ليبيا عند الاستقلال **دولة اصطناعية** إلى أبعد الحدود. فلم تكن لها من مقوّمات الدولة إلا القليل ممّا يعطي أملاً ضعيفاً حيال مستقبلها. فلم يكن يعرف بها من الموارد الطبيعية إلا النزر اليسير، وسكانها، بجانب قلتهم وتناثرهم، تغلب عليهم صفة التخلّف. وبصورةٍ عامّة كان المجتمع الليبي مثالاً للتخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي إلى درجةٍ يصعب معها تصوّر قيامها بأعباء الدولة الحديثة".[٣٧]

".. وواجه المجتمع في ليبيا خليطاً من المشكلات والعلل. **فالصراعات العرقية والقبلية والإقليمية والسياسية**، والمشكلات المترسِّخة نتيجة **للفقر والجهل والمرض**، علاوة على الآثار الطاحنة للاستعمار الجائر، كلها تكالبت في تناسق مع الظروف الطبيعية الصعبة على هذا القطر، ممَّا جعل من سكانه نموذجاً للمجتمعات التقليدية المتخلّفة، سواء على مستوى السواد الأعظم لأفراد الشعب أو السواد الأعظم للنخب القيادية فيه..".[٣٨]




وينقل الدكتور **شكري غانم** عن كتاب البروفيسور بنجامين هيجنز "**التنمية الاقتصادية**" وصفاً لحالة الاقتصاد الليبي جاء فيه:

"وباختصار شديد فقد كان الاقتصاد الوطني الليبي في حالة عجز دائم، عجز في ميزانيات الولايات، وعجز في ميزانيات معظم البلديات، وعجز في الميزان التجاري – سواء كان في السلع أو الخدمات– وعجز في ميزان المدفوعات..".

كما ينقل المؤلف نفسه عن كتاب "**في داخل أفريقيا**" للكاتب الأمريكي **جون جنتر** ما نصّه:

---

٣٦ J. A. Allan, *Libya: The Experience of Oil* (London: Croom Helm, 1981), p. 66.

٣٧ عمر إبراهيم الفتحلي، **اتجاهات التنمية السياسية في ليبيا** (قطر: جامعة قطر – المؤسسة الدولية للنشر والمعلومات)، ص ٤٧.

٣٨ المصدر نفسه، ص ٤٩.

"لعل ليبيا هي أفقر بلد في العالم .. إذ ليس بها مصرف وطني واحد، وليس بها طبيب وطني واحد .. وبها رجل أمريكي وحيد .. وسبعة عشر خريجاً من الجامعات".[٣٩]

ويصف مدينة **بنغازي** ثاني أكبر المدن الليبية بأنّها:

"أفقر مدينة رأيتها في أفريقيا بعد منروفيا".[٤٠]

وفي سياق هذه الاستشهادات، نترك **لدي كاندول** كشف المزيد عن أحوال البلاد، ولاسيما إقليم برقة، في تلك الحقبة التي عايشها بنفسه، فقد شغل منصب المعتمد البريطاني في الإقليم حتى حصول ليبيا على استقلالها في أواخر عام ١٩٥١، وذلك من خلال المقتطفات التالية التي وردت بكتابه "**الملك إدريس عاهل ليبيا – حياته وعصره**" الذي سلفت الإشارة إليه:



".. إنَّ كثيراً من المراقبين (لليبيا) وقت الاستقلال نظروا إلى هذه الدولة الناشئة، بعاهلها المسنّ، وشعبها الممزّق، ودخلها الهزيل، فلم يروا في طريق مستقبلها غير المحن والكوارث .."

".. ربّما كانت ليبيا في البداية أفقر بلد في العالم من حيث مستوى دخل الفرد[٤١] ... ولم يكن ثمّة أغنياء، باستثناء حفنة صغيرة تعدّ على أصابع اليد الواحدة من الأفراد الموسرين نسبياً.. ولن أنسى ما حييت منظر البدل الرثة والأحذية والقمصان البالية التي كان يرتديها وزراء حكومة برقة لدى عقد أول اجتماع وزاري لهم في سبتمبر ١٩٤٩. وقلما وجدت في خارج بنغازي منازل بالمعنى الحقيقي، بل إنَّ معظم الأهالي كانوا يقيمون إمّا في خيام أو في أكواخ مخلعة الأبواب والنوافذ مصنوعة من براميل الزيت المسطّحة. وكانت مساكنهم خالية من التدفئة في برد الشتاء..".

ويضيف **دي كاندول**:

".. ولمّا كنت أزور الأمير (إدريس) صباحاً في تلك الأيام من شتاء عام ١٩٥٠

٣٩ هناك إجماع على أنَّ عدد الخريجين الليبيّين يومذاك لم يكن يتجاوز عشرة خرّيجين ليس من بينهم طبيب واحد.
٤٠ شكري غانم، **النفط والاقتصاد الليبي ١٩٥٣–١٩٧٠** (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٥)، ص ٩–١٠.
٤١ ورد بتقرير جون ليندبيرج (خبير الأمم المتحدة) عن الاقتصاد الليبي المقدَّم إلى إدارة المساعدات الفنية بالأمم المتحدة عام ١٩٥٢ أنَّ المتوسط العام للدخل السنوي للفرد في كل ليبيا هو (٣٥) دولاراً.



كنت أجده قابعاً قرب كانون الفحم بمنزله القليل الأثاث المكوَّن من غرفتين للنوم في ناحية الغدير (خارج مدينة بنغازي)".[٤٢]

أمَّا الدكتور **علي أحمد عتيقة** فقد خصّص الفصل الثاني من كتابه "**أثر البترول على الاقتصاد الليبي**" لوصف حالة الاقتصاد الليبي قبل البترول، وتناول فيه جانباً من أحوال ليبيا الاقتصادية عشيّة الاستقلال، فكان ممّا ورد في هذا الصدد:

"... وفي عشيّة الاستقلال، كانت موارد ليبيا البشرية تشتمل على حوالي مليون نسمة، منهم ٢٠٪ من سكان المدن و٤٣٪ من سكان الريف و٣٧٪ من البدو الرحَّل وشبه الرحَّل..".

"... وبالرغم من أنَّ ليبيا من الناحية الطبيعية منطقة صحية للغاية، إلا أنَّ نسبة الوفيات كانت مرتفعة وخصوصاً بين الأطفال، حيث بلغت ٣٠٠ وفاة تقريباً لكل ألف، وهذا يرجع إلى الحالة الغذائية السيئة وانخفاض مستوى التعليم والتدريب. أمَّا بالنسبة لجميع السكان، فقد تعدّت نسبة المواليد بخمسين لكل ألف بينما كانت الوفيات حوالي ٤٠ لكل ألف، وبذلك يكون معدّل الزيادة الطبيعية في عدد السكان حوالي واحد في المائة في العام، وكانت الأمراض الرئيسية التي نتجت عنها نسبة الوفيات العالية هذه هي الالتهابات المعوية بين الأطفال وأمراض العيون والسل، ونتيجة لانتشار هذه الأمراض وإلى مستوى التعليم المنخفض كان مستوى الإنتاج العام منخفضاً بين الكبار".

"وفي خلال العام الدراسي ٥٠-١٩٥١ كان عدد الطلاب حوالي ٤٦ ألف طالب وطالبة يتلقّون تعليمهم في ٤٠٠ مدرسة ابتدائية على أيدي حوالي ١٨٠٠ معلم، وبلغ مجمل عدد الطالبات في المدارس الابتدائية حوالي ٤٠٠٠ طالبة. كما كانت هناك أربع مدارس ثانوية بلغ عدد الطلاب الملتحقين فيها حوالي ٤٠٠ طالب، إلا أنَّ البلاد كانت تفتقر إلى الجامعات وإلى معاهد التعليم العالي الأخرى. وكان عدد حملة الدرجات الجامعية عندما نالت البلاد استقلالها حوالي عشرة خرّيجين".

---

٤٢ دي كاندول، ص ١١٩، ١٣٤، ١٣٥.

"وكانت نسبة الأمّية المتفشيّة بين الكبار تتراوح بين ٩٠ – ٩٥ ٪ وكان حوالي ٢٠ بالمائة فقط من الأولاد الذين هم في سن الدراسة يتلقّون التعليم النظامي، حتى لو أخذنا بعين الاعتبار عدد الأولاد الذين يتعلمون القراءة والكتابة في المدارس القرآنية (الكتاتيب) عندما نالت البلاد استقلالها فإنَّه يجب القول بأنَّ أغلبية من هم في سن الدراسة في ذلك الحين لم يتلقّوا أيّ نوع من التعليم، ولذا فإنَّ معظم موارد ليبيا البشرية التي كانت تبلغ حوالي مليون نسمة كانوا أمّيين كما كان عدد كبير منهم مصاباً بمرض أو بآخر بسبب قلة الغذاء والتعليم. وكان الكيان الاجتماعي يتميّز بالولاء للأسرة والقبيلة ولم يكن هناك سوى فرق ضئيل أو لا فرق بالمرّة بين المصالح الفردية والمصالح العامّة.

وكانت موارد ليبيا الطبيعية تشتمل على حوالي ١,٧٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع لا يمكن استغلال سوى ٥ إلى ١٠ بالمائة منها، وكانت نسبة الأراضي الصالحة للزراعة المستقرة حوالي ١ بالمائة. وبلغ معدّل الأرض الصالحة للزراعة بالنسبة لعدد السكان حوالي هكتار ونصف للفرد. وكان معدّل الأمطار في الحزام الشمالي للبلاد يتراوح بين ٢٢٨ و٥٨٥ مليمتراً. ولكن المعدّل العادي كان ٣٨١ مليمتراً تقريباً، وهطول المطر في هذه المنطقة غير منتظم وكثيراً ما يحدث فيها جفاف.

وكان حوالي ٨٠ بالمائة من مجموع سكان البلاد يعيشون في الريف، ومعظم القوة العاملة المتوفّرة كانت تعمل في هذا القطاع. وكان معدّل إنتاج الفرد منخفضاً جداً، ونسبة البطالة الموسمية والبطالة المقنّعة في الزراعة كبيرة أيضاً".

"وفيما عدا الزراعة، حيث كانت إمكانياتها محدودة جداً بسبب سوء الأحوال الطبيعية والبشرية، كانت موارد ليبيا شحيحة للغاية".

"..وقد أصيبت شبكة النقل والمواصلات المتواضعة التي تمَّ بناؤها إبّان الاحتلال الإيطالي بأضرار جسيمة أثناء الحرب. وبالرغم من أنّه كان في البلاد حوالي ٢٨٠٠ كيلومتر من طرق الإسفلت الصلبة وحوالي ٣٠٠ كيلومتر من السكك الحديدية وأربعة موانئ بحرية ومطاران إلا أنَّ معظم هذه المرافق أصيبت بأضرار جسيمة من جرّاء الحرب، وكانت خدمات الهاتف والمواصلات السلكية واللاسلكية محدودة جداً وتحتاج إلى إصلاح. وفي حين





كان هناك اتصال هاتفي بين المدن الرئيسية ضمن الولايات إلا أنّه لم تكن هناك خدمات هاتفية أو لاسلكية بين الولايات.

وبالنظر إلى عدم توفّر بياناتٍ كافية عن الإنتاج والأسعار، فإنّه من المتعذّر إعطاء تقديراتٍ كافية عن الدخل القومي في ليبيا عند الاستقلال، ولكن خبير الأمم المتحدة قد قدّر ذلك الدخل بحوالي (١٥) مليون جنيه ليبي.[٤٣] وكان حوالي نصف السكان آنئذٍ يعيشون في ما يدعى بقطاع الكفاف من الاقتصاد".

كما يضيف الدكتور عتيقة:

".. وكان العجز في **الميزان التجاري** وميزان المدفوعات إبّان فترة الاحتلال الإيطالي كبيراً جداً. ويرجع ذلك إلى كثرة الواردات من السلع الرأسمالية لاستثمارها في تنفيذ المخططات الاستعمارية المختلفة[٤٤] وإلى قلة الصادرات ... وكانت **المالية العامة** في وضع بدائي جداً..".




"وعندما نالت ليبيا استقلالها واجهت الحكومة الاتحادية الجديدة المشاكل المترتّبة على العجز الكبير في الميزانيات الولائية وعدم وجود أيّة بوادر مشجعة لزيادة الإيرادات المحلية من ميزانيتها الخاصة باستثناء الرسوم الجمركية التي تعتمد على التجارة الخارجية للبلاد".[٤٥]

ويصف السيد **مصطفى بن حليم**، رئيس وزراء ليبيا الأسبق (١٩٥٤-١٩٥٧)، الظروف التي أحاطت بجيله قبيل الاستقلال، وخلال سنوات الاستقلال الأولى بأنّها:

"ظروف تاريخية صعبة، ومؤامرات دولية شرسة، وإمكانات مادية شبه معدومة، ورواسب استعمارٍ طال عهده وتعمّق أثره، وفشا مرضه..".[٤٦]

---

٤٣ أورد المرجع ذاته في ص ١٥ منه أنَّ إجمالي المبالغ التي استثمرتها إيطاليا في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية هو ١٥٠ مليون دولار، وذلك حسب أسعار الصرف التي كانت سائدة بعد الحرب العالمية الثانية.

٤٤ أورد الدكتور عتيقة، في كتابه الذي أشرنا إليه سالفاً، أن متوسط الدخل للفرد الواحد ارتفع إلى نحو (٢٥) جنيهاً في سنة ١٩٥٥ .. كان متوسط دخل الأغلبية العظمى من أفراد الشعب قريباً من المتوسط العام، ولم تكن هناك إلا نسبة قليلة جداً ممَّن كانوا يعدّون أغنياء من بين الليبيّين، بل قليل من هؤلاء من زاد دخله عن ألفي جنيه سنوياً".

٤٥ علي أحمد عتيقة، **أثر البترول على الاقتصاد الليبي ١٩٥٦-١٩٦٩** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٢) ف ٢، ص ١٥-٢٨، وكان الدكتور عتيقة قد شغل منصب وزير التخطيط والتنمية في حكومتي عبد الحميد البكوش ونيس القذافي. راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب.

٤٦ بن حليم، ص ٨.

ويقول السيد **سيف النصر عبد الجليل**، الذي شغل منصبي نائب الوالي ورئيس المجلس التنفيذي في ولاية فزان منذ بداية الاستقلال حتى إلغاء النظام الاتحادي في مطلع عام ١٩٦٣، وتقلد عدّة مناصب وزارية فيما بعد، عن تلك الظروف:

".. لقد مرّ جيلنا بتجربةٍ قاسية مليئة بالمرارة والألم .. لقد عشنا **تجربة بناء دولة حديثة من العدم** .. وعلى الرغم من قلة الإمكانيات فقد كان يحدونا الأمل في مستقبلٍ أفضل وكانت طموحاتنا بلا حدود.."[٤٧]

وكتب السيد **عبد الحميد البكوش** رئيس وزراء ليبيا الأسبق (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٧ - سبتمبر/ أيلول ١٩٦٨)، وكان يافعاً يوم نالت ليبيا استقلالها، يصف **طرفاً من مشاهداته** الشخصية خلال الحقبة التي سبقت الاستقلال:

"... أذكر وأنا صغير، افتقار ليبيا إلى كل المقوّمات، فبعد احتلالها من قبل الإنكليز والفرنسيين، إثر انتصار الحلفاء على المحور العام ١٩٤٣، كانت البلاد لا تملك أيّة مقوّمات، وقد **شاهدت الناس يموتون جوعاً عامي ١٩٤٨، ١٩٤٩ إثر سنواتٍ متتالية من الجفاف**. وكنّا نعيش على معونة قمح أمريكية. ولا أنسى خروج سكان مدينة طرابلس في احتفال لتحية الباخرة المصرية التي أحضرت شحنة من الرز هدية."[٤٨]



كما يتحدّث في موضع آخر من المقال ذاته واصفاً الإمكانات العلمية للمسؤولين الليبيّين في تلك الحقبة:

"... نعم كانت الإمكانيات العلمية للمسؤولين في مستهل الاستقلال محدودة، بل متواضعة. ولكن لم يكن في البلاد غيرهم، وقد تحمّلوا واجب صنع الوطن المستقل وبدأوا مسيرةً رائعة من الصفر".[٤٩]

٤٧ وردت هذه العبارات ضمن رسالةٍ نشرتها صحيفة **الحياة** في عددها رقم (٥٩٩٤) الصادر بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٩٩٤ تعقيباً على ما ورد في مذكرات محمد عثمان الصيد التي نشرتها الصحيفة ذاتها في أعدادها الصادرة منذ ٢٤/ ١/ ١٩٩٤.

٤٨ مجلة **الوسط** اللندنية (العدد ١٩٤- ١٦/ ١٠/ ١٩٩٥).

٤٩ لم يبالغ أبداً في قوله إنّهم بدأوا من تحت الصفر.

لقد **أسهبنا** في سرد هذه **المقتطفات** ليتأكد لدى القارئ حقيقة الأوضاع التي كانت عليها **أحوال ليبيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية** غداة حصولها على الاستقلال، والتي تتلخص في:

- **غياب التجانس وضعف التلاحم السياسي ومقوّمات الوحدة بين الأقاليم (الولايات) الثلاث التي تكوّنت منها "المملكة الليبية المتحدة" عند استقلالها، ووجود واستمرار الحساسيات والتناقضات والسلبيات في علاقات مختلف الوحدات والبنى الاجتماعية والسياسية (القبائل والأحزاب والزعامات ..) داخل كل إقليم (ولاية) من الأقاليم الثلاثة.**
- **الفقر المدقع والشحّ في الموارد الطبيعية والبشرية والنقص الحادّ في العناصر الإدارية والفنية المدرّبة، بل شبه المدرّبة، وتدنّي بل انعدام الخبرة والتجربة السابقة في العمل السياسي المشترك لدى رجال الجيل المبكّر من بناة دولة الاستقلال.**

ووفقاً لهذه **المعطيات**، التي لم تكن من صنع دولة الاستقلال، وما كان رجالها مسؤولين عنها، وإنّما كانت تركة ثقيلة ورثوها عن العقود الماضية، كان طبيعياً أن ينصرف جلّ همّ وجهد حكوماتها المبكرة إلى **معركة المحافظة على بقاء واستمرار دولة الاستقلال الوليدة**، التي شكّل قيامها، رغم كل تشويهات الولادة العسيرة التي صاحبتها، **مطلباً ومطمحاً وطنياً عزيزاً** لدى الغالبية الساحقة من الليبيّين إن لم نقل جميعهم.

ولم تبخل، بالطبع، تلك الحكومات ورجالها، رغم المحدّدات القاسية التي فرضتها المعطيات، في توجيه ما فاض لديهم من جهدٍ قاصر معتلّ، وما توفّر عندهم من إمكاناتٍ محدودة، **نحو معركة البناء**، ولاسيما في مجال التعليم والتنمية البشرية. كما لم يتردّدوا، رغم **المكبّلات السياسية** التي كانت تحيط باستقلال البلاد وتتهدّده، في لعب دور متواضع وفعّال إزاء أهم القضايا التي شغلت الأمّة العربية في حقبة الخمسينيات (ولاسيما مناصرة الثورة الجزائرية وقضايا التحرّر العربي ..) كما سنرى.

لقد ظلّت **أولويات** العهد الملكي مشدودة إلى **معركة البقاء**، وما كان لها أن تتغيَّر، إلى أن وقعت في عام ١٩٥٩ **معجزة اكتشاف النفط** في ولاية برقة بكمياتٍ تجارية، وشرعت الدولة في تصديره في أواخر عام ١٩٦١، وبدأت في تسلّم أولى عائداته في عام ١٩٦٣. عندئذٍ، وعندئذٍ فقط، بدأت **مرحلة جديدة في حياة دولة الاستقلال**، انطلقت فيها نحو معركة **البناء والتنمية والرخاء** واستكمال تحرّرها السياسي، ونحو لعب دور أكثر فاعلية في القضايا العربية، ولاسيما قضية فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي.

ومن ثمَّ فقد قسّمنا تناولنا لدولة الاستقلال إلى **حقبتين**:

الأولى: **الحقبة غير النفطية** وهي التي امتدَّت نحو أحد عشر عاماً ما بين أواخر عام ١٩٥١ وبدايات عام ١٩٦٣. وقد تناولناها في المجلدين الثاني والثالث بالجزء الأول من الكتاب.

الثانية: **الحقبة النفطية** وهي التي امتدَّت نحو سبعة أعوام ما بين بداية عام ١٩٦٣ ونهاية أغسطس/ آب من عام ١٩٦٩ عندما وقع انقلاب الأول من سبتمبر. وقد خصّصنا لها الجزء الثاني من هذا الكتاب.











بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما

نحن ممثلي شعب ليبيا من برقة وطرابلس وفزان المجتمعين بطرابلس الغرب في جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله
والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانوني
والعازمين على تأليف اتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة
وذات سيادة نظام الحكم فيها ملكي دستوري
نسجل علنا حمد الله وشكره على ما أفاض علينا من نعمة في تحرير بلادنا واستقلالها

وإننا

اعترافا بإخلاص صاحب السمو السيد محمد إدريس المهدي السنوسي أمير برقة المعظم وجهاده الطويل المثمر لخير ليبيا وشعبها
وتحقيقا لرغبة الشعب العامة
وإقرارا للبيعة الشرعية السابقة التي صدرت من ممثلي الشعب الشرعيين لسموه
وحرصا على إسعاد بلادنا واتحادها تحت تاج ملك تتجسد فيه المثل الأعلى للصفات التي يتطلبها هذا المنصب السامي

فإننا

ننادي بسموه الأكبر السيد محمد إدريس المهدي السنوسي أمير برقة المعظم
ونبايعه ملكا دستوريا للمملكة الليبية المتحدة ونرجو الله أن يتقبل ذلك

وإننا

قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازي لرفع هذا القرار التاريخي لجلالة الملك المعظم وتلقي قبول جلالته لهذه البيعة
طرابلس الغرب في يوم السبت ٢٢ صفر الخير ١٣٧٠ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٥٠

وثيقة البيعة التاريخية

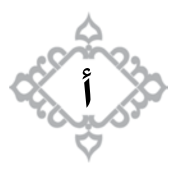


خريطة ليبيا





فهرس أعلام المجلد الأول *





* رُتبت الأسماء تبعاً لاسم العائلة أو اللقب، مع إهمال (الـ التعريف) و (وابن). أما اسم العائلة الليبي الذي يبدأ بـ (بن) فأُدخل تحت حرف الباء. واستُثني من الهوامش أسماء أصحاب المراجع إلا إذا كان لها صلة بتعقيب جاء من المؤلف أو غيره. كما عمدنا إلى إضافة اللقب أو المنصب أو أي اسم آخر عرف به صاحب الاسم إذا كان يستعاض بهذا اللقب أو المنصب أحياناً عن ذكر اسم صاحبه.



ب









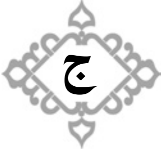






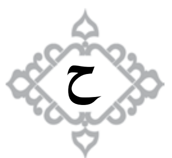






















ر


















ش








ص



ط



ع










غ


ف







ق






ك
































فهرس عام

المجلد الأول

ميلاد دولة الاستقلال

الصفحة

الـفـصـل الأول

ليبيا عبر العصور



الفصل الثاني

مقاومة .. وملحمة جهادٍ خالدة

الفصل الثالث

على طريق الاستقلال .. المخاض العسير







الفصل الرابع

ليبيا عشيّة الاستقلال


مركز الدراسات الليبية
Libya
Centre for Libyan Studies

LIBYA BAYN AL-MADI WA'L-HADIR

SAFAHAT MIN AL-TA'RIKH AL-SIYASI

Part 1

Milad dawlat- al-istiqlal

Volume I

Mohamed Yousef Al-Magariaf



Centre for Libyan Studies


مركز الدراسات الليبية
Libya
Centre for Libyan Studies

LIBYA
PAST AND PRESENT

Chapters in Libya's Political History

Part 1

The Birth of Independent State

Volume I

Published in Great Britain by the
Centre for Libyan Studies
Suite 220,
266 Banbury Road,
Oxford, OX2 7DL

First edition 2004
Second edition 2017

A full CIP record of this book is available from the British Library



ISBN: 978-1-907187-27-8